موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}

اسم مشتق من الذكوة

وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام} شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها من الدراري المضيئة {در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة

وهي المرتفع من الأرض، وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزها عن الأرض.وفي رواية إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى في رواية المفضل عن الإمام الصادق{عليه السلام} قال: قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال: يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.:
Date:

الرقم: ب ت ع/ ٥٧٤٤
التاريخ: ٢٠٢١/٩/٦

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ٢٠٢١/١٢/٢٨ والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ع/٥٧٤٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وإنشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د. حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون الفنية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الاوراق.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (٤) السنة الثانية
صفر الخير ١٤٤٤ هـ آيلول ٢٠٢٢ م

العدد (٤) السنة الثانية صفر الخير ١٤٤٤ هـ آيلول ٢٠٢٢ م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (١١٢٥)
الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

المشرف العام
علاء عبد الحسين جواد القسّام
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع
مدير التحرير
حسين علي محمد الحسني
هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
ا.م .د. صفاء عبدالله برهان
أ .م. د. حميد جاسم عبود الغرابي
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د. فاضل محمد رضا الشرع
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي / الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خيربك ناصر / لبنان

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

التدقيق اللغوي
أ.م.د. قحطان رشك دخيل

الترجمة إلى اللغة الانكليزية
لمياء جبار سلمان

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي

مجلة الذكوات البيض

جمهورية العراق

بغداد /باب المعظم

مقابل وزارة الصحة

دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير

٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١

صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي

ISSN 2786-1763

رقم الإيداع

في دار الكتب والوثائق (١١٢٥)

لسنة ٢٠٢١

البريد الالكتروني

إيميل

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.
٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
أ. عنوان البحث باللغة العربية .
ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.
ت . بريد الباحث الإلكتروني.
ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.
ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.
٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.
٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).
٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغة APA
٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.
٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.
٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:
أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.
ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)
أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .
٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢ .
١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .
١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.
١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.
١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.
١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.
١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.
١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.
١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.
١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.
١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.
٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.
٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكترونيّ:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة
٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المحتوى

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
٨	الضوابط الشرعية للنشاط الصناعي في الفقه الاسلامي	أ. م . د مها عامر منصور
٢٢	التفسير بالمأثور بين تفسيري حسن البيان في تفسير القرآن للباليساني (ت١٤١٥هـ) وتقريب القرآن إلى الاذهان للشيرازي(ت١٤٢٢هـ)	أ.م.د. عقيل عباس ريكان زهراء علي قحطان
٣٢	زواج الإمام الحسن (عليه السلام)في الكتب التاريخية دراسة تاريخية نقدية	أ. م. د . محمد عبد الرضا شنيتر
٤٢	بعض الذين أصابتهم حرفة الأدب في الحضارة العربية الإسلامية	أ.د . خليل حسن الزركاني
٥٨	الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمرأة الإيرانية ١٩١١ – ١٩٢٥	م.د. صادق فاضل زغير
٧٢	قراءة نافع المدني من متن البقرية في القراءات السبع محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري المتوفى سنة ١١١١هـ دراسة وتحقيق	أ.م.د. حيدر عبد العزيز اسماعيل
٨٢	الجهود التربوية لمنظمات المجتمع المدني في العراق ودورها في التربية على حقوق الإنسان	م.د. محمد قاسم محمد العزي
٩٨	أهمال الأباء للأبناء وطرق المعالجة في ضوء معايير الشريعة الإسلامية	أ.د ابتسام موسى جاسم علا عمار عدنان نور
١١٠	التكرار في القرآن الكريم دراسة دلالية سورة الرحمن أنموذجاً	أ.م.د. جهانكير أميري م. عالية جاسم جبار م. مرتضى رسول عكش
١٢٤	الأساليب اللغوية في شعر عمرو بن قميئة دراسة فنية	م.د خالد سعد الدراجي أحمد سالم العابدي
١٣٤	سورة الإنفطار / دراسة تحليلية	م . د . قحطان نعمة حسن الصّحَاف
١٤٦	مفهوم السُّلطان في الْقُرآنِ الكَرِيْمِ دِراسَة تَرْكِيبية دِلاليّة	م. رياض علي حسن
١٥٨	أهمية القراءات عند ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)	م. م. رويده عبد الكريم جاسم عودة
١٦٨	أسباب إنهيار الحضارات في القرآن الكريم سُوْرَة الْقَصَصِ أُنموذجاً / دراسة موضوعية	م. م .لمياء صاحب
١٧٦	منظومة المقاصد عند الدكتور جاسر عودة	م. م نغم يحيى ناجي
١٩٢	أثر الحركة الإعرابية والسبك في نصوص مختارة من القرآن الكريم	م د. براء علاء عبدالحسين
٢٠٢	مرويات الصحابي عبدالله بن عباس لآيات الطلاق في مجمع البيان	م.م حنين راضي عبد
٢١٤	المسائل الخلافية بين الامامية والمعتزلةدراسة عقدية مقارنة	م.م حسين محمد زعيج
٢٣٢	التحفظ على معاهدات حقوق الانسان بين القبول والرفض	م. د. صقر صبوح شيلان إسماعيل الآي
٢٤٢	التفسير و التأويل في كتب علوم القرآن الحديثة	م.م سجاد علي ثامر كيطان
٢٥٢	العلامة السيد علي محمد الطباطبائي احد رواد العلم في كربلاء	م.م زينة عبد الكاظم دواي التميمي

الضوابط الشرعية للنشاط الصناعي في الفقه الإسلامي

أ. م . د . مها عامر منصور
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسيّة

الملخص:

إنّ الدين الإسلامي بأحكام شريعته السمحاء هو منهج شامل متكامل يشمل جميع جوانب الحياة البشرية يعالجها بتكامل ويحدد ضوابطها والاقتصاد الإسلامي مرتبط بالدين الإسلامي في إرتباط وثيق عقيدةً وأخلاقاً وفقهاً لا يمكن الفصل بينهما ، فالاقتصاد الإسلامي يسعى لتحقيق قدر من الانتاج المادي المقبول إجتماعياً وتوزيعه توزيعاً يحقق الرفاهية للمجتمعات الإنسانية لكن بنظرة الإسلام للكون والتي تجعل من النشاطات الاقتصادية منضبطة وخاصة النشاط الصناعي بمجموعة من الضوابط الشرعية بحيث لا يمكن بدونها أن يحقق أهدافه في إعمار الأرض وتأمين الرفاهية للمجتمعات الإسلامية.

Abstract

The Islamic religion، with the provisions of its tolerant Sharia، is a comprehensive and integrated approach that includes all aspects of human life، treats them in an integrated manner and defines its controls. Humanity، but with Islam's view of the universe، which makes economic activities disciplined، especially industrial activity، with a set of legal controls، so that without them it cannot achieve its goals in building the land and ensuring the prosperity of Islamic societies .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إرتبطت الاكتشافات العلمية بظهور الصورة الصناعية وأصبحت بجانب رأس المال يمثلان مصدر ديمومة النشاط الصناعي والذي هو من أهم النشاطات الاقتصادية ، لذلك كان موضوع النشاط الصناعي محور إهتمام الكثير من الاقتصاديين والباحثين في التنمية والاقتصاد ولا يمكن ترك النشاط الصناعي مبعثر دون قيد أو شرط أو ضوابط تحدد مساره في الاقتصاد الإسلامي،لذلك طرح الفكر الاقتصادي الإسلامي العديد من الضوابط الشرعية المهمة والضرورية لسير عملية الصناعة والتصنيع بالمنهج القويم الصحيح الذي يحقق عمارة الأرض ويحقق الاستخلاف الذي أراده الله سبحانه للإنسان والمجتمع المسلم ، لذلك عرضنا هذه الضوابط الشرعية من خلال التقسيم إلى ضوابط عقائدية وأخلاقية وفقهية تنظم وتقيد عمل الصناعات بما يتلاءم مع مقاصد الشريعة الإسلامية ويحقق أعلى مستويات للتنمية الاقتصادية ، فكان للمصدر التشريعي الأول وهو القرآن الكريم الحيز الكبير في هذا البحث وكذلك كان للاحاديث النبوية النصيب الوافر في الادلة الشرعية لتوضيح تلك الضوابط ، فجاء تقسيم البحث على مبحثين تناول الأول التعريف بالمفاهيم الواردة في البحث والثاني بأهم الضوابط الشرعية.ومن الله التوفيق.

المبحث الأول:

مفهوم النشاط الصناعي

المطلب الأول : تعريف النشاط لغة واصطلاحاً :

أولاً : النشاط لغة :

نشاط : اسم ، والجمع نشاطات وأنشطة ، وهو ممارسة فعلية لعمل ما ، عكسه كسَل.

وأيضاً : نشاط مصدر نَشِطَ ، وبنشاط : بهمة وبسرعة، وشعلة نشاط :شخص عالي الهمة والنشاط وفي حديث عبادة :

(بايعتُ رسول الله «صلى الله عليه وآله» على المنشطِ والمكره) ، المنشط مَفعل من النشاط وهو الأمر الذي تنشط له وتخفُّ إليه وتؤثر فعله وهو مصدر بمعنى النشاط (١).

ثانياً : النشاط إصطلاحاً :

النشاط : هو أن يَخفَّ الانسان إلى الأمر ، ويؤُثِر فعله (٢).وهو عمل يقوم به فرد أو مجموعة أفراد يمكن أن يوصف بأنه فعل يعمل لإحداث تغيرات قد تكون اقتصادية أو اجتماعية أو

سياسية وإضفاء قيم العدالة والرفاهية للمجتمع الذي يجري فيه النشاط .

المطلب الثاني : تعريف الصناعة لغة واصطلاحاً :

أولاً : الصناعة لغة :

الصُنع : بالضم مصدر قولك صنع إليه معروفاً وصنع به صنيعاً قبيحاً أي : فعل(٣).

والصِناعة –بكسر الصاد: حرفة الصناع وإصطنعهُ اتخذهُ ، قال تعالى: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (٤).

وجاء في اللسان : يقال اصطنع فلان خاتماً إذا سأل رجلاً أن يصنع له خاتماً (٥).

واستصنع الشيء : دعا إلى صُنعه .

فالاستصناع لغة : طلب الفعل (٦).

ثانياً : الصناعة إصطلاحاً :

يعني إصطلاح (صناعة) كلّ الانشطة التي يعمل الإنسان بواسطتها على تحويل مادة أولية أو مواد من شكل إلى شكل آخر يترتب عليه تغيير في استخدامها وقيمتها ، والصناعة في إصطلاح الفقهاء : فهي عندهم تقابل الحِرفة وهي العلم الحاصل بمزاولة العمل كالخياطة والحياكة والحجامة ونحوها .

وتعرف الأمم المتحدة الصناعة بأنها : تحويل مواد غير عضوية او مواد عضوية بعمليات ميكانيكية أو بعمليات كيميائية إلى منتجات أخرى سواء أنجزت بآلات ميكانيكية تحركها قدرة ، أو انجزت بالأيدي وسواء حدث إنتاجها في مصنع أم في ورشة أم في بيت وسواء بيعت لتاجر جملة أم تاجر مفرد .

ويعرف بعض الباحثين الصناعة بأنها : عملية يتم بها تحويل مادة من المواد من حالتها الأصلية إلى حالة أو صورة جديدة تصبح معها أكثر نفعاً وإشباعاً لحاجات الإنسان ورغباته ، كتحويل القطن الخام ألى منسوجات قطنية وتحويل الحديد الخام إلى مكائن وآلات حديدية (٧).

والصناعة التقليدية : الأعمال الحرفية القديمة التي ما زالت سائدة وتعتمد على العمل اليدوي أصحاب الصنائع .

والصناعة الحديثة : هي كلّ ما تنتجه المعامل بتحويلها للمواد الأولية إلى مواد للاستعمال كصناعة الزجاج وصناعة المواد الكهربائية (٨).

والصناعة هي حرفة الصانع ، وكل عِلم أو فن مارسهُ الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له .

و(الصنعُ) : هو العمل ، ولا يُنسب إلى حيوان أو جماد (٩).

وفي التنزيل العزيز قوله تعالى :

(وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (١٠).

فالصناعة : هي أحد فروع الاقتصاد الوطني التي يجري فيها إنتاج السلع والخدمات ، وتتميز الصناعة عن باقي فروع القطاعات الاقتصادية كونها تتولى إستخراج الثروة المادية الطبيعية وتحويلها لغرض استخدامها في إشباع الحاجات الانتاجية والاستهلاكية (١١).

وبهذا فإن النشاط الصناعي مفهوم واسع يشير إلى جملة من العمليات التي يقوم بها جماعة من الصناع لاستخراج أو تحوير مواد أولية موجودة أو لإنتاج مواد جديدة بهدف إشباع رغبات الإنسان مستخدمين طرق ووسائل متنوعة ضمن عملية إنتاجية تربط بين عناصر الإنتاج وتجمعها مكانياً (١٢).

المطلب الثالث : الصناعة والنشاط الصناعي في القرآن والسنة :

أولاً : في القرآن الكريم :

دعا الإسلام إلى العمل والصناعة وحث على الكسب بالتصنيع والنشاط الصناعي على أساس إنّه أحد الجوانب المهمة والضرورية لتحقيق مهمة الإنسان الاستخلافية في هذه الأرض، وجاءت الآيات القرآنية مؤكدة لهذا المعنى ومستوعبة لجميع الانشطة الاقتصادية وخاصة الصناعية منها ، ولم يأتِ ذكر ذلك في القرآن الكريم مقتصراً على لفظة الصناعة بل تعداها إلى عبارات أخرى تحمل في مضمونها النشاط الصناعي والاقتصادي ومنها السعي والانتشار، ومنها قوله تعالى :(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) (١٣)، وقال تعالى : (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (١٤)، وغيرها كثير

. ودعا القرآن الكريم إلى مزاولة الصناعة والترغيب فيها وعدَّ من الأنشطة والحِرف التي تُعلي من مكانة الإنسان ومنزلته .

وقد مارس الصناعة كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأشار القرآن الكريم إلى صناعة التعدين بقوله تعالى : (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) (١٥)، أي أجرينا لسليمان عين النحاس وأذابهُ له كما الأن الحديد لداود (عليه السلام) ، بقوله تعالى : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) (١٦)، و(وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) (١٧)، و(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ) (١٨)، جاء في تفسير الطبري(١٩): اللبوس عند العرب : السلاح كله درعاً كان أو جوشناً أو سيفاً أو رمحاً وجاء في الميزان انه الدرع (٢٠).

وقال تعالى : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) (٢١)، يقول المفسرون الفُلك : السفينة(٢٢)، وذلك إنّه لم يكن يعلم كيف تصنع الفُلك فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ الطائر أي صدره (٢٣).

وأيضاً قوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) (٢٤)، يقول المفسرون : سرابيل تقيكم الحر : أي هي الثياب من القطن والكتان والصوف ، وسرابيل تقيكم بأسكم : هي الدروع والجواشن وكل ما يلبس (٢٥)، وهي دلالة على صناعة الألبسة .

وورد في القرآن ذكر صناعة الذهب بقوله تعالى : (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) (٢٦).

ثانياً : النشاط الصناعي في السنة النبوية :

سُئل النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) عن أي الأعمال أفضل فقال : (إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله ، قلت : فأي الرقاب أفضل ، قال : أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها ، قلت : فإن لم أفعل ، قال : تعين صانعاً أو تصنع لأخرق ...)(٢٧)، وفي الحديث إشارة واضحة على أن الصناعة من أفضل الأعمال والمكاسب التي دعا إليها الإسلام .

وايضاً قوله (صلى الله عليه وآله) :

(إن الله يدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة ، صانعه يحتسب في صنعه الخير، والممد به، والرامي به) (٢٨).

وأيضاً قوله (صلى الله عليه وآله) :

(ما أكل ابن أدم طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يدهِ وإنَّ نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) (٢٩).

وروي ان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) قد إحتجم وأعطى الأجر ولو كان حراماً ما أعطاه (٣٠).

وعن الإمام علي (عليه السلام) قال :

«إن الله عزوجل يُحبُّ المؤمن المحترف الأمين» (٣١)، وغيرها من الأحاديث النبوية والروايات الإسلامية الكثير .

المبحث الثاني:

الضوابط الشرعية للنشاط الصناعي

المطلب الاول : الضوابط العقدية :

لا يمكن بأي حال من الأحوال في الإسلام فصل الدين عن الحياة لأن الإسلام جاء لتنظيم الحياة كي تكون سراجاً تنير الدرب للوصول إلى الفوز بالآخرة ، لذا فإن المنهج الإسلامي يربط الاقتصاد ونشاطات الحياة الاقتصادية عامة والصناعية خاصة بالقيم العقائدية والضوابط الإلهية ولا يمكن الفصل بينهما . وبذلك نرى مقولة العلامة السيد محمد باقر الصدر الخالدة (يجب أن نعي الاقتصاد الإسلامي ضمن الصيغة الإسلامية العامة التي تنظم شتى نواحي الحياة في المجتمع ،ويستقيم منهج البحث في الاقتصاد الإسلامي حين يدرس الاقتصاد الإسلامي بما هو مخطط مترابط وبوصفه جزءاً من الصيغة الإسلامية العامة للحياة التي ترتكز بدورها على التربة والأرضية التي أعدها الإسلام للمجتمع الإسلامي الصحيح) (٣٢).

فالعقيدة هي القاعدة المركزية في التفكير الإسلامي التي تحدد نظرة المسلم الرئيسية إلى الكون بصورة عامة وهي مصدر التموين الروحي للمذهب الإسلامي، فالعقيدة تدفع

الضوابط الشرعية للنشاط الصناعي في الفقه الإسلامي

المسلم إلى التكيف وفقاً للمذهب بوصفه نابعاً من تلك العقيدة وتضفي على المذهب طابعاً إيمانياً وقيمة ذاتية ، وتخلق في نفس المسلم شعوراً بالاطمئنان النفسي باعتباره منبثقاً عن تلك العقيدة التي يدين بها ، فقوة ضمان التنفيذ والطابع الإيماني والروحي والاطمئنان النفسي هذه الخصائص التي يتميز بها الاقتصاد الإسلامي (٣٣).

إنّ الحقائق العلمية في الأنشطة الاقتصادية عامة والصناعية خاصة تؤخذ من مصدري المعرفة الحقيقيين (الوحي والعقل) وفي ذلك يقول أحد الباحثين : (نحن نرحب بالحقائق العلمية ونرفض ضلالات المشرعين للإنسان في حياته فنقبل خطوط العرض والطلب والثمن وتحديده ،ولكننا نرفض الاحتكار والتسعير والفائدة وكل أكل للمال بالباطل وتعتبر الطيبات سلعاً اقتصادية والخبائث سلعاً غير اقتصادية طاعة لله ورسوله .. لأن الآخرة خيرٌ وأبقى) (٣٤).

فهكذا هو الاقتصاد الإسلامي بشتى مجالاته الصناعية وغير الصناعية يستند إلى مرجعية شرعية تمنحه التطور والثبات في آن واحد .

فالعقيدة الإسلامية هي الأساس والمنطلق لكلّ تصرفات الإنسان في مختلف مجالات الحياة ومن أبرزها المجال الصناعي والاستثمار والاقتصاد ،فجميع أوجه النشاط الصناعي منضبطة بتوجيهات العقيدة .

يقول تعالى : {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (٣٥)، فأول وصف للمؤمنين المتقين هو الإيمان بالغيب الذي يمثل المنطلق لما بعده من تصرفات ونشاطات من بينها الانفاق الذي هو نشاط اقتصادي.

وكذلك نصوص تحريم الربا وهو أحد ضوابط المنهج الإسلامي للاستثمار والنشاط الصناعي وغيره من النشاطات الاقتصادية ، يقول تعالى :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا} (٣٦)، فالنص تضمن تحريم الربا كالتزام عقائدي .

يقول سيد قطب في ذلك :

(فالذين يفرقون في الدين بين الاعتقاد والمعاملات ليسوا بمؤمنين مهما ادعوا الأيمان وأعلنوا بلسانهم أو حتى بشعائر العبادة الأخرى إنَّهم مؤمنون) (٣٧).

ومن أهم الضوابط العقائدية التي يرتكز عليها النشاط الصناعي هو الاعتقاد بأن الله تعالى هو المالك الحقيقي والأصلي للمال ، فالكون كله لله تعالى ، هو الذي خلقه وأنشأه وأوجده من العدم (خالق السموات والأرض) ، يقول تعالى :

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٣٨).

فالعقيدة الإسلامية تقرر مبدأين مهمين :

١. إنَّ الكون كله ملكٌ لله الذي خلقه بإرادته وحكمته .

٢. إنَّ الله تعالى وحده الوارث لهذا الملك وبذلك فهو يرث ما في أيدي الناس جميعاً ، يقول تعالى : {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (٣٩).

وبناءاً على ذلك يتبين لنا أن أصل التمليك للمال (جميع الثروات) هو الله تعالى ملكية مطلقة وأزلية وحقيقة أصلية،والفطرة الانسانية تشهد بتلك الحقيقة .

والضابط العقدي الثاني للنشاطات الصناعية هو الاعتقاد بملكية الإنسان المقيدة للمال،بما إنَّ الله تعالى هو المالك الحقيقي للمال ملكية مطلقة فيجب أن نعلم بأن الله تعالى جعل البشر وكلاء على ما في أيديهم من أمواله ، يقول تعالى : {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} (٤٠).

ومن الأحاديث الشريفة التي بينت ذلك قوله (صلى الله عليه واله) : (كلّ المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه) (٤١)، وأيضاً قوله في حجة الوداع : (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) (٤٢).لكن هذه الملكية للأموال ليست مطلقة ولا أبدية وإنّما مقيدة ، فالإسلام يجمل

المسؤولية لكل مكلف باستخدام الأموال بالوجه الشرعي الذي أمر به الله سبحانه وأن يتقيد المستثمر للنشاط بقيود وحدود منهج الاستثمار والتصنيع الذي وضعه المالك الحقيقي وهو الله تعالى .أمّا الضابط العقدي الثالث هو الاعتقاد بأن الإنسان مستخلف من الله في المال،فالبشر مستخلفون في هذه الأرض ، يقول تعالى :

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (٤٣).

والاستخلاف في المال هو أحد أوجه الاستخلاف ، فالله تعالى استخلف البشر فيما يملكون من أموال ينتفعون بها وإنَّه تعالى (يستخلف) أموالاً لشخصٍ ما بعد أن كانت ملكاً لشخصٍ آخر فكل ما كان في أيدي من قبلنا من أملاك قد صار إلينا ، يقول تعالى : {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا} (٤٤).

ولن ينال الفرد المسلم المستثمر للصناعة والنشاطات الصناعية جزاء تعدي حدود ذلك الاستخلاف إلا العقوبة الدنيوية وهي إمّا عقوبة إلهية يتولاها الله بقضاءه وعدله ، وإما عقوبة يتولى تنفيذها الحاكم الشرعي ، والقسم الآخر من العقوبات هي العقوبات الآخروية فهذه يتولاها الله تعالى في الآخرة ، ويتبع ضابط الاستخلاف مفهوم وضابط مهم آخر هو مفهوم التسخير لأن موضوع الخلافة هو إعمار الأرض وفقاً لأحكام الله تعالى ، فالغاية من وجود الإنسان ونشاطاته المادية والاقتصادية ومنها الصناعية ما هو إلا عبادة وطاعة لله مع إشتراط أن تكون النية خالصة لوجه الله وقصد إرضاءه ، وبذلك يكون النشاط الصناعي بتعدد أنواعه إنَّما هو وسيلة لتحقيق غاية مرضاة الله تعالى وهو عبادة عليا ومن أجلّ العبادات مع شرط خلوص النية ، ويقول القرطبي في ذلك (٤٥): (فأمّا كسب المال فإن من اقتصر على كسب البُلغة من حلها فذلك أمر لابد منه وأمّا من قصد جمعه والاستكثار (بقصد الاستثمار) منه من الحلال نظر في مقصوده فإن قصد نفسه وعائلتهِ وإدّخر لحوادث زمانه وقصد التوسعة على الاخوات وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات) .

المطلب الثاني : الضوابط الاخلاقية :

الاقتصاد الإسلامي أخلاقي في غاياته وكل مجالاته بما فيها النشاط الصناعي ، لأنه لا يستمد غاياته من ظروف مادية مستقلة عن الإنسان كما في باقي الأنظمة الاقتصادية غير الإسلامية ، بل غاياته تعبر عن قيم عملية ضرورية التحقيق من ناحية خُلقية وهو أخلاقي في طريقته لأنه لا يتم بالجانب الموضوعي مجرداً عن العامل النفسي والدافع الخلقي ولهذا جعل من الفرائض المالية عبادات شرعية تنبع من دافع نفسي نيّر يطلب بها المسلم رضا الله تعالى (٤٦).

والنصوص الإسلامية حافلة ببرنامج خلقي رفيع يصب في خدمة هذا النظام الاقتصادي وتحقيق أهدافه ، وذلك في أكثر المواضع من النصوص والروايات التي تربي في الإنسان روح التعاون والإحساس بالمسؤولية وروح الأخوة الاسلامية ومعنى الإيثار والتضحية والزهد وتنفي عنه صفات البخل والطمع والاستئثار والتعدي على حقوق الآخرين والحرص على المال والحسد (٤٧)، وهكذا تقوم العلاقات الاقتصادية بين الناس على دعائم من التكافل والتعاون والتراحم والصدق والعدل والبر والاحسان وأن يجانبوا في معاملاتهم بعضهم مع بعض كل ما يأباه الخُلق الكريم وما يؤدي الى التنافر والتباغض وصراع الطبقات بعضها مع البعض الآخر .

يقول تعالى : {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (٤٨).

والعامل المسلم ملزم بتقوى الله سبحانه في نشاطاته الصناعية وجميع اعماله فالتقوى ضابط رئيس من الضوابط الاخلاقية في العمل الاقتصادي الاسلامي لأنها عبارة عن مراقبة الله تعالى والحرص على مرضاته والخوف من عذابه ،

يقول تعالى : {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} (٤٩).

والتصنيع يجب ان يتقيد بمقصد العدل فهو القيمة العليا في الاسلام ، يقول تعالى :{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} (٥٠).

فالعلاقات في النشاط الصناعي يجب أن تكون قائمة على العدل سواء على مستوى العمال والموظفين فيما بينهم أو على مستوى الإدارة والعمال .

والاستقامة كذاك من الضوابط المهمة التي توجه النشاط الصناعي في الإسلام وهو سلوك فردي وجماعي ، يقول تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا}(٥١).

ويقول رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) : (حُسن الخُلق وكفُّ الأذى يزيدان في الرزق) (٥٢)، ويقول كذلك : (من رضي بما رزقه الله قرّت عينُه) (٥٣)، وله كذلك قوله (صلى الله عليه وآله) : (الأمانة تجلب الرزق) (٥٤).

والعامل المسلم ملزم في نشاطه الصناعي بالصدق واداء الأمانة سواء مع إخوانه العمال او مع مرؤوسيه او من في رعيته فيكون صادقاً معهم بالتعامل وفي نصحهم ليشيع روح التعاون والتضامن بين ابناء المشغل او المصنع الواحد ، يقول تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}(٥٥)،ويقول تعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (٥٦).

ومن الاخلاق الاسلامية التي يجب ان يلتزم بها الفرد نشاطه الصناعي (الأخوة) وهي رابطة من شأنها ان تثمر الحب والتضامن وما يترتب عليها من بر وتعاون بين افراد المجتمع الواحد ، فعندما تشيع روح الاخوة بين افراد المنشأة الصناعية او النشاط الصناعي فذلك سوف ينعكس على اداء العمال وعلى الانتاج بصورة عامة لأنها تنمي تلك العلاقة على اساس المحبة والتعاون ، يقول تعالى : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (٥٧)، وكذلك روح المنافسة والتسابق يجب ان يكون خاضعاً لروح الاخوة بين العاملين في النشاط الصناعي اذ يكون التنافس على اساس شريف وهو تقديم الافضل والاجود والاكثر إتقاناً وليس على اساس العداوة والبغضاء التي لا تعود على النشاط الصناعي الا بالضرر والفساد .

المطلب الثالث : الضوابط الفقهية :

من المميزات السامية للفقه الاسلامي انه يغطي جميع جوانب الحياة متجاوزاً القوانين الوضعية المحدودة وينظم الجانب الاقتصادي والمالي بشكل دقيق ومميز فهو يتميز بخاصية الثبات والمرونة نظراً الى مصادر التشريع الاولى وهي القرآن الكريم والسنة النبوية.وسنتكلم هنا عن أهم الضوابط الفقهية للنشاط الصناعي والاستثمار الصناعي وأرتأينا ان نجعلها على اقسام :

١. الضوابط المتعلقة برأس المال :

وهو وجوب ان يكون رأس المال المستثمر بالصناعة حلالاً ابتداءاً لأن الاقتصاد الاسلامي لا يسمح بكسب المال بأي وسيلة دون قيد او تحديد ، فالمنهج الاسلامي في النشاط الصناعي لا يطلب من المستثمر الالتزام بأداء حق الزكاة اذا كان أصل امواله حرام ، فقد قرر الفقهاء ان المال الحرام لا زكاة فيه مستندين لحديث الرسول (صلى الله عليه وآله):(لا يقبل الله عزوجل صدقه من غلول) (٥٨).

لذلك يقول العلماء : (لو كان الخبيث من المال نصاباً لا يلزمه الزكاة ، لأن الواجب تفريغ ذمته برده الى أربابه إن عُلموا أو الى ورثتهم وإلا الى الفقراء وهنا يجب التصدق به كله فلا يفيد ايجاب التصدق ببعضه) (٥٩)، يقول تعالى : {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ}(٦٠).

وكذلك المنهج الاسلامي يوجب على المستثمر بالنشاط الصناعي أن يكون على إلمام بالأحكام الشرعية المتعلقة بنشاطه الصناعي

والاستثماري فيجب ان يتعلم أحكام الحلال والحرام فيما يخص نشاطه وكذلك يعلم ما تشابه بينهما وذلك من أجل تنظيم المجالات الاستثمارية في الصناعة ، فالمستثمر او الصناعي الجاهل هو لا محالة ملحق الضرر بنفسه وبالطرف الذي يتعامل معه ، فيقول في ذلك ابن رشد الجد (ت٥٢٠هـ) في مقدماته :(لا ينبغي للرجل أن يقارض (أي يعطي ماله مضاربة) إلا من يعرف الحلال والحرام) (٦١).وهذا الضابط يسهم في حل المنازعات والخصومات وكذلك إلى التقليل من التكاليف الباهظة المنجرة عن الصفقات المشبوهة والفاسدة ، وبالتالي تسهيل عمل الرقابة.

٢. التقيد بتصنيع الطيبات :

فالنشاط الصناعي مقيد ومحكوم بإنتاج الطيبات فقط ، يقول تعالى :{وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} (٦٢)، وقوله تعالى : (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) (٦٣)، والطيبات هي كل ما حللهُ الله تعالى لعباده ووصفها الله تعالى بهذا الوصف لأنها لفظ مدح وتشريف والطيب هو الحلال المباح الذي إنحلت عنده عقدة الخطر وأذن الشارع في فعلته (٦٤). ولقد بحث فقهاء الشريعة الاسلامية هذا الضابط في مسألة طهارة الأعيان فقسموها الى قسمين : الأعيان الطاهرة التي خلقها الله لمنافع العباد ، يقول تعالى :{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} (٦٥)، ويحصل الانتفاع بالطهارة إلا ما نص الشارع على نجاسته وتحريمه .

والقسم الثاني : الأعيان النجسة : وهذه محرمة تماماً وفيها تفصيلات كثيرة سنذكرها باختصار لاحقاً . وحتى يستطيع المجتمع المسلم تناول الطيبات لابد أن يوسع من دائرة نشاطه الصناعي لتحويل تلك الطيبات إلى سلع وحاجات تكون صالحة للاستخدام البشري ، ومن تلك الطيبات كل الاطعمة والاشربة الحلال التي يتغذى عليها الإنسان من الأقوات والنباتات والفواكه والخضر ومنها ما تدخل في علاج مختلف الأمراض ، وكذلك الحديد الذي تصنع منه الاسلحة والسيارات والطائرات وتبنى منه الدور والأبنية ، وكذلك الصوف والقطن المستخدمة في الألبسة والأثاث ، وكذلك الحيوانات البرية والبحرية باختلاف أنواعها إلا ما حرّم الله ، وكذلك تصنيع كل ما يحفظ للدين والعقل البشري كيانه وينميه من مناهج علمية وكتب تربوية وبرامج تثقيفية تتناسب مع التطور العلمي والحضاري .

فالطيبات (هي كل مُصنع يؤدي نفعاً مادياً أو معنوياً فردياً كان أم جماعي يحتاج اليه الانسان ويساهم في تدعيم وجوده وتنمية نفسه وقيامه بوظيفته الاستخلافية) (٦٦)، فالسلعة لا تعد نتاجاً متقوماً إلا إذا كانت في حدود الطيبات، أي إن السلعة لا تعد مالاً منقوماً في الاقتصاد الإسلامي إلا إذا أجازت الشريعة الإسلامية انتاجها (٦٧).

٣. منع الصناعات المحرمة والضارة :

من الضوابط الفقهية التي تحدد المنهج الاقتصادي السليم للنشاط الصناعي هي عدم إنتاج السلع والمنتجات التي حرمتها الشريعة الاسلامية .

وجاء ذكر تلك المحرمات بألفاظ منها حُرم عليكم آو حرمنا عليهم آو الخبائث ، والخبائث لفظ عام للمحرمات في الشرع وفي المقتذرات (٦٨)، وتشمل كل ما حرمه الله تعالى من المطعومات والمشروبات والملبوسات والمسكونات وغيرها .

والخبائث كل ما يضر بصحة الإنسان في دينه وعقله ونفسه وعرضه وماله وهذه المحرمات كلها مفاسد تتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية لهذا وجب على العامل بالنشاط الصناعي إستبعادها من دائرة إنتاجه ، فالخبائث لا تصلح أن تكون سلع يتبادل شراؤها في السوق الإسلامية كما إنها لا تدخل في تعريف الملكية فهي ليست مالاً لمسلم ولا ضمان على متلفها (٦٩)، ومنها منع انتاج وتصنيع الأغذية الضارة بالإنسان والتي حرمها الله كالميتة والدم ولحم الخنزير ، يقول تعالى : {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ

وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} (٧٠)، وهذه كلها نجسة لا يجوز تصنيعها أو إدخالها بالصناعات ، وجميعها فيها ضرر وتلف لجسم الإنسان وصحته ، كذلك حرم الله سبحانه الخمر شربها وصناعتها بقوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ}(٧١)، وقال الرسول (صلى الله عليه وآله) فيها : (لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها) (٧٢).

كذلك منع الإسلام المسكرات والمخدرات وما تخلفه من أضرار صحية وسلوكية على الفرد والأسرة والمجتمع ينعكس سلباً على اقتصاديات تلك المجتمعات لأن فيها تعطيل العقل عن تأدية وظيفة التدبر والتفكر والابداع هذا بالإضافة إلى ما تخلفه المخدرات من أضرار جسدية بليغة فهي بداية كل آفات المجتمع من سرقات وقتل واعتداء وزنا .

ومن تلك الصناعات المحرمة صناعة الحلي والألبسة المحظورة شرعاً ، فالشريعة قد حرمت كل ما يتعارض مع أحكامها ويختلف مع توجهاتها ، فلبس الحرير والذهب محرم على الرجال وكذلك الأواني الذهبية ، إذ يقول رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) : (لا تلبسوا الحرير والديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها) (٧٣)، وايضاً روي (ان النبي (صلى الله عليه واله) أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال : ان هذين حرام على ذكور امتي) (٧٤)، ومثله ما نراه في وقتنا الحاضر عند المترفين من قلم الذهب وساعة الذهب وقداحة الذهب وعلبة الذهب للسجائر والذي يؤدي الى الليونة والنعومة المفرطة ومن شأن ذلك يوقع صاحبه في الرذائل والمحرمات ، يقول تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) (٧٥).

وأيضاً قوله (صلى الله عليه وآله) : (صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما قط : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن أمثال أسنمة الأبل لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها) (٧٦).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على تحريم الألبسة التي لا تتفق مع مكارم الأخلاق والأوامر الشرعية والتي تحرض على الممارسات ألا أخلاقية وإثارة الفتنة بين الشباب.

وكذلك تحريم صناعة المواد الاعلامية المنحرفة والكتب المفسدة التي تدعو إلى الانحلال والفساد وتروج للفكر الملوث واللهو المحظور وتسوق الفن المسموم من أفلام ومسلسلات وروايات وأغانٍ ماجنة فهذه أشد خطراً على المجتمعات الإسلامية من الطعام والشراب التالف والمخدرات فهي تدرس المفاهيم الخاطئة وتقلب موازين العقيدة والتربية وتدخل الإنسان في طور الحيوانية ، فلا ضرر ولا ضرار ، فكل ما من شأنه الحاق الضرر والفتنة واشاعة الفساد في المجتمع الإسلامي قد حرمته الشريعة الإسلامية ، وإن استبعاد هذه الصناعات ومنع إنتاجها وتسويقها ستعود منافعه على الأمة بزيادة الانتاجية النافعة والصناعات المفيدة .

ومنها أيضاً كل ما يسبب التلوث والاضرار ببيئة الإنسان مثل إنتشار ما يسمى بالتلوث الصناعي الذي ينتج عن التوسع في استخدام الكيمياويات وما تنتجه من النفايات الصناعية الضارة .

٤. منع الغش والاحتكار في الصناعات :

فالاحتكار هو : (جمع او حبس السلعة التي يحتاج اليها الناس ليبيعها بثمن مغالي فيه) (٧٧)، او هو (حبس ما يتضرر الناس بحبسه تربصاً للغلاء) (٧٨).

قال تعالى :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} (٧٩)، فعن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) قوله :(من إحتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجُذام والافلاس) (٨٠)، وعنه (صلى الله عليه وآله) : (المحتكر ملعون) (٨١)، وغيرها من النصوص الكثير التي

توضح خطر الاحتكار على المجتمعات وضررها بالفرد المسلم فأجمع الفقهاء على حرمته وكراهته عند الحنفية ووضع الفقهاء شروطاً للاحتكار المحرم منها (٨٢):

١. ان يكون الشيء المحتكر صناعته من الاقوات .

٢. ان يكون الشيء المحتكر قد اشتري من سوق البلد فان كان مجلوباً من الخارج فان حبسه لا يعد احتكاراً .

٣. ان يكون الشيء المحتكر قد اشتري وقت الضيق والشدة وغلاء الاسعار .

٤. مدة الاحتكار قيدت بأربعين يوماً او اكثر والبعض قال طالت مدة الاحتكار او قلت فهو محرم .

فالنشاط الصناعي مقيد باستبعاد الاحتكار لكونه جزء من النشاط الاقتصادي في الاسلام ، وكذلك حرم الاسلام الغش في جميع الصناعات بكل صوره لقوله (صلى الله عليه واله) : (من غشنا فليس منا) (٨٣)، ويقول تعالى : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) (٨٤)، فيمنع الاسلام الغش بكل صوره في مختلف النشاطات الصناعية لما فيه ضرر على المجتمعات الاسلامية يعود عليها بالخراب والدمار .

٥. الرقابة الشرعية على الصناعات :

ينفرد الاسلام من بين النظم الاخرى في إعتماده على المعيار الذاتي في تحقيق مبدأ الرقابة فكل انسان هو رقيب نفسه وهذا ما وضحه النبي (صلى الله عليه واله) بقوله : (أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (٨٥)، ويقول تعالى : (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) (٨٦)، وهذا الأساس العقائدي يولد في النفس دوافع إنسانية وأخلاقية سامية تجعل الفرد مطمئناً حين يؤدي واجبه بعيداً عن الانحراف والزلل(٨٧).

وهناك ايضاً بالإضافة إلى رقابة الفرد لأعماله ، هناك رقابة المجتمع له فيقول الله تعالى : {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}(٨٨)، ولا تخضع هذه الرقابة للإدارة والسلطة وإنّما مبناها التطوع وتأخذ شرعيتها من المسؤولية الشرعية على كل فرد .

وهناك أيضاً مراقبة الدولة فيقع على عاتقها مراقبة جميع مجالات النشاط الصناعي في مدى الالتزام بالأحكام المنظمة لتلك المجالات من خلال أجهزة ومؤسسات الرقابة المختلفة ممثلة في مؤسسة (الحسبة) التي تمثل الخصوصية الحضارية للاقتصاد الإسلامي ، يقول تعالى :{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} (٨٩).فمن واجب الدولة أن تراقب النشاط الصناعي لضمان التزام الصُنّاع والعاملين في النشاط الصناعي بالأحكام والاسس والضوابط التي وضعتها الشريعة ، وهذه المراقبة كما تشمل المخالفين للشرع فأنها تشمل الملتزمين بقواعد الشرع حتى يستمروا في صناعاتهم على الوجه الصحيح ، وحتى لا ينحرف بعضهم فهي مراقبة وقائية وعلاجية في آن واحد ، وأول من بدأ بمهمة الرقابة هو النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) فقد بدأ بمراقبة الأسواق في بداية الإسلام وتعليم الصحابة أحكام المعاملات ما يصح منها وما لا يصح ، مثل قوله(صلى الله عليه وآله) وهو يراقب السوق : (يا صاحب الطعام ما هذا ؟) (٩٠).

أمّا في الوقت الحالي فلا يوجد والي للحسبة محدد ،لكنها موزعة على كثير من وزارات الدولة ومؤسساتها، فمثلاً تقوم وزارة الصناعة والتجارة ممثلة بموظفيها بمراقبة الاسعار والموازين والمكاييل وما يسمى بمقاييس السيطرة النوعية والغش التجاري ..(٩١).

وعرف الفقهاء الحسبة بأنها : (أمر بمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله) (٩٢). وعرفه الدكتور فاضل الحسب بأنها (جهاز الرقابة المختص بتنفيذ السياسة الاقتصادية للدولة الإسلامية) (٩٣).

ووضع الفقهاء شروطاً كثيرة للقائم بأعمال الحُسبة في الاقتصاد الإسلامي لا مجال لذكرها الآن فليست من ضمن موضوعنا .

الخاتمة :

في الختام أرجو أن أكون قد سلطت الضوء على أهم الضوابط الشرعية المنظمة لعملية التصنيع وللنشاط الصناعي في الفقه الإسلامي وقد توصل البحث الى النتائج التالية :

١.الصناعة والتصنيع والنشاط الصناعي والحِرَف اليدوية كلها الفاظ وردت في اللغة العربية ومتجذرة فيها عرفها العرب قديماً وحديثاً .

٢.عرف أغلب الأنبياء بأنهم كانوا يعملون بالصناعات المختلفة كصناعة الحديد والذهب أو السفن أو الجلود وغيرها .

٣.النشاط الصناعي في الإسلام تطور وانتشر في العالم أجمع واخذ يعطي ثماره في الحد من الازمات التي تواجه الاقتصاد وترقى بالمجتمعات إلى النمو المقصود.

٤.تعتبر الضوابط الشرعية همزة الوصل بين مبادئ الاقتصاد الإسلامي وبين مختلف النشاطات الصناعية حيث تساعد هذه الضوابط على خلق اقتصاد مستقر وقائم على أساس صحيح وقويم فيه كل الحلول لمشاكل التصنيع .

٥.وبذلك تكون جميع النشاطات الصناعية والمنتجات الصناعية في الاقتصاد الاسلامي موافقة للشرع بأكبر قدر ممكن وبكفاءة اقتصادية كبيرة.

الهوامش :

١)لسان العرب ، مادة نشاط .
٢)النهاية في غريب الحديث والأثر ، للامام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير ، تحقيق : طاهر احمد الزلوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ٥/١٣١.
٣)مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ، ص٣٧١ .
٤)سورة طه / ٤١ .
٥)لسان العرب ، لابن منظور ، ٨/٢٠٩ .
٦)لسان العرب ، ٨/٢٠٩ ، القاموس المحيط ، لمجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت٨١٧هـ) ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ١٤٢٦-٢٠٠٥م ، ١/٢٥٤ .
٧)جغرافية الصناعة ، سعد جاسم محمد ، ص١١-١٢ .
٨)معجم المعاني الجامع والمعجم الوسيط .
٩)معجم المعاني الجامع والمعجم الوسيط .
١٠)سورة الكهف / ١٠٤ .
١١)الاحصاء الصناعي ، عبد الحسين زيني ، دار الحرية للطباعة والنشر ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٧٧م ، ص١٦-١٧ .
١٢)محاضرات الاستاذ عبد الزهرة علي ناجي الجنابي ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة بابل ، قسم الجغرافية ، موقع الكتروني .
١٣)سورة الجمعة / ١٠ .
١٤)سورة الملك / ١٥ .
١٥)سورة سبأ / ١٢ .
١٦)سورة الكهف / ٩٦ .
١٧)سورة سبأ / ١٠ .
١٨)سورة الانبياء / ٨٠ .
١٩)جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٥٣١٠)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، تفسير سورة الانبياء ، ص٣٢٨.
٢٠)الميزان في تفسير القرآن ، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات دار المجتبى للمطبوعات ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٥-٢٠٠٤م ، ١٤/٣١٤ . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ط١ ، ٢/٢٤٧ .
٢١)سورة هود / ٣٧ .
٢٢)تفسير الميزان ، ١٠/٢١٣ .
٢٣)تفسير الطبري ، سورة هود .
٢٤)سورة النحل : ٨١ .
٢٥)انوار التنزيل واسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، دار الجيل ، ص٥٦٨ .
٢٦)سورة الرعد / ١٧ .
٢٧)صحيح مسلم، باب بيان كون الايمان بالله تعالى افضل الاعمال، ١/٨٩، (حديث ٨٤).
٢٨)سنن الترمذي ، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله ، ٤/١٧٤ .
٢٩)صحيح البخاري ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، ٢/٧٣٠ .
٣٠)الكافي ، للكليني ، دار المرتضى ، بيروت ، ٥/٨٤٨ ، كتاب المعيشة .
٣١)الكافي ، ٥/٨٤٧ .
٣٢)اقتصادنا ، السيد محمد باقر الصدر ، دار التعارف ، بيروت ، ١٤١١-١٩٩١م ، ص٢٩١-٢٩٢ .
٣٣)اقتصادنا ، ص٢٩٤ .
٣٤)فقه الاقتصاد الاسلامي ، يوسف كمال محمد ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٨٨م ، ص١٨ .
٣٥)سورة البقرة / ١-٣ .
٣٦)سورة البقرة / ٢٧٨ .
٣٧) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، بيروت ، دار الشروق ، ط١٠ ، ١٩٨٢م ، ١/٣٣٠ .
٣٨)سورة البقرة / ٢٩ .
٣٩)سورة الحديد / ١٠ .

٤٠)سورة البقرة / ١٨٨ .
٤١)سنن أبي داوود ، كتاب الادب ، رقم ٤٨٨٢ .
٤٢)صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب قول النبي (صلى الله عليه واله) : (رب مبلغ أوعى من سامع) ، رقم ٦٧ .
٤٣)سورة البقرة / ٣٠ .
٤٤)سورة الاحزاب / ٢٧ .
٤٥)الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ٤١٩/٣ .
٤٦)الاقتصاد الاسلامي دروس في المذهب وتأصيل للمسائل المستحدثة وتركيز على المصرفية الاسلامية ، محمد علي التسخيري ، نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، مطبعة مبتكران للطبع ، طهران ، ايران ، ص١٩٠ .
٤٧)المصدر نفسه ، ص٣٢١ .
٤٨)سورة الزلزلة / ٧ .
٤٩)سورة الطلاق / ٢ .
٥٠)سورة الحديد / ٢٥ .
٥١)سورة فصلت / ٣٠ .
٥٢)الفردوس بمأثور الخطاب ، ابو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني (ت٥٥٠٩) ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠/٢ ، ٥١٤٠٦ ، حديث ٢٧١٣ .
٥٣)الامالي ، للشيخ الطوسي (ت٥٤٦٠) ، تحقيق : مؤسسة البعثة ، دار الثقافة ، قم ، ط١ ، ٥١٤١٤ ، ٣٩٣/٢٢٥ .
٥٤)الكافي ، ابو جعفر ثقة الاسلام محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (ت٥٣٢٩)، تحقيق : علي اكبر غفاري ، دار صعب ، ودار التعارف ، بيروت ، ط٤ ، ٥١٤٠١ ، ١٣٣/٥ .
٥٥)سورة التوبة / ١١٩ .
٥٦)سورة المائدة / ٢ .
٥٧)سورة الحجرات / ١٠ .
٥٨)سنن ابي داوود ، كتاب الطهارة ، باب فرض الوضوء ، رقم ٥٩ .
٥٩)فقه الزكاة ، يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢٢ ، ٢٠٠٣م ، ص١٥٢ .
٦٠)سورة التوبة / ١٠٩ .
٦١)مقدمات ابن رشد ، ابن رشد الجد ، دار احياء التراث ، الدوحة ، ص٨٦٩ .
٦٢)سورة المائدة / ٨٨ .
٦٣)سورة الاعراف / ١٥٧ .
٦٤)الحلال والحرام في الاسلام ، يوسف القرضاوي ، ص١٥ .
٦٥)سورة البقرة / ٢٩ .
٦٦) الحاجات الاقتصادية في المذهب الاسلامي ، احمد محمد عواد الكبيسي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ص٦٣١ .
٦٧) سياسة التصنع في ضوء مقاصد الشريعة ، اطروحة دكتوراه مقدمة من قبل د. باسم علاوي الجميلي الى مجلس كلية العلوم الاسلامية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤م ، ص٢٣٨ .
٦٨)الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، ١٩١/٤ .
٦٩) الاقتصاد الاسلامي، محمد منذر، دار العلم،الكويت، ط٢، ١٤٠٠-١٩٨٠م، ص٦١.
٧٠)سورة البقرة / ١٧٣ .
٧١)سورة المائدة / ٩٠ .
٧٢)سنن ابي داوود ، كتاب الاشربة ، باب العنب يعصر للخمر ، ٣٢٦/٣ .
٧٣)سنن ابي داوود ، باب تحريم استعمال اواني الذهب والفضة ، ١٦٣٤/٣ .
٧٤)المصدر نفسه ، ٥٠/٤ .
٧٥)سورة سبأ / ٣٤ .
٧٦)صحيح مسلم ، باب النساء الكاسيات العاريات ، ١٦٨٠/٣ .
٧٧)موسوعة الاقتصاد الاسلامي ، محمد عبد المنعم الجمال ، دار الشروق ، بيروت، ط٢ ، ص١٧١ .
٧٨)الاحتكار وآثاره في الفقه الاسلامي ، قحطان الدوري ، مطبعة الامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٤م ، ص٢٢ .
٧٩)سورة النساء / ٢٩ .
٨٠)سنن ابن ماجة، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار احياء التراث، بيروت، ط١، ٧٢٨/٢.
٨١)الكافي ، ١٦٥/٥ .
٨٢)بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، علاء الدين الكاساني (ت٥٥٨٧) ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، ١٩٨٢م ، ١٢٩/٥ . وينظر : مغني المحتاج ، ٣٨/٢ .
٨٣)صحيح مسلم ، ٩٩/١ .
٨٤)سورة الاسراء / ٢٥ .
٨٥)صحيح البخاري ، ٢٧/١ .
٨٦)سورة الاحزاب / ٥٢ .
٨٧)سياسة التصنيع في ضوء مقاصد الشريعة ، مصدر سابق ، ص٢٦٤ .
٨٨)سورة التوبة / ٧١ .
٨٩)سورة المائدة / ٤٩ .
٩٠)سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، ابو عيسى احمد بن عيسى الترمذي (ت٥٢٩٧) ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار احياء التراث ، بيروا ، كتاب البيوع ، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع ، رقم الحديث ١٣١٥ .
٩١) سياسة التصنيع ، مصدر سابق ، ص٢٦٩ .
٩٢)الاحكام السلطانية، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٠٧ .
٩٣)الحسبة جهاز الرقابة في ادارة الاقتصاد الاسلامي ، فاضل عباس الحسب ، المجلة العربية للادارة ، عمان ، العدد ٢ ، ص٣٤ .

الضوابط الشرعية للنشاط الصناعي في الفقه الإسلامي

المصادر :

القرآن الكريم

١.الاحتكار وآثاره في الفقه الاسلامي ، قحطان الدوري، مطبعة الامة، بغداد، ط١، ١٩٧٤م.

٢.الاحصاء الصناعي، عبد الحسين زيني، دار الحرية للطباعة والنشر، ط٢،بغداد، ١٩٧٧م.

٣.الاحكام السلطانية ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤.الاقتصاد الاسلامي ، محمد منذر ، دار العلم ، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٠-١٩٨٠م .

٥.الاقتصاد الاسلامي دروس في المذهب وتأصيل للمسائل المستحدثة وتركيز على المصرفية الاسلامية ، محمد علي التسخيري ، نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، مطبعة مبتكران للطبع ، طهران ، ايران .

٦.اقتصادنا ، السيد محمد باقر الصدر ، دار التعارف ، بيروت ، ١٤١١-١٩٩١م .

٧.الامالي، للشيخ الطوسي(٤٦٠)، تحقيق:مؤسسة البعثة،دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤.

٨.انوار التنزيل واسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، دار الجيل .

٩.بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، علاء الدين الكاساني (ت٥٨٧) ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، ١٩٨٢م .

١٠.التفسير الكبير للفخر الرازي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ط١ .

١١.جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري ، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٢.الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

١٣.جغرافية الصناعة ، سعد جاسم محمد .

١٤.الحاجات الاقتصادية في المذهب الاسلامي ، احمد محمد عواد الكبيسي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧م .

١٥.الحسبة جهاز الرقابة في ادارة الاقتصاد الاسلامي ، فاضل عباس الحسب ، المجلة العربية للادارة ، عمان ، العدد ٢ .

١٦.الحلال والحرام في الاسلام ، يوسف القرضاوي .

١٧.سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث ، بيروت ، ط١ .

١٨.سنن أبي داوود أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، د.ت .

١٩.سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، ابو عيسى احمد بن عيسى الترمذي (ت٥٢٩٧) ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار احياء التراث ، بيروت .

٢٠.سياسة التصنيع في ضوء مقاصد الشريعة ، اطروحة دكتوراه مقدمة من قبل د. باسم علاوي الجميلي الى مجلس كلية العلوم الاسلامية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤م .

٢١.صحيح البخاري نشر دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ .

٢٢.صحيح مسلم ، للامام ابي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠-٢٠٠٠م .

٢٣.الفردوس بمأثور الخطاب ، ابو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني (ت٥٠٩) ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ .

٢٤.فقه الاقتصاد الاسلامي،يوسف كمال محمد،دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨م.

٢٥.فقه الزكاة ، يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢٢ ، ٢٠٠٣م .

٢٦.في ظلال القرآن ، سيد قطب ، بيروت ، دار الشروق ، ط١٠ ، ١٩٨٢م .

٢٧.القاموس المحيط ، لمجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت٥٨١٧) ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ١٤٢٦-٢٠٠٥م .

٢٨,٨الكافي ، ابو جعفر ثقة الاسلام محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (ت٥٣٢٩) ، تحقيق : علي اكبر غفاري ، دار صعب ، ودار التعارف ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠١ .

٢٩.لسان العرب ، للامام العلامة ابن منظور (ت٥٧١١) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٣٠.محاضرات الاستاذ عبد الزهرة علي ناجي الجنابي ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة بابل ، قسم الجغرافية ، موقع الكتروني .

٣١.مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، دائرة المعاجم، بيوت، لبنان.

٣٢.مغني المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج : شمس الدين محمد بن احمد الخطيب الشربيني الشافعي ، نشر دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٥-١٩٩٤م.

٣٣.مقدمات ابن رشد ، ابن رشد الجد ، دار احياء التراث ، الدوحة .

٣٤.موسوعة الاقتصاد الاسلامي ، محمد عبد المنعم الجمال ، دار الشروق ، بيروت ، ط٢.

٣٥.الميزان في تفسير القرآن ، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات دار المجتبى للمطبوعات ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٥-٢٠٠٤م .

٣٦.النهاية في غريب الحديث والأثر ، للامام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير ، تحقيق : طاهر احمد الزلوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

الضوابط الشرعية للنشاط الصناعي في الفقه الإسلامي

التفسير بالمأثور بين تفسيري حسن البيان في تفسير القرآن للباليساني (ت١٤١٥هـ) وتقريب القرآن إلى الأذهان للشيرازي(ت١٤٢٢هـ)

أ.م.د. عقيل عباس ريكان
زهراء علي قحطان
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

الملخص:

في بحثنا الموسوم (التفسير بالمأثور بين تفسيري حسن البيان في تفسير القرآن للباليساني وتقريب القرآن إلى الاذهان للشيرازي) بيّنا فيه ما يأتي: مفهوم التفسير بالمأثور، وقسّمناه على مبحثين، المبحث الأول تفسير القرآن بالقرآن والسنة، وجاء المبحث على مطلبين، المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن، أما المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة، وخصصّنا المبحث الثاني لبيان تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وكان على مطلبين، المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال الصحابة، والمطلب الثاني: تفسير القرآن بأقوال التابعين.

Abstract:

In our research tagged (Tafsir according to the aforementioned between my interpretation of Hasan al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an by al-Baylisani and bringing the Qur'an to mind by al-Shirazi) we clarified the following: the concept of tafsir with the maxim، and we divided it into two sections. The Qur'an، and the second requirement: the interpretation of the Qur'an according to the Sunnah

المقدمة:

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمد عبده ورسوله (صلى الله عليه واله وسلم)، وصحبه الابرار المنتجبين.

إنّ الدوافع من وراء كتابة هذا الموضوع، أهميه هذا العلم وما يتصل به وهو القرآن الكريم رغبتنا في التعرّف على كبار المفسرين السيد محمد الشيرازي والشيخ محمد الباليساني، وأيضاً من أجل عمل موازنة منهجية بين تفسيرين مهمين (حسن البيان للباليساني وتقريب القرآن للشيرازي) من جانب التفسير بالمأثور، ومعرفه مدى اعتماد المفسرين في تفسيريهما على المأثور، فقد قسّمنا بحثنا هذا على مبحثين، المبحث الأول تفسير القرآن بالقرآن والسنة، وجاء المبحث بمطلبين، المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن، أما المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة، وخصصّنا المبحث الثاني لبيان تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وكان على مطلبين، المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال الصحابة، والمطلب الثاني: تفسير القرآن بأقوال التابعين.

وختاماً نسأله تعالى التوفيق الدائم لخدمة الدين، آملاً أن أكون قد وفّقنا في بحثتنا هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن والسنة

هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة والتابعين بياناً لمراد الله تعالى من كتابه(١).

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

(المنهج القرآني) تفسير القرآن بالقرآن، وهو الأساس عند المفسرين، فتفسير القرآن بالقرآن يبين مراد الله تعالى من قرآنه وذلك عن طريق مقابلة النص بالنص، والآية بالآية، ليُستدلّ على هذه بهذه، وهو أصح طرق تفسير القرآن الكريم، وكثيراً ما نجد العام بعد التأمّل مخصّصاً بآية أو آيات، وكذلك نرى المطلق قد قُيِّد بآية أخرى(٢).

إنّ طريق الوصول إلى هذا النوع من التفسير، إمَّا أن يكون طريقه النقل، ويطلق عليه (التفسير بالمأثور)، أو أن يكون طريقه الاستدلال، ويُطلق عليه (التَّفسير بالرأي).

فالتَّفسير الوارد عن النَّبي(صلَّى الله عليه وآله) هو من قبيل التفسير بالمأثور، أمَّا ما عداه فيعدُّ اجتهاداً يحتمل الخطأ والصواب، لأنّ التفسير القائم على الاجتهاد معرَّض للخطأ، وقد تطرّق الشيرازي إلى ذلك النوع من التفسير في كتابه (التقريب) مثل تفسيره لقوله تعالى:

التفسير بالمأثور بين تفسيري حسن البيان في تفسير القرآن للباليساني (ت١٤١٥هـ) وتقريب القرآن إلى الأذهان للشيرازي(ت١٤٢٢هـ)

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} (٣) أنه تفسير لـ (الصراط المستقيم) أي إنّ الصراط المستقيم أنعمت عليهم بهدايتهم من النبيين والأئمة والصالحين(٤).أمّا العلامة الباليساني فيقول في كتابه (حسن البيان) في تفسير{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} (٥)«قال (صِرَاطَ)، أي المنهج وطريقه الاشخاص يا الله، وقد ذكر الله تعالى هؤلاء الأشخاص، فقال تعالى:

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (٦)، وظهر من هذا إن الإسلام هو منهج وطريقه النبيين والمرسلين جميعا ودلت على ذلك آيات كثيره(٧) أما في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} (٨) قال الشيرازي فسرها الله تعالى فالخاشعين{هم الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}(٩).الظن إما بمعنى اليقين أو بمعني الرجحان (١٠) .

أما الباليساني: قال {إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} (١١)، قد فسر تعالى الخاشعين بقوله جل وعلا:{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (١٢)أي يؤمنون ويوقنون(١٣)

وكذلك قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} قال الشيرازي {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قبلكم}(١٤) وكان السبب في الخلق (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أي خلقكم للتقوى والعبادة (١٥)، فسر تعالى هذا بقوله{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (١٦)

أما في قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(١٧) قال الباليساني «ذكروا هذه الكلمات التي دعا بها آدم وزوجه كثيراً من الأقوال إلا أن القرآن ينبذ كل هذه الأقوال إلا قول وافق القرآن، إذ يذكر القرآن تلك الكلمات (١٨) بقوله تعالى:{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(١٩).وكذلك قوله تعالى: {قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا} (٢٠). قال الشيرازي» قد كان أمراً تكوينياً (٢١)، نحو قوله تعالى: {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} (٢٢).

أما في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}(٢٣) قال الباليساني «سبب الامتناع بينه (٢٤) قوله تعالى:{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (٢٥).يميل الباليساني كثيراً إلى تفسير القرآن بالقرآن لذلك يلاحظ إكثاره من ذكر الآيات القرآنية والمقارنة بينها للوصول إلى الحقيقة ما تفييده الآيات وإذا لم يمكن ذلك يلجأ إلى السنة فيفسر القرآن بيها وأرى أن التفسير بالمأثور أفضل أنواع التفسير وأكمله وأدقه لما له من خصوصية فهم القرآن في أصل معناه أو حدوده أو مصداقه الأكمل على ميزان أهل البيت (عليهم السلام) ورؤيتهم، وقد وجدته كثيراً في تفسير السيد الشيرازي (رحمه الله) إذ كان أكثر اعتماداً على النقل الوارد عن المعصومين (عليهم السلام) في فهم معاني الآيات وكشف مضامينها، وباعتماده المطلق على ما ورد منهم (عليهم السلام) كان مسّلماً لهم منقاداً إليهم فيما يقولون ويعملون ويهّذبون وهذه سمةٌ لا ينالها إلاّ الفائزون الناجحون والعاملون الصادقون، لأنهم (صلوات الله عليهم) باب الله الذي منهُ يؤتى وهم ورثة علمه وحبلهِ المتين وصراطه المستقيم وعندهم جوامع الكلم والعلم(٢٦) .

الباليساني لم يكن منهجه يختلف عن الشيرازي فقد كانا يميلا كثيرا إلى تفسير القرآن بالقرآن لذلك يلاحظ اكثارهما من ذكر الآيات القرآنية والمقارنة بينهما للوصول إلى حقيقة ما تفيده الآيات.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة:

وهي المرتبة الثانية في التفسير ومنه جل جلاله الأمر الواضح بقوله تعالى: (مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٢٧) وغيرها

التفسير بالمأثور بين تفسيري حسن البيان في تفسير القرآن للباليساني (ت١٤١٥هـ) وتقريب القرآن إلى الأذهان للشيرازي(ت١٤٢٢هـ)

من الآيات.

فكما اشترك المفسران في أنّ القرآن مصدر للتشريع، فكذلك اشتركا في الاعتماد على السنَّة، في بيان القرآن الكريم وشرحه ومثال على ذلك تفسير النبي محمد (صلى الله عليه وآله) للقوة في قوله تعالى:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} (٢٨) بأنها الرمي، فقد ورد عنه(صلى الله عليه وآله) إنه تلا على المنبر قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...} ثم قال: (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي) (٢٩)

فمثلاً جاء في تفسير، قوله تعالى:

{قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} (٣٠)يرى الشيرازي أن لوطاً لو تمكن أن استعين بقوة عشيرة أو ما أشبهها لدفعتكم ومنعتكم، أو ألجا إلى ركن شديد يمنعني منكم (٣١).

وفي الحديث: إن جبرائيل قال: حين قال لوط ذلك: (لو يعلم أية قوة له؟)(٣٢).

كما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال: (رحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد) (٣٣) .

والباليساني يقول في تفسيره (نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لأنفسكم) (٣٤) الكلام هنا عن من ذكر الله تعالى ونية الولد الصالح كما في الحديث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الانبياء يوم القيامة)(٣٥) (٣٧).

وكذلك ذكر الشيرازي في تفسيره لقوله تعالى: {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ} (٣٧) قال لما بين الله سنها سألوا موسى عن صفاتها أتكون البقرة من العوامل أو السوائم التي لا تعمل (٣٨)، جاء في الحديث عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) : (إنهم لما شددوا على أنفسهم شدّد الله عليهم)، ولو لم يستثنوا ما بينت لهم إلى آخر الأبد (٣٩) .أمّا الباليساني فقد قال في تفسيره لقوله تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}(٤٠) فالمعنى: أن يواسوهم بالمال والمقال واعطائهم حقهم كما يحبون أن يفعل ذلك مع ذريتهم وهذه إشارة إلى الحكم بقياس النفس والعمل (٤١)

يْقول الرسول (صلى الله عليه وآله) (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٤٢) وكذلك قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي} (٤٣) قال الشيرازي «وعباره{لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ} يراد به الناس، لا حتى الأنبياء (عليهم السلام)، فإنّ مثل هذا التعبير شائع (٤٤)، قال الرسول(صلى الله عليه وآله):(ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجه، أصدق من أبي ذر) (٤٥)

أما قوله تعالى:{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ}(٤٦) قال الباليساني» لم تشتمل الآية الوساوس وحديث النفس بالمعاصي فأنها معفو، لقوله (صلى الله عليه وآله) «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها مالم تعمل أو تتكلم به»(٤٧).

فحديث النفس لا يعاقب به بالاتفاق (٤٨) .

أما قوله تعالى: (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) (٤٩) قال الشيرازي نرى في القرآن الحكيم القسم من الله سبحانه، بأصناف وأنواع مختلفة من الخلق، دلاله لعظمتها في أنفسها، وإن كان لا يصح لنا أن نحلف إلا باسمه الكريم (٥٠)، كما قال النبي (صلى الله عليه وآله) : من كان حالفاً، فليحلف بالله، أو يسكت (٥١) .

وكذلك قوله تعالى:

{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (٥٢). قال الباليساني «فنعتقد إن لهم حق التشريع. حينما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم وقد كان نصرانياً قبل قال: أتيت النبي (صلى الله عليه وآله) مع عنقي صليب من

ذهب، قال: قلت: يا رسول الله، إنهم لم يكونوا يعبدونهم قال: أجل، ولكن يحلون لهم ما حرم الله، فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحل الله، فيحرمونه فتلك عبادتهم لهم (٥٣)أي: فالإطاعة في ذلك عبادتهم إتخاذهم أرباباً (٥٤).

إن الباليساني أورد كثيراً من الاحاديث مستدلاً بها ومستشهداً بها في شتى نقله، وقد قال الباليساني: إذا قيل إن الحكم والتشريع لله وحده وليس لأحد أن يشرع فكيف نأخذ الحكم من احاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد قال تعالى (إن الحكم إلا لله) (٥٥) ؟: قلنا نأخذ الحكم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا من حيث ذاته، بل من حيث إن كلامه كلام الله تعالى ، وإن حكمه حكم الله.

أمّا الشيرازي فقد استعان بالأحاديث النبوية الشريفة لتفسير آيات القرآن الكريم وهذا دليل على التزامه التفسير المأثور، فخير الهدي هدي سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) ووظيفته البيان والشرح (٥٦) ومع إننا نقطع بعصمته وتوفيقه.

المبحث الثاني لبيان تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

وهي المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة في بيان القرآن بما صح ورودُهُ عن الصحابة(رضوان الله عليهم)ويعد تفسيرهم من الحكم المرفوع إذ إنّهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب ولهم من الفصاحة والبيان وسلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهداه (٥٧)، وقول الصحابة إذا كان باجتهاد أم استنباط قائم على أساس من الكتاب والسنة، فإن ذلك من التفسير بالمأثور على وجه من الوجوه (٥٨) .

وقد أشار السيد الشيرازي إلى تفسير الصحابة (٥٩) ومن ذلك تفسير لقوله تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}(٦٠)،يقول(روي عن الإمام أمير المؤمنين معنى للآية(إنهم لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به من برهان) (٦١).أمّا الباليساني فقد ذكر في تفسير الصحابة لقوله تعالى: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) (٦٢) أثر عن الإمام علي (عليه السلام) (لا تكرهوا الفتن إن فيها حصاد المنافقين) (٦٣) أي بلفظ«لا تستعيذوا من الفتن فان فيها حصاد المنافقين»

وفي قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}(٦٤) .

يقول الشيرازي (٦٥) : قد روي أن رؤساء من مكة من قريش أتوا رسول الله فقالوا: يا محمد إن كنت رسولاً فحول لنا جبال مكة ذهباً، أو أتتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة (٦٦) .

وفي التأويل ورد عن الامام الصادق(عليه السلام) : (إنّ رسول الله قال لعلي إنّي سألت ربي أن يؤاخي بيني وبينك ففعل وسألت ربي أن يجعلك وصيّي ففعل، فقال بعض القوم: ولله لصاعٌ من تمر في شن بال أحب إلينا مما سأل محمد ربه، فهلاً سأله ملكاً يعضده على عدوه أو كنزاً يستعين به على فاقته) (٦٧) .

أمّا الباليساني فقد ذكر في تفسيره لقوله تعالى: (ولتجزى كلّ نفس بما تسعى)(٦٨) يقول: هذا سر القدر فقد سال رجل الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) عن القدر، فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، أعاد السؤال، فقال: بحر عميق فلا تلجه، فأعاد السؤال، فقال: سر الله قد خفي عليك فلا تفشيه، هذا والله في خلقه شؤون والله عليم حكيم(٦٩).

وكذلك قوله تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} (٧٠) قال الشيرازي» {ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ} هذه المدة الطويلة بقو هناك احياء، نيام، بدون أن يصيبهم شيء (وَازْدَادُوا)

اي زاد بعض الناس على هذه المدة (تِسْعًا) اي تسع سنين، فقال: ان مدة لبثهم ثلاثمائة وتسع سنوات (٧١)، روي عن الامام علي (عليه السلام) انه قال في تفسير الآية، عند اهل الكتاب: إنهم لبثوا ثلاثمئة سنة شمسية، والله تعإلى ذكر السنه القمرية، والتفاوت بينهما في كل مائه سنة ثلاث سنين، فيكون العدد ثلاثمئة وتسع سنين (٧٢).

أمّا قوله تعالى:{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (٧٣) قال الباليساني «وقد وردت أحاديث في الحث على بر الوالدين والنهي عن عقوقهما (٧٤)، منها عن ابي هريره (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول من احق الناس بحسن الصحبة؟ قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك) (٧٥) .

وكذلك قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٧٦) قال الشيرازي «فإنّ الإنسان وإن ظن طول المدة في الدنيا وإنّه بعيد جزاؤه، لكن لا تمض إلا مدة يسيره وإذا به يرى نفسه أمام الحساب (٧٧) .قال أمير المؤمنين (عليه السلام) «فكأنهم لم يكونوا للدنيا عماراً وكأنَّ الأخرة لم تزل لهم داراً» (٧٨) .

أمّا الباليساني فقد ذكر في قوله تعالى:{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} (٧٩) ذكر إنّه روي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخطب إلى جذع فلما أتخذ المنبر تحول (صلى الله عليه وآله) إليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه فسكن (٨٠)(٨١).الشيرازي والباليساني عدواً ما ورد من أقوال عن الصحابة هو من قبيل المأثور إلا أن الشيرازي و اقتصر في أكثر تفسيره على روايات أهل البيت (عليهم السلام) بينما الباليساني فإنه ذكر أقوال أهل البيت وغيره.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بأقوال التابعين

هو المرتبة الأخيرة من التفسير، بعد الصحابة جاء التابعون الذين أخذوا علمهم عن الصحابة، وقد أشتهر منهم بالتفسير كثيرون، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رياح، والحسن البصري، وعكرمة مولى ابن عباس، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيَّب (٨٢).

فإذا لم يجدُ التفسير في القرآن ولا في السنة ولا عند الصحابة فقد يرجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ، وقد قال العلماء في التفسير المروي عنهم (رضوان الله عليهم) : أن التابعين إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم.

ومـــن أمثلته تفسير مجاهد لقوله تعالى:{وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ}(٨٣)،يقول:(لا تبدلوا الحرام من أموال اليتامى بالحلال من أموالكم) (٨٤) .أمّا عن الشيرازي فهو لم يّعرف التفسير بالمأثور ولكنهُ أعتمد عليه كثيراً في تفسيره فقد كان عنده القاعدة الأساسية التي ينطلق منها في التفسير وان الروايات التي ملئت تفسيره خير إثبات ودليل. قوله تعالى: (يس) (٨٥) اسم للرسول (صلى الله عليه وآله)، كما ورد عن الباقر (عليه السلام)، قال (إنَّ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) خمسة اسماء في القرآن، محمد، واحمد، وعبد الله، ويس، ونون) (٨٦) (٨٧). أمّا الباليساني فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: (وكان وعد ربي حق)(٨٨) قال: روى الإمام أحمد عن سفيان الثوري عن عدوه عن زينب بنت جحش زوج الرسول (صلى الله عليه وآله) قالت استيقظ الرسول (صلى الله عليه وآله) من نومه وهو محمر الوجه ويقول ويل للعرب من شر قد أقترب قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون ؟قال نعم إذا كثر الخبث .

أمّا قوله تعالى: {وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ} (٨٩) قال الشيرازي روي عن الباقرين (عليهم

السلام) حيث قالا «ان ادنى ما يدرك به الذكاة أن تدركه يتحرك إذنه أو ذنبه أو تطرف عينه (٩٠)(٩١). وكذلك قوله تعالى:{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (٩٢) قال الشيرازي {أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ }إنما أتى بالجمع العاقل لان السجود من صفات العقلاء(٩٣) روي عن الباقر(عليه السلام) في تأويل هذه الرؤيا: انه سيملك مصر يدخل عليه أبواه وأخواته، أما الشمس فام يوسف راحيل، والقمر يعقوب، وأما الأحد عشر كوكباً فأخواته. فلما دخلوا عليه سجدوا شكراً لله وحده حين نظروا إليه. وكذلك السجود لله تعالى (٩٤) .

وكذلك قوله تعالى:{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}(٩٥) قال الشيرازي(الرين) في الاصل بمعنى الغلبة، اي غلب عليها (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الذنوب والآثام، حتى ان عصيانهم سبب تحجر قبهم، فلا يرون الحق الا باطلا، والآيات الا اساطير (٩٦) . قال الصادق (عليه السلام) : يصدا القلب، فاذا ذكرته بالله انجلى (٩٧).وكذلك في قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ}(٩٨) (٩٩) قال الشيرازي(كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) اذا وعد وفى، ولو طالت المدة (١٠٠)، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) إنه إنما سمي صادق الوعد، لأنه وعد رجلاً في مكان، فانتظره في ذلك المكان سنة، فسماه الله عز وجل صادق الوعد ثم إن الرجل أتاه بعد ذلك، فقال له إسماعيل ما زلت منتظرا لك (١٠١).وقد كان الشيرازي أكثر اعتماداً على النقل الوارد عن المعصومين (عليهم السلام) في فهم معاني الآيات وكشف مضامينها، وباعتماده المطلق على ما ورد منهم (عليهم السلام) كان مسّلماً لهم منقاداً إليهم فيما يقولون ويعملون ويهّذبون وهذه سمةٌ لا ينالها إلاّ الفائزون الناجحون والعاملون الصادقون، لأنهم (صلوات الله عليهم) باب الله الذي منهُ يؤتى وهم ورثة علمه وحبلهِ المتين وصراطه المستقيم وعندهم جوامع الكلم والعلم (١٠٢) كما ورد عن ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (أعطاني الله خمساً وأعطى علياً خمساً: أعطاني جوامع الكلم وأعطى علياً جوامع العلم) (١٠٣) .

الخاتمة:

إن التفسير بالمأثور هو من أشرف أنواع التفاسير وأجلها فهو يشمل تفسير القرآن بالقرآن وبوجوده تبطلُ الحاجة إلى كلمة التفسير لأن الله تعالى أعلم بمراده من كتابه ، فضلاً عن عدّه أصح طرق التفسير وقد وجدنا إن الباليساني لم يكن منهجه يختلف عن الشيرازي فقد كانا يميلا كثيراً إلى تفسير القرآن بالقرآن لذلك يلاحظ أكثارهما من ذكر الآيات القرآنية والمقارنة بينهما للوصول إلى حقيقة ما تفيده الآيات، أما تفسير القرآن بالسنة وهي المرتبة الثانية في التفسير ومنه جل جلاله الأمر الواضح وإتضح لنا إن الباليساني أورد كثيراً من الأحاديث مستدلاً بها ومستشهداً بها في شتى نقله، وقد قال الباليساني: إذا قيل إن الحكم والتشريع لله وحده وليس لأحد أن يشرع فكيف نأخذ الحكم من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد قال تعالى: (إن الحكم إلا لله) (١٠٤) ؟: قلنا نأخذ الحكم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا من حيث ذاته، بل من حيث إن كلامه كلام الله تعالى ، وإن حكمه حكم الله.أمّا الشيرازي فقد استعان في الأحاديث النبوية الشريفة لتفسير آيات القرآن الكريم وهذا دليل على التزامه التفسير المأثور، فخير الهدي هدي سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) ووظيفته البيان والشرح ومع إننا نقطع بعصمته وتوفيقه، أما تفسير القرآن بأقوال الصحابة له المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة وهو بيان القرآن بما صح وروده عن الصحابة (رضوان الله عليهم) وتبين لنا في هذه المرتبة ان الشيرازي والباليساني عدّا ما ورد من أقوال الصحابة هو من قبيل المأثور إلا أن الشيرازي أقتصر في أكثر تفسيره على روايات أهل البيت(عليهم السلام)

بينما نجد الباليساني ذكر اقوال أهل البيت وغيرهم، أمّا تفسير القرآن بأقوال التابعين فهو المرتبة الأخيرة من التفسير، بعد الصحابة جاء التابعون، وجدنا أن الشيرازي كان أكثر إعتماداً على النقل الوارد عن المعصومين (عليهم السلام) في فهم معاني الآيات وكشف مضامينها، وباعتماده المطلق على ما ورد منهم (عليهم السلام) كان مسّلماً لهم منقاداً إليهم فيما يقولون ويعملون ويهّذبون وهذه سمةٌ لا ينالها إلاّ الفائزون الناجحون والعاملون الصادقون، أمّا الباليساني فلم أجد أن تطرق إلى التابعين في تفسيره فقد كان أكثر اعتماده على المنهج القرآني في تفسيره وعلى السنة النبوية .

الهوامش:

(١) مناهل العرفان، الزرقاني: ٢/١٢؛ وينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٧/٥١٩٨٦م: ١/٨٦ .
(٢) وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ١ / ٧، والمبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، للدكتور محمد حسين الصغير: ٨ .
(٣) سورة الفاتحة: ٦-٧
(٤) تقريب القرآن: ١/ ١٠١.
(٥) سورة الفاتحة: ٦-٧
(٦) سورة النساء: ٩٦
(٧) حسن البيان: ١/٥٣
(٨) البقرة: ٤٥
(٩) البقرة: ٤٦
(١٠) تقريب القرآن: ١/١٢٨
(١١) البقرة: ٤٥
(١٢) البقرة: ٤٦
(١٣) حسن البيان: ١/١١٥
(١٤) البقرة: ٢٢
(١٥) تقريب القرآن: ١/١١٢
(١٦) الذاريات: ٥٧
(١٧) البقرة: ٣٧
(١٨) حسن البيان: ١/١٠١
(١٩) الاعراف: ٢٣
(٢٠) الانبياء: ٦٩
(٢١) تقريب القرآن: ٣/٥٥٦
(٢٢) البقرة: ٦٥
(٢٣) الكهف: ٥٠
(٢٤) حسن البيان: ١/١٠٥
(٢٥) الاعراف: ١٢
(٢٦) ينظر: تقريب القرآن: ١/٥٦، مقدمة فاضل الصفار .
(٢٧) سورة الحشر: ٧ .
(٢٨) سورة الانفال: ٦٠ .
(٢٩) صحيح مسلم، مسلمة بن الحجاج النيسابوري: ٦/٥٢ برقم (٤٩٨٤)، كتاب الجهاد، باب (الا ان القوة الرمي) .
(٣٠) سورة هود: ٨٠ .
(٣١) تقريب القرآن، الشيرازي: ٢/٦٣٤ .
(٣٢) الكافي: ٥٤٦ .
(٣٣) مسند الامام احمد بن حنبل: ١٤/٧٥ برقم (٨٣٢٩) .
(٣٤) سورة البقرة: ٢٢٣
(٣٥)مسند احمد ٣/١٥٨برقم ١٢٦٣٤.سنن البهيقي٧/ ٨١ برقم ١٣٢٥٤
(٣٦) حسن البيان: ٢/٤٦٥
(٣٧) سورة البقرة: ٧١
(٣٨) تقريب القرآن: ١/١٤٢
(٣٩) مستدرك الوسائل: ١٦/٥٤، باب حكم الحلف على ترك الطيبات
(٤٠) سورة النساء: ٩
(٤١) حسن البيان: ٢/٤٧٣
(٤٢) صحيح البخاري: ١/١٤ برقم١٣.
(٤٣) ص: ٣٥
(٤٤) تقريب القرآن: ٤/٥٢٨
(٤٥) بحار الانوار: ٢٢/٤٢٦
(٤٦) البقرة: ٢٨٤
(٤٧) الجامع الصحيح المختصر، محمد ابن اسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، ط٣، ١٤٠-١٩٨٧، تحقيق د.مصطفى ديب البغا استاذ الحديث وعلومه ي كليه الشريعة-جامعه دمشق، (٥/٢٠٢٠) برقم(٤٩٦٨) .
(٤٨) حسن البيان: ١/٣٣٥.
(٤٩) الصافات: ٤
(٥٠) تقريب القرآن: ٤/٤٦٧
(٥١) متشابه القرآن: ٢/١٩٨
(٥٢) ال عمران: ٦٤
(٥٣) السنن الكبرى، احمد بن الحسن بن علي بن موسى الخسروجردي، ابو كر البهيقي(ت: ٥٤٥٨) المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤-٢٠٠٣م، (١٠/١٩٨) برقم(٢٠٣٥٠)
(٥٤) حسن البيان: ١/٣٧٧
(٥٥) الانعام: ٥٧
(٦٥) مناهل العرفان، الزرقاني: ٢/١٣ .
(٥٧) مناهل العرفان، الزرقاني: ٢/١٣، وينظر: منهج الامام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل احمد صقر، الناشر: الدار المصرية – القاهرة، ط١، ١٤٢٢/٥٢٠٠١م: ١/٦٦ .
(٥٨)يُنظر: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، للدكتور محمد حسين الصغير: ٩٠ .
(٥٩) تقريب القرآن: ٢/٦٢ .
(٦٠) سورة الانعام: ٣٣
(٦١) بحار الانوار: ٩/٨٦ .
(٦٢) سورة ال عمران: ١٤١

التفسير بالمأثور بين تفسيري حسن البيان في تفسير القرآن للباليساني (ت١٤١٥هـ) وتقريب القرآن إلى الأذهان للشيرازي(ت١٤٢٢هـ)

(٦٣) حسن البيان: ١/ ٤٢٥
(٦٤) سورة هود: ١٢
(٦٥) تقريب القرآن، الشيرازي: ٢/ ٥٨٠ - ٥٨١ .
(٦٦) بحار الانوار: ٩/ ١٣ .
(٦٧) الكافي: ٨/ ٣٧٨ .
(٦٨) طه: ١٥
(٦٩) حسن البيان: ١/ ٣٠٩
(٧٠) الكهف: ٢٥
(٧١) تقريب القرآن: ٣/ ٣٧٦
(٧٢) مجمع البيان: ٦/ ٣٣٤
(٧٣) الاسراء: ٢٤
(٧٤) حسن البيان: ٤/ ١٤٦٨
(٧٥) صحيح مسلم١/ ١٩٧٤ برقم١٥١٠.
(٧٦) المائدة: ٤.
(٧٧) تقريب القرآن: ١/ ٦٠٦
(٧٨) نهج البلاغة: خطبه ١٨٦، ص٣٨٥
(٧٩) الاسراء: ٤٤
(٨٠) صحيح البخاري: ٣/ ١٣١٣ برقم ٣٣٨٦
(٨١) حسن البيان: ٤١٤٧٦
(٨٢) يُنظر: مباحث في علم التفسير، للدكتور عبد الستار حامد: ٧٩ وما بعدها .
(٨٣) سورة النساء: ٢ .
(٨٤) تفسير مجاهد، ابو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ٥١٠٤)، تحقيق: د. محمد عبد السلام ابو النيل، الناشر: دار الفكر الاسلامي الحديثة، مصر، ط١، ٥١٤١٠/١٩٨٩م: ١/ ٢٦٥ .
(٨٥) يس: ١
(٨٦) تقريب القرآن: ٤/ ٤٣١
(٨٧) بحار الانوار: ١٦/ ٩٦
(٨٨) سورة الكهف: ٩٨
(٨٩)صحيح البخاري٣/ ١٢٢١الحديث رقم٣١٦٨، صحيح مسلم٤/ ٢٢٠٨الحديثرقم ٢٨٨٠
(٩٠) المائدة: ٣
(٩١) بحار الانوار: ٦٢/ ١٠٧
(٩٢) تقريب القرآن: ١/ ١٠٦
(٩٣) يوسف: ٥
(٩٤) تقريب القرآن: ٢/ ٦٦٢
(٩٥) بحار الانوار: ١٦/ ٤٠٢
(٩٦) المطففين: ١٤
(٩٧) تقريب القرآن: ٥/ ٦٣٦
(٩٨)مجمع البيان: ١٠/ ٢٩٣
(٩٩)حسن البيان: ١/ ٣٠٩
(١٠٠)مريم: ٥٤
(١٠١)تقريب القرآن: ٣/ ٤٤٨
(١٠٢)الكافي: ٢/ ١٠٥
(١٠٣)ينظر: تقريب القرآن:١/ ٥٦،مقدمة فاضل الصفار .
(١٠٤)بحار الأنوار: ٨/ ٢٨ رقم الحديث (٣١) .

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم
١.اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
٢.بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار، للشيخ محمد باقر المجلسي (ت١٠٣٧هـ)، دار احياء العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
٤.تفسير مجاهد، ابو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت١٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام ابو النيل، الناشر: دار الفكر الاسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
٥. تقريب القرآن إلى الأذهان ، السيد محمد الحسيني الشيرازي (ت : ١٤٢٢هـ) ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
٦.الجامع الصحيح المختصر، محمد ابن اسماعيل ابو عبد لله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، ط٣، ١٤٠-١٩٨٧، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.
٧.حسن البيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد طه الباليساني،(ت١٤١٥/١٩٩٥م)، جمع وتحقيق ومراجعه الدكتور احمد بن محمد الشيخ الباليساني والدكتور حسين بن محمد الشيخ الباليساني، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠١٢م.
٨.السنن الكبرى، للبيهيقي (ت: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٩.شرح أصول الكافي، لمحمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م
١٠.شرح نهج البلاغة، لأبي ابي الحديد، دار الكتاب العربي، بغداد- العراق، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
١١.صحيح مسلم، مسلمة بن الحجاج النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت _ لبنان.
١٢.مباحث في علم التفسير ، د . عبد الستار حامد ، بغداد ، ١٤١١هـ/١٩٩٠
١٣.المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق للدكتور محمد حسين علي الصغير .

١٤.متشابه القرآن ومختلفه ، محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني (ت:٥٨٨هـ)، الناشر: مكتبة البوذرجمهري – طهران ، د . ط ، ١٣٢٨هـ.
١٥.مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، دار المرتضى، بيروت-لبنان، ١٤٣٠هـ.
١٦.مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، للميرزا حسين النوري المعروف بـالمحدّث النوري (ت١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم-إيران.
١٧.مسند الامام احمد بن حنبل ، احمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م ،ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٨.مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، دار السلام للطباعة والنشر.
١٩.منهج الامام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل احمد صقر، الناشر: الدار المصرية – القاهرة، ط١، ١٤٢٢/٥/٢٠٠١م.

زواج الإمام الحسن (عليه السلام) في الكتب التاريخية دراسة تاريخيّة نقديّة

أ. م. د . محمد عبد الرضا شنيتر
وزارة التربية المديرية العامة لتربية الرصافة الثالثة

الملخص :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيد الخلائق وخاتم النبيين محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

فمن دواعي البحث تشخيص الأسباب التي دفعت المؤرخين إلى اتباع هذا المنهج، و يمكن تصنيف ذلك فيما يتعلق بالمسلمين أنفسهم وما كانوا يحملون من أفكار أو سوء فهم أو حقد على آل البيت (عليهم السلام).

تناولنا في هذه البحث الأمور التي أتهم به الإمام الحسن(عليه السلام) من قبل بعض المؤرخين بأنه شخص انصرف إلى ملذاته وشهواته التي لا تمت له بأية صلة، فدرسنا بعض الروايات بلا أيّ تعصب وتشنج، وتبين إن هذه الروايات فيها كذب وافتراء على الإمام الحسن (عليه السلام)، والسبب في ذلك الاعتماد على الروايات الموضوعة التي تتحدث عن سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) ليكوِّن رؤية مشوَّهة ونظرة سيئة عن الإمام الحسن (عليه السلام)، ولو القينا نظرة على بعض مصادرنا الإسلامية المعتمدة عند كل المذاهب التي ورد فيها ذكر الإمام الحسن (عليه السلام)، لوجدنا ما يفند إدعاء هذه الروايات، والجهات الداعمة لهذا المشروع .

Abstract:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Messenger of God, the master of creation, and the seal of the prophets, Muhammad, and his good and pure family .One of the reasons for the research is to diagnose the reasons that prompted historians to follow this approach, and this can be classified with regard to the Muslims themselves and what they had of ideas, misunderstanding or hatred against the family of the house (peace be upon them).In this research, we dealt with the matters of which Imam Hassan (peace be upon him) was accused by some historians of being a person who devoted himself to his pleasures and desires that have no connection with him. And the reason for that is relying on fabricated narrations that talk about the biography of Imam Hassan (peace be upon him) in order to have a distorted view and a bad view about Imam Hassan (peace be upon him), and if we take a look at some of our Islamic sources approved by all the schools in which the Imam was mentioned. Al-Hassan (peace be upon him), we would have found what refutes the allegation of these narrations, and the parties supporting this project.Keywords: - Imam Hassan / Marriage / Novel

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيد الخلائق وخاتم النبيين محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

إن الكتابة عن الإمام الحسن (عليه السلام) وإحياء ذكراه لشرف عظيم يبتغيه ويرتئيه أي موالٍ لأهل البيت العصمة والطهارة تطبيقاً لأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ((أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا))، فإن البحث في قضية الإمام الحسن (عليه السلام) ، والخوض في الظروف التي أحاطت به ، بأبعاده التاريخية والسياسية والفكرية والعقائدية هو استحضار لمنطلقات الرسالة المحمدية ، وتتبع لمسار الإسلام والمسلمين في مرحلة التأسيس والانتشار، ثم الوقوف على مراكز الإشعاع والنور المتمثل في الخط المحمدي العلوي ، والوقوف كذلك على زاوية الانحراف عند الامة التي بدأت من زمن الإمام الحسن (عليه السلام) .لقد تحدث المؤرخون عن زوجات الحسن(السلام عليه) وأكثروا ومال أكثرهم الى المبالغة لا تعتمد على أساس معقول فقال بعضهم إنهن يتراوحن

بين الستين والسبعين وقال بعضهم الآخر بأنّه تزوج بأكثر من مائتين وخمسين امرأة وإن أباه يتضجر من ذلك ، ارتأينا استقصاء ثلاث روايات من المصادر التاريخية التي وصفت الإمام الحسن (عليه السلام) بالمطلاق، وقد احترزت على مناقشتها مناقشة علمية بعيدة عن التعصب بما يدحضها ويكذبها ويفند صحتها، ومن خلال تفنيدها، وثبت لدينا إن مسالة كثرة زيجات الإمام الحسن (عليه السلام) ووصفه بالمطلاق ليست إلا كذبة عارية عن كل ألوان الصدق والصحة، وذلك من خلال ما وجدناه من الروايات والأحاديث في الكتب المتأخرة ، لذا شرعنا بتقسيم هذا البحث على ثلاثة مباحث، جاء عنوان المبحث الأول تحت عنوان (خولة بنت منظور)أمّا المبحث الثاني فجاء تحت عنوان (الإمام الحسن أحصن تسعين إمراة) أما المبحث الثالث والأخير فقد جاء بعنوان (الأمام الحسن «عليه السلام» رجل كثير النكاح) ،وخاتمة بالنتائج التي توصلت إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع، أسأل الله عز وجل أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب .

المبحث الاول

خولة بنت منظور

ما ذكرته المصادر التاريخية(١) بقولهم :

((كان حسن بن علي قل ما يفارقه أربع حرائر(٢) وكان صاحب ضرائر(٣)وكانت عنده ابنة منظور(٤) بن سيار الفزاري وعنده امرأة من بني أسد من آل حزيم فطلقهما وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف درهم ،وزقاق من عسل متعة وقال : لرسوله يسار(٥) بن سعيد بن يسار وهو مولاه احفظ ما يقولان لك ، فقالت الفزارية: بارك الله فيه وجزاه خيراً، وقالت الأسدية : متاع قليل من حبيب مفارق فرجع فأخبره فراجع الأسدية وترك الفزارية))، الجواب على هذه الرواية يتم بعدة وجوه أهمها ما يأتي :

الوجه الاول :

هذه الرواية مروية عن الواقدي ، محمد بن عمر، الذي ضعفه أهل الحديث ورموه بالكذب تارة، وبالوضع تارة أخرى وحكموا بعدم حجية رواياته المسندة ، فضلاً عن التي يرسلها أو يحدثها عن نفسه بلا إسناد ، قال ابن سعد (٦) :

((... كثير الحديث ضعيف جداً)) ، وذكر ابن خلكان(٧) وصف الواقدي ((ضعفوه في الحديث وتكلموا فيه ...)) وقال في وصفه الذهبي (٨) : ((...هو كذاب ، يقلب الأحاديث ...)) بينما ذكر النووي (٩) ((الواقدي رحمه الله ضعيف عند أهل الحديث وغيرهم لا يحتج برواياته المتصلة فكيف بما يرسله أو يقول عن نفسه)) ،أمّا اليافعي(١٠) فذكر ((... أئمة الحديث ضعفوه ...)) ، وقال الأميني(١١) ((محمد بن عمر الواقدي روى ٣٠٠٠٠ مما لا أصل له)) .

وبناء على ما سبق لا يمكن لنا الاعتماد على ما يرويه الواقدي ، وبالخصوص تلك الأخبار التي يرويها ويكون فيها المساس وانتقاص لكرامة أهل البيت (عليهم السلام) ، لأنه وبحسب منصبه القضائي(١٢) وعمله مع بني العباس ولسنين طويلة فإنه يتكلم ويحكم على الاحداث والأشخاص من وجهة نظر حكام الدولة العباسية الذين عملوا على تشويه صورة البيت العلوي .

الوجه الثاني :

ربما أراد المؤرخون(١٣)عن طريق هذه العبارة ((كان حسن بن علي قل ما يفارقه أربع حرائر وكان صاحب ضرائر...)) ، إيهام المتلقي أو السامع والايحاء له من طرف خفي بأن الإمام الحسن (عليه السلام)، كان كثير الزواج غير إنّه لاشي فيها يدل على مطلوبهم، لأن كل من كثرت زوجاته يصح أن يقال عنه بأنه كانت له ضرائر، ولفظ الضرائر غاية ما يدل عليه هو أن له عدة زوجات وهذا لا ننكره ، وكذلك قولهم كان لا تفارقه أربع حرائر، أي كان في أغلب حالاته لاتقل زوجاته عن أربع ، وهو أيضاً يدل على مطلوبهم لأن جملة من الصحابة والتابعين كانوا في أغلب حياتهم لا تقل زوجاتهم عن الأربع ،

فهم مشتركون مع الإمام الحسن (عليه السلام) بهذه الصفة وكل ما يلحق الإمام الحسن (عليه السلام) فإنه يلحقهم .

الوجه الثالث :

لم نجد على ما تتبعناه أن للإمام الحسن(عليه السلام) مولى باسم (يسار بن سعيد بن يسار)، وهذا ما نصت عليه الرواية السالفة الذكر ((... وقال : لرسوله يسار بن سعيد بن يسار وهو مولاه احفظ ما يقولان لك ...)) (١٤) ، ولن نعثر ليسار على ذكر لا في كتب الرجال ولا التراجم، ولم يرد له ذكر ألا في هذه الرواية ، مما يدل على إن هذه الرواية غير صحيحة كونها لم ترد في المصادر المتقدمة، ثم لو كان ليسار بن سعيد وجود وشأن يؤهله ليكون رسولاً للإمام الحسن (عليه السلام) ، إلى بعض طليقاته لذكر ودونت ترجمته أو توثيقه في كتب الرجال والرواية، لا سيما في كتب علماء الشيعة الإمامية على أقل تقدير.

الوجه الرابع :

ذكر في الرواية إن سبب إعادة إحدى الزوجتين بعد طلاقها هو قولها ((...متاع قليل من حبيب مفارق...))(١٥) ، وإن سبب عدم عودة الزوجة الثانية هو قولها ((...بارك الله فيه وجزاه خيرا...))(١٦)، وبما إن قول الأولى كان في نظر الإمام الحسن(عليه السلام) ، أحلى وأجود ومفعم بالحب والعاطفة الجياشة ، والقول الثاني ليس فيه حب ولا عاطفة فلذلك راجح الأولى ورفض أن يرجع الثانية، فهل كان يا ترى من خلق الإمام الحسن (عليه السلام) أن يفضل شطراً من بيت شعر(١٧) على الدعاء بالبركة والخير، وهو الذي كان خلقه القرآن والإسلام الذي أمر بأن يقابل الإحسان بالإحسان ، والمقولة الصالحة الطاهرة بأحسن منها أو يمثلها على أقل التقادير، حاشاه هذه الافتراءات المخلة بعصمته ورفعة أخلاقه.

الوجه الخامس :

ولو فرضنا جدلاً صحة الرواية التي ذكرها المؤرخون صحيحة وغضضنا الطرف عن كل معائبها وتناقضاتها فغاية ما تثبته هذه الرواية هو إن للإمام الحسن زوجين طلقهما وبعث إليهما ببقية مهرهما، ثم راجع واحدة منهما ولم يراجع الأخرى(١٨) ، فاين الدليل على كونه مزواجاً مكثراً أو مطلاقاً، ثم إن طلاق زوجين في وقت واحد هو مما كان متعارفاً في الوقوع وارد الحدوث في تلك الفترة ، وخير دليل على ذلك من تطليق الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لكل زوجاته دفعة واحدة ((...طلق الرسول نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكى فقلت أطلقكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة...))(١٩) ولكن مع ذلك لم يسم أو لا يمكن أن يسمى النبي(صلى الله عليه وآله) بأنه مطلاق للنساء او مذواق بحجة انه مطلق اكثر من زوجة في وقت واحد .

المبحث الثاني:

الإمام الحسن(عليه السلام) أحصن تسعين امرأة ذكر المزي(٢٠) هذه الرواية التي ينتهي سندها إلى علي بن محمد فقال ((...وقال قوم ... ...وكان الحسن احصن تسعين امرأة)) ، وهذه الرواية باطلة أيضاً وفيما يأتي عدة أسباب تثبت عدم صحتها :

السبب الأول :

إن الرواية التي ذكرها المزي ينتهي سندها إلى علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف أبو الحسن المدائني، وقد اختلف فيه من حيث وثاقته ووثاقة ما يرويه فكان فيه النقاد وأصحاب الجرح والتعديل على طرفي نقيض فمنهم من ضعف عامة مروياته وحكم على اغلبيتها بالارسال وعدم توفر شروط الاسناد الصحيح فيها ومن هولاء ابن عدي قال(٢١): ((ليس بالقوي في الحديث وهو صاحب الاخبار ...)) وقال أيضاً(٢٢) :((وأبو الحسن المدائني هو صاحب أخبار بالأخبار

وأقل ما له من الروايات المسندة)) ، وعلى نقيض ابن عدي ذهب بعضهم الآخر وصرح بقبول كل ما جاء عن علي بن محمد المدائني ، حتى لو كان بلا إسناد متصل بحجة إنّ علي بن محمد بنفسه اسناد فلا نحتاج معه إلى إسناد (٢٣).

ينبغي التحفظ وبشدة على كلا الرأيين لأن فيهما كما هو واضح إفراطاً وتفريطاً ، والمنهج الوسط هو المطلوب في تقيم مروياته ، ونقصد بالمنهج الوسط،هو إن ينظر سواسية إلى المدائني ومروياته مع بقية مرويات ومنقولات غيره من المحدثين وأصحاب السير والتاريخ فيؤخذ منه ما صح ولم يكن فيه مخالفة للشرع والعقل والمسلمات الأخرى شأنه شأن غيره ، ويرد عليه ما يكون فيه موجباً للرد شانه أيضاً شان غيره .

عُرف عن المدائني إنّه ذو حفظ واسع، وذاكرة كبيرة حتى عُدَّ من الحفاظ كما وصفه الذهبي(٢٤) بقوله: ((العلامة الحافظ الصادق ، صنف التصانيف ، وكان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب ...)) ، وبناء على حافظة المدائني القوية وسعة باعه في علم معرفة الأنساب وأخبار العرب ، يكون لنا الحق في أن نسال المدائني عن أسماء وألقاب وأنساب هؤلاء النسوة اللاتي جعلهن زوجات الإمام الحسن (عليه السلام)، والذي صرح بأن عددهن قد وصل إلى التسعين زوجة ، فهل كان المدائني حافظاً في كل تلك الكتب ولكن مـــا أن وصل الأمر إلى الأمام الحسن (عليه السلام) ، ضـــاع عنه حفظه وفقد ذاكرته ؟ أم إن عدم ذكر الاسم ناتج عن عدم وجود تلكم النسوة ؟ وهذا الاحتمال الأخير هو الأقرب بل هو المتعين لكثرة القرائن الدالة عليه .

السبب الثاني :

سند الرواية ضعيفة لمجهولية الراوي ، حيث ذكر المزي(٢٥) في نص الرواية ((قال قوم ...))، فنسبة هذه الرواية إلى قوم تعني إنّ المزي غير مشخص الاسم ولا معلوم الحال ، وإذا لم يعلم المزي بإسمه أو كنيته أو صفته صار مجهول لا يحتج به مطلقاً ، وفي هذا الصدد يقول الرازي (٢٦):((المسالة الثالثة قال الشافعي رضي الله عنه : رواية المجهول غير مقبولة بل لا بـــد فيه من خبرة ظاهرة والبحث عن سيرته وسريرته...)) ، وقال الحلي (٢٧):((ولا تقبل رواية المجهول حاله ، خلافاً لأبي حنيفة ، لأن عدم الفسق شرط في الرواية ، وهو مجهول ، والجهل بالشرط يستلزم الجهل بالمشروط)) ، وقال الذهبي (٢٨) :((...فالمحدث أذا نظر في سند حديث ووجد فيه رجلاً مجهولاً ، حكم بضعفه ، لإحتمال ضعف ذلك المجهول ، وربما حكم بوضعه ، لغلبة الظن عنده بأن ذلك المجهول كذاب...)) وقال الألباني (٢٩): ((...ولا حجة في رواية المجهول عند المحدثين)) ، فأجماع الصحابة وسيرة العلماء ، ومنهج المحققين رفض رواية مجهولة الراوي ، وعليه فالرواية التي رواها المزي لاشك في شمولها بهذا الرفض.

السبب الثالث :

روي ابن أبي حديد (٣٠)عن المدائني قوله : ((أحصيت زوجات الحسن بن علي فكن سبعين امرأة))، وهذا العدد يخالف ما جاء في الرواية التي نحن بصدد مناقشتها ، ومثل هذا الاختلاف في الرواية إذا كان صادراً عن شخص واحد فهو دليل واضح على عدم صدق الراوي وإختلاف الروايتين للدلالة على الاضطراب الدال على قلة ضبط الراوي .

السبب الرابع :

وجود شاهدين عدلين على أقل تقدير في الطلاق ، فعن الإمام الصادق(عليه السّلام)أنّه قال:((كان علي أمير المؤمنين(عليه السّلام) لا يجيز شهادة امرأتين في الزواج ، ولا يجيز في الطلاق إلّا شاهدين عدلين)) (٣١)، فينبغي والحال هذه أن يكون هنالك ما لايقل عن مئة وثمانين شاهداً قد شهدوا على زواج الإمام الحسن(عليه السلام) من هولاء النسوة اللاتي زعم المزي بأن عددهن قد وصل الى التسعين زوجة، وعليه اذا كان هنالك مثل هذا العدد من الشهود، فلماذا لم ينقل لنا

التاريخ روايات يناسب عددهن، وهذا الكم الكبير من الشهود تذكر فيها تلك الزوجات وقبائلهن وسني زواجهن وغير ذلك من الأخبار التي تنقل عادة من قبل الشهود في مثل هذه المواضيع، ولماذا بقي الأمر مجرد إدعاء من قبل المزي وبعض الرواة والمؤرخين الذين يكتفون عادة بقولهم كان الحسن بن علي (عليه السلام) كثير الزواج والطلاق أو كان (عليه السلام) مزواجاً مطلاقاً كما أسلفنا، وحينما تسالهم عن الدليل يسردون عليك روايات ضعيفة متضاربة ومبهمة وأكثر عدد يستطيعون ذكره لهولاء النسوة اثنتا عشرة زوجة أو مطلقة، ثم يلجمون عن الاستمرار في العدد ويصيبهم الأعياء والتعب،وهذا يعود بالتأكيد إلى عدم واقعية ما يدعونه ولو كان لهذا العدد حقيقة واقعية في الخارج لبذل الأمويون والعباسيون كل غال ونفيس في سبيل إظهاره للتشهير بأعمال آل البيت في المجتمع الإسلامي .

المبحث الثالث:

الإمام الحسن (عليه السلام) كثير النكاح ذكر ابن كثير(٣٢) : ((كان الحسن بن علي رجلاً كثير نكاح النساء وكن قل ما يحظين عنده وكان قل امرأة يتزوجها إلا أحبته وضنت به))، وفي هذه الرواية من الإشكالات ما لا يمكن التسليم بها لما يأتي :

الإشكال الأول :

إن الرواية التي ذكرناها يقع في سندها الواقدي، وقد بيّنا حاله، وقلنا تبعاً لقول من يحتج بكلامه إن محمد بن عمر ضعيف عند أهل الحديث ، كما أسلفنا سابقاً .

الإشكال الثاني :

لم يحدد ابن كثير المقصود والمراد من معنى الكثرة في قولهم :((كان الحسن بن علي رجلاً كثير نكاح النساء ...))(٣٣) ، لم يذكروا لنا زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) لا أسماءهن ولا قبائلهن ولا أولادهن وهن كثر كما يقولون ، وعليه لا يمكن الاعتماد على مجرد استكثار المؤرخين للحكم على كون الإمام الحسن (عليه السلام) مزواجاً .

الإشكال الثالث:

ذكر عدد من المؤرخين إن الإمام الحسن (عليه السلام) ، كان له أولاد من نساء شتى، وقد ذكرت تلك النصوص التاريخية أسماء أولاده وامهاتهم فذكروا:((أولاد الحسن بن علي (عليهما السلام)ثلاثة عشر ولداً ذكراً وأنثى ...)) (٣٤) ، فزوجاته اللاتي اتفق المؤرخون على وجودهن أمّ بشير(٣٥) بنت أبي مسعود عقبة و خولة بنت منظور الفزارية وأمّ اسحاق(٣٦) بنت طلحة بن عبيد التيمي ، وهولاء النسوة ورد النص التاريخي بزواجه (عليه السلام) منهن ، ولا يوجد عندنا نص أخر يصرح بأنه (عليه السلام) قد طلقهن إلى أن مات ، وهذا يعني إن كل واحدة من هولاء النسوة قد عاشت عمراً مديداً معه ، لان كل واحدة منهن قد أنجبت له عدداً من الذكور والاناث ، ومثل هذا البقاء يفند قول المؤرخين(٣٧) وافتراءهم على الإمام الحسن (عليه السلام) بقولهم :

((كان الحسن بن علي رجلاً كثير نكاح النساء وكن قل ما يحظين عنده...)). والإمام الحسن (عليه السلام) ليست زيجاته طويلة الأمد فحسب ، وانما هو (عليه السلام) ، متمسك بزوجاته حافظ لحرمتهن حتى بعد موته ، ذكر ابن عساكر من شدة تمسكه بزوجاته أوصى الإمام الحسين (عليه السلام) بأن لا يخرج ام إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي من دور أهل البيت (عليهم السلام) ، فلذلك تزوجها من بعده الإمام الحسين (عليه السلام) عملاً بوصية أخيه الحسن (عليه السلام) فولدت له ابنته فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) ، وهذه نص الرواية :((فاطمة بنت الحسين وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي وكانت قبله عند الحسن بن علي فولدت له طلحة ولا عقب له ، فلما حضرت حسناً الوفاة قال لأخيه : حسين يا أخي لا تخرجن أمّ إسحاق من دوركم

فخلف على أمّ إسحاق الحسين بن علي بن أبي طالب))(٣٨) .

الخاتمة:

بعد إن وفقنا الله من إنهاء متطلبات هذا البحث الذي عرضت فيه (زواج الامام الحسن (عليه السلام) في الكتب التاريخية دراسة تاريخية نقدية)، فلابد إن نذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها:

١- توصل البحث في قضية زوجات الامام الحسن (عليه السلام) ، بان الروايات التي ذكرت في المصادر التاريخية غير صحيحة وموضوعة هدفها الإساءة من مقام الإمام الحسن(عليه السلام) .

٢- استعمل المؤرخون طريقة جديد في تعريف الإمام الحسن (عليه السلام) للعالم فقد مدحوا الإمام الحسن(عليه السلام) بكلمات تجذب إليه قلوب الناس وتشوقهم إلى معرفة المزيد عنه ، ولكن لم يتركوا هذه الأوصاف الجميلة والألقاب الرفيعة تمر من دون إخضاعها لسياسة الإساءة وتغليفها بأخبار غير صحيحة ليغطي بها على تلك الفضائل الرفيعة وليفقدها معناها ويفرغها من محتواها ، فحاول المؤرخون ان يتبعوا طريقة مميزة للوصول إلى مبتغاهم ، فذكروا الأحاديث التي ذكرها في حقه الرسول (صلى الله عليه وآله) والمناقب في قوله عنه وعن أخيه ((إنهما سيّدا شباب أهل الجنّة)) (٣٩)، ثم ذكروا هذه الروايات المكذوبة في صحتها ليخلط الأوراق على القارئ فيذكر أن الإمام على(عليه السلام) قال :((يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن ، فانه مطلاق ....)) ، لان السامع للأحاديث السابقة يبقى ذهنه مشغولاً في حب الرسول(صلى الله عليه وآله) للإمام الحسن (عليه السلام) ، ثم حينما يبدأ السامع أو القارئ يفوق من تصوراته السابقة وينسجم مع هذه الأوصاف الجديدة الجميلة وتتشكل في قلبه جذبة محبة نحو تلك المناقب اللطيفة من وسامة وجمال وعقل ورزانة وورع وحشمة، يتبعه المؤرخون بضربة قاضية تذهب من نفسه الجذب والمحبة والود لصاحب هذه الصفات الحميدة ، فزج مثل هذه الأوصاف المتناقضة غير المنسجمة عمل ليس بالساذج ولا البري ، بل هو ضمن خطة مدروسة بدقة الهدف منها التغطية والتعمية على الصحيح من فضائل أهل البيت(عليهم السلام) وتشتيت أنظار المسلمين عن الصورة المشرقة لأهل البيت(عليهم السلام) ونحن لا نعتقد ان هؤلاء المؤرخون قد غابت عنهم هذه الحقيقة بل ما نعتقد يقينا انهم ما ذكروا هذه الروايات الا ليشتتو بها ذهن القارئ والسامع عن الأوصاف التي ذكروها .

الهوامش:

١- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي (٨٥٢هـ /١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٨٤) ،ج٢ ، ص ٢٥٩. للمزيد عن زوجات الامام الحسن (عليه السلام) ينظر، البلداوي ، وسام برهان ، القول الحسن في عدد زوجات الامام الحسن ، قسم الشوون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية (كربلاء ، ٢٠٠٨) ، ص ٦٠.

٢- حرائر:- النساء العفيفات . ألطريحي ، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي بن (ت١٠٨٥هـ /١٦٧٤م) مجمع البحرين ، تح : احمد الحسيني، مكتبة الثقافة الإسلامية (نجف ، ١٣٧٥)، ج٦ ، ص ٢٣٥.

٣- ضرائر :- امرأتان او اكثر لرجل واحد ، وتجمع على ضرائر . ينظر الفراهيدي ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ/٧٩١م) ،كتاب العين ،تح:ـ الدكتور مهدى المخزومي الدكتور وإبراهيم السامرائي: مؤسسة دار الهجرة الطبعة (إيران: ١٤٠٩)،ج٧، ص٧.

٤- منظور بن سيار بن منظور روى عن أبيه ، روى عنه أهل المدينة . ابن حبان ، محمد بن حبان بن ابي احمد (٣٥٤هـ /٩٦٥م) ، الثقات ، تح: محمد عبد المعيد ، دائرة المعارف العثمانية ، (الهند ، ١٩٧٣)، ج٧، ص ٥١٢.

٥- يسار بن سعيد بن يسار: لم اجد له ترجمة في كتب التراجم .

٦- ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منبع الزهري (ت٢٣٠هـ /٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق :علي بن محمد عمر (القاهرة ،٢٠٠١) ج١، ص ١١.

٧- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان ، تح- :أحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، د. ت) ج٤، ص٣٤٨.

٨- الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ،ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تح :- علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، (بيروت ، ١٩٦٣)،ج٣ ، ص ٦٦٢-٦٦٣.

٩- النووي ،ابو زكريا محيى الدين بن شرف ،(ت٦٧٦هـ/١٢٧٦م)، المجموع شرح المهذب ، دار الفكر (بيروت ، د . ت) ، ج١، ص ١١٤.

١٠- اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن سعد بن علي (ت ٧٦٨هـ /١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تح:- خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد بيضوي ، ط١ ،(بيروت ، ١٩٩٧)،ج٢، ص ٢٨.

١١-الاميني، عبد الحسين بن احمد ،(ت١٣٩٢هـ) ،

زواج الإمام الحسن (عليه السلام)في الكتب التاريخية دراسة تاريخيّة نقديّة

الغدير في الكتاب والسنة والادب ، تحقيق:- حسين ايراني ، دار الكتاب العربي ، ط٤، (بيروت ، ١٩٧٧) ، ج٥، ص ٢٩٠.
١٢- ابن خلكان ، وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان ، ج٤، ص ٣٤٨.
١٣- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٣، ص ٢٤٩ ؛ المزي ، جمال الدين ابي الحجاج (ت ٧٤٢هـ /١٣٤١م) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح:- بشارعواد معروف (بغداد ،١٩٨٥)، ج٦، ص ٢٣٧؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ج٢ ، ص ٢٥٩.
١٤- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٣، ص ٢٤٩ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص ٢٣٧؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ج٢ ، ص ٢٥٩.
١٥- ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٣، ص ٢٤٩ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص ٢٣٧.ابن حجر ، تهذيب التهذيب ج٢ ، ص ٢٥٩.
١٦- ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٣، ص ٢٤٩ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص ٢٣٧؛ابن حجر ، تهذيب التهذيب ج٢ ، ص ٢٥٩.
١٧- انشد هذا البيت ، رجاء بن حيوة بن جرول الكندي ، كان من العلماء ، وذلك عند وفاة الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك ، وانشد هذا البيت :-
وقفت على قبر مقيم بقفرة
متاع قليل من حبيب مفارق ينظر
، ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ج٢ ، ص ٣٠٢.
١٨- المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص ٢٣٧؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ج٢ ، ص ٢٥٩.
١٩- ابن سعد ، الطبقات ، ج٨، ص ١٨٣؛ الطبراني ، مسند الشاميين ، تحقيق:- حمدي عبد المجيد ، مؤسسة الرسالة ، ط٢، (بيروت، ١٩٩٦) ج٤، ص ٢٦٣؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) ،الدر المنثور في التفسير بالماثؤر ، دار المعرفة ،(بيروت ، د.ت) ، ،ج٦، ص ٢٤٢.
٢٠- المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص ٢٣٧.
٢١- ابن عدي ، ابو محمد عبد الله (٣٦٥هـ /٩٧٥م الكامل في ضعفاء الرجال ،تحقيق:- سهيل زكار ، دارالفكر ، ط١(بيروت ، د . ت)، ج٥، ص ٢١٣.
٢٢- م ، ن ، ج٥، ص ٢١٣.
٢٣- الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد ، تح:- مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٧) .
، ج١٢، ص ٥٤.
٢٤- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقق:- شعيب الارنووظ و محمد نعيم العرقوسي ،مؤسسة الرسالة ،(بيروت ، ١٩٩٣) ، ج١٠، ص ٤٠٠-٤٠٢.
٢٥- تهذيب الكمال ، ج٦، ص ٢٣٧.
٢٦- الرازي ،ابوعبد الله محمد بن عمر(ت٦٠٦هـ /١٢٠٩م) ،المحصول في علم اصول الفقه ، تح:- طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، ط٢، (بيروت ، ١٤١٢) ج٤، ص ٤٠٢.
٢٧- الحلي ، جمال الدين الحسن (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، مبادى الوصول الى علم الاصول ، تح:- عبد الحسين محمد علي البقال ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط٣(بلا ، ١٤٠٤) ص ٢٠٦-٢٠٧.
٢٨- الذهبي ،الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السّتة ، تح:- محمد عوامة واحمد محمد نمر ، دار القبلة ، (جدة ، ١٩٩٢) ج١، ص ٢٦.
٢٩- محمد ناصر ، تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، دار الراية ، ط٢ ، (الرياض ، ١٤٩٠) ص ٢٧١.
٣٠- ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو داود عبد الحميد (ت٦٥٦هـ /١٢٥٨م) شرح نهج البلاغة ، تحقيق:- محمد أبو الفضل ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، ١٩٥٩)، ج١٦ ، ص ٢٢.
٣١- الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي ،(ت٤٦٠هـ /١٠٦٧م) ، تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه)، تح:ـ حسن الموسوي، دار الكتب الاسلامية ، (طهران ، ١٣٦٥ش)، ج٦ ، ص ٢٨٢. مغنية، محمد جواد ، (١٤٠٠هـ /١٩٧٩م) ، فقه الامام الصادق ، مؤسسة انصاريان ، ط٢ ، (قم ، ١٤٢١)، ج٦ ، ص ١٠.
٣٢- تاريخ مدينة دمشق ، ج١٣، ص ٢٨٣. ينظر ، المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص٢٢٢.ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨، ص ٤٧.السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٤. البلداوي ، القول الحسن ، ص١٧٧.
٣٣- المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص٢٢٢.
٣٤- أبو نصر البخاري، أبو نصر سهل بن أبي عبد الله (كان حيا سنة ٣٤١هـ) ، سر السلسلة العلوية، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، انتشارات الشريف الرضي (النجف ، ١٩٦٢) ، ص ٤.
٣٥- أم بشير بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، تزوجت من الامام وانجبت له زيد بن الحسن وأختاه أم الحسن وأم الحسين . المفيد ، أبو عبد الله محمد بن النعمان (٤١٣هـ/١٠٢٢م) ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ،دار المفيد ، (بيروت ، ١٩٩٣) ، ج٢، ص ٢٠..
٣٦- أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي تزوجت من الامام وانجبت له الحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن وأختهما فاطمة بنت الحسن . المفيد ، الارشاد ، ج٢، ص ٢٠.
٣٧- تاريخ مدينة دمشق ، ج١٣، ص ٢٨٣. ينظر ، المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص٢٢٢.
٣٨- ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٧٠، ص١٦-١٧.
٣٩- م ، ن ، ج١٣ ، ص ١٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

اولا:- المصادر الأولية:-
١- ابن حبان ، محمد بن حبان بن ابي احمد (٣٥٤هـ /٩٦٥م) ، الثقات ، تح:- محمد عبد المعيد ، دائرة المعارف العثمانية ، (الهند ، ١٩٧٣).
٢- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي

(٨٥٢هـ /١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٨٤).
٣- ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو داود عبد الحميد (ت٦٥٦هـ /١٢٥٨م) شرح نهج البلاغة ، تحقيق:- محمد أبو الفضل ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، ١٩٥٩).
٤- الحلي ، جمال الدين الحسن (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، مبادى الوصول الى علم الاصول ، تحقيق:- عبد الحسين محمد علي البقال ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط٣(بلا ، ١٤٠٤) .
٥- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان ، تح-:أحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، د. ت) .
٦- الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠ م)، تاريخ بغداد ، تحقيق:- مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٧) .
*- الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
٧- سير أعلام النبلاء ، تحقيق:- شعيب الارنووظ و محمد نعيم العرقوسي ،مؤسسة الرسالة ،(بيروت ، ١٩٩٣) .
٨- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السُتة ، تحقيق:- محمد عوامة واحمد محمد نمر ، دار القبلة ، (جدة ، ١٩٩٢).
٩- ،ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق :- علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، (بيروت ، ١٩٦٣).
١٠- الرازي ،ابو عبد الله محمد بن عمر(ت٦٠٦هـ /١٢٠٩م) ،المحصول في علم اصول الفقه ، تحقيق:- طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، ط٢، (بيروت ، ١٤١٢).
١١- ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منبع الزهري (ت٢٣٠هـ /٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق :علي بن محمد عمر (القاهرة ،٢٠٠١).
١٢- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) ،الدر المنثور في التفسير بالماثؤر ، دار المعرفة ، (بيروت ، د.ت).
١٣- الطبراني ، مسند الشاميين ، تحقيق:- حمدي عبد المجيد ، مؤسسة الرسالة ، ط٢، (بيروت، ١٩٩٦) .
١٤- ألطريحي ، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي بن (ت١٠٨٥هـ /١٦٧٤م) مجمع البحرين ، تحقيق : احمد الحسيني، مكتبة الثقافة الإسلامية (نجف ، ١٣٧٥).
١٥- الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي ،(ت٤٦٠هـ /١٠٦٧م) ، تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه)، تحقيق:- حسن الموسوي، دار الكتب الاسلامية ، (طهران ، ١٣٦٥ش).
١٦-ابن عساكر ، أبو القاسم علي الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق:- علي شيري، دار الفكر ، (بيروت ، ١٤١٥) .
١٧- ابن عدي ، ابو محمد عبد الله (٣٦٥هـ /٩٧٥م الكامل في ضعفاء الرجال ،تحقيق:- سهيل زكار ، دار الفكر ، ط١(بيروت ، د . ت).
١٨-الفراهيدي ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ/٧٩١م) ،كتاب العين ،تحقيق:- الدكتور مهدى المخزومي الدكتور وإبراهيم السامرائي: مؤسسة دار الهجرة الطبعة (إيران: ١٤٠٩).
١٩- المزي ، جمال الدين ابي الحجاج (ت ٧٤٢هـ /١٣٤١م) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق:- بشار عواد معروف (بغداد ،١٩٨٥).
٢٠- المفيد ، أبو عبد الله محمد بن النعمان (٤١٣هـ/١٠٢٢م) ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ،دار المفيد ، (بيروت ، ١٩٩٣).
٢١- أبو نصر البخاري، أبو نصر سهل بن أبي عبد الله (كان حيا سنة ٣٤١هـ) ، سر السلسلة العلوية، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، انتشارات الشريف الرضي (النجف ، ١٩٦٢) .
٢٢- النووي ،ابو زكريا محيى الدين بن شرف ،(ت٦٧٦هـ/١٢٧٦م)، المجموع شرح المهذب ، دار الفكر (بيروت ، د . ت) .
٢٣- اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن سعد بن علي (ت ٧٦٨هـ /١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق:- خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد بيضوي ، ط١ ،(بيروت ، ١٩٩٧).

ثانيا - المراجع

١- الالباني ، محمد ناصر، تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، دار الراية ، ط٢، (الرياض ، ١٤٩٠).
٢- الاميني ، عبد الحسين بن احمد ،(ت١٣٩٢هـ) ، الغدير في الكتاب والسنة والادب ، تحقيق:- حسين ايراني ، دار الكتاب العربي ، ط٤، (بيروت ، ١٩٧٧) .
٣- البلداوي، وسام برهان، القول الحسن في عدد زوجات الامام الحسن ، قسم الشوون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية (كربلاء ، ٢٠٠٨) .
٤- مغنية، محمد جواد ، (١٤٠٠هـ /١٩٧٩م) ، فقه الامام الصادق ، مؤسسة انصاريان ، ط٢ ، (قم ، ١٤٢١).

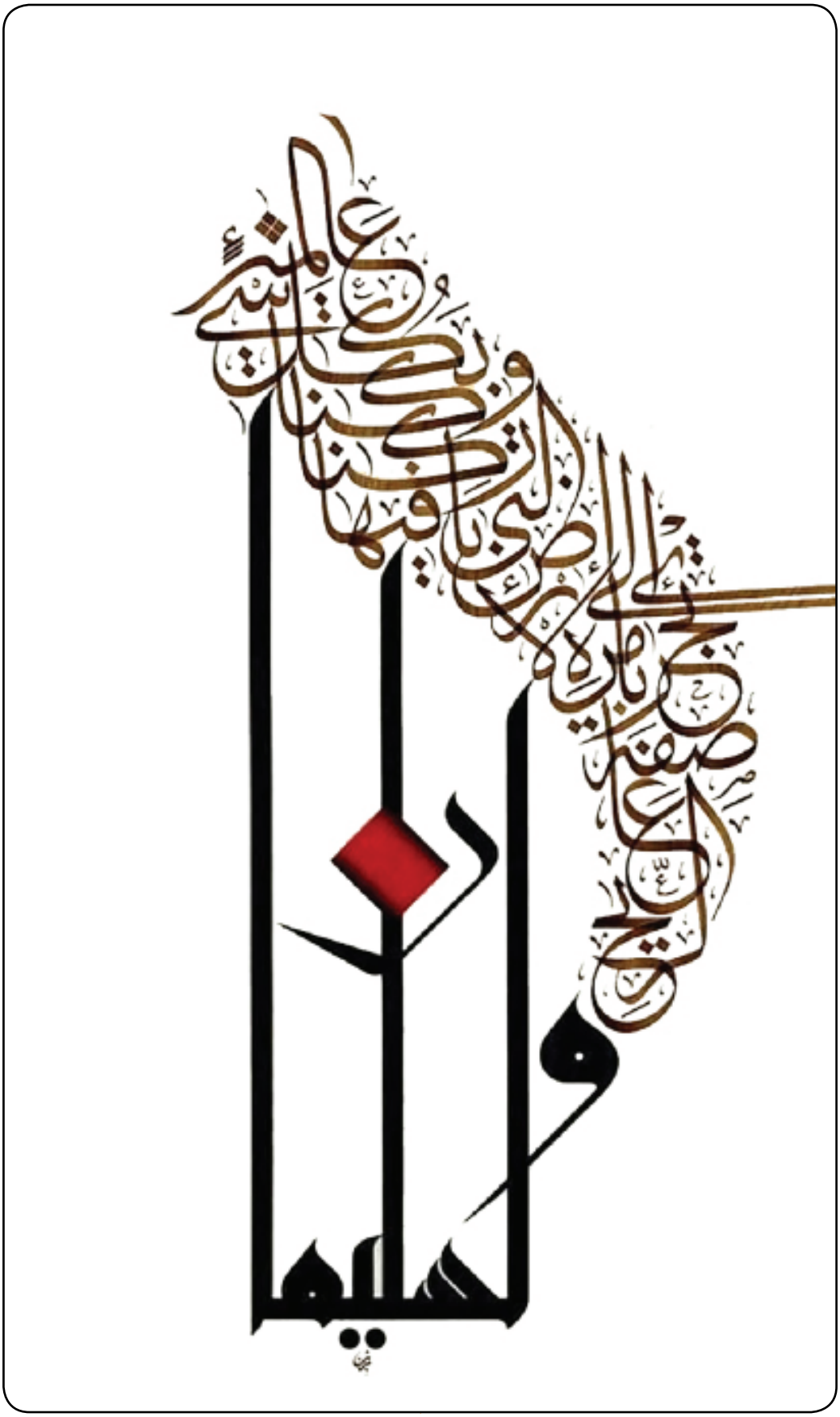

بعض الذين أصابتهم حرفة الأدب في الحضارة العربية الإسلامية

أ.د . خليل حسن الزركاني
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

الملخص:
يهدف البحث إلى دراسة حرفة الأدب من خلال المعنى اللغوي والإصطلاحي للحرفة الأدب، ثم دراسة الإعلام من الشعراء والأدباء والوزراء ومنهم عبد الله ابن المقفع (ت ، ١٤٥هـ/ ٧٦٠م) والشاعر العباسي عبدالله بن الخليفة المعتز بالله (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) وغيرهم والبالغ عددهم اثنى عشرة بين وزير و شاعرٍ وكاتبٍ وأديبٍ هؤلاء جميعاً امتحنوا بمحنة الأدب

Abstract:
The research aims to study the craft of literature through the linguistic and idiomatic meaning of the craft of literature, then study the media of poets, writers and ministers, including Abdullah Ibn al-Muqaffa (d. Twelve, between a minister, a poet, a writer, and a writer, all of them were tested by the ordeal of literature

المقدمة:
إنّ معرفة حرفة الأدب مانعة من ترقى أعالي الرتب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :
ما ازداد الرجل حذقاً في صنعة إلا كان ذلك نقصاً من رزقه وقالوا المتقدم في الحذق متأخر في الرزق وقالوا حرفة الأدب أعدى لصاحبها من الجرب وقالوا الرزق عند ذوي الأدب أروغ من ثعلب ومن أمثال عوام بغداد جهل يعولني خير من علم أعوله وقال الخليل بن أحمد إذا كثر الأدب قل خيره وإذا كثر خيره كثر ضيره (١).
ويقصد (حرفة الأدب)،يريدون به الشؤم والتعاسة المصاحبة للمشتغل بعلوم الشعر والأدب بعامة وأن ذلك يفضي بصاحبه إلى الشرور، وهذه الشرور ليست بالضرورة الفقر والفاقة التي يشيع لدى المعاصرين تفسير هذه المقولة بها، بل تعني سوء الحظ ونقصه.

المعنى اللغوي والاصطلاحي لحرفة الأدب:
الحرفة، بالضم والكسر، ومنه قولهم: حرفة الأدب، بالكسر. ويقال: لا تحارف أخاك بالسوء أي تجازه بسوء صنيعه تقايسه وأحسن إذا أساء وأصفح عنه. يشير ابن الأعرابي إلى ذلك : أحرف الرجل إذا جازى على خير أو شر، قال: ومنه الخبر: إن العبد ليحارف عن عمله الخير أو الشر أي يجازى وقولهم في الحديث: سلط عليهم موت طاعون دفيف يحرف القلوب أي يميلها ويجعلها على حرف أي جانب وطرف، لسان العرب (٢).
بعد أن عرفت حدود الأدب في القرن الثاني واشتهرت الكلمة، بقيت لفظة «الأدباء» خاصة بالمؤدبين، لا تطلق على الكتاب والشعراء، واستمرت لقبًا على أولئك إلى منتصف القرن الثالث، ومن ذلك كان منشأ الكلمة المشهورة «حرفة الأدب» وأول من قالها الخليل بن أحمد صاحب العروض المتوفى سنة ١٧٥هـ وذلك قوله كما جاء في «المضاف والمنسوب» للثعالبي: «حرفة الأدب آفة الأدباء»؛ لأنهم كانوا يتكسبون بالتعليم ولا يؤدبون إلا ابتغاء المنالة، وذلك حقيقة معنى الحرفة على إطلاقها (٣).
فلما فشت أسباب التكسب بين الشعراء في القرن الثالث، وبطلت العصبية التي كانت تجعل للشعر معنى سياسياً فاتخذوه حرفة يكدحون بها، وجعلوه مما يتدرع به إلى أسباب العيش، جائزة خليفة أو منادمة أمير أو ما دون ذلك من الأسباب أيها كان انتقل إليهم لقب الأدباء، للمناسبة بين الفئتين في الحرفة، ولم يلبثوا أن استأثروا به لتوسعهم في تلك الأسباب(٤).
ثم جاء ابن بسام الشاعر المتوفى سنة ٣٠٣هـ فجعل «الحرفة» نبزًا، وأخرجها عن وضعها اللغوي إلى معنى مجازي غلب على حقيقتها واستبد بها فأرسلها مثلًا. وذلك فيما رثى به عبد الله بن المعتز حين قتل في سنة ٢٩٦هـ ودفن في خربة بإزاء داره بعد جلال الإمارة وعزة الملك إذ يقول:

لله درك من ميت بمضيعة
ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه
لكنما أدركته «حرفة الأدب»

وهذا هو أصل الكلمة التي تعاورها الأدباء،

بعض الذين أصابتهم حرفة الأدب في الحضارة العربية الإسلامية

واعتبرها الشعراء ميراثًا دهرياً إلى اليوم، وإنما يتناولها ابن بسام من لغة العامة، وطبعها على شيء من عبث أخلاقه التي بلغت من هجاء الأمراء والوزراء وذوي المكانة من الناس إلى هجاء أبيه وإخوته وسائر أهل بيته حتى سنها طريقة، فيقال لمن يقفو أثره في عبث اللسان: «إنه يجري في طريق ابن بسام»

وسوف نتناول بعض هذه الشخصيات من الأعلام والأدباء والكتاب والوزراء

١.عبد الله ابن المقفع (ت ، ١٤٥هـ/ ٧٦٠م) (٥)

كان ابن المقفع من أهل خوز من أرض فارس، وكان سرياً سخياً كاتباً فصيحاً لبيباً يطعم الطعام ويصل كل من احتاج إليه، وكان يكتب للداود بن يزيد بن هبيرة على كرمان، وأفاد معه مالاً، وكان يجري على جماعةٍ من أهل الكوفة ما بين الخمسمائة إلى الألفين، درهم، (٦)

وكان ابن المقفع مع فضله يتهم بالزندقة، فحكى الجاحظ أن ابن المقفع ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون في دينهم؛ قال بعضهم: فكيف نسي الجاحظ نفسه وكان المهدي بن المنصور الخليفة يقول: ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع (٧)

وعن سبب مقتله وإصابته بحرفة الأدب، وقال المدائني: لما دخل ابن المقفع على سفيان، قال له: أتذكر ما كنت تقول في أمي فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي، فقال: أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد، وأمر بتنور فسجر، ثم أمر بابن المقفع فقطعت أطرافه عضواً عضواً، وهو يلقيها في التنور، وهو ينظر، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنور، وقال: ليس علي في المثلة بك حرج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس (٨)لقد كان ابن المقفع من المصابين بعين الكمال والممتحنين حرفة الأدب حيث لقي مصرعة بصورة بشعه بعد أن كان من المفكرين السياسين والعاملين في الأدب.

٢.الشاعر دعبل بن على بن رزين بن سليمان الخزاعي(ت، ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠م)

أبو علي الشاعر المشهور من الكوفة وتعاطى في أول أمره الأدب حتى مهر فيه وقال الشعر الفائق(٩). ويقول عنه ابن خلكان: كان شاعرا مجيداً إلا إنه كان بذئ اللسان مولعاً بالهجو هجا الخلفاء فمن دونهم وطال عمره فكان يقول: لي ثلاثون سنة أحمل خشبتي على كتفي ما أجد من يصلبني عليها(١٠).

أبو الفرج الاصفهاني في أغانيه يقول :

شاعر متقدم مطبوع هجا خبيث اللسان لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أو لم يحسن ولا أفلت منه كبير أحد وكان من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه ولم يزل مرهوب اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء فهو دهر كله هارب متوار. (١١).

تعود قصة دعبل مع هارون إلى البيت الذي قال فيه دعبل:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى (١٢).سمع الرشيد هذا البيت من المغنين لشيوعه فطرب له وسأل عن قائله فقيل دعبل بن على وهو غلام نشأ من خزاعة. فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه و مركبه من مراكبه ودفع ذلك إلى خادم من خاصته وقال: أذهب إلى خزاعة فإسأل عن دعبل بن على وأعطه هذا وقل له ليحضر إن شاء وإن لم يحب ذلك فدعه. فسار الغلام إلى دعبل وأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير إليه. فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس واستنشده الشعر فأنشده فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنياً فكان أول من حرضه وجرأه على قول الشعر وبعثه عليه. قال عبد الله بن طاهر: فوالله ما بلغه إن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العطاء السنى والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة وقال قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام وهجا الرشيد (١٣).

وحكايات دعبل كثيرة وشعره كثير وقد لحقته حرفة الأدب إذ أنشد فيشكو من ضيق حاله:

لقد علمت وما لي ما أعيش به أن التي أدركتني حرفة الأدب(١٤).

٣.الشاعر العباسي عبدالله بن الخليفة المعتز بالله (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) (١٥).

لما خلع المقتدر وبويع عبد الله بن المعتز بن المتوكل ولقب المرتضى بالله أدركته حرفة الأدب فلم يقم في الخلافة غير يومين ثم اضطرب حبله وهطل عليه طل الحرمان ووبله فهرب إلى دار ابن الجصاص التاجر فاختفى عنده ثم أخرج منها إلى القضاة والشهود العدول ميتاً بعد أيام يسيرة وذلك في يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين فقال فيه ابن بسام من أبيات يرثيه بها :

للّه درّك من ميت بمضيعة
ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت فتنقمه
وإنما أدركته حرفة الأدب

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى قال لي أبي إذا كتبت كتاباً فالحن فيه فإن الصواب حرفة والخطأ نجح أخذه بعض الشعراء فنظمه في قوله:

إن كنت يوماً كاتباً رقعة
تبغي بها نجح وصول الطلب
إياك أن تعرب ألفاظها
فتكتسي حرفة أهل الأدب (١٦)

وقال أبو عبيدة من أراد أن يأكل الخبز بأدبه فلتبك عليه البواكي ولقد أجاد أبو إسحق الصابي في قوله:

قد كنت أعجب من مالي وكثرته
وكيف تغفل عني حرفة الأدب
حتى انثنت وهي كالغضبا تلاحظني
شزراً فلم تبق لي شيأً من النشب
واستيقنت أنها كانت على غلط
واستدركته وأفضت بي إلى الحرب
الضب والنون قد يرجى اجتماعهما
وليس يرجى اجتماع الفضل والذهب (١٧)

وقد ذكر ابن كثيران ابن المعتز لم يبق في الخلافة إلا يوماً أو بعض يوم فقتله جنود الخليفة المقتدر (ت، ٣٢٠هـ/٩٣٢م) (١٨)

٤.الوزير ابن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م)

أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وزير المقتدر بالله بن المعتضد بالله، وزر له ثلاث دفعات. وكان كاتباً كافياً خبيراً، وقد امتحن بحرفة الأدب ، إذ قال المعتضد بالله لعبيد الله بن سليمان: قد دفعت إلى ملك مختل وبلاد خراب ومال قليل، وأريد أعرف ارتفاع الدنيا لتجري النفقات عليه، فطلب عبيد الله ذلك من جماعة من الكتاب، فاستمهلوه شهراً، وكان أبو الحسن ابن الفرات وأخوه أبو العباس محبوسين منكوبين، فأعلما بذلك، فعملاه في يومين وأنفذاه، فعلم عبيد الله أن ذلك لا يخفى على المعتضد، فكلمه فيهما ووصفهما، فاصطنعهما. وكانت في دار أبي الحسن ابن الفرات حجرة شراب يوجه الناس على اختلاف طبقاته إليها غلمانهم يأخذون منها الأشربة والفقاع والجلاب إلى دورهم (١٩).

قال الصولي: ومن فضائله التي لم يسبق إليها إنه كان إذا رفع إليه قصة فيها سعاية خرج من عنده غلام فنادى: أين فلان بن فلان الساعي فلما عرف الناس ذلك من عادته امتنعوا من السعاية بأحد، واغتاظ يوماً من رجل فقال: اضربوه مئة صوت، ثم أرسل رسولاً فقال: اضربوه خمسين، ثم أرسل أخر وقال: لا تضربوه، وأعطوه عشرين ديناراً، فكفاه ما مر به المسكين من الخوف. قال الصولي: قام من مرضه - وقد اجتمعت الكتب والرقاع عنده - فنظر في ألف كتاب، ووقع في ألف رقعة، فقلنا له: بالله لا يسمع بهذا أحد، خوفاً من العين عليه. قال الصولي: ورأيت من أدبه أنه دعا خاتم الخلافة ليختم به كتاباً، فلما رآه قام على رجليه تعظيماً للخلافة. وقتل نازوك صاحب الشرطة أبا الحسن ابن الفرات المذكور وابنه المحسن يوم الاثنين ثلاثة عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثني عشر وثلاثمائة (٢٠).ولم يقتصر عليه في امتحان حرفة الأدب

وإنّما شمل ابن الوزير المحسن وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أخو أبي الحسن المذكور أكتب أهل زمانه وأضبطهم للعلوم والآداب، وقد امتحن هو الآخر بحرفة الأدب وللبحتري فيه القصيدة التي أولها

بت أبدي وجداً وأكتم وجداً
لخيال قد بات لي منك يهدى

وتوفي أبو العباس المذكور يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين(٢١)

٥.:جحظه البرمكي (٣٢٤ هـ/ ٣٣٦م)

ينتظم جحظة البرمكي (٢٢٤ – ٣٢٤ هـ) في سلك هؤلاء: الذين لحقتهم حرفة الادب .

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد ابن برمك، كانت ولادته في شعبان سنة (٢٢٤ هـ) كان أحمد بن جعفر هذا قبيح المنظر ناتئ العينين فلقّبه عبد اللّه ابن المعتزّ جحظة. و قد نشأ جحظة، على الرغم من غنى أسلافه، فقيراً محتاجاً إلى العطاء يتكسّب بالشعر و الغناء و العزف على الطنبور من غير أن يستطيع تدبير معاشه. و لا شكّ في أن جحظة قد عمّر كثيراً فقد جاء في شعره ما يفهم منه أنّ سنّه زادت على التسعين . و كانت وفاته في شعبان سنة ٣٢٤ هـ في جيل أو في واسط (٢٢).

خصائصه الفنّيّة:

كان جحظة البرمكيّ حسن الأدب كثير الرواية للأخبار متصرّفا في فنون من العلم كالنحو و اللغة و النجوم، و كان ظريفاً مليح الشعر حاضر النادرة، كما كان حاذقاً في العزف على الطنبور. و كان أيضاً مصنّفاً له كتاب الطنبوريين، كتاب فضائل السكباج، كتاب الترنّم، كتاب المشاهدات، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على اللّه، كتاب ما جمعه ممّا جرّبه المنجّمون فصحّ من الأحكام.و قال في الرزق المقدور على الإنسان:

أنفق و لا تخش إقلالاً، فقد قسمت
بين العباد مع الآجال أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولّية
و لا يضرّ مع الإقبال إنفاق

و قال جحظة يصف حاله و يعرّض بأهل زمانه:

تعجّبت إذ رأتني فوق مكسور
من الحمير، عقير الظهر مضرور(٢٣).
من بعد كلّ أمير الرسغ معترض
في السير تحسبه إحدى التصاوير(٢٤).
فقلت: لا تعجبي منّي و من زمن
أخنى عليّ بتضييق و تقتير (٢٥).
بل فاعجبي من كلاب قد خدمتهم
تسعين عاماً بأشعاري و طنبوري

وقد امتحن بحرفة الأدب إذ يقول «ما أنصفتني يد الزمان لا أدركني غير حرفة الأدب» (٢٦).

٦.محمد بن عليّ بن الحسن بن مقلة، أبو عليّ الوزير، (ت، ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩م) (٢٧)

الوَزِيْرُ الكَبِيْرُ، أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ حسن بن مُقْلَة.وُلِدَ بَعْدَ سنَة سَبْعِيْنَ وَمائَتَيْنِ. وهو صاحب الخطّ المنسوب. ولي بعض أعمال فارس، وتنقلت به الأحوال حتّى وَزَرَ للمقتدر سنة ستّ عشرة، ثمّ قبض عليه بعد عامين وصادره وعاقبه ونفاه إلى فارس.

قال الصولي: ما رأيت وزيرًا منذ تُوُفِّي القاسم بن عُبَيْد الله أحسن حركةً، ولا أظرف إشارةً، ولا أملح خطًا، ولا أكثر حِفظًا، ولا أسلط قلمًا، ولا أقصد بلاغة، ولا آخذ بقلوب الخلفاء من محمد بن عليّ. وله بعد هذا كلّه عِلمٌ بالإعراب وحِفْظ للُّغة.وبُوْيِعَ الرَّاضِي، فَآمن أَبَا عَلِيٍّ، فَظَهَرَ، وَوَزَرَ، ثُمَّ عُزِلَ بَعْد عَامِين، وَاسْتَتَر، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الرَّاضِي بِاللهِ أَنْ يَسْتَحْجِب بُجْكَم عِوض ابْن رَائِق، وَأَن يعيدَه إِلَى الوِزَارَة، وَضَمِنَ لَهُ مَالاً، وَكَتَبَ إِلَى بُجكم، فَأَطمعه الرَّاضِي حَتَّى حَصَلَ عِنْدَهُ، وَاسْتفْتَى الفُقَهَاء، فَأَفتَوا بقطع يَده. فَقطع فِي شَوَّال، سنة سِتٍّ وَعِشْرِيْنَ وَثَلَاثِ مائَةٍ. ثُمَّ كَانَ يَشِدُّ القَلَمَ عَلَى سَاعِدِه، وَيَكْتُبُ خَطّاً جَيِّداً. وَكَتَبَ أَيْضاً بِاليُسْرَى (٢٨). وَقِيْلَ: إِنَّهُ كَاتِب يَطْلُبُ الوَزَارَة. فَلَمَّا قَرُب بُجْكم مِنْ بَغْدَادَ، طَلَبَ أَبَا عَلِيٍّ، فَقَطَعَ لِسَانَهُ وَسُجِنَ مُدَّة، وَلَحِقَه ذرَب. وَكَانَ يَسْتَقِي بِيسَارِه، وَيُمْسِكُ الحَبْلَ بفَمه، وَقَاسَى بلاَءً إِلَى أَنْ مَاتَ. وَدُفِنَ فِي دَارِ السَّلطنَة، ثُمَّ سَأَلَ أَهْلُه فَنُبِشَ، وَسُلِّم إِلَيْهِم، فَدَفَنَه ابْنُه

أَبُو الحُسَيْنِ فِي دَارِه (٢٩).قَالَ: أَبُو الفَضْلِ بنُ المَأْمُوْن: أَنشدَنَا أَبُو عَلِيٍّ بنُ مُقْلَة لِنَفْسِهِ

إِذَا أَتَى المَوْتُ لِمِيْقَاتِهِ
فَخلِّ عَنْ قَوْلِ الأَطِبَّاءِ
وَإِنْ مَضَى مَنْ أَنْتَ صَبٌّ بِهِ
فَالصَّبْرُ مِنْ فِعْلِ الأَلِبَّاءِ
ما مَرَّ شَيْءٌ ببنِي آدم
أَمَرُّ مِن فقد الأحباء
مَا مَلِلْتُ الحَيَاةَ لَكِنْ تَوَثَّقْ
ت بِأَيْمَانِهِم فَبَانَتْ يمِينِي
لَقَدْ أَحسنتُ مَا اسْتطعتُ بجَهدِي
حِفْظ أَيمَانهُم فَبَانتْ بيميني
بعْت دينِي لَهُم بدنيَايَ حَتَّى
حَرَمُونِي دُنْيَاهُم بَعْدَ دينِي
ليْسَ بَعْدَ اليَمِين لذَّةُ عَيْشٍ
يَا حيَاتِي بَانَتْ يمِينِي فَبينِي(٣٠).

لقد امتحن ابن مقلة بحرفة الأدب وما جلب عليه خطه المتقن الذي تتناسب حرفه هندسياً .

مَوْلِدُهُ فِي شَوَّالٍ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ وَمائَتَيْنِ. وَمَاتَ فِي حَادِي عشر شَوَّال سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلَاثِ مائَةٍ(٣١).

٧.أبو هلال العسكري(بعد ٣٩٥ هـ / بعد ١٠٠٥ م)

الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال:

عالم بالأدب، له شعر. نسبته إلى (عسكر مكرم) من كور الأهواز. من كتبه (التلخيص) في اللغة، و معجم في اللغة، و جمهرة الأمثال و الحث على طلب العلم ، رسالة، و كتاب الصناعتين: النظم والنثر ، وشرح الحماسة والأوائل رسالة والفرق بين المعاني وغيرها من المصنفات ،قال ياقوت: أما وفاته فلم يبلغني فيها شئ غير أني وجدت في آخر كتاب (الأوائل) من تصنيفه: (وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة) ومن مستطرف الأسجاع ما كتبه عنه الباخرزي في (دمية القصر) قال: (بلغني أن هذا الفاضل كان يحضر السوق، ويحمل إليها الوسوق، ويحلب در الرزق ويمتري، بأن يبيع الأمتعة ويشتري(٣٢).

ومع ذلك فقد أدركته حرفة الأدب؛ فقاسى منها وعانى وتاجر في الحرير لينتشل نفسه وأهله من الفقر، وضاقت به السبل حتى قال:

جُلُوسي في سوقٍ أبيع وأشتري دليلٌ على أن الأنامَ قرودُ
ولا خير في قومٍ تُذلُ كرامهم ويعظُمُ فيها نذلُهم ويسودُ
وتهجوهم عني رثاثةُ كسوتي هجاءً قبيحًا ما عليه مزيدُ(٣٣).

وإنما هي نبذة ترينا في هذه الدنيا حظوظ بعض من يوالون العلم وينقطعون له، ولا يسمحون لأنفسهم أن يتاجروا فيه، أو يقايضوا عليه بأي ثمن! (٣٤).

٨.:أبوغالب الصيرفي (ت،٤٠٧هـ/١٠١٧م)

الوزير فخر الملك محمد بن علي بن خلف الوزير فخر الملك أبو غالب ابن الصيرفي الذي صنف الفخري في الجبر والمقابلة. من أجله والكافي في الحساب.

كان ممدحاً جواداً. قتله السلطان الدولة ابن مخدومة بالأهواز سنة سبع وأربع مائة.

كان وزير بهاء الدولة ابن بويه ثم وزر لولده سلطان الدولة وكان أعظم وزراء آل بويه على الإطلاق بعد ابن العميد وابن عباد.

أصله من واسط وأبوه صيرفي، وكان واسع النعمة فسيح مجال الهمة جم الفضائل والإفضال جزيل العطايا والنوال.

مدحه الشعراء وقصدوه منهم أبو نصر ابن نباتة السعدي يقول فيه من قصيدة نونية:

لكل فتى قرين حين يسمو
وفخر الملك ليس له قرين
أنخ بجنابه واحكم عليه
بما أملته وأنا الضمين

فامتدحه بعض الشعراء بعد هذا فلم يرض إجازته فجاء إلى ابن نباتة فقال: أنت أغريتني به وغررتني، فأعطاه من عنده شيئا رضي به، فبلغ ذلك الوزير فسير إلى ابن نباتة جملة مستكثرة.

ومثل هذا قول أبي الطيب

وثقنا بأن تعطي فلو لم تجد لنا
لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم

ولم يزل فخر الملك في عزه وجاهه وبعدها اصابته عين الكمال وحرفة الادب إلى أن نقم عليه مخدومه سلطان الدولة فحبسه ثم قتله ودفن عند جبل الأهواز ولم يحكم دفنه فنبشته الكلاب وأكلته فشفع فيه بعض أصحابه فنقلت عظامه إلى مشهد هناك ودفنت سنة ثمان وأربع مائة (٣٥).

٩. ابو حيان التوحيدي (ت، ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م)

نشأ أبو حيان في هذه الأجواء فقيرًا معوزًا، فاحترف مهنة «الوراقة» أو النسخ في بغداد مدة طويلة، تلك المهنة التي مكّنته من اكتساب زاد عظيم من العلم والمعرفة، لما تقتضيه من كثرة القراءة وطول مصاحبة الكتب. فاتسعت ثقافته التي التقطها من بطون تلك الكتب والتي أخذها كذلك من أفواه رجال العلم، فأخذ النحو عن أبي سعيد السيرافي، وعلي بن عيسى الرماني، وهما من هما بين أعلام ذلك الزمان، وأخذ الفقه الشافعي عن أبي حامد المَرْورُوذي، وقد تعلّق به أبو حيان تعلقًا شديدًا، وذكر سر هذا التعلق في «البصائر والذخائر» فقال: «لأنه أنبل من شاهدته في عمري، وكان بحرًا يتدفق حفظًا للسير، وقيامًا بالأخبار، واستنباطًا للمعاني، وثباتًا على الجدل، وصبرًا في الخصام))(٣٦).

ودرس الحكمة والفلسفة والمنطق على أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، كما تتلمذ على كتب من لم يتمكن من رؤيتهم من العلماء، وعلى رأسهم أستاذه الجاحظ، الذي وجد فيه بغيته، يقول: «أنا اللهجُ – أيدك الله – بكلام أبي عثمان ولي فيه شركاء، من أفاضل الناس، فلا تنكر روايتي لكلامه، فإن فيه شفاء وبه تأدب ومعرفة))(٣٧).

مصنفاته وأسلوبه:

كانت مؤلفات أبي حيان انعكاسًا لطبيعة تكوينه الفذّ، ولثقافته العميقة الواسعة، فقد صنف كتبًا ورسائل كثيرة؛ حتى عُد من أفراد عصره الذين اشتهروا بكثرة التأليف في فنون شتى من المعرفة، وكان له أسلوب ينسج فيه على منوال الجاحظ، جمع البلاغة والفصاحة ونصاعة البيان وفحولة الألفاظ وثراء المعاني، وكثر فيه إيراد النوادر والملح والفكاهة، حتى لتطرب له نفس القارئ أشد الطرب. وله عدة كتب مطبوعة منها «الامتاع والمؤانسة»، وهو مصدر ثمين لمعرفة تراث أبي حيان والوقوف على طبيعة الحياة الفكرية والاجتماعية في عصره. وهو أنفع كتب أبي حيان وأمتعها، ولعل من أبلغ ما قيل في وصف هذا الكتاب عبارة القفطي في «تاريخ الحكماء»: «هو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم، فإنه خاض كل بحر، وغاص كل لُجَّة)) (٣٨).

والكتاب مؤلف من عدة مسامرات في فنون شتى، حاضرَ بها التوحيديُّ الوزيرَ أبا عبد الله العارض، في أربعين ليلة على غرار «ألف لية وليلة»، غير أن موضوعات أبي حيان كانت واقعية وصحيحة إلى حد كبير. ومن نافلة القول أن هذا الكتاب انفرد بإيراد وثيقتين مهمتين: أولاهما النص الذي كشف لنا مؤلفه «رسائل إخوان الصفا»، والثانية تلك المحاورة الممتعة التي دارت بينه وبين أبي سعيد السيرافي ومَتَّى بن يونس القنائي حول المفاضلة بين النحو العربي والمنطق اليوناني. وفيه كذلك وصف تاريخي دقيق لحوادث خطيرة جرت في بغداد والموصل والكوفة.

ومن كتبه كذلك«البصائر والذخائر»، وفيه ألوان شتى من المعرفة كذلك، وليس له منهج موضوعي جامع، ولذا جاء حشدًا عجيبًا من المعارف والحكم، ففيه مسائل في اللغة والتصوف والنوادر والتاريخ والشعر والحكمة والفكاهة والمجون. وقد ذكر أبو حيان أنه جمعه في خمسة عشر عامًا مما سمع وقرأ. وقد أثبت في مقدمته المصادر التي قرأها واستمد منها مادته، وفي صدارتها كتب الجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب النوادر لابن

زياد، ومجالس ثعلب وأوراق الصولي وجوابات قدامة وغيرها.

وله كذلك كتاب «المقابسات» الذي يحتوي على ١٠٦ مقابسات أو محاورات بين العلماء مختلفة الطول، تبحث كل واحدة منها في موضوع مستقل، من موضوعات الفلسفة والأخلاق والإلهيات والطبيعة وقضايا النفس الإنسانية. وقد جاءت في قالب أدبي تكثر فيه الملح والنوادر.

وله كذلك كتاب «الهوامل والشوامل» وهو يتألف من أسئلة في موضوعات أدبية واجتماعية وفلسفية وأخلاقية ونفسية ولغوية وجهها أبو حيان إلى مسكويه فأجاب عنها، وهو يدلنا على ما كان يشغل ذهن العلماء في ذلك العصر من قضايا المعرفة، وبخاصة المعرفة اليونانية، التي صبغت بالصبغة العربية الإسلامية.

ومن كتبه الذائعة «أخلاق الوزيرين»، وقد تعددت أسماء هذا الكتاب فهو «مثالب الوزيرين» و«ذم الوزيرين» و«أخلاق الوزيرين». ألفه بأثر من الخصومة مع الوزيرين ابن العميد والصاحب ابن عباد، وهو تحفة أدبية ثمينة، يهجو فيه الوزيرين ويصف أحوالهما وأخلاقهما، مع التحامل عليهما والغض من شأنها وبخاصة ابن عباد، حتى لقد عد هذا الكتاب أهجا ما أثر من النثر العربي على الإطلاق.(٣٩).

ومن كتب أبي حيان كذلك «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية» وهو كتاب في التصوف، ضمنه أبو حيان خلاصة تجاربه الروحية، ويغلب على أسلوبه الرمز والغموض والإشارات والألغاز، وقد وصفه عبد الرحمن بدوي بقوله: «إن الكتاب يعبر عن نفس دلفت إلى الإيمان المستسلم بعد أن عانت من تجارب الحياة أهوالًا طوالًا))(٤٠).

وارتفع أسلوبه فيه إلى درجة لم يبلغها أحد من المتصوفة من قبل.وله من الكتب والرسائل أيضًا «الصداقة والصديق»، و«رسالة في علم الكتابة» وهي بحث صغير كتبه التوحيدي الذي مارس مهنة الوراقة ردحًا طويلًا من الزمن، تحدث فيه عن الكتابة وأنواع الخطوط العربية وأنواع الأقلام، ومعاني الخط وغيرها. و «رسالة في ثمرات العلوم»، و«رسالة الحياة)) (٤١).

أحرق كتبه:

كانت العرب قديمًا تقول لمن ساء حاله ووقع في حبائل العوز والحاجة والفقر: «أدركته حُرْفَةُ الأدب»، وكأن رجال الأدب هم أشد الناس فقرًا على مر الزمان حتى صاروا مضرب المثل في شدة الحاجة والحرمان؛ حتى قال شاعرهم:

لَقَد عَلِمتُ وَما لي ما أَعيشُ بِهِ
أن التي أَدْرَكَتْني حُرْفَة الأَدَبِ

والجدير بالذكر أن كلمة «حُرفة» بضم الحاء لا بكسرها، خلافًا لما ذاع على ألسنة الأدباء والكتاب؛ وذلك لأن «حُرفة» بالضم تعني الحرمان والفقر وسوء الحظ وهي أدل على المراد.

وقد أصابت حُرفة الأدب هذه صاحبنا أبا حيان، إذ نشأ يتيمًا في عائلة فقيرة من عائلات بغداد، يعاني شظف العيش ومرارة الحرمان. وحين شب عن الطوق، امتهن حرفة الوراقة، وكان يسميها «حرفة الشؤم». فعلى الرغم من أنها أتاحت له التزود بالمعارف العظيمة التي جعلت منه مثقفًا موسوعيًا فإنها لم ترضِ طموحه، ولم تلبِ حاجاته فانصرف عنها إلى الاتصال بكبار رجال السلطة في عصره من أمثال ابن العميد والصاحب بن عبّاد والوزير المهلبي يتكففهم، وهو عارف بأن استجداءهم ضرب من ضروب المذلة الفادحة، فعل ذلك ربما لجهله بمكانته الأدبية، وكان يعود في كل مرة صفر اليدين، خائب الآمال، ناقمًا على عصره ومجتمعه(٤٢).

وللرجل نصوص منتشرة في كُتبه تقطر مرارة وألمًا من شدة الشكوى من الفقر والعوز والحرمان، ومن الحياة والناس، استمعوا إليه في آخر كتابه «الإمتاع والمؤانسة» يخاطب صديقه أبا الوفاء المهندس: «خلّصني، أيها الرجل، من التكفّف، أنقذني من لبس الفقر، أطلقني من قيد الضُّر، اشترني بالإحسان، اعتبدني بالشكر، اكفني مؤنة الغَداء والعَشاء. إلى متى الكُسَيرة

بعض الذين أصابتهم حرفة الأدب في الحضارة العربية الإسلامية

اليابسة، والبُقَيْلة الذاوية، والقميص المرقَّع؟... إلى متى التأدّم بالخبز والزيتون؟ والله قد بُحّ الحَلْق، وتغيّر الخَلْق، اللهَ اللهَ في أمري!... أيها الكريم، ارحم! والله ما يكفيني ما يصل إليّ في كل شهر من هذا الرزق المقتَّر الذي يرجع بعد التقتير والتيسير إلى أربعين درهمًا، مع هذه المؤونة الغليظة، والسفر الشاق، والأبواب المحبَّبة، والوجوه المقطّبة، والأيدي المسمَّرة، والنفوس الضيّقة، والأخلاق الدنيّة)) (٤٣).

ويبدو أن أحدًا لم يُصغِ إلى توسلاته وصرخاته، ولم يتحقق له ما يريد فبلغ به اليأس مبلغه، فأحرق كتبه ومؤلفاته، وقال حينها: «إني جمعت أكثرها للناس لطلب المثالة منهم، ولعقد الرياسة بينهم، ولمد الجاه عندهم، فحُرِمْتُ ذلك كله... لقد أمسيتُ غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النِّحلة، غريب الخِل، مستأنسًا بالوَحشة، قانعًا بالوحدة، معتادًا للصمت، ملازمًا للحَيرة، محتملًا للأذى، يائسًا من جميع ما ترى))(٤٤).

ولما لامَه بعض الفضلاء في حرق كتبه قال: «وكيف أتركها لأناس جاورتُهم عشرين سنة فما صحّ لي من أحدهم وداد، ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، ولقد اضطررتُ بينهم، بعد الشهرة والمعرفة، في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء، وإلى التكفّف الفاضح عند الخاصة والعامة، وإلى بيع الدين والمروءة، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق(٤٥) وذكر في هذا السياق نفرًا من الفضلاء وأهل العلم سبقوه إلى مثل هذا الصنيع ومنهم أبو عمرو بن العلاء الذي دفن كتبه في بطن الأرض، وداود الطائي الذي طرح كتبه في البحر، وأبو سليمان الداراني الذي جمع كتبه في تنور وأحرقها بالنار، ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك.

وهكذا كان أبو حيان الأديب الفيلسوف أشهر الذين أدركتهم حُرفة الأدب، ويصدق عليهم القول الشهير: «لا كرامة لنبي في قومه». حتى إن ياقوت الحموي عجب من تجاهل الناس له فقال: «ولم أرَ أحدًا من أهل العلم ذكره في كتاب، ولا دمجه في ضمن خطاب، وهذا من العجب العجاب)) (٤٦).

هذه حال التوحيدي ووصفها عن المعاصرين فإن الحالة قد اختلفت عند المتأخرين وهم عرفوا له مكانته ، وذهبوا يخصصون الكتب والمؤلفات ، ويضعونه في المرتبة العليا التي هو جدير بها بين في إطار الثقافة الإسلامية في عصورها الزاهرة(٤٧)..

١٠.ابن فخر الملك الملقب بالأشرف (ت، ٤٥٥هـ/١٠٦٤)

أدركت حرفة الأدب ابن فخر الملك الأشرف حين ذهب ألى مدينة أصفهان قادماً من بغداد لكي يقابل الأمير ابن كاكويه وكان يعتقد خيراً وحين وصل مدينه اصفهان وأقام فيها تذكر أيام النعمة والرفاهية التي كان ينعم بها في مدينة السلام بغداد فتواصل مع أخيه عن طريق الرسائل وكان أخيه يسمى الأعز بن فخر الملك لغرض استعطافه والتوسل به من خلال قصائد من الشعر وهي توصف بالحزن الشديد ،ولما قرأ شعر أخيه الأشرف عطف قلبه على وضع أخيه الحزين وقد أرسل إليه ألفان دينار ، وقام بكتابة رسالة تحتوي بيتا للشاعر لبيد ابن ربيعة (ت ،٤١هـ/ ٦٦٢م):

فاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ المليكُ فَإِنَّمَا
قَسَمَ المعايشَ بَيْنَنَا عَلّامُها»!

ولأيمكن أن نتناسى أبيات الشعر الحزين من قبل أخيه الأعز، كي يقدم صورة مأساويه يظهر ويفصل لنا قلق المصابين بحرفة الأدب ، وعدم قدرتهم عن البحث تحليل فلسفي لهدم أحلامهم ورغبتهم بالعيش والرفاهية فهو يقول :

إن الذي قـسم الوراثة بيننا
جعل الحلاوة والمرارة فينا
إن كنتَ أنت أخي فقل لي يا أخي
لِمْ بتَّ جَذْلانا وبتُّ حزينا؟

وقد كانت نهاية الأشرف موته موته فجائية في صورة حافلة من الحزن ، فقد مات على مائدة وليمة قام بها أمير الموصل شرف الدولة مسلم بن قريش (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) الذي ذهب اليه

«لكي يحصل جزء من العطايا الذي يقدمها له امير الموصل (٤٨).

١١.الشاعر أبو بكر بن عمار ت،٤٧٧هـ/١٠٨٤م)

هو ذو الوزارتين أبو بكر محمّد بن عمّار بن الحسين بن عمّار المهريّ، نسبة إلى مهرة و هي قبيلة عربية من قضاعة؛ و يقال له أيضا الشلبيّ و الأندلسيّ.

ولد ابن عمّار سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) في قرية شنّبوس قرب شلب (في الجنوب الغربيّ من الأندلس) .انتقل ابن عمّار إلى شلب ثمّ رحل إلى قرطبة في طلب العلم.

و قد بدأ ابن عمّار حياته العمليّة بالتّطواف في البلاد يمدح أشخاصا مختلفي المراتب في الهيئة الاجتماعية؛ غير أنّه فيما يبدو لم ينل حظوة في بلاط من بلاطات ملوك الطوائف لكثرة الشعراء في ذلك الحين. و أول حظوة نالها كانت لدى المعتضد عبّاد ملك إشبيلية، و كان المعتضد قد حارب ابن الأفطس ملك بطليوس و انتصر عليه فجاء إليه ابن عمّار، سنة ٤٤٥ هـ(١٠٥٣ م) ، و مدحه بقصيدة رائية بارعة. و عرف ابن عمّار، في بلاط إشبيلية، المعتمد بن عبّاد المعتضد-و كان لا يزال أميرا-و توثّقت الصّلة بين الشابّين الشاعرين، فقد كان يجمع بينهما في الحياة حبّ اللّهو و نزعة الطّموح و التّوسّل بالمكائد إلى بلوغ المآرب(٤٩).و أدرك المعتضد أنّ حال ابنه المعتمد و حال شاعره ابن عمّار ذواتا خطر على ملكه فأحاطهما برقابة شديدة؛ ثمّ إنّه أبعد ابن عمّار عن إشبيلية، سنة ٤٥٠ (١٠٥٨ م) ، فمضى ابن عمّار يتنقّل في البلاد: زار المريّة ثمّ السّهلة ثمّ استقرّ في سرقسطة عند بني هود.و في سنة (٤٦١ هـ/١٠٦٩ م) توفّي المعتضد فخلفه ابنه المعتمد فأسرع المعتمد باستدعاء صديقه القديم ابن عمّار. و أحبّ ابن عمّار أن يتولّى مدينة شلب فولاّه المعتمد عليها. ثمّ إنّ المعتمد استدعى ابن عمّار من شلب وشيكا و ولاّه الوزارة.

و أخذ ابن عمّار و المعتمد بن عبّاد يضعان الخطط لانتزاع المدن من ملوك الطوائف (راجع ترجمة المعتمد بن عبّاد)و هم في ذلك يستظهرون بملوك الإسبان على إخوانهم المسلمين-فنشأ في نفس ابن عمّار ناشئة من الاستبداد(٥٠).

ففي سنة ٤٧١ هـ (١٠٨١-١٠٨٢ م) استولى ابن عمّار باسم المعتمد على مرسية فأخذ يتصرّف بها و كأنّه مستقل. ثمّ إنّه تمرّد على المعتمد و استبدّ بالمدينة. ثمّ زاد طموح ابن عمّار، و كانت أحوال طليطلة مضطربة، فسار من مرسية محاولا الاستيلاء على طليطلة بطريقة يمتزج فيها الخداع بالحرب فلم ينجح. و انتهز ابن رشيق، قائد ابن عمّار و خليفته على مرسية، هذه الفرصة و استبدّ بالمدينة. و لمّا لم يستطع ابن عمّار أن يعود إلى مرسية لجأ إلى سرقسطة و عاش في كنف ملكها المؤتمن بن هود (٤٧٤-٤٧٨ هـ) . و اتّفق أن تمرّد أحد أتباع المؤتمن بن هود في حصن من الحصون، فاقترح ابن عمّار على المؤتمن أن يعيد التابع المتمرّد إلى الطاعة. و استطاع ابن عمّار أن يعيد تلك القلعة إلى سلطان المؤتمن. ثمّ تمرّد بنو سهيل في قلعة شقورة ،فجاء ابن عمّار ليعيد هذه القلعة أيضا إلى سلطان المؤتمن و لكنّ بني سهيل خدعوا ابن عمّار و قبضوا عليه و ألقوه في السجن، في ربيع الأول من سنة ٤٧٧ هـ (آب-أوغسطس ١٠٨٤ م) ثمّ باعوه للمعتمد بن عبّاد، في حديث طويل، بمبلغ كبير من المال. و ألقي ابن عمّار في سجن إشبيلية مدّة يسيرة ثمّ دخل عليه المعتمد بن عبّاد و قتله بيده. (٥١).وقد امتحن هذا الشاعر الاندلسي بمحنة الادب ومأل مصيره اليه .

و برغم القسوة التي نسبت إلى المعتمد بن عبّاد، فإنّ قلوب الناس لم ترقّ لمقتل ابن عمّار، و خصوصا بعد أن اشتهر عنه أنّه كان يداخل ملوك الإسبان لانتزاع المدن من أيدي ملوك الأندلس حتّى يستبدّ هو بحكم تلك المدن أو حتّى يضيفها إلى ملك بني عبّاد أو حتّى تخرج من يد أصحابها المسلمين لتدخل في حكم الإسبان. و لقد عبّر عبد الجليل بن عبدون عن عاطفة الصداقة الّتي يكنّها نحو ابن عمّار إلى جانب النّفور من

بعض الذين أصابتهم حرفة الأدب في الحضارة العربية الإسلامية

خياناته حينما رثاه فقال:

عجباً له! أبكيه ملء مدامعي
و أقول: لا شلّت يمين القاتل!

كان لابن عمّار الأندلسيّ ذكاء مفرط و طموح بعيد و ثقافة واسعة و اختبار كثير، غير أنه كان قليل المبالاة بالعرف و بالمثل العليا عند السّعي لتحقيق مآربه في الحياة (٥٢).

و ابن عمّار شاعر. مطبوع مكثر ضاع قسم من شعره، و يقال إنّه قد أحرق هجاءه قبل موته. و شعره فصيح اللفظ متين السّبك مشرقيّ الديباجة في الأكثر مع شيء من الرشاقة الأندلسية. و هو يعتمد الصورة الحسّيّة و التعبير الرّصين عن الفكرة لإبراز أغراضه. و لا تراه يتكلّف الصناعة؛ و إذا هو فعل ذلك واتته الصورة الحسّيّة ثم أخطأ هو الصناعة البحت، ففي قوله مثلا: (٥٣).

يوم تكاثف غيمه فكأنّه
دون السماء دخان عود أخضر
و الطّلّ مثل برادة من فضّة
منثورة في تربة من عنبر
و الشّمس أحياناً تلوح كأنّها
أمة تعرّض نفسها للمشتري

لا تتأتّى له التّورية بين المشتري(الذي يدفع المال في السلعة المبيعة) و بين المشتري (الذي هو كوكب من الكواكب السيّارة) ، لأنّ المشتري نجم بعيد قلّ أن يرى بالعين المجرّدة؛ و أما إذا أردنا أن ننظر في التورية من حيث صلتها بالشمس (في النّهار) فإنّ هذه التورية تفقد حينئذ قيمتها. و كذلك الصورة في البيت الثاني غير صحيحة: إنّ الطّلّ (النّدى) يكون في الليالي الباردة جامدا على الأغصان، و لكنّه إذا سقط على الأرض فيكون قد ذاب و اصبح ماء فلا يمكن أن يبقى حينئذ بلّورات (برادة من فضّة) حتّى يبدو و كأنّه فتات من الفضّة منثور على أرض من العنبر (الأسود أو الأسمر) ! (٥٤).و فنون شعر ابن عمّار المدح و العتاب و الإخوانيّات و الهجاء و الوصف و النسيب و الغزل مع شيء من المجون أحيانا.

مختارات من شعره (٥٥):

- قال ابن عمّار الأندلسيّ يمدح المعتضد عبّادا لمّا لقيه للمرّة الأولى:

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى
و النّجم قد صرف العنان عن السّرى
و الصّبح قد أهدى لنا كافوره لمّا
استردّ الليل منه العنبرا
و الرّوض كالحسنا كساه زهره
وشيا، و قلّده نداه جوهرا
روض كأنّ النّهر فيه معصم
صاف أطلّ على رداء أخضرا
و تهزّه ريح الصّبا فتخاله
سيف ابن عبّاد يبدّد عسكرا
ملك يروقك خلقه أو خلقه
كالرّوض يحسن منظرا أو مخبرا
وصبغت درعك من دماء ملوكهم
لمّا رأيت الحسن يلبس أحمرا
و لئن وجدت نسيم حمدي عاطرا
فلقد وجدت نسيم برّك أعطرا (٥٦).

وقال ابن عمّار في هجاء المعتضد و ابنه المعتمد(٥٧).

مّا يقبّح عندي ذكر أندلس
سماع معتضد فيها و معتمد
أسماء مملكة في غير موضعها
كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد

١٢.الوزير ظهير الدّين أبو شُجاع الرُّوذرَاوَريّ. (ت،٤٨٨ هـ/ ١٠٥٦م) .

وَزَرَ للمقتدي بالله بعد عزْل عميد الدّولة منصور بن جهير سنة ستٍّ وسبعين، وصُرِف سنة أربعٍ وثمانين، وأُعيد ابن جَهِير، بحرفة الأدب هو الآخر، إذ عزل عن الوزارة وقيل فيه

تولّاها وليس له عدوّ
وفارقها وليس له صديق(٥٨)

ثمّ إنّه حجّ وجاوَرَ بالمدينة إلى أن مات بها كَهْلًا. وكان ديِّنًا عالمًا، من محاسن الوزراء.قال العِماد الكاتب: لم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدّين والشَّرع مثله.وقد امتحن بحرفة الأدب وكان عصره أحسن العصور(٥٩).

قال صاحب«المرآة»:ولمّا ولي وزارةَ المقتدي كان سليمًا من الطَّمع في المال، لأنّه كان يملك حينئذٍ ست مائة ألف دينار، فأنفقها في الخيرات

والصَّدقات. قال أبو جعفر الخرْقيّ: كنتُ أنا واحدًا من عشرة نتولّى إخراج صَدَقَاته، فحسبْت ما خرج على يديّ، فكان مائة ألف دينار.وكان يبيع الخطوط الحَسَنة، ويتصدَّق بها، ويقول: أنا أَحَبّ الأشياء إليَّ الدّينار والخطّ الحسن، فأنا أتصدَّق بمحبوبي لله.وجاءته قصةٌ بأنّ امرأةً وأربعة أيتام عرايا، فبعث من يكسوهم، وقال: والله لا ألبس ثيابي حتّى ترجع إليَّ الخبر، وتعرَّى، فعاد الغلام وهو يرعد من البرد. وكان قد ترك الاحتجاب ويكلِّم المرأة والصّبيّ، ويحضر مجالسه الفقهاءوالعوامّ، لا يمنع أحدًا. وأُسقطت المُكُوس في أيّامه، وألبسَ أهل الذّمّة الغيار. ومحاسنه كثيرة، وصَدَقَاته غزيرة، وتواضعه أمر عجيب (٦٠)

الخاتمة:

١.إن هذه الشخصيات من الأعلام والشعراء والكتاب والوزاراء المذكورين في البحث والذين امتحنوا بحرفة الأدب في تاريخنا الإسلامي تكشف أهمية هذه الظاهرة في إطارها الأدبي المعلن في المقولة المشهورة والحتمية في حرفة الأدب

٢.ان حرفة الادب تنجم عن مجموعة من المتغيرات السياسية وصراعات قوية شهدتها الخلافة العربية الإسلامية وبالتالي لم تكن عوامل نكبة أولئك الذين يصابون بمحنة حرفة الأدب بل احتوت على آفة الوزارة وما يترتب عليه من منافسات وتكتلات وصراعات في زوايا السلطة .

٣.إن حتمية حرفة الأدب التي أصابت هؤلاء التي ذكروا في البحث ذات مهن مختلفة والذين امتهنوا بعد ذلك مهنة الأدب ولكن سرعان ما أصيب بحرفة الأدب وبالتالي أصيب بالشؤم والفقر وأصبح وضعه مزري بل وفقد حياته أحياناً ممّا عرض من الشخصيات في هذا البحث.

الهوامش:

(١)الوطواط ،أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي (المتوفى: ٧١٨هـ) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى(بيروت - لبنان ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م)ص٢٠٤

(٢)ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ،(قم ، إيران ١٤٠٥ هـ) ج ٩ ،ص ٤٤

(٣)يقال: أحرف الرجل إحرافًا، إذا نما ماله وكثر، والاسم الحرفة من هذا المعنى. قال قطرب: والحرفة عند الناس: الفقر وقلة الكسب، وليست من كلام العرب، إنما تقولها العامة

(٤)الرافعي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان،(مصر،١٩٩٧)،ج١،ص٢٣

(٥)عبد الله بن المقفع: أحد المشهورين بالكتابة والبلاغة، والترسل والبراعة [زاد في «سير أعلام النبلاء»: أحد البلغاء والفصحاء، ورأس الكتاب، وأولي الانشاء، من نظراء عبد الحميد الكاتب.وكان فارسيًّا فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح وهو كهل، ثم كتب له واختص به، ينظر عبد الله بن المقفع (المتوفى: ١٤٥هـ) الأدب الصغير قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: وائلُ بْنُ حَافِظِ بْنِ خَلَفٍ الناشر: دار ابن القيم (الإسكندرية، د.ت)ج ١، ص١٤

(٦)الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث (بيروت،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)ج٦ ، ص١١.

(٧)ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار صادر (بيروت ، ١٩٠٠)ج٢، ص١٠١

(٨)ابن خلكان،، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ص٥٢

(٩)ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت، ٨٥٢هـ) لسان الميران ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى،(بيروت ، ٢٠٠٢ م)ج٢ ،ص ٣٤٠

(١٠)دعبل الخزاعي ،ديوان دعبل الخزاعي، شرحه وضبطه وقدم له ضياء حسين الأعلمي، امنشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت ،١٩٩٧)،ص ٩

(١١)أبي الفرج الأصفهاني(ت، ٣٥٦ هـ)، الأغاني، تحقيق : سمير جابر، الطبعة الثانية ، دار الفكر (بيروت ، د ت)ج ٢٠ ص ١٣١.

(١٢)الأصفهاني ،الأغاني ج ٢٠ ص ١٣١.

(١٣)محسن الأمين ،أعيان الشيعة تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات (بيروت،د ،ت)ج٦ ص٤٠٦.

(١٤)دعبل الخزاعي ،ديوان دعبل الخزاعي، ص١٠-١٢

(١٥)ابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ = ٨٦١ - ٩٠٩ م)عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم. وصنف كتبا، منها «الزهر والرياض» و «البديع - ط» و «الآداب» و «الجامع في الغناء» و «الجوارح والصيد» و «فصول التماثيل - ط» و «حلى الأخبار» و «أشعار الملوك» و «طبقات الشعراء - ط» وجاءته النكبة من حيث يسعد الناس: آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد فخلعوه، وأقبلوا على صاحب الترجمة، فلقبوه «المرتضي بالله» وبايعوه بالخلافة، فأقام يوما وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه. وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه. وللشعراء مراث كثيرة فيه. وله «ديوان شعر - ط» في جزأين. ومما كتب في سيرته «ابن المعتز وتراثه في الأدب - ط» لمحمد خفاجة، و «عبد الله ابن المعتز، أدبه وعلمه - ط» لعبد العزيز سيد الأهل ينظر في نرجمته ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت ، ٤٥٦ ه- ١٠٦٣ م) جمهرة انساب العرب ،تحقيق : ليفي بروفنسال (مصر، ١٣٦٨ ه – ١٩٤٨ م) ص ١٥ – ٢٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٣ ، ص ٧٦ ؛ الزركلي خير الدين ،الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين الجزء الرابع دار العلم للملايين، بيروت ، د ت)ج٤،ص١١١؛ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ـالعصر العباسي الثاني،دار المعارف (القاهرة ، ١٩٧٣)ص٣٤٧-٣٥٢

(١٦)الوطواط ،غرر الخصائص، ص٢٠٦

(١٧)الوطواط ،غرر الخصائص، ص٢٠٦

(١٨)ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ، ٧٧٤ ه/ ١٣٧٢ م) البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي (مصر، ١٤١٩ ه/ ١٩٩٨ م)ج ٤ ، ص ٧٤

(١٩)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٢١

(٢٠)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٢٣

(٢١)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٢٤

(٢٢) ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، ٦٢٦هـ) ، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى (بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣)ج٢ ، ص٢٤٨

(٢٣)مكسور (إحدى القوائم: يعرج-بفتح الراء) . عقير: معقور (مجروح جرحا مزمنا لا يندمل) . مضرور: به ضر (مريض، سقيم، ضعيف ضعفا عاما، عاجز عن الحمل و الجري)

(٢٤)من بعد كل (حصان) أمين الرسغ: متين، قوي الرسغ (المفصل الذي بين حافر الحصان و قائمته) . معترض: يمر (يركض مسرعا) عارضا على جنب واحد (لكثرة نشاطه لا يستطيع راكبه أن يسيطر عليه)

(٢٥) أخنى علي: جار علي، ظلمني (أفقرني و أتعسني) . بتضييق (مذاهبي في طلب الرزق) و تقتير (قلة رزقي من الأوجه التي أعمل فيها: التكسب بالشعر و بالغناء) .

(٢٦) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء،ج٢ ، ص٢٤٨؛ عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، دار العلم للملايين; (بيروت، ١٩٨١)،ج٢ ، ص٤٢٤-٤٢٦

(٢٧)ترجمته ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى،(بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)ج «٦،ص ٣٠٩»؛ ابن خلكان ووفيات الأعيان ج «٥،ص ٦٩٨»؛ ابن خلدون ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق ابوصهيب الكرمي ، بيت الافكار ،(الاردن ، دت)ج «٢،ص٢١١»؛ ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب،(مصر،د.ت)ج«٣،ص ٢٦٨»؛ الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري ، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تحقيق ، محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط الطبعة: الأولى (دمشق ، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦ م)ج«٢،ص ٣١٠».

(٢٨)الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء ،دار الحديث(القاهرة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)ج١١، ص٤٦٠-٤٦١

(٢٩)الذهبي ،سير اعلام النبلاء ،ج١١، ص٤٦٠

(٣٠)الذهبي ،سير اعلام النبلاء ،ج١١، ص٤٦٠
(٣١)الذهبي ،سير اعلام النبلاء ،ج١١، ص٤٦٣
(٣٢) الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص١٩٦
(٣٣)عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) علم البديع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،(بيروت – لبنان ،د .ت)ج١ ، ص٢١
(٣٤) عبد العزيز عتيق ،علم البديع ، ج١ ، ص٢١
(٣٥)الْبَغْدَادِيّ ،إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد أَمِين (الْمُتَوفَّى: ١٣٩٩هـ)ا هَدِيَّة العارفين أَسمَاء المؤلفين وآثار المصنفين ، طبع بعناية وكَالَة المعارف الجليلة فِي مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١أعادت طبعه بالأوفست: دَار إِحْيَاء التراث الْعَرَبِيّ (بيروت ، لبنان ،د ت،) ج٢ ، ص٦٠ .
(٣٦) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق ونشر أحمد أمين والسيد أحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥،ج١، ص ٣٠٥
(٣٧) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٢، ص ٢٧٩.
(٣٨)القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت،٦٤٦ هـ) إخبار العلماء بأخبار الحكماء تحقيق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى(بيروت – لبنان ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)ص ٣٨٣.
(٣٩) لقفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٨٣.
(٤٠) لقفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٨٣.
(٤١) لقفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٨٣.
(٤٢) لقفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٨٣.
(٤٣)أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، الطبعة الاولى (بيروت ، دت) ، ص ٤١٣
(٤٤)أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، دار الفكر المعاصر، سورية، تحقيق إبراهيم الكيلاني ط١،(سورية ١٩٩٨،) ص ٣٤
(٤٥)أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص١٩
(٤٦)ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، (بيروت،١٩٩٣) ج ٥، ص ١٩٢٤.ص، ١٩٢
(٤٧)الثعالبي ،عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور(ت: ٤٢٩هـ) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب دار المعارف (القاهرة، د. ت)ص١٣٣
(٤٨)العباسي ،عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح (ت ٩٦٣هـ) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب(بيروت، دت)ص٣٥
(٤٩)عمر فروخ تأريخ الأدب العربي، ; دار العلم للملايين (بيروت; ١٩٨١)ج٤،ص٦٣٨
(٥٠)عمر فروخ تأريخ الأدب العربي،ج٤،ص٦٣٩
(٥١)عمر فروخ تأريخ الأدب العربي،ج٤،ص٦٤٠
(٥٢)عمر فروخ تأريخ الأدب العربي،ج٤،ص٦٤٢
(٥٣)عمر فرّوخ،تأريخ الأدب العربي،ج٤،ص٦٤٣
(٥٤)عمر فرّوخ،تأريخ الأدب العربي،ج٤،ص٦٤٤
(٥٥)عمر فرّوخ،تأريخ الأدب العربي،ج٤،ص٦٤٥
(٥٦)عمر فرّوخ،تأريخ الأدب العربي،ج٤،ص٦٤٨
(٥٧)ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج٢ ، ص٣٧١
(٥٨)الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد (المتوفى: ٧٤٨هـ) تاريخ الاسلام ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ،(بيروت، ٢٠٠٣ م) ج١٠ ، ص٦٠٦
(٥٩)المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٦٠٦
(٦٠)الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج١٠ ، ص٦٠٦

المصادر والمراجع

١.أبو الفرج الأصفهاني(ت، ٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق : سمير جابر، الطبعة الثانية ، دار الفكر (بيروت، د ت)
٢.الامين محسن ،أعيان الشيعة تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات (بيروت،د ،ت)
٣.الْبَغْدَادِيّ ،إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد أَمِين (ت: ١٣٩٩هـ) ا هَدِيَّة العارفين أَسمَاء المؤلفين وآثار المصنفين ، طبع بعناية وكَالَة المعارف الجليلة فِي مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١أعادت طبعه بالأوفست: دَار إِحْيَاء التراث الْعَرَبِيّ (بيروت ، لبنان ،د ت،)
٤.ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب،(مصر،د.ت)
٥. الثعالبي ،عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور(ت: ٤٢٩هـ) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب دار المعارف (القاهرة، د. ت)
٦.ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى،(بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)

٧.ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت، ٨٥٢هـ) لسان الميران ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى،(بيروت ، ٢٠٠٢ م)
٨.ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت ، ٤٥٦ ه / ١٠٦٣ م) جمهرة انساب العرب ،تحقيق : ليفي بروفنسال (مصر، ١٣٦٨ ه – ١٩٤٨ م)
٩. الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري ،(ت: ١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تحقيق ، محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط الطبعة: الأولى (دمشق ، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦ م)
١٠.أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، الطبعة الاولى (بيروت ، دت)
١١. أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، دار الفكر المعاصر، سورية، تحقيق إبراهيم الكيلاني ط١،(سورية ،١٩٩٨)
١٢.أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق ونشر أحمد أمين والسيد أحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥،
١٣.ابن خلدون ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق ابوصهيب الكرمي ، بيت الافكار ،(الاردن ، دت) «
١٤.ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار صادر (بيروت ، ١٩٠٠)
١٥. دعبل الخزاعي ،ديوان دعبل الخزاعي، شرحه وضبطه وقدم له ضياء حسين الأعلمي، امنشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت ،١٩٩٧)،
١٦.الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ا ت: ٧٤٨هـ) تاريخ الاسلام ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ،(بيروت ، ٢٠٠٣ م)
١٧.الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء ، دار الحديث(القاهرة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)
١٨.الرافعي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان،(مصر،١٩٩٧)
١٩.الزركلي خير الدين ،الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين الجزء الرابع دار العلم للملايين، بيروت ، د ت)
٢٠.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ـالعصر العباسي الثاني،دار المعارف (القاهرة ، ١٩٧٣)
٢١.الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث (بيروت،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)
٢٢.العباسي ،عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح (ت ٩٦٣هـ) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب(بيروت، دت)
٢٣.عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ) علم البديع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،(بيروت – لبنان ،د .ت)
٢٤.عمر فروخ تأريخ الأدب العربي، ; دار العلم للملايين (بيروت; ١٩٨١)
٢٥.القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت،٦٤٦ هـ) إخبار العلماء بأخبار الحكماء تحقيق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى(بيروت – لبنان ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)
٢٦.ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ، ٧٧٤ ه/ ١٣٧٢ م) البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي (مصر، ١٤١٩ ه/ ١٩٩٨ م)
٢٧. ابن المقفع ،أبو مُحمّد عبد الله بن المقفع (ت: ١٤٥هـ) الأدب الصغير قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: وائِلُ بْنُ حَافِظِ بْنِ خَلَفٍ الناشر: دار ابن القيم (الإسكندرية، د.ت)
٢٨.ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ،(قم ، إيران ١٤٠٥ هـ)
٢٩. الوطواط ،أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي (ت:٧١٨هـ) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى(بيروت – لبنان ،١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م)
٣٠. ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، ٦٢٦هـ) ، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى (بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣)

بعض الذين أصابتهم حرفة الأدب في الحضارة العربية الإسلامية

الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمرأة الإيرانية ١٩١١م – ١٩٢٥م

م . د. صادق فاضل زغير الزهيري
وزارة التربية / مديرية تربية بغداد الرصافة / ٣

الملخص :

لم تنل المرأة الإيرانية كافة حقوقها في العهود السابقة ، بيد أن دخول البعثات التبشيرية الأمريكية والأوربية ، وإكمال عدد من النساء والرجال لتعليمهم في أوربا خلال أواخر العهد القاجاري ، قد أسهم بشكل أو بآخر في المطالبة بنيل المرأة حقوقها كافة ، ومنها حق التعليم والعمل وتشكيل الجمعيات ، وحق التصويت والترشيح في الانتخابات النيابية ، بل وحتى العمل في المجال السياسي ، وكانت الثورة الدستورية (١٩٠٥م – ١٩١١م) البداية الحقيقية للمجاهرة بتلك الحقوق ، وعندما انتهت الثورة الدستورية عام ١٩١١م، اندفعت المرأة في ايران في تشكيل وتأسيس الصحف وازدادت أعداد الفتيات اللواتي التحقن بالمدارس لتلقي تعليمهن .

Abstract:

Iranian women did not obtain all their rights in previous eras, but the entry of American and European missionaries, and the completion of their education by a number of women and men in Europe during the late Qajar era, contributed in one way or another to the demand for women to obtain all their rights, including the right to education, work and the formation of associations. And the right to vote and be elected in parliamentary elections, and even to work in the political field. The Constitutional Revolution (1905-1911) was the real beginning of professing those rights. When the Constitutional Revolution ended in 1911, women in Iran rushed to form and establish newspapers, and the number of girls who attended schools to receive their education.

المقدمة :

كان للمرأة الإيرانية دوراً مهماً في الأحداث التي شهدتها ايران منذ وقت مبكر في تاريخها الحديث ، وكانت سنداً للرجل في ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وعلى الرغم من ذلك فان الحركة الدستورية (١٩٠٥م– ١٩١١م) لم تنصفها ، ولم تمنحها حق المشاركة في الترشح لمجلس الشورى الايراني ، أو حق التصويت في الانتخابات على أقل تقدير ، ويعزى ذلك الى العادات والتقاليد السائدة في المجتمع آنذاك ، بل الأكثر من ذلك إن المرأة في الكثير من دول العالم المتقدمة وقتذاك ، لم تمنح المرأة هذا الحق فلا عجب أن كانت الحالة كذلك في إحدى دول الشرق الأوسط . سلطت الدراسة الضوء على إسهامات المرأة الإيرانية في الميادين الاجتماعية والسياسية والثقافية ، عن طريق الجمعيات واللجان النسوية التي شكلت ميداناً هاماً بذلت فيه المرأة جهودهاً الكبيرة لمساندة أبناء شعبها في كافة المناسبات الوطنية .قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة محاور وخاتمة ، جاء المحور الأول لتسليط الضوء على الأنشطة الاجتماعية (الوطنية) والثقافية،والتي مارستها خلال العهد القاجاري وحتى عام ١٩١١م ، بينما تعرض المحور الثاني للجمعيات النسوية التي تأسست في ايران للمدة (١٩١١م – ١٩٢٥م)، فيما جاء المحور الثالث لتسليط الضوء على الصحف النسوية في المدة(١٩١١ م– ١٩٢٥م) فيما سلط المحور الرابع الضوء على تعليم النساء خلال المدة (١٩١١ م– ١٩٢٥م) .

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الوثائق الفارسية المنشورة وعلى عدد كبير من المصادر الفارسية ، فضلاً عن ذلك فإن هذه الدراسة لم تغفل عن الصحف النسوية المعاصرة للأحداث الواقعة ضمن مدة الدراسة ، فشكلت بذلك عنصراً هاماً في ثنايا الدراسة ، كونها وثائق ناطقة باسم الجمعيات النسوية الايرانية .

لمحة تاريخية عن الواقع الاجتماعي للمرأة الايرانية حتى عام ١٩٠٥

اقتصر نشاط النساء الإيرانيات خلال العهد

الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمرأة الإيرانية ١٩١١ – ١٩٢٥

القاجاري، على بعض الفعاليات الاجتماعية، مثل المشاركة في التجمعات الخيرية والمناسبات الدينية وممارسة الحرف اليدوية والزراعة، وذلك لأن العادات والتقاليد الاجتماعية كانت تحتم على المرأة ذلك الأمر في حين أن نساء البلاط الملكي زاولن العمل السياسي بشكل غير مباشر(١).

ومن تلك الشخصيات كانت تاجور سلطانية بنت ناصر الدين الشاه(٢) ، والتي استنتجت أن السبب الرئيس لمعاناة المرأة الإيرانية يكمن في حالة الجهل والأمية التي نشأت عليها، وأشارت بيبي خانم الاسترابادي، إلى واقع المرأة المتخلف وإلى الأمية التي تفشت بين النساء ، وتسلط الرجال بشكل قسري، لذلك دعت إلى ضرورة تعميم التعليم بين النساء(٣).

وعلى رغم القيود الاجتماعية فقد شاركت المرأة الإيرانية في العديد من القضايا المهمة التي مرت على إيران، لعل أبرزها المشاركة الفاعلة في انتفاضة التبغ والتنباك عام ١٨٩٢م (٤)، فشاركت في التظاهرات والاعتصامات التي انطلقت في طهران والمدن الاخرى وطالبت النساء السلطات الإيرانية بضرورة الالتزام بفتوى اية الله الشيرازي (٥)، بتحريم التبغ والتنباك بما فيها نسوة البلاط الملكي (٦).

خطت المرأة في إيران خطوة متقدمة آنذاك ، فتم تأسيس الجمعيات التي عنيت بواقعها المتخلف، وتم تشكيل أول جمعية نسوية سرية هي «جمعية حرية المرأة» التي تأسست في طهران عام ١٨٩٩م، وقد جاء في منهاجها الانفتاح على الثقافات الغربية والارتقاء بالمرأة الإيرانية في المجالات كافة لتناظر مثيلتها الأوربية، وأكدت الجمعية في نظامها الداخلي على ضرورة تعزيز ثقافة المرأة وتعليمها واتاحة الفرصة لها لكي تظهر مكنون شخصيتها وقد ضمت الجمعية تاج السلطنة(٧) وافتخار السلطنة بنات ناصر الدين شاه، شمس الملوك جواهر كلام، كليم خانم موفق فخر الملوك)، واخريات (٨).

برزت في السنوات الأولى من حكم مظفر الدين شاه (١٨٩٦م- ١٩٠٧م) (٩) والدته (شكوة السلطنة) والتي أدت دوراً سياسياً مهما داخل البلاط الملكي، حتى أنها كانت هي من تختار زوجات ولدها الشاه(١٠).

أدت المرأة أثراً مميزاً خلال مراحل الحركة الدستورية في إيران (١٩٠٥-١٩١١م)، فشاركت المرأة في التظاهرات الشعبية التي اندلعت عقب مغادرة كبار رجال الدين طهران احتجاجاً على معارضة مظفر الدين شاه لمطالبهم الدستورية في الحادي عشر من تموز ١٩٠٦م، وتصدت إحدى الشخصيات النسائية البارزة وهي عمة ميرزا خان صور إسرافيل(١١) التي كانت تقود جمعية نسوية سرية، فقامت بتسليم برقية مستعجلة إلى بلاط الشاه تطالب فيها تنفيذ مطالب رجال الدين واقناعهم بالعودة إلى طهران(١٢)، وبعد موافقة الشاه على إقرار الدستور، أسهمت المرأة في تحرير العديد من البرقيات الداعية إلى تدعيم مواقف رجال المؤسسة الدينية، وعلى الرغم من كل ذلك النضال النسوي الوطني ، فإن الدستور لم ينصف المرأة ، وغفل عن حقوقها الأساسية، مثل الحق التصويت والحق الترشيح في انتخابات مجلس الشورى الوطني، لذلك كان الدستور الإيراني آنذاك محل نقد ومعارضة من قبل عدد من نواب المجلس الذين أكملوا تعليمهم في أوربا (١٣).تأكيداً لدور المرأة الإيرانية في النضال الوطني، فقد هبت النساء لبيع مجوهراتهن وحليهن دعماً للحكومة في مسألة تأسيس البنك المركزي الإيراني ، ولاسيما بعد أن تزامنت الشائعات حول توقيع الحكومة القاجارية عقوداً مشبوهة مع روسيا وبريطانيا مع الأزمة المالية التي كانت تعاني منها إيران ، والصعوبات التي تواجهها في تأسيس البنك في مطلع تشرين الأول ١٩٠٥ .أرقت مسالة تعليم المرأة بال الكثير من المثقفين والمتعلمين، فكتبوا المقالات آنذاك في الصحف والمجالات في ذلك الشأن ، واستغلوا المناسبات الدينية لطرح تلك الأفكار أيضاً ، واستغلت « جمعية حرية المرأة»في العاصمة

طهران التظاهرات الشعبية التي اندلعت إبان الحركة الدستورية ، وأصدرت في مطلع عام ١٩٠٦ قراراً بهذا الخصوص، وهو قرار يتألف من فقرتين، أكدت في الأولى على أهمية تأسيس مدارس للنساء في حين ناشدت في الفقرة الثانية الأهالي بخفض المهور الغالية التي تشكل عقبة أمام زواج العديد من النسوة .

هبت المرأة الإيرانية جنباً إلى جنب أخيها الرجل خلال معارك أنصار الحركة الدستورية في تبريز مع قوات محمد علي شاه (١٩٠٧م - ١٩٠٩م) (١٤)، فضلاً عن ذلك، فإن مهمة إعداد الطعام وأمور الطبابة للجرحى كانت تقع على عاتقها (١٥).مثل ظهور جمعيات (رابطة الوطن الأم وازهار تبريز والنقابات النسائية الشعبية) خلال مدة الحركة الدستورية (١٩٠٥م-١٩١١م) ساحة أخرى من سوح النضال النسائية إبان عهد الحركة الدستورية، وأدى وجود تلك الجمعيات إلى تكثيف الاهتمام من قبل المتعلمين والمثقفين بضرورة الارتقاء بالنساء(١٦)، وهو دلالة على مدى الوعي الثقافي الذي كانت تمتاز به المرأة الإيرانية إبان تلك الحقبة التاريخية الحرجة، ومن أبرز تلك الجمعيات جمعية «البنات أولاً» التي تأسست في طهران عام ١٩٠٨م، وطرح القائمين على هذه الجمعية وجهة نظرهم من خلال الصحف(١٧)، وفي العام ذاته أسست جمعية «لجنة المرأة» العثمانية فرعاً لها في طهران، وفي عام ١٩٠٩م، أرسل فرع الجمعية في تبريز برقية إلى الجمعية الأم في اسطنبول طالبت فيها بيان أثر المرأة الإيرانية في الصراع الدائر بين قوات محمد علي شاه والمعارضة، وبدورها قامت جمعية اسطنبول بإرسال برقيتين إلى كل من ملكة إنجلترا وملكة بروسيا لفضح الخروقات التي تقوم بها قوات الشاه محمد وتجاوزه على السكان الأهلين، وقد جاء فيها : «... باسم الإنسانية نحن ثلة من النساء المضطهدات هذه دعوة لأصحاب السيادة بتقديم الدعم المعنوي لنساء إيران لإيقاف نزيف الدم وعمليات الذبح والإبادة التي تتعرض لها المرأة الإيرانية من قبل قوات الشاه محمد علي...»(١٨). واستجابة لنداء الجمعية بعثت السفارة الألمانية في اسطنبول ببرقية إلى مقر اللجنة أوضحت فيها أن المانيا على استعداد تام لتلبية نداء الإنسانية الذي دعيت إليه ملكة بروسيا وإن الأخيرة «خادمة للمرأة الإيرانية» قد كلفت من جانبها أحد البطاركة للقيام بمهمة إصلاح وضع المرأة الإيرانية عن طريق الوساطة وطلب مساعدة السلطات الرسمية ومفاتحة من يهمه الأمر(١٩).

أخذت مسألة مشاركة المرأة في الانتخابات البرلمانية حيزاً كبيراً في مناقشات مجلس الشورى الوطني إبان انعقاد دورته الثانية أواخر تموز ١٩١٠م، فقد طالب محمد تقي وكيل الرعايا ممثل مدينة همدان بتغيير بعض فقرات الدستور الأساس لإيران ومنها قضية تمثيل المرأة، في حين كان أبرز المعارضين لقضية المرأة السيد حسن مدرس(٢٠)، ففي الجلسة المنعقدة في الثامن من آب عام ١٩١١م (الجلسة ٢٨٠) خاطب حسن مدرس وكيل الرعايا قائلاً « اين براهينك يا من تدعي أن للمرأة حق في الاقتراع والانتخاب... أليست الشريعة الإسلامية خير مصدر ودليل لنا بذلك... الرجال قوامون على النساء وليس العكس... حقوق المرأة في الإسلام محفوظة كما حفظها القران الكريم ... فهل حق الانتخاب مكفول في كتاب الله...»(٢١) .

ساندت بعض الصحف الإيرانية النواب الذين طالبوا بمشاركة المرأة في الانتخابات، ففي أيلول عام ١٩١١م كتبت فاطمة سياح مقالاً تحت عنوان «المرأة والانتخابات» في مجلة «ايندە» (المستقبل) فندت فيها حجج من يدعي أن لا دور للمرأة وليس عليها المشاركة في سلم العملية السياسية في الدولة (٢٢).أثار نضال المرأة الإيرانية لنيل حقوقها الطبيعية مورغان شوستر (Morgan Shoster))(٢٣) الخبير المالي الأمريكي فذكر في كتابه (اختناق إيران) دور المرأة الإيرانية

في الأحداث الساحة السياسية والثقافية في إيران، والقيود المفروضة على تعليمها قائلاً : « خلال العهد القاجاري السلام والمجد بلا حدود لنساء إيران المحجبات اللواتي ضربت حولهن التقاليد الاجتماعية حصاراً لا يمكن التسلل منه، واللواتي حرمن الاستقلال الاجتماعي والثقافي ولم يكن لهن أية وسيلة للتعلم والتثقف والتربية الروحية...» ويضيف في موضع آخر إنه على الرغم من ذلك كانت نفوسهن «ملئا حب الوطن...» ويعبر عن عدم استغرابه من سعي أولئك النساء بالرغبة في تشكيل جمعيات ثقافية تنتشلهن من وضعهن الحالي فيذكر «لم يكن مفاجئاً عمل أوروبا وأمريكا، بتشكل جمعيات تعنى بالمرأة، فالمرأة المسلمة في إيران كانت على درجة كبيرة من التنظيم السري»(٢٤) .

المحور الثاني:الجمعيات النسائية الإيرانية

١٩١١م - ١٩٢٥م بعد عام ١٩١١م تزايداً في عدد الجمعيات النسوية فتم تشكيل (جمعية سيدات الوطن) مطلع عام ١٩١١م، التي أعلنت في بيان لها أن الهدف من تشكيلها هو للدفاع عن استقلال البلاد، والتشجيع على الاستهلاك من السلع المحلية(٢٥)، كذلك تشكلت في العام ذاته جمعيات مشابهة مثل (الرابطة النسوية)، و(جمعية الخواتين الخيرية)،و(الاتحادالنسائي) و(المجلس المركزي للمرأة الإيرانية)(٢٦)،

وأكدت تلك الجمعيات على وطنيتها من خلال أهدافها المعلنة والتي تمحورت حول استقلال البلاد وطرد المحتل منه، وكان الانذار الروسي لإيران بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩١١م(٢٧) هو المناسبة التي أفصحت عن الجانب الوطني لتلك الجمعيات (٢٨).في السياق ذاته تأسست في طهران (جمعية الوطن النسوية) أواخر عام ١٩١١ ، برئاسة السيدة بيغوم الآغا. وضمت في عضويتها كل ماهرخ گوهرشناس، آغا شاهزاده امين وصديقه دولت آبادي(٢٩) ، واخريات، وقد أكدت الجمعية على ضرورة تعليم الفتيات بعيداً عن ضغوطات الأعراف الاجتماعية، وتأسيس مدرسة للإناث تهتم بتعليم بنات الطبقة الفقيرة(٣٠)، ولم تغفل الجمعية عن القضايا الوطنية ، فقد أرسلت عريضة إلى مجلس النواب تدعوه فيها إلى مقاطعة البضائع الروسية قائلة فيها : «... لا تسمحوا للحضارة البربرية ان تصول وتجول في أرضنا...»(٣١).

كان للنساء الإيرانيات اللاتي تلقين تعليمهن بالخارج الأثر الكبير في تشكيل تلك الجمعيات، وأدين دوراً حاسماً في زيادة وعي المرأة الإيرانية كذلك كان لعدد من رجال الدولة دور في تشكيل تلك الجمعيات، من خلال مشاركة أزواجهم او بناتهم أمثال زوجة ملك المتكلمين(٣٢)، وزوجة يبرم خان الأرمني(٣٣)، وتشجيعهن على نشر أفكارهن بشكل علني(٣٤)، وقد أدركت المرأة الإيرانية المثقفة أهمية الصحافة في توعية المجتمع فأخذت تكتب مقالات في الصحف ولعل أبرزهن، مريم عميد مزين السلطنه التي دعت في إحدى مقالاتها إلى تشكيل مجلس حكومي خاص بمراقبة عمل المدارس النسوية ولجنة وطنية للإشراف على وضع مناهج علمية مستحدثة تخص الواقع المتدني الذي تعيشه المرأة الإيرانية(٣٥).على الرغم من الظروف السيئة التي أحاطت بإيران في سنين الحرب العالمية الأولى، وتحول البلاد إلى ساحة قتال بين الدول الأوربية، إلا أن ذلك لم يفت بعض النساء الإيرانيات اللواتي واصلن جهودهن الكبيرة من قبيل تأسيس الجمعيات والنوادي الأدبية وإصدار المجلات للتعبير عن دور المرأة في إيران .

مع إطلالة عام ١٩١٤م تم تأسيس (جمعية أزهار الصحفية)(٣٦) برئاسة مزين السلطنة، وتلخصت أهدافها في منهاجها الداخلي:

١.تشجيع الصناعات الإيرانية .

٢.تشجيع الأعمال اليدوية والفنية للإناث.

٣.دعم التعليم والفنون والعلوم العامة .

كان الاقبال على الانضمام الى هذه الجمعية لافتاً للنظر، إذ قبلت الجمعية في عضويتها أكثر من خمسمائة امرأة في مدة ثلاثين يوماً من تاريخ تأسيسها (٣٧).

شهد مطلع عام ١٩١٥ تأسيس (جمعية تحرير المرأة)، وضمت اللجنة المؤسسة كل من السيدة باجي ميرزا، وصديقة دولت آبادي ومنيرة واخريات، وتلخصت أهداف الجمعية في تعليم المرأة وتعزيز مداركها المعرفية، ومشاركة المرأة في الأنشطة الاجتماعية لتثبيت حقوقها السياسية والاجتماعية، وكان مركز اجتماعات الجمعية في مدينة (اباد فشر) إحدى مدن طهران وكانت الاجتماعات تتم بتكتم وسرية(٣٨).

كان للمحافظات الإيراني نصيب من الجمعيات النسوية أيضاً ، فقد شكلت صديقه دولت آبادي وثلاث نساء (جمعية خواتين اصفهان) مطلع عام ١٩١٨م، وكان من أبرز اعضائها زهرا اسكندري بيات، وافسر الملوك ارياني وبانو صباح، وتضمن منهاجها العام عدة أمور مثل تعليم الخياطة - تفصيل الملابس - تشكيلات الاكسسوارات مقاطعة البضائع الاجنبية واستخدام مثيلاتها المحلية، لغرض إصلاح (الوضع الاقتصادي) وانتقلت الجمعية في عام ١٩٢٢ الى طهران(٣٩).في الاطار ذاته تأسست جمعية «السعادة النسوية» مطلع عام ١٩٢٢ ، وكان من أهدافها تعليم المرأة وتأسيس مدارس نسوية وانشاء مكتبات خاصة بالنساء، وقد عززت الجمعية من عملها بإصدار «صحيفة السعادة» عام ١٩٢٢ وكانت ذات مضمون اجتماعي وأدبي (٤٠).وفي مطلع عام ١٩٢٣ تأسست جمعية (نساء وبنات الوطن) برئاسة محترم السيدة اسكندري(٤١) وتميزت هذه الجمعية بالطابع الإسلامي،وكانت تهدف إلى تعليم النساء والفتيات، ورعاية البنات «من لاحول لهن ولا قوة»، وإنشاء مشفى للنساء والعوائل المتعففة وتأسيس هيئات تعاونية للمرأة، لإظهار كفاءة المرأة في ميادين العمل من خلال تقديم الدعم المادي والمعنوي، وحفظ عادات وتقاليد المجتمع الإيراني الإسلامي. وكان من أبرز عضواتها نور الهدى منگنه، فخرآقا بارسا، ومستوره افشار(٤٢)، فخر عظمي ارغون (فخر عادل خلعتبري) ، وصفية اسكندري(٤٣).

المحور الثالث :

الصحف النسائية للمدة ١٩١١م - ١٩٢٥م

استلزمت مسألةإ اصدار الصحف النسوية في العهد القاجاري أمور مهمة مثل زيادة أعداد النساء المتعلمات،كونهن القاعدة الأساسية لنشر الثقافة والوعي في الأوساط النسائية ، فضلاً عن ذلك كان من الضروري الدعوة إلى تأسيس مدارس للفتيات أولاً، وتحفيز النسوة اللاتي يرغبن في المشاركة الفعالة في مجريات العملية الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تشهدها إيران وقتذاك .

صدرت أول صحيفة نسوية دانش (المعرفة) في إيران أواخر ١٩١٠م، برئاسة خانم كحال، وقد صدرت الصحيفة من ست صفحات ولم تصدر بشكل منتظم، بل توقفت عام ١٩١١م، لأسباب مالية وقلة الإقبال على شرائها بالرغم من طبيعة مقالاتها الهادفة، والتي اهتمت بالتربية والتعليم الخاص بالمرأة(٤٤)، وفي مطلع عام ١٩١١م، صدرت صحيفة (طب العيون) وهي صحيفة نسوية اسبوعية، وذكرت الصحيفة في عددها الأول أن هدفها هو تنمية العلوم وتشجيع تبني أخلاق المجتمع الإسلامي، وترسيخ أفكار التربية البيتية، وتشجيع المرأة على مزاولة السياسة (٤٥) وذكرت في افتتاحية العدد الأول للصحيفة وأهمية تلقي النسوة تعليما يليق بهن ونيلهن حقوقهن، وسبل الإطلاع على تطورات العالم الجديد، وأضافت «على النسوة اللاتي لم يحصلن على تعليم بسبب ظروف قاهرة استغلال فرص تأسيس المدارس النسوية وعلى أولياء الأمور أن لا يحرموا بناتهم من تلك النعمة...»(٤٦) وذلك في إطار السعي لمحو الأمية في البلاد.

في السياق ذاته صدرت صحيفة «شكوفه» (أزهار) في العاصمة طهرانمطلع عام ١٩١٣ برئاسة مريم عميد (مزين السلطنة) من اربع صفحات بدعم واسناد من قبل جمعية (المرأة الإيرانية المتحضرة). استمرت الصحيفة

بالصدور لمدة ستة أعوام ثم اضطرت مريم عميد إلى إيقاف اصدارها لأسباب مالي٤٧).

أكدت صحيفة شكوفه في مقالاتها على تثقيف المرأة الإيرانية، ونشر الثقافة البيتية لدى المرأة وتشجيعها على التعليم ونبذ العادات والتقاليد البالية وضرورة استقلال المرأة في عملها ومشاركتها الرجل في مجالات الحياة (٤٨) .

فقد جاء في افتتاحية العدد الاول «الصحيفة أدبية معرفية... هدفها العام تنشئة جيل قادر على استيعاب متغيرات الحياة... أن من ضرورات القائمين على صحيفة أزهار هو إدخال المرأة في سلم الحياة الاجتماعية... ونحن بصدد إتخاذ خطوات جدية في سبيل تحقيق ذلك»(٤٩) كذلك دعت الصحيفة إلى تأسيس أكبر عدد ممكن من المدارس النسوية والاهتمام بالقضايا المتعلقة بتعليم المرأة والفتاة (٥٠)، وفي مقال آخر بعنوان « المعرفة حقيقة ضائعة » أكدت الصحيفة على أهمية تثقيف وتعليم النساء في إيران ، لأن مستقبل البلاد سيكون مرهوناً بجهود النساء المتعلمات (٥١)، وتنوعت مقالات الصحيفة، إذ تناولت مختلف المواضيع في اعدادها التي صدرت على مدار ست سنوات ، مثل تعرضها لقضية الحجاب فرفضت الدعوات الداعية إلى خلع الحجاب (٥٢)، فضلاً عن ذلك فإن الصحيفة دعت إلى تشكيل نقابة نسوية تهتم بشؤون المرأة العاملة ، لاسيما بعد أن اثبتت مدارس الصناعية النسوية فاعليتها وجودة انتاجها بالرغم من محدوديتها (٥٣).

لم تقتصر الصحف على طهران فقط ، بل صدرت في اصفهان مطلع عام ١٩١٩، صحيفة «زبان زنان» (لغة المرأة)، وتولت صديقة دولت آبادي رئاسة تحريرها ، وتمحورت أهداف الدعوة لتحسين أوضاع المرأة واسترداد حقوقها ، وفسح المجال لها للمشاركة في الانتخابات النيابية والحياة السياسية(٥٤) وقد زينت الصحيفة صفحتها الأولى بالحديث النبوي الشريف «الجنة تحت أقدام الأمهات» كشعار لها، وتناولت الصحيفة العديد من القضايا والمشاكل التي تعاني منها المرأة كالحرية والجهل والظلم (٥٥). تأكيداً لدورها الوطني تجاه القضايا الهامة ، فقد أعلنت الصحيفة معارضتها للاتفاقية البريطانية الإيرانية ، والتي عقدت في (٩ آب ١٩١٩) (٥٦)، ودعت الصحيفة إلى مقاومة كافة أنواع التدخل الأجنبي ، وضرورة تخلص البلاد من كافة أنواع التخلف واللحاق بركب الحضارة ، والدعوة لتحديث المدن الإيرانية ، وسخرت من حجاب المرأة ، تسبب تلك المواقف في استهجان الحكومة والعامة من جرأتها ، فاضطر القائمون على إدارتها إلى إغلاقها بعد حوالي تسع سنوات (٥٧) . شهد مطلع عام ١٩٢٠م، صدور صحيفة «نامه زنان» (رسالة المرأة) برئاسة شاهيناز ازادي، بيد أنها تم غلقها عقب إصدار عددها الأول بسبب معارضتها لحجاب المرأة، فقد عدته «خرافة وقيد» بالنسبة للمرأة، وبعد مطالبات من قبل القائمين عليها رفع الحظر عن الصحيفة بشرط أن تكون مقالاتها هادفة ، وفي إطار العادات والتقاليد وأن لا تتهجم على قضية الحجاب، فاتخذت الصحيفة سياسة جديدة مختلفة، واقتصرت مقالاتها على الجانب السياسي (٥٨).

لم تختلف صحيفة (جهان زنان) عالم المرأة والتي صدرت بتاريخ ١٥ شباط ١٩٢١ في مشهد عن بقية الصحف النسوية ، وعن طبيعة المواضيع التي تناولتها ، لكنها اتخذت أسلوباً آخر ، إذ كان طرح المفاهيم الجديدة والمصطلحات التي لم تكن غريبة عن واقع المرأة من قبيل (تثقيف المرأة، تنمية روح الامومة والتربية المنزلية المتمدنة)، نشر اقتباسات من المشاركات الادبية للمرأة الغربية ودعوة مثيلتها الإيرانية إلى الحذو حذوها في هذا المضمار)(٥٩)، وخلال عام ذاته، صدرت صحيفة «عالم نسوان» في العاصمة طهران، وهي تابعة لاحدى المدارس النسوية الأمريكية في إيران. وقد اهتمت الصحيفة بنشر الثقافة الصحية والبيتية للمرأة، ثم غيرت

من أسلوبها، فقد شرعت في إبراز حقوق المرأة السياسية، ومعارضتها ارتداء الحجاب، ولذلك قامت الحكومة بغلقها عام ١٩٢٥ (٦٠).

وفي عام ١٩٢٤م، أصدرت جمعية «نساء وفتيات الوطن» صحيفة حملت اسم الجمعية ذاته وقد اكدت في مقالاتها حول الاحتفاظ بعادات البلاد وتقاليدها .

المحور الرابع :

تعليم النساء في ايران ١٩١١م – ١٩٢٥م

يمكننا الإستنتاج من خلال تحليل الحركة الدستورية (١٩٠٥م- ١٩١١م) في إيران، إنها تمثل بداية الحراك السياسي والاجتماعي للمرأة الإيرانية، وإن دراسة دورها في تلك السنوات هي قضية حساسة للغاية كونها ملئت حيزاً في أحداث مفصلية في تاريخ إيران الحديث، قارن بعض المثقفين الإيرانيين وكبار السياسيين بين ظروف المرأة الإيرانية مقارنة لدور نظيرتها الأوربية ، إذ وصف البعض واقعها بالمزري والسيء ولا يوجد أدنى مستوى للمقارنة بينهما(٦١).

لقد غلبت الأمية على الواقع الحقيقي للمجتمع الايراني، ولم تكن هناك إلا فئة قليلة من المتعلمين في المدارس الدينية، فقد وصلت أعداد المتعلمين في طهران عام١٩٠٥م إلى ثلاثمائة ألف متعلم لم يشكلوا سوى نسبة ٥٪ على أكثر تقدير جميعهم تقريباً من الرجال لذلك نرى أن تسمية المدارس النسوية التي تأسست إبان تلك المرحلة من تاريخ إيران جاءت متناغمة مع مبادئ الشرع الإسلامي ومتناغمة وروح العادات والتقاليد التي نشأ عليها المجتمع الإيراني، من قبيل مدرسة العفة والتربية الإسلامية ، العفاف ، المقدسة ، المخدرات ، وغيرها(٦٢) .

اقتصر التعليم بشكل عام في إيران منذ القرن التاسع عشر على بعض العلوم مثل تعلم مبادئ اللغة الفارسية والقرآن الكريم والحساب ، الذي كانت تقوم به المدارس الدينية و كان أبناء رجال البلاط وكبار السياسيين يكملون تعليمهم في مدارس أوربا ، فقد بلغ عدد طلاب المدارس الدينية في مدينة مشهد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما يربو ال (١٢٠٠) طالب من إيران والهند وبعض البلاد الإسلامية ، فقد كانت هذه المدارس قد ذاع صيتها في أنحاء البلاد الإسلامية(٦٣) .

على أثر وصول البعثات التبشيرية (البروتستانتية والكاثوليكية) إلى إيران منذ عام ١٨٢٩م ، برزت إلى حيز الوجود عدد من مدارس الأناث وبعضها كانت مختلطة (ذكور وإناث) التي خصصت لتعلم اللغات الأجنبية كالإنجليزية مثلاً ، وكانت تلك المدارس برعاية وتمويل وإدارة موظفين أجانب جاؤوا مع البعثات التبشيرية ، والجدول الاتي يوضح أهم وأبرز تلك المدارس وتاريخ تأسيسها خلال مدة البحث (٦٤).

ت	اسم المدرسة	سنة التأسيس	مكان انشاء المدرسة
١	المدرسة الفرنسية	١٨٦٥	تبريز
٢	مدرسة اليسوعيين	١٨٧٠	تبريز
٣	مدرسة الاناث الامريكية	١٨٧٤	تبريز
	بوساطة البعثة التبشيرية البروتستانتية الامريكية		
٤	مدرسة الاناث الكاثوليكية	١٩٠٦	تبريز
	بوساطة البعثة الكاثوليكية في ايران وهي مدرسة ابتدائية		
٥	مدرسة ادواندس	١٩٢١	تبريز
	برعاية البروتستانت الامريكان وهي مدرسة مختلطة		
٦	مدرسة الاتحاد السوفيتي	١٩٢٤	تبريز
	برعاية حكومة الاتحاد السوفيتي،		
	وهي مدرسة مختلطة ابتدائية ومتوسطة		

وقد كان الهدف من وراء عمل هذه الجمعيات والبعثات التبشيرية في بلاد فارس تمهيد السبل أمام دولها للسيطرة على أقطار الشرق ، لقد شاركت المرأة الإيرانية بفعالية في أحداث الحركة الدستورية ، ولعل من أبرز صور تلك المشاركة في أعقاب هجرة علماء الدين من العاصمة طهران احتجاجاً على عدم تنفيذ مظفر الدين شاه (١٨٩٦م - ١٩٠٧م)(٦٥) لمطالبهم الدستورية بتاريخ الحادي عشر من تموز ١٩٠٦م ، فقد شاركت المرأة في عدد من تظاهرات الاحتجاج على هجرة علماء الدين صوب مدينة قم والمطالبة

الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمرأة الإيرانية ١٩١١ – ١٩٢٥

بإعادتهم إلى العاصمة عن طريق تكليف عمة الشاعر الإيراني المعروف ميرزا خان صور إسرافيل(٦٦) التي كانت تقود جمعية نسوية سرية ، بتسليم برقية مستعجلة إلى بلاط الشاه تخطره بضرورة حث الخطى واقناع رجال الدين بالعودة الى طهران(٦٧).

كما أخذت تلك الصحف وغيرها على عاتقها مهمة مقارنة واقع المرأة الإيرانية بواقع المرأة الغربية في أوربا وأمريكا والدعوة إلى فتح دار فنون(٦٨) خاصة بالنساء في إيران ومراعاة حقوق المرأة في حصولها على التعليم وممارسة حرياتها كافة بما فيها تخصيص مرتبات شهرية للمرأة وشمول المرأة بنظام البعثات الخارجية(٦٩)، ولم تقف الحملة عند هذا المستوى بل تجاوزته إلى إصدار نشريات وبيانات من قبل عدد من المتنورين تعلوها شعارات تطالب بتعليم المرأة الإيرانية وربط ذلك بدورها في عملية البناء الاجتماعي والأسري ، ولعل أبرز تلك الشعارات «دور التعليم في عفة المرأة» (٧٠) ، هو تعبير عن أن المرأة الأمية التي تفتقر إلى التعليم المناسب تعزز انهيار الروابط الأسرية وبالتالي يجب ان تلتفت الدولة إلى هذه المسالة أكثر من اهتمامها بقضايا ثانوية .

نتيجة لتطورات الحركة الدستورية والتطورات الاجتماعية والثقافية، أقرت وزارة المعارف بتاريخ ٣٠ تشرين الأول عام ١٩١٢ م قانون التعليم الإجباري ، لذلك شرعت وزارة المعارف وبعض الوجهاء وعدد من النساء المتعلمات بتأسيس عدد كبير من المدارس الخاصة بالإناث في طهران وغيرها من المحافظات الأخرى ، وقد زودت الحكومة تلك المدارس بالأثاث والقرطاسية، والجدول الآتي يوضح عدد تلك المدارس ونسبة البنات الطالبات اللاتي التحقن بها خلال المدة (١٩٠٥ – ١٩١٤) (٧١).

ت	اسم المدرسة	عدد الطالبات
١.	الادب	٢١
٢.	الاسم السمح	٣
٣.	الاسلامية	١٠
٤.	الاطفال الصغار	١
٥.	الافتخارية الاولى	٤
٦.	الافتخارية الثانية	٢٠
٧.	الانثوية	١٥
٨.	بنات الايتام	٥٣
٩.	بنات الثانوية	٢٥
١٠.	بنات ايران	٣٧
١١.	بنات زهراوية	٢٦
١٢.	التربية	١١٧
١٣.	تربية الفتاة	١٠٥
١٤.	تربية الفتاة	٤٠
١٥.	التشجيع	٢٨
١٦.	التطور النسوية	١٧
١٧.	تعليم النساء	غير معروف
١٨.	التقدم	٨٦
١٩.	التوكل	٣
٢٠.	جوزيف	٤٥
٢١.	الحجاب	٦٨
٢٢.	الحشمة	١٢٠
٢٣.	الخواتين	٧٣
٢٤.	الزين	٣٩
٢٥.	السلطة المقتدرة	١٠
٢٦.	السيدة	٤٤
٢٧.	الشرف	١٢٥
٢٨.	الشرف الشعبة الأولى	٢٥
٢٩.	شرف الفتاة	٥٣
٣٠.	الصدرية	٣٩
٣١.	الطيبة	٥٥
٣٢.	العصمة الأولى	٢٨
٣٣.	العصمة الثالثة	١٥
٣٤.	العصمة الثانية	٦٣
٣٥.	العفة	٣
٣٦.	العفة	٦٦
٣٧.	العوانس الاولى	١٠
٣٨.	العوانس الثانية	١٦
٣٩.	العوانس المحتشمات	٢٨
٤٠.	عوانس الوطن	١١٠

٤١.	عوانس فرنسا	٥٨
٤٢.	لمحات	٤
٤٣.	المحجبات الأولى	٥٩
٤٤.	المحجبات الثانية	١٥
٤٥.	المخدرات الإسلامية	٥٨
٤٦.	مدرسة أشرف البنات	١٢
٤٧.	المدرسة الأنثوية	٢٥
٤٨.	مدرسة البنات الاولى	١٢
٤٩.	مدرسة البنات الثانية	٨٠
٥٠.	مدرسة الحسنات	٤١
٥١.	مدرسة السادات	٦٢
٥٢.	مدرسة العفة	١٢
٥٣.	مدرسة العفة الابتدائية	٣١
٥٤.	المدرسة الفاطمية	٦
٥٥.	مدرسة المعرفة الابتدائية	١٦
٥٦.	مدرسة عوانس الثانوية	٢٤
٥٧.	المقدسة	٢٩
٥٨.	المنصورة	٣٠
٥٩.	المنصورة الثقافية	٣٨
٦٠.	النصرة	١٥
٦١.	النظامية	٣٣
	مجموع المدارس	المجموع

عكفت وزارة المعارف على تزويد تلك المدارس بالمستلزمات الضرورية من أثاث وأدوات توضيحية فاقت في كثير منها ما تم تزويده لمدارس الذكور .

الخاتمة:

شاركت المرأة الإيرانية بمشاركات فعالة في القضايا الهامة لبلادها خلال المدة ١٩١١ م-١٩٢٥م، ولم تغفل المرأة عن تفعيل أي مفصل وحدث يؤهلها للإرتقاء بواقعها المزري الذي كانت تعيشه وقتذاك، من قبيل نظرة الشارع الإيراني لعمل المرأة مع الرجل تلك النظرة التي خيبت آمال العديد من النسوة الإيرانيات ممّن تلقين تعليمهن في الجامعات الأوربية، وكانت تحذوهن الرغبة في تحرير ونهضة المرأة، وعلى الرغم من كل تلك العقبات، إلا أنها استطاعت أن تؤسس الجمعيات النسائية ذوات الانشطة الاجتماعية والثقافية ، وأن تصدر الصحف التي أخذت على عاتقها تثقيف وتنوير وتهيئة الاذهان إلى ضرورة النهوض بالواقع المتردي للمرأة ، وأن يتم فسح المجال لها للمساهمة في بناء كيانها الذاتي ومشاركة أخيها الرجل في دوره الإنساني، بيد أن المرأة لم تكن وحدها في ساحة النضال النسوي لنيلا حقوقهن ، إذ دعا العديد من سياسيي إيران ورجال الدين إلى سن قوانين وتشريعات من شانها اتاحة الفرصة بشكل جيد لنيل حقوقها والمشاركة في المجال السياسي والاجتماعي، ولم تغفل المرأة الإيرانية عن عمل الاعلام الذي عدته بوابتها الرئيسية لتحقيق مطالبها المشروعة .

الهوامش:

(١) بشري دلريش، زن در دوره قاجار، (تهران: حوزه هنري سازمان تبليغات إسلامي ، ١٣٧٥ ش ، ص٦٨-٨٨ .

(٢) ولد ناصر الدين شاه ليلة السادس من صفر عام ١٨٦٨م وقد توج خليفة لوالده يوم ١٤ شوال١٨٨٥م وبعد حكم دام ٤٩ عاما وشهرة واحدة وثلاثة ايام تقريبا قتل على يد ميرزا رضا كرماني ليلة الجمعة ١٧ ذي القعدة ١٨٩٦م. للمزيد ينظر: شاهين مكاريوس، تاريخ ايران، (مصر: مطبعة المقتطف، ١٨٩٨م)، ص٢٤٢ ؛ «يادگار»، (مجلة)، طهران، ١٣٢٥ ش، شماره دوم، سال سوم ص٢١ ؛ منيزة ربيعي، سرگذشت ناصر الدين شاه، جاب سوم، تهران: مؤسسة فرهنگي اهل قلم،١٣٨٤ ش)؛ عيسى صديق، تاريخ فرهنك إيران، تهران: شركت سهامى ١٣٥٤ ش)، ص ١٣٠٣ .

(٣) مرتضى شيرودي، زنان، بيش از مشروطه دررسى فعاليت زنان درسه دوره مشروطه قبل وبعد از آن، «زمانه» (مجله)، تهران، شهريور ١٣٨٥ ش، شماره ٤٨، سال بنجم، ص ٣-٤ .

(٤) منح الامتياز في عهد الشاه ناصر الدين ويعد من أهم هذه الامتيازات الذي منح إلى شركة الريجي وصاحبها الميجر تالبوت (Migar Talbot) الذي وقعه مع الصدر الأعظم أمين السلطان وذلك في عام ١٨٩٠م وتضمن هذا الامتياز أحد عشر بنداً. للتفاصيل عن الامتياز ينظر: خضير مظلوم فرحان البديري، إيران في ظل انتفاضة التبغ والتنباك ١٨٩٠ -١٨٩٢م، دراسة في السياسة الداخلية، (النجف الاشرف: دار الضياء، ٢٠٠٩م).

(٥) ولد في مدينة شيراز في ٢٥ نيسان ١٨١٥، واتم دروسه الاولية فيها، وحين بلغ الثامنة عشرة من عمره سافر إلى اصفهان لمواصلة دراسته فيها، وفي عام ١٨٤٣ هاجر إلى النجف الاشرف ليحضر دروس المجتهدين الكبار فيها، وينال مرتبة الاجتهاد، كان الميرزا الشيرازي على

صلة وثيقة بالشيخ مرتضى الأنصاري، المرجع الأعلى في العراق منذ بداية هجرته إلى النجف، كما أن الانصاري كان معجبا به مفضلاً اياه على الكثير من تلامذته، كما كان يكن له احتراما كبيراً، وبعد وفاة الشيخ الأنصاري في ١٨٦٤م توزعت المرجعية بين اربعة مجتهدين كبار كان الشيرازي اولهم، ولم يحل عام ١٨٧٤ م حتى اصبح الشيرازي اكثر المجتهدين مرجعية وارفعهم مكانة، وفي شهر ايلول من ذلك العام سافر إلى سامراء واستقر فيها حتى وفاته في ٢٠ شباط ١٨٩٥ عن عمر تجاوز الثمانين سنة، لمزيد من التفاصيل، العقيقي البخشايشي، كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢ م)، ص٩- ١٠.

(٦) للتفاصيل ينظر: بررسي و تحليل اجمالي نقش اجتماعي زنان در تاريخ إيران، «فرهنك» (مجله)، تهران، زمستان ١٣٨٢ش، شماره ٤٨ ، ص ٨٥ .

(٧) ابنة ناصر الدين شاه ولدت عام ١٨٨٣م.

(٨) بدر الملوك بامداد، زن ايراني از انقلاب مشروطيت تا انقلاب سفيد، تهران: انتشارات ابن سينا، ١٣٤٧ش)، جلد دوم، ص ٨-٧ .

(٩) ولد مظفر الدين شاه في ٢٠ آذار ١٨٥٣م وتولى ولاية العهد عام ١٨٥٨م ثم تسلم عرش البلاد بعد اغتيال والده في الأول من ايار ١٨٩٦. توفي عام ١٩٠٧ متاثراً بمرض السل. للتفاصيل ينظر: عبد الله مستوفي، شرح زندگاني من با تاريخ اجتماعي واداري دورة قاجارية، (تهران: بي جا، ١٣٧٣ش)، جلد اول، ص١٠٠-١٠٢.

(١٠) محمود طلوعي، من طاووس إلى فرح، ترجمة، محمود علاوي، (طهران: المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٢م)، ص١٧٧.

(١١) هو جهانكيز خان شيرازي والملقب بصور اسرافيل لاصداره صحيفة حملت الاسم ذاته، ولد عام ١٨٧٥م في شيراز وكان من ابرز الكتاب والشعراء الإيرانيين، ومن لعبوا دورا مهما في الحياة السياسية حتى وفاته عام ١٩٤٧م. للمزيد ينظر: احمد صدر حاج سيد جوادى، دائرة المعارف تشيع، (تهران: شهيد سعيد محيى ١٣٧٥ش)، جلد پنجم، ص٥٤٤-٥٤٥ .

(١٢) احمد كسروي تبريزي، تاريخ مشروطه إيران، تهران: امير كبير، ١٣٦٩ش)، ص ١٨٢؛ مورگان شوستر، اختناق إيران، ترجمه، ابوالحسن موسوي شوشتري، (تهران: نشر كاويان، ١٣٣٤ش)، ص ٢٤١.

(١٣) عن دور الفئة المثقفة الإيرانية ينظر: عبد الله مستوفي، جلد اول، المصدر السابق، ص١٠٠-١٠٢.

(١٤) ولد محمد علي شاه عام ١٨٧٢م، في تبريز وهو الابن الأكبر لمظفر الدين شاه، في عام ١٨٩٦م اختير وليا للعهد، وعينه والده في العام ذاته حاكما لاذربيجان. للمزيد ينظر: صباح كريم رياح الفتلاوي، إيران في عهد محمد علي شاه ١٩٠٧-١٩٠٩م، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الاداب، ٢٠٠٣م)، ص٥٧-٥٨ .

(١٥) للتفاصيل ينظر: احمد شاكر عبد العلاق، إيران في عهد احمد شاه ١٩٠٩ -١٩٢٥م، دراسة تاريخية في التطورات السياسية الداخلية، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الاداب ٢٠٠٨م)، ص ١٨ - ٢١.

(١٦) بدر الملوك بامداد، زن إيراني، جلد دوم، ص ٢٠ -٢٣ .

(١٧) « ندای وطن» (روزنامه)، تهران، چهارشنبه ٢٣ شعبان ١٣٢٥ ق، سال اول، شماره ٧٠ .

(١٨) عبد الحسين ناهيد، زنان ايران در جنبش مشروطه، (تبريز: انتشارات احيا، ١٣٦٠، ش)، ص٣٢.

(١٩) «شمس» (روزنامه)، تهران، ١٤-١٦ ذيعقده ١٣٢٦هـ ق، سال اول، شماره ١٤.

(٢٠) هو السيد حسن بن اسماعيل عبد الباقي الطباطبائي المعروف بالمدرس. ولد في قرية (سراى كجو) من توابع اردستان في حدود عام ١٨٧١م، ونشأ على يد والده الذي كان من خطباء اردستان حتى وفاته ومدرس يبلغ من العمر (١٢ عاما)، فمكث في اصفهان و درس على يد عدد من علمائها، عام ١٨٩٦م هاجر إلى النجف ثم عاد إلى اصفهان عام ١٩٠٣م. ثم انتقل إلى طهران حتى وفاته عام ١٩٢٨م. للتفاصيل ينظر: مهدى بامداد، تاريخ رجال إيران، شرح حال رجال ايران در قرن ١٢ و ١٣، ١٤، (تهران: جابخانه بانك بازرگانى ايران، ١٣٤٧ش)، ج١، ص٣٤٣؛ على ربانى خلخالى، شهداء روحانيت شيعة، (قم: انتشارات الحسين، ١٤٠٣ق)، ص١٨٦؛ على مدرس، مرد روز كارن، تهران: انتشارات كامران، ١٣٧٤ش)، ص٣٩-٤١.

(٢١) مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي إيران، دوره دوم، جلسه ٢٨٠ .

«(٢٢) زندگى نامه و خدمات علمي و فرهنگى فاطمه سياح، (تهران: نادره جلالي، ١٣٨٣)، ص٩٣ – ١٢٤ .

(٢٣) مورگان شوستر، شخصية اميركية، عمل في خدمة الضرائب الكوبية والفلبينية (١٨٩٩-١٩٠٥م) وسكرتيرة للتعليم العام الفلبيني (١٩٠٦-١٩٠٨م) وعندما تم تعيينه اميناً عاماً للخزينة في إيران. كان محامياً في واشنطن. خضير مظلوم فرحان البديري، سياسة بريطانيا تجاه إيران ١٨٩٦-١٩١٩م، اطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد: كلية الاداب، ١٩٩١م)، ص٢٣٩.

(٢٤) مورگان شوستر، المصدر السابق، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٢٥) عبدالحسين ناهيد، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٢٦) ژانت آفاري، انجمن هاي سري زنان در نهضت مشروطه، ترجمه، جواد يوسفيان، (تهران: نشر بانو، ١٣٧٧ش)، ص ٢١.

(٢٧) بعثت الحكومة الروسية انذاراً إلى الحكومة الإيرانية، طلبت فيه موافقتها خلال ثمان واربعون ساعة على جملة نقاط ابرزها، طرد شوستر واعضاء بعثته المالية من إيران، وتعهد حكومة طهران بعدم استقدام اجانب إلى دوائرها من دون موافقة روسيا وبريطانيا، وتقوم إيران بدفع نفقات القوات الروسية المتواجدة على اراضيها وحمل الانذار في نهايته تهديداً بتقدم القوات الروسية باحتلال طهران ولم تتم الاستجابة عليه

بالايجاب. للتفاصيل عن الانذار ينظر: مجموعة مخابرات ومراسلات نمايندگان انگليس، مكتوب سريو كانان به سرادوارد كراي، ٢ نوافمبر ١٩١١م، نمره ٨٦٨، ص٨٤٢ .

(٢٨) المصدر نفسه .

(٢٩) صديقة دولت آبادي ابنة ميرزا هادي دولت آبادي وزوجة السياسي الإيراني المعروف يحيى دولت آبادي .

(٣٠) حميرارنجبر عمراني، تغيير ماهيت جمعيتهاي زنان، از آغاز تا سازمان زنان، «تاريخ معاصر إيران» (مجله)، تهران، بهار ١٣٨٤ش، شماره ٣٣، سال ٩، ص ٩٠ .

(٣١) المصدر نفسه .

(٣٢) ملك المتكلمين (١٩١٨م) هو الحاج نصر الله البهشتي المشهور بـ (ملك المتكلمين) ولد في طهران، ويعتبر من ابرز رجالات إيران إبان حكم محمد علي شاه ١٩٠٧-١٩٠٩م، توفي بتاريخ العاشر من حزيران عام ١٩١٨م، للمزيد ينظر: العقيقي البخشايشي، المصدر السابق، ص١٦٩ – ١٧٦ .

(٣٣) من الشخصيات الأرمنية الإيرانية، ولد عام ١٨٣٥م او ١٨٣٦م قرب مدينة گنجة، وحين بلغ الثامنة عشر من عمره انضم إلى فرقة الارامنة العسكرية، عمل معلما ابتدائياً عدة سنوات ثم سافر إلى قزوين و تبريز وفي عام ١٨٧١م انضم إلى لجنة الثوريين الارامنة، للمزيد: برويز اسده زادة واخرون، دائرة المعارف يا فرهنك دانش وهز، (تهران: جابخانه سرعت، ١٣٤٥ش)، ص٦٥٦-٦٥٧ ؛ عباس قديانى، فرهنك توصيف تاريخ إيران، جاب جهارم، تهران: انتشارات فرهنك مكتوب، ١٣٨٦ش)، جلد پنجم، ص ٢٦٦٥ .

(٣٤) ژانت آفارى، المصدر السابق، ص٢٣ ؛ مورگان شوستر، المصدر السابق، ص ١٩١.

(٣٥) فخري قويمي، كارنامه زنان مشهور ايران در علم، ادب، سياست، مذهب، هنر، تعليم و تربيت. (تهران: وزارت آموزش و پرورش، ١٣٥٢ش)، ص١٦٩.

(٣٦) المصدر نفسه .

(٣٧) بري شيخ الإسلامي، زنان روزنامه نگار و انديشمند إيران، تهران: مؤلف، ١٣٥١ش)، ص ٧٨ – ٧٦.

(٣٨) محمد صدرهاشمي، جلد دوم، المصدر السابق، ص٩٢-٩٣.

(٣٩) بدرالملوک بامداد، هدف پرورش زن، (تهران: نشريات شركت مطبوعات، ١٣١٨ش)، - ص ٥٢ ؛ منوچهر خدايار محبي، شريك مرد، (تهران: تابان، ١٣٢٥ش)، ص٩-١٢.

(٤٠) محترم اسكندري زوجة محمد على ميرزا اسكندري من سياسيي إيران المعروفين، ولدت عام١٨٩٥م، تلقت تعليمها الأولي على يد والدها ميرزا علي محمد خان محققي، ثم عكفت على دراسة اللغة الفرنسية وعقب اكمالها التعليم عينت اوائل فترة المشروطة معلمة في احدى المدارس الابتدائية واضحت بعدها عضوا فعالاً في الجمعية الانسانية. للمزيد ينظر: محمد صدر هاشمي، جلد دوم، المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٤١) ولدت عام ١٨٩٩م، درست علوم الفقه واللغة العربية والانجليزية في المدرسة الامريكية في طهران ثم اكملت دراستها في فنون الموسيقى تزوجت من عباس خليلي مدير صحيفة اقدام وفي عام ١٩١٩ أسست صحيفة رسالة المرأة وكانت من ابرز اعضاء المركز النسوي الذي تأسس في عهد رضا شاه پهلوي عام ١٩٣٥م. فخري قويمي، كارنامه زنان مشهور ايران از قبل از اسلام تا عصر حاضر، (تهران: وزارت آموزش و پرورش، ١٣٥٢ش)، ص ١١٨-١٢٠ .

(٤٢) مستوره افشار ابنة مجد السلطنة افشار من مثقفي مدينة اورمية تلقت تعليمها الابتدائي في تفليس حيث تعلمت اللغة الروسية، ثم توجهت إلى اسطنبول حيث تلقت دورات تعليمية في اللغة التركية والفرنسية، شاركت في العديد من المحافل الثقافية التي عنيت بواقع المرأة خارج إيران، وعقب عودتها إلى البلاد بذلت جهودا كبيرة في افتتاح العديد من المدارس والجمعيات النسوية. للمزيد ينظر: بدر الملوك بامداد، زن إيراني...، ص ٤٩-٥٠ .

(٤٣) محمد صدرهاشمي، جلد دوم، المصدر السابق، ص ١٧٠ ؛ ويدا همراز، نهادهاي فرهنگي در حكومت رضاشاه «فصلنامه تاريخ معاصر ايران» (مجله)، تهران، بهار ١٣٧٦ش، سال اول، شماره اول، ص ٦٣-٥٠ .

(٤٤) «دانش» (روزنامه)، تهران، سال اول، شماره اول، ١٠ رمضان ١٣٢٨ ه.

(٤٥) المصدر نفسه، تهران، دهم رمضان سنه ١٣٢٨ ه. ق، شماره اول، سال اول.

(٤٦) صدر هاشمي، جلد دوم، المصدر السابق، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٤٧) اليز ساناساريان، جنبش حقوق زنان در ايران، ترجمه، احمدى خراسانى، تهران: نشر اختران، ١٣٨٤ش)، ص ٤٦.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٤٧ ؛ «شكوفه» (روزنامه)، تهران، ذيحجه ١٣٣٠، سال اول، شماره اول.

(٤٩) اليز ساناساريان، المصدر نفسه، ص ٨٠-٨١ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص٨١ .

(٥١) «شكوفه» (روزنامه)، تهران، دوشنبه نهم ربيع الثاني، ١٣٣١ ه. ق، سال اول، شماره ششم.

(٥٢) المصدر نفسه، ٥ شهر ربيع الاول ١٣٣٢ ه. ق سال دوم، شماره ٢٢؛ ٢٠ ربيع الاول ١٣٣٢ ه.ق سال دوم، شماره ٢٤ ؛ ٢٠ ربيع الاول ١٣٣٢ ه. ق، سال دوم، شماره ٣.

(٥٣) المصدر نفسه ، دوشنبه ٢٣ رجب المرجب ١٣٣٣ ه. ق، سال سوم، شماره ١٢ .

(٥٤) اليز ساناساريان، المصدر السابق، ص ٦١ .
(٥٥) محمد محيط طباطبايي، تاريخ تحليلي مطبوعات ايران، تهران: انتشارات بعثت، ١٣٧٥) ص ١٧٣- ١٧٤؛ «زبان زنان» (روزنامه)، تهران، بي تا، سال اول، شماره ششم.
(٥٦) وقعت الاتفاقية بتاريخ التاسع من اب عام ١٩١٩م، وجاءت من مقدمة وست مواد. للتفاصيل ينظر: اسناد محرمانه وزارت خارجه بريتانيا، سند شماره ٧١١/١ ، تلكراف مؤرخ نهم اوت ١٩١٩م سربرسي كاكس به لرد كرزن، ص ٢٩ ؛ سند شماره٧٢١/١٧ ، تلگراف مؤرخ بانزدهم أوت ١٩١٩، سربرسي كاكس به لرد كرزن، ص٤٧.
(٥٧) بري شيخ الإسلامي، المصدر السابق، ص٩٨ .
(٥٨) المصدر نفسه .
(٥٩) المصدر نفسه ، ص١٨١ .
(٦٠) المصدر نفسه .
(٦١) للتفاصيل ينظر: عبد الحسين ناهيد ، زنان بلاد فارس در جنبش مشروطه بلاد فارس . (تبريز: نشر احباء. ١٣٦٠ ش) . ص ٦٣ .
(٦٢) للتفاصيل ينظر : مهدي ملك زاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، تهران: انتشارات كتابفروش ابن سيناء جابخانه افتاب، ١٣٣١ش)، جلد چهارم ، ص ٢١٨.
(٦٣) للتفاصيل ينظر: طلال مجذوب ، بلاد فارس من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، (بيروت: دار بن رشد ١٩٨٠ م)، ص ٣٠ ؛ فيصل عبد الجبار عبد علي ، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في بلاد فارس ١٥٠١ – ١٩٠٩ م ، رسالة ماجستير ، (جامعة بغداد : مركز دراسات العالم الثالث . ١٩٨٨ م) ، ص٦٧ ؛ قحطان جابر اسعد التكريتي ، دور المثقفين في الثورة الدستورية ١٩٠٥ – ١٩١١م ، رسالة ماجستير ، (جامعة تكريت ، كلية التربية ، ٢٠٠٥م) ، ص ٢١
(٦٤) للتفاصيل اكثر بنظر: احمد كسروى ، تاريخ مشروطيت ايران، تهران: مؤسسة اميركبير، ١٣٣٣ش)، ص٢٦٦ ؛ فاطمه اورحي نيك ابادي ، مدارس دخترانه تبريز ، «زمانه» (مجله) ، تهران ، شهريور ١٣٨٥ ش، سال پنجم . شماره ٤٨ ، ص ١٧ ؛ حازم صاغية ، صراع الاسلام والبترول في بلاد فارس ، (بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م)، ص١١ .
(٦٥) ولد مظفر الدين شاه في ٢٠ آذار١٨٥٣م، وتولى ولاية العهد عام ١٨٥٨ م ثم تسلم عرش البلاد بعد اغتيال والده في الأول من ايار ١٨٩٦ ، توفي عام ١٩٠٧ متأثراً بمرض السل. للتفاصيل ينظر: عبد الله مستوفي شرح زندگاني من با تاريخ اجتماعي واداري دورة قاجارية، (تهران: بي جا ١٣٢٣ش)، جلد اول، ص١٠٠-١٠٢ .
(٦٦) هو جهانگير خان شيرازي والملقب بصور اسرافيل لاصداره صحيفة حملت الاسم ذاته، ولد عام١٨٧٥م في شيراز وكان من أبرز الكتاب والشعراء الايرانيين، وممن ادو دورا مهما في الحياة السياسية حتى وفاته عام ١٩٤٧م. للمزيد ينظر: دائرة المعارف تشيع، (تهران: نشر شهيد سعيد محي،١٣٨٤ش)، جلد پنجم، ص ٥٤٤-٥٤٥.
(٦٧) للتفاصيل ينظر : سازمان اسناد ملي بلاد فارس و سند شماره ،١٣٤٧١٠٩٠٠٤ ، درباره تقاضاي جمعيت نسوان وطنخواه از رياست وزراء در حمايت مالى از مدرسهآن جمعيت به تاريخ ١٤ اسفند ١٣٠ سند شماره ١٣٥٩١٠٩٠٠٤ بولتن وزارت امور خارجه در سال ١٣١٤ ش، (سند شماره ١)؛ منصوره اتحاديه (نضام مافي) ، نقش زنان در انقلاب مشروطه . «تاريخ معاصر ايران» (مجلة)، تهران، ١٣٨٠ش، شماره ١٨، سال بنجم، ص١٦٠-١٦٣ .
(٦٨) للتفاصيل على نص القانون ينظر : سهيلا ترابي فارساني ، استادي از مدارس دختران از مشروطيت تا پهلوي ، تهران ، سازمان اسناد ملي بلاد فارس ، ١٣٧٨ش)، ص شانزده - هجده .
(٦٩) للتفاصيل ينظر: رباب حسيني ، «مدارس نسوان از آغاز تا سال ١٣١٤, «گنجينه اسناد» (مجله)، تهران ، بهاره ١٣٧٠، سال اول، دفتر اول، ص ٨٨-٨٣ ؛ زهرا حامدي ، تربيت نسوان فارس مدارس دخترانه فارس در دوران قاجار و پهلوى اول . «زمانه» (مجله) ، تهران ، شهريور ١٣٨٥ ش، سال پنجم، شماره ٤٨.
(٧٠) س، أ.م.أ . وزارت معارف واوقاف مستظرفه ، سواد تهيه رابرت مديره مدرسه نسوان درخواست صورت اثاثيه جهت دبستان نسوان ، شماره (٣-١٩/٤٤٤٥/١٤-٥٦) .
(٧١) آخر ملوك الأسرة القاجارية ولد عام ١٨٩٨م في تبريز استمر في الملك ما يقارب ١٢ عاما خلع بعدها من العرش عام ١٩٢٥م، وسافر الى اوربا ثلاث مرات كان اولها عام ١٩١٩ وبعد خلعه اقام في باريس هو وشقيقه محمد حسن ميرزا وبقي يتعالج من مرض الم به إلى أن توفي بسبب ورم في كليته في مستشفى في باريس في ٢٩ ايلول ١٩٣٠م وهو في الرابعة والثلاثين من عمره ونقل جثمانه الى كربلاء حيث دفن هناك. للمزيد ينظر: عبد الحسين سعيديان، دائرة المعارف يا مجموعة اطلاعات عموم، تهران: بى جا، بي تا)، ص٦٨ ؛ حسن الأمين. مستدركات اعيان الشيعة، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٩م)، المجلد الخامس ص٨٧ .

الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمرأة الإيرانية ١٩١١ – ١٩٢٥

قراءة نافع المدني من متن البقريّة في القراءات السبع محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري المتوفى سنة ١١١١هـ دراسة وتحقيق

أ.م.د. حيدر عبد العزيز اسماعيل
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

الملخص:
إنّ قراءة الإمام نافع المدني تعتبر من القراءات السبع المتواترة السند عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وتناول الإمام محمد البقري في رسالته أصول القراء السبع، أما الفرش فلم يتوسع فيه، لأنه خصصها للأصول، وتناولت حياته، ثم قمت بتحقيق قراءة الإمام نافع المدني، وتعتبر البقرية منهاج لطلبة العلم منذ تأليفها وإلى يومنا هذا.

Abstract:
The recitation of Imam Nafi' al-Madani is considered one of the seven recitations with a continuous chain of transmission on the authority of the Prophet Muhammad ﷺ and Imam Muhammad al-Baqari dealt with the principles of the seven reciters in his letter، but al-Farsh did not expand on it، because he allocated it to the principles، and it dealt with his life، then I verified the recitation of Imam Nafi' al-Madani، and al-Baqareya is considered a platform for students Science from its inception to the present day.

مقدمة المحقق:
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :
وبعد ... فإن مؤلف هذه الرسالة اشتغل بتأليف الكتب النافعة ، وقد ألف في علوم متعددة لكنه كان شغوفاً بالقراءات والتجويد ، فصرف جلَّ اهتمامه لها ، وقد اشتهرت هذه الرسالة ككتاب منهجي لطلاب العلم الذين كانوا يترددون على المؤلف ويأخذون عنه ، وقد استمر تدريس هذه الرسالة حتى وقتنا الحاضر ، وقد ذكر المؤلف في رسالته أصول القراء السبعة ، أما الفرش فلم يتوسع فيه ؛ لأن الرسالة مخصصة للأصول ، وقد قمت بتحقيق قراءة نافع لنشره كبحث في أحد المجلات بسبب التقيد في شروط النشر الخاص بعدد الصفحات ، اقتضت خطة البحث أن يقسم على قسمين :
القسم الأول: القسم الدراسي .
وقد تناولت فيه حياة المؤلف، والمنهج المتبع في التحقيق، ووصف النسخ الخطية .
القسم الثاني: النص المحقق .
واختتمت التحقيق بفهارس تضمنت الآتي :
- فهرس الآيات المستشهد بها .
- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- فهرس الأبيات الشعرية .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس المحتويات .

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

حياة المؤلف

أولاً : اسمه ونسبته وكنيته
أبو الإكرام شمس الدين محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري(١) الشافعي(٢).

ثانياً : مولده
اتفقت جميع المصادر التي ترجمت لمحمد بن قاسم البقري بأنه ولد بمصر في عام (١٠١٨هـ) (٣).

ثالثاً : نشأته العلمية:
ولد المؤلف في مصر وعاش فيها، ودرس على علماء عصره ومهر وتصدر لإلقاء الدروس، واشتهر فضله في بداية شبابه لاسيّما بعد موت أشياخه وشاع ذكره في الأفاق، ووفد عليه الطالبون للأخذ عنه والتلقي منه، وقد برع واشتهر بالقراءات، والفقه، والحديث والتصوف والسلوك، حتى قيل في حقه بان غالب علماء مصر في عصره إما تلميذه أو تلميذ تلميذه(٤).

رابعاً : مؤلفاته:
ترك البقري رحمه الله عدداً من المصنفات في التفسير ، والقراءات ، والتجويد ، والنحو مما يدل على سعة علمه ، وتصانيفه هي :
١.(القواعد المقررة والفوائد المحررة) وهو هذا الكتاب ، وهو في القراءات السبع

٢.(غنية الطالبين ومنية الراغبين) في التجويد .
٣.(العمدة السنية في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر ولام الفعل واللام القمرية والشمسية) .
٤.(شرح المقدمة الآجرومية) في النحو .
٥.(فتح الكبير المتعال في حل بعض مشكلات الآيات)، في تفسير الآيات المتشابهة(٥).

خامساً : شيوخه وتلامذته :

أ.شيوخه : تتلمذ البقري على عدد كبير من العلماء وهم :

١. علي بن يحيى الزيادي الشافعي أخذ عنه الفقه ، توفي سنة (١٠٢٤هـ)(٦) .
٢. إبراهيم بن إبراهيم اللقاني أخذ عنه الحديث ، توفي سنة (١٠٤١هـ)(٧).
٣. علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي أخذ عنه الحديث توفي سنة (١٠٤٤هـ)(٨).
٤. عبد الرحمن بن شحاذة اليمني أخذ عنه القراءات، توفي سنة (١٠٥٠هـ) (٩).
٥. محمد بن احمد الشوبري أخذ عنه الفقه، توفي سنة (١٠٦٩هـ)(١٠).
٦. سلطان بن احمد المزاحي اخذ عنه الفقه، توفي سنة (١٠٧٥هـ)(١١).
٧. محمد بن علاء الدين البابلي القاهري أخذ عنه الحديث، توفي سنة (١٠٧٧هـ)(١٢).
٨.محمد المنياوي الازهري أخذ عنه الفقه، ولم اعثر على سنة وفاته(١٣).
٩.عمه الشيخ موسى بن إسمعيل البقري اخذ عنه التصوف والسلوك، ولم اعثر على سنة وفاته(١٤).
١٠. عبد الرحمن الحلبي الأحمدي اخذ عنه التصوف والسلوك، ولم اعثر على سنة وفاته(١٥).

ب.تلامذته : كان للبقري طلاب كُثر أخذوا عنه العلم وانتهلوا منه حتى قيل في حقه وسعه علمه بان غالب علماء مصر في عصره إما تلميذه أو تلميذ تلميذه لا سيّما في القراءات القرآنية (١٦)، لذلك سأكتفي بذكر عدد منهم لكثرتهم وهم :

١.عامر الشافعي المصري، توفي سنة (١١١٦هـ) (١٧).
٢. احمد بن محمد المنفلوطي القاهري ، توفي سنة (١١١٨هـ)(١٨).
٣. إبراهيم بن محمد بن محمد الحراني ، توفي سنة (١١٢٠هـ)(١٩).
٤. محمد بن عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي ،توفي سنة (١١٢٦هـ)(٢٠).
٥. سعدي بن حمزة بن عبد الرحمن الحنفي ، توفي سنة (١١٣٢هـ)(٢١).
٦. عيد بن علي القاهري الشافعي ، توفي سنة (١١٤٠هـ)(٢٢) .

سادساً : وفاته

توفي البقري عن عمر ناهز الثلاث والتسعين عاماً في الرابع والعشرين من شهر جمادي الثانية سنة (١١١١هـ)(٢٣).

السند المتصل بمتن البقرية :

أروي متن البقريّة عن شيخنا مسند العراق الدكتور أكرم عبدالوهاب الملا يوسف عن طريق شيوخه كما موضع في المخطط التالي (٢٤):

محمد البقري
⇑
الشبراملسي
⇑
حسن بن منصور المصري
⇑
خليل الخطيب
⇑
سلطان ناصر الجبوري البغدادي
⇑
عبدالغفور عبدالله المدرس أحمد الربتكي
⇑
محمد أمين بن سعد الدين
⇑
محمد أمين الحافظ بن عبدالقادر
⇑
يحيى بن أحمد
⇑

قراءة نافع المدني من متن البقريّة في القراءات السبع محمد بن قاسم بن إسماعيل البقريّ المتوفى سنة ١١١١هـ دراسة وتحقيق

أحمد بن عبدالوهاب الجوادي ← عبدالله الفيضي
محمد صالح الجوادي ← أحمد فخري الفيضي الموصلي
سالم عبدالرزاق ← محمد بشير بن محمد طاهر البريفكاني
أكرم عبدالوهاب الملا يوسف
حيدر عبدالعزيز إسماعيل

المنهج المتبع في التحقيق :

١.كتابة النص المحقق حسب قواعد الإملاء الحديثة إلا النص القرآني فقد كتبته بما يوافق رسم المصحف العثماني .
٢.أثبت الفروق بين النسخ في الهامش.
٣.نسبت الآيات القرآنية المستشهد بها إلى سورها ذاكراً رقم تلك الآيات.
٤.وضعت قوسين هلالين () للآيات القرآنية ، وقوسين معقوفين [ ] للزيادة على النص من النسخ الأخرى .
٥.أشرت إلى السقط من ب في الهامش من غير أقواس إذا كان كلمة أو كلمتين ، أما إذا زاد عليهما فوضعته بين قوسين وأشرت إليه في الهامش .
٦.وضعت علامات الترقيم الفاصلة ، الفاصلة المنقوطة ، النقطة ، النقطتين وغير ذلك .
٧.وضعت رقم الصفحة من المخطوطة الأصل عند نهاية الصفحة من النص المحقق ووضعته بين قوسين معقوفين[ ] ، مع الرمز(أ) لوجه الصفحة و(ب) لظهرها؛ ليسهل على من أراد التوثق الرجوع إلى المخطوطة .
٨.ترجمت ترجمة موجزة للأعلام الوارد ذكرهم في المتن عند ذكرهم أول مرة .
٩.اختتمت التحقيق بفهارس تضمنت الآتي:
•فهرس الآيات المستشهد بها .
•فهرس الأعلام المترجم لهم .
•فهرس الأبيات الشعرية .
•فهرس المصادر والمراجع .
•فهرس المحتويات .

وصف النسخ الخطية :

١.نسخة الأصل وهي النسخة المحفوظة في مركز البحوث والدراسات في الوقف السني تحت رقم ٢٢٨ ب ٥٢٤ ، وتقع في ٨ ورقات ، في الصفحة الواحدة ٢٣ سطراً وبمعدل ١١ -١٣ كلمة في السطر الواحد بخط نسخي ، ضمن مجموعة رسائل وقد كتب هذا (١١١٨ هـ) وتتميز هذه النسخة بأنها كاملة ومصححة في الحواشي ، وقليلة التصحيف .
٢.النسخة الثانية المرموز لها بالحرف ب وهي النسخة المحفوظة في مكتبة الجمعية الاستشارية الإسلامية في إيران برقم ١٠١٨٥ ، ورقم تسجيل ٨٧٣٢٩ وتقع في ٩ ورقات ، في الصفحة الواحدة ٢٣ سطراً ، وبمعدل ١١-١٢ كلمة في السطر الواحد بخط نسخي جيد وقد كتبت هذه النسخة في سنة (١١٤٠ هـ) على يد الناسخ موسى الثدمي ، وفي نهاية كل صفحة كلمة التي تبدأ بها الصفحة الأخرى وهي التي تعارف على تسميتها بـ (التعقيبة) ومن مميزات هذه النسخة أنها كاملة الورقات ، لكن فيها بعض التصحيف .

الورقة الأولى من نسخة الأصل

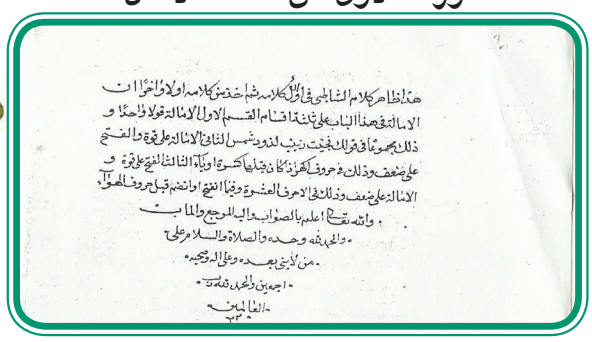

الورقة الأخيرة من نسخة الأصل

قراءة نافع المدني من متن البقريّة في القراءات السبع محمد بن قاسم بن إسماعيل البقريّ المتوفى سنة ١١١١هـ دراسة وتحقيق

الورقة الأولى من النسخة ب

الورقة الأخيرة من النسخة ب

بسم الله الرحمن الرحيم

[مذهب نافع المدني](٢٥)

أعلم أن نافعاً(٢٦) له راويان أخذا عنه من غير واسطة ، وهما قالون(٢٧)، وورش(٢٨) فقالون مُقدَّم ، وورش مؤخر .

وهذا المقدَّم له في المنفصل وجهان : المد والقصر ، والقصر مقدم ، والمد مؤخر وله في ميم الجمع وجهان :

عدم الصلة ، والصلة ، فإذا اجتمع في الآية صلة ومد منفصل لا يخلو الحال من أن يتقدَّم الميم ويتأخر المد وبالعكس ، فإن تقدَّمت الميم وتأخر المد كان له أربعة أوجه : عدم الصلة على القصر والمد ، والصلة كذلك ، وان تقدم المد وتأخرت(٢٩) الميم انعكس الحكم [٣ / ب]بمعنى أنه يأتي على القصر عدم الصلة والصلة وعلى المد كذلك ، ثم إن الميم إن وقع بعدها همز وكان هناك مد وأردت عطفها عليه فإنك تمدها معه سواء تقدمت أم تأخرت ، وإذا كان في الآية ميم وليس هناك مد كان فيها وجهان :

عدم الصلة والصلة ما لم يكن بعدها همز فان كان همز زدت(٣٠) وجهاً ثالثاً وهو المد . وليس له في القرآن من الإمالة إلا مواضع يسيرة وإذا أمال في تلك المواضع تارة يميل إمالة صغرى ، وتارة كبرى ، وتارة يجمع بين الفتح والإمالة فمن ذلك قوله تعالى (عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ) ببراءة(٣١) فله فيها الإمالة المحضة، وأما قوله تعالى هاء وياء في أول مريم(٣٢) فأمالها إمالة صغرى، وجمع بين الفتح والإمالة الصغرى في (ٱلتَّورَىٰةَ) حيث وقع .

وأما مذهبه في الهمزتين من كلمة أو من كلمتين فمذهبه فيما إذا كانتا من كلمة تحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما سواء كانتا مفتوحتين ، أو الثانية مكسورة أو مضمومة إلا مواضع خرجت كما تقدم وهي (ءَأَمِنتُم) في الأعراف(٣٣)، وفي طه(٣٤) وفي الشعراء(٣٥)، (ءَالِهَتِنَا) الزخرف(٣٦)، (أَئِمَّةً) حيث وقعت فانه يحقق(٣٧) الأولى ويسهل الثانية من غير إدخال بينهما، وهمزة الوصل إن وقعت بين همزة الاستفهام واللام الساكنة زاد وجهاً ثالثاً وهو المد المسمى البدل وفيه ما تقدم عن أبي عمرو وهو تحقيق الأولى وتسهيل الثانية من غير إدخال بينهما ، وان كانتا من كلمتين واتفقتا بفتح فانه يسقط الأولى كأبي عمرو، وان اتفقتا بكسر أو ضم فله تسهيل الأولى مع المد والقصر كالبزي وان اختلفتا فله الأقسام الخمسة المتقدمة لأبي عمرو .

وأما ورش فله المد المتصل والمنفصل بقدر ثلاث ألفات ، وتفخيم اللام المفتوحة إذا وقعت بعد صاد أو طاء أو ظاء وهي مفتوحات أو سواكن ، ورقق الراءات إذا كان قبلهن كسرة أو ياء ساكنة ، وإذا وقع بين الكسرة والراء حرف ساكن فان كان من غير حروف الاستعلاء فانه يرقق ، وان كان من حروف الاستعلاء فانه لا يرقق واستثنى من ذلك الخاء فانه يرقق ما

بعدها نحو (إِخرَاجُهُم) (٣٨)، و (إِخرَاجِكُم) (٣٩)،وعنه أيضاً عدم الترقيق في كل اسم أعجمي نحو (إِبرَٰهِـمَ)(٤٠)، (إِسرَٰٓءِيلَ) (٤١)، وكذلك (إِرَمَ ذَاتِ ٱلعِمَادِ) بالفجر(٤٢)، والراء إذا تكرر نحو (ضِرَارًا) (٤٣)، وينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ويبدل [٤ / أ]الهمزة إذا كانت فاء الكلمة وعلامة كونها فاء الكلمة أن يكون قبلها حرف من حروف ستة وهي التاء والفاء والميم والنون والواو والياء .وان كانت لام الكلمة أو عينها فلا يبدلها إلا في (وَبِئرٍ) (٤٤)، و(وَبِئسَ) (٤٥)،و(ٱلذِّئبُ) (٤٦)، وقد جمعت الحروف الستة في أوائل كلمات نصف بيت وزدت ما استثنى من عين الكلمة وغير ذلك في أبيات فقلت :

يبدل ورش بعد ست تسبـق
تُب فز ودم يأتيك نور مشرق
بشرط أن يكون ما أبدله
فاءً لفـعل ربنا أنزله
وبعد همز الوصل الذي اؤتمن
وَبِيسَ وَالذِيبَ وبيرَ يا فطن
وما يجيء من جملة الإيوا فلا
تبدلـه كـن عالمـاً محصلاً

ويستثنى له من فاء الكلمة جملة الإيواء(٤٧)، فإنه لا يبدل كما ذكر في الأبيات .

وله في ذوات الياء الفتح والإمالة ، وفي ذوات الراء الإمالة فقط ، وإمالتها كلها صغرى إلا في الهاء من طه فإنها كبرى .ويستثنى له مواضع أربعة(٤٨)، فلا يميلها وهي (مَرضَاتِ)(٤٩)، و(كَمِشكَوٰةٍ)(٥٠)،و (ٱلرِّبَوٰا)(٥١)، و(كِلَاهُمَا) (٥٢).والواو والياء إن سكنتا بين فتح وهمزة بكلمة واحدة له فيها المد والتوسطبين المد والقصر وهو ألفان فلا فرق بين الوصل والوقف مثال ذلك (شَيْءٍ)(٥٣)، و(سُوَءَ)(٥٤)، ويستثنى له من ذلك الواو من قوله تعالى (وَإِذَا ٱلمَوءُدَةُ سُئِلَت) (٥٥)،و(مَوئِلْ)(٥٦)، فليس له فيهما إلا القصر، وأما واو سوءات(٥٧)، فظاهر متن الشاطبية أنَّ فيها تسعة أوجه وهو مرتب على مد البدل وحاصله إن حرف المد إن تأخر عن الهمزة كان له ثلاثة أوجه: القصر، والتوسط، والمد على ما قاله الشاطبي(٥٨)، سواء كان الهمز ثابتاً أو مغيراً، والتغيير إما أن يكون بنقل أو إبدال أو تسهيل نحو (ءَامَنُواْ)(٥٩)، و(أُوتُواْ)(٦٠)،و(إيمان) (٦١)، هذا إذا كان الهمز ثابتاً، ومثال ما إذا كان مغيراً مما تقدم (مَن ءَامَنَ) (٦٢)، (لِلإِيمَٰن) (٦٣) ، (مَن أُوتِيَ) (٦٤) ، (هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً) (٦٥)، (جَآءَ ءَالَ لُوطٍ)(٦٦).

ويستثنى له ما إذا كان قبل الهمزة ساكن صحيح، وما إذا كان بعد همزة الوصل، وما إذا كان بعد الهمزة ألف تنوين في الوقف وياء (إِسرَٰٓءِيلَ) (٦٧) ، ومثال ذلك(مَذمُومًا) (٦٨)، و(مَـٔـُولًا)(٦٩) ، هذا مثال الأول، ومثال الثاني (ٱئتُونِي) (٧٠) ،(ٱؤتُمِنَ أَمَٰنَتَهُ) (٧١)، ومثال الثالث (وَنِدَآءً) (٧٢)، و (مَآءً) (٧٣)، و(دُعَآءً) (٧٤)، فليس في هذا كله إلا القصر.

إذا عرفت ذلك علمت ما قلنا في سوءات في كلام الشاطبي وليس على ظاهره فان الإمام الشيخ محمد [بن](٧٥)، الجزري صرح في نشره وطيّبته(٧٦)، بأربعة [٤ / ب] :

١. أوجه القصر في همزة سوءات .
٢. التوسط .
٣. المد مع القصر في الواو.
٤. التوسط في الواو ، مع التوسط في الهمزة ليس غيرها.

هذا ما قرأناه على شيخنا وجمع ابن الجزري الأوجه الأربعة في بيت فقال:

وسوءات قصر الواو والهمز ثلثا . . . .
ووسطهما فالكل أربعة فادر(٧٧) والهمزة إن انفتحت أثر ضمة وكانت فاء الكلمة أبدلها واواً من جنس حركة ما قبلها نحو(يُؤَيِّدُ) (٧٨)، و (مُّؤَجَّلًا)(٧٩)، و(أَن تُؤَدُّواْ ٱلَمَٰنَٰتِ) (٨٠)، وخرج بقولنا فاء ما إذا كانت عيناً فانه لا يبدلها نحو (فُؤَادَكَ) (٨١)، (بِسُؤَالِ نَعجَتِكَ) (٨٢).

وأبدل الهمزة ياء وادغمها فيما قبلها في قوله تعالى:(إِنَّمَا ٱلنَّسِيَءُ)براءة(٨٣)،وإذا انفتحت الهمزة وانكسر ما قبلها أبدلها ياءً في(لِئَلَّا يَكُونَ)

(٨٤). تنبيه : ما ذكرنا من الإمالة في الهاء والياء في أول مريم لقالون وافقه عليه ورش وكذا في الوجه الثاني في (ٱلتَّورَىٰةَ) (٨٥)، بالإمالة البينية، وأمال اعني ورشاً(٨٦)، الراء من فواتح السور الست، والحاء من أوائل الحواميم . واتفق الراويان على إشمام (سِيَءَ)(٨٧)، (سِيَّـَٔت(٨٨)، حيث وقع وأما حكمه اعني ورشاً في الهمزتين فان كانتا من كلمة حقق الأولى وسهل الثانية من غير إدخال ألف بينهما، وحكي عنه مذهبان فيما إذا انفتحت الثانية فعن(٨٩)، المصريين إبدالها والمد عليها بقدر ثلاث ألفات إن سكن ما بعدها فان تحرك ما بعدها مدّها مداً طبيعياً، وعن البغداديين تسهيلها (بين بين) من غير إدخال(٩٠)، والذي قرأناه على شيخنا تقديم مذهب البغداديين بخلاف ظاهر متن الشاطبية (٩١).وان كانتا من كلمتين فإن اتفقتا بفتح أو كسر(٩٢)، فهو كقنبل وزاد في (هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُم) بالبقرة (٩٣)، و (ٱلبِغَآءِ إِن أَرَدنَ) بالنور(٩٤)، وجهاً ثالثاً وهو إبدالها ياءً خفيفة الكسر، وان اختلفتا فهو كأبي عمرو.

خاتمة رزقنا الله وإياك حسنها ، ما ذكرناه عن المصريين من إبدالهم الثانية ألفاً قرأنا وبعدمه في موضعين : (ءَامَنتُم) بطه(٩٥)، والشعراء(٩٦)، والأعراف(٩٧)،(ءَالِهَتِنَا) بالزخرف(٩٨) .

ووجهه أن الإبدال يتحد مع القصر في قرأته كما تقدم في (ءَامَنُواْ)و (إِيمَٰنًا) فلهذا لم يقرأ به ، وصرح صاحب التيسير بالقراءة به وبعض شراح الشاطبية(٩٩)، وشيخنا لم يعتمده وفي هذا كفاية لمن وفقه الله، ومن الله نسأل الخلاص والعفو عند القصاص، بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه(١٠٠) وسلم(١٠١).

فهرس الآيات المستشهد بها

رقم الآية	سورة البقرة	رقم الصفحة
٩	(ءَامَنُواْ)	١٣
٢٠	(شَيءٍ)	١٣
٢٢	(مَآءً)	١٤
٣١	(هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُم)	١٦
٤٠	(إِسرَٰٓءِيلَ)	١٤
٦٢	(مَن ءَامَنَ)	١٤
٨٥	(إِخرَاجُهُم)	١٢
١٠١	(أُوتُواْ)	١٣
١٢٤	(إِبرَٰهِيمَ)	١٢
١٥٠	(لِئَلَّا يَكُونَ)	١٥
١٧١	(دُعَآء) (وَنِدَآءً)	١٤
٢٠٧	(مَرضَاتِ)	١٣
٢٣١	(ضِرَاراً)	١٣
٢٧٥	(ٱلرِّبَوٰاْ)	١٣
٢٨٣	(ٱؤتُمِنَ أَمَٰنَتَهُ)	١٤
	سورة آل عمران	
٣	(ٱلتَّورَىٰةَ)	١٥
١٤٥	(مُّؤَجَّلاً)	١٥
١٦٧	(لِلإِيمَٰنِ)	١٤
	سورة النساء	
٥٨	(أَن تُؤَدُّواْ ٱلأَمَٰنَٰتِ)	١٥
	سورة الأعراف	
١٨	(مَذءُومًا)	١٤
٧٦	(ءَامَنتُم)	١٦
١٢٣	(ءَامَنتُم)	١١
	سورة التوبة	
٣٧	(إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ)	١٥
١٠٩	(عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَار)	١١
	سورة يونس	
٧٩	(أَئتُونِي)	١٤
	سورة هود	
٧٧	(سِيٓءَ)	١٥
٩٩	(بِئسَ)	١٢
	سورة يوسف	
١٣	(ٱلذِّئبُ)	١٢
	سورة الحجر	
٦١	(جَآءَ ءَالَ لُوطٍ)	١٤
	سورة الإسراء	
٢٣	(كِلَاهُمَا)	١٣
٣٤	(مَسـُٔولا)	١٤
	سورة الكهف	

٥٨	(مَوئِلا)	١٣
	سورة مريم	
٢٨	(سُوَءَ)	١٣
	سورة طه	
٧١	(ءَامَنتُم)	١١، ١٦
	سورة الأنبياء	
٩٩	(هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَة)	١٤
	سورة الحج	
٤٥	(وَبِئْرٍ)	١٣
	سورة النور	
٣٣	(ٱلبِغَآءِ إِن أَرَدنَ)	١٦
٣٥	(كَمِشكَوٰة)	١٣
	سورة الفرقان	
٣٢	(فُؤَادَكَ)	١٥
	سورة الشعراء	
٤٩	(ءَامَنتُم)	١١، ١٦
	سورة ص	
٢٤	(بِسُؤَالِ نَعجَتِكَ)	١٥
	سورة الزخرف	
٥٨	(ءَأَلِهَتُنَا خَيرٌ)	١١، ١٦
	سورة الممتحنة	
٩	(إِخرَاجُهُم)	١٢
	سورة الملك	
٢٧	(سِيَّئَت)	١٥
	سورة الحاقة	
١٩	(مَن أُوتِيَ)	١٤
	سورة التكوير	
٨	(وَإِذَا ٱلمَوءُدَةُ سُئِلَت)	١٣
	سورة الفجر	
٧	(إِرَمَ ذَاتِ ٱلعِمَادِ)	١٢

فهرس الإعلام المترجم لهم

ت	الاسم	الصفحة
١.	قالون	٩
٢.	نافع المدني	٩
٣.	ورش	٩

فهرس صدر الأبيات الشعرية المستشهد بها

١.	ابن الجزري	وسوءات قصر الواو والهمز ثلثا ١٤

الهوامش:

(١) نسبته إلى نزلة البقر أو دار البقر من قرى مصر. ينظر: الأعلام للزركلي : ٧/٧ .

(٢) ينظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: ١١٦/١، هدية العارفين: ٣٠٧/٢ .

(٣) ينظر: تاريخ عجائب الآثار: ١١٦/١، معجم المؤلفين:١٣٦/١١، هداية القاري: ٧١٧/٢ .

(٤) ينظر: تاريخ عجائب الآثار: ١١٦/١ .

(٥) ينظر: الأعلام للزركلي: ٧/٧، هدية العارفين: ٣٠٧/٢ .

(٦) ينظر: تاريخ عجائب الآثار: ١١٦/١، الأعلام: ٣٢/٥.

(٧ ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: ٦/١-٩.

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ١٢٢-١٢٤.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣٥٨-٣٥٩.

(١٠) ينظر: تاريخ عجائب الآثار: ١١٦/١، الأعلام: ١١/٦.

(١١)ينظر:تاريخ عجائب الآثار:١١٦/١،الأعلام: ١٠٨/٣.

(١٢) ينظر: خلاصة الأثر: ٤/ ٣٩-٤٢.

(١٣) ينظر: تاريخ عجائب الآثار: ١١٦/١.

(١٤) ينظر: المصدر نفسه : ١١٦/١ .

(١٥) ينظر: المصدر نفسه : ١١٦/١ .

(١٦) ينظر: تاريخ عجائب الآثار: ١١٦/١ .

(١٧) ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: ٢٢٩/٢-٢٣٠ .

(١٨) ينظر: تاريخ عجائب الآثار: ١٢٤/١ .

(١٩) ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر : ٢٢/١-٢٣ .

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه : ٦٧/١-٦٨ .

(٢١) ينظر: المصدر نفسه : ١٥٦/٢-١٥٨ .

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه : ٢٧٣/٣.

(٢٣) ينظر: تاريخ عجائب الآثار: ١ / ١١٦.

(٢٤) ينظر : الإمداد شرح منظومة الإسناد، ١٠٠/١-١٠١.

(٢٥) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق .

(٢٦) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي ، المقرئ المدني أحد الأعلام ، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة، قال نافع: قرأت على هؤلاء فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته وما شذ فيه واحد تركته حتى ألفت هذه القراءة ، توفي سنة (١٦٩ هـ) ينظر: معرفة القراء الكبار : ٦٤،٦٥ ، غاية النهاية في طبقات القراء : ٣٣٠/٢-٣٣٤.

(٢٧) عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى الزرقي، قارئ أهل المدينة في زمانه ونحويهم ، قيل: إنه كان ربيب نافع وهو الذي لقبه قالون لجودة قراءته، وهي لفظة رومية معناها جيد ، لم يزل يقرأ على نافع حتى مهر وحذق ، توفي سنة (٢٢٠هـ) ينظر: معرفة القراء الكبار : ٩٣ ، غاية النهاية في طبقات القراء : ٦١٥/١-٦١٦.

(٢٨) عثمان بن سعيد المصري المقرئ مولى آل الزبير بن العوام ولد سنة (١١٠هـ) ونافع هو الذي لقبه بورش

لشدة بياضه والورش شيء يصنع من اللبن ، ويقال لقبه بالورشان وهو طائر معروف فكان يقول أقرأ يا ورشان وهات يا ورشان ثم خفف وقيل ورش وكان لا يكرهه ويعجبه ويقول أستاذي نافع سماني به توفي سنة (١٩٧هـ) ينظر: معرفة القراء الكبار : ٩١ ، غاية النهاية في طبقات القراء : ١/٥٠٢-٥٠٣.

(٢٩) في ب « وتأخر « .
(٣٠) في ب « فان كان زدت « .
(٣١) سورة التوبة من الآية / ١٠٩ .
(٣٢) في قوله تعالى (كٓهيعٓصٓ) الاية (١) .
(٣٣) من الآية / ١٢٣ .
(٣٤) من الآية / ٧١ .
(٣٥) من الآية / ٤٩ .
(٣٦) من الآية / ٥٨ .
(٣٧) في ب « وقعت فتحقق « .
(٣٨) سورة البقرة من الآية / ٨٥ .
(٣٩) سورة الممتحنة من الآية / ٩ .
(٤٠) سورة البقرة من الآية / ١٢٤ .
(٤١) سورة البقرة من الآية / ٤٠ .
(٤٢) سورة الفجر الآية / ٧ .
(٤٣) سورة البقرة الآية / ٢٣١ .
(٤٤) سورة الحج من الآية / ٤٥ .
(٤٥) سورة هود من الآية / ٩٩ .
(٤٦) سورة يوسف من الآية / ١٣ .
(٤٧) نحو (وَتُـوِيَ) ، و (وَتُـئِويَه)
(٤٨) في الأصل و ب « أربع « وما أثبته هو الصواب .
(٤٩) سورة البقرة من الآية / ٢٠٧ .
(٥٠) سورة النور من الآية / ٣٥ .
(٥١) سورة البقرة من الآية / ٢٧٥ .
(٥٢) سورة الإسراء من الآية / ٢٣ .
(٥٣) سورة البقرة من الآية / ٢٠ .
(٥٤) سورة مريم من الآية / ٢٨ .
(٥٥) سورة التكوير الآية / ٨ .
(٥٦) سورة الكهف من الآية / ٥٨ .
(٥٧) نحو قوله تعالى (سَوۡءَٰتِهِمَا) سورة الأعراف من الآية / ٢٢ .
(٥٨) ينظر: متن الشاطبية : ١٥ .
(٥٩) سورة البقرة من الآية / ٩ .
(٦٠) سورة البقرة من الآية / ١٠١ .
(٦١) نحو قوله تعالى (بِإِيمَٰنٍ) في سورة الطور من الآية / ٢١ .
(٦٢) سورة البقرة من الآية / ٦٢ .
(٦٣) سورة آل عمران من الآية / ١٦٧ .
(٦٤) سورة الحاقة من الآية / ١٩ .
(٦٥) سورة الأنبياء من الآية / ٩٩ .
(٦٦) سورة الحجر من الآية / ٦١ .
(٦٧) سورة البقرة من الآية / ٤٠ .
(٦٨) سورة الأعراف من الآية / ١٨ .
(٦٩) سورة الإسراء من الآية / ٣٤ .
(٧٠) سورة يونس من الآية / ٧٩ .
(٧١) سورة البقرة من الآية / ٢٨٣ .
(٧٢) سورة البقرة من الآية / ١٧١ .
(٧٣) سورة البقرة من الآية / ٢٢ .
(٧٤) سورة البقرة من الآية / ١٧١ .
(٧٥) ما بين المعقوفين سقط من الأصل وما أثبته من ب .
(٧٦) طيّبة النشر في القراءات العشر : ٤٢ .
(٧٧) النشر في القراءات العشر : ١/٣٤٧ .
(٧٨) سورة آل عمران من الآية / ١٣ .
(٧٩) سورة آل عمران من الآية / ١٤٥ .
(٨٠) سورة النساء من الآية / ٥٨ .
(٨١) سورة الفرقان من الآية / ٣٢ .
(٨٢) سورة ص من الآية / ٢٤ .
(٨٣) سورة التوبة من الآية / ٣٧ .
(٨٤) سورة البقرة من الآية / ١٥٠ .
(٨٥) سورة آل عمران من الآية / ٣ .
(٨٦) في ب « وأمال ورش».
(٨٧) سورة هود من الآية / ٧٧ .
(٨٨) سورة الملك من الآية / ٢٧ .
(٨٩) في ب « فنص « .
(٩٠) سقط « بين بين من غير إدخال « من ب .
(٩١) ينظر: متن الشاطبية : ١٥ .
(٩٢) سقط « بفتح أو كسر « من ب .
(٩٣) من الآية / ٣١ .
(٩٤) من الآية / ٣٣ .
(٩٥) من الآية / ٧١ .
(٩٦) من الآية / ٤٩ .
(٩٧) من الآية / ٧٦ .
(٩٨) من الآية / ٥٨ .
(٩٩) ينظر: النشر في القراءات العشر: ١/٣٦٥ .
(١٠٠) في ب زيادة « عليهم الصلاة والسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم « .
(١٠١) والتوسل جائز شرعاً بدليل قوله تعالى: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)، ومن السنة ماورواه عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه في). سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ١١٩، رقم الحديث (٣٥٧٨) ، ٥/٤٦١ .

المصادر والراجع بعد القرآن الكريم

١.الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) ط١٥ ، دار العلم للملايين ،٢٠٠٢ م .
٢.الإمداد شرح منظومة الإسناد : أكرم عبدالوهاب الملا يوسف، دار ابن الأثير، الموصل ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ .
٣.تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن

بن حسن الجبرتي المؤرخ (ت ١٢٣٧هـ)، دار الجيل بيروت (ب. ت) .
٤.حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي (ت ٥٩٠هـ)، تحقيق: محمد تميم الزعبي، ط٤ ، مكتبة دار الهدى ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥ م .
٥.خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الدمشقي (ت ١١١١هـ) دار صادر ، بيروت (ب.ت) .
٦.سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني (ت ١٢٠٦هـ) ط٣، دار ابن حزم، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م .
٧.سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٨.الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) دار مكتبة الحياة ، بيروت (ب.ت) .
٩.طَيِّبَةِ النَّشْرِ في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري(ت ٨٣٣هـ) تحقيق: محمد تميم الزغبي ، ط١، دار الهدى ، جدة ، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م
١٠.غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري(ت ٨٣٣هـ) ط١، مكتبة ابن تيمية (ب.ت) .
١١.النشر في القراءات العشر : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) تحقيق: علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى (ب.ت) .
١٢.هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (ت ١٤٠٩هـ) ط٢ ، مكتبة طيبة ، المدينة المنورة (ب.ت) .
١٣.هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت (ب.ت) .
١٤.مخطوط العقود المجوهرة واللآلى المبتكرة شرح القواعد المقررة والفوائد المحررة ، وسيصدر قريباً إن شاء الله بتحقيقنا.
١٥.معجم المؤلفين : عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة(ت ١٤٠٨هـ)مكتبة المثنى ، بيروت (ب.ت) .
١٦.معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ط١، دار الكتب العلمية ،١٤١٧هـ، ١٩٩٧م .

الجهود التربوية لمنظمات المجتمع المدني في العراق وأثرها في التربية على حقوق الإنسان

م.د. محمد قاسم محمد العزي
ديوان الوقف السني

الملخص:

يعد مفهوم المجتمع المدني من المفاهيم الحديثة نسبيا التي برزت بصورة واضحة على الساحة السياسة والاجتماعية في الدول الأوربية مع بداية عقد الثمانينيات من العقد المنصرم بوصفه من أهم الآليات والوسائل الحديثة التي تنظم العلاقة بين الدولة والمجتمع و تأتي أهمية هذا البحث من خلال تناوله أهم مرتكزات بناء الدولة وهي (المجتمع المدني والتربية على حقوق الإنسان)، هذه المحاور الرئيسة التي أصبحت اليوم لاغنى عنها في تقدّم الدول ونموها إذ تناول المحور الأول التربية على حقوق الإنسان والمحور الثاني منظمات المجتمع المدني وعلاقة المنظمات بحقوق الإنسان ومن ثم تناول البحث التجارب العربية والدولية على حقوق الإنسان، ثم أوصى البحث بعدة توصيات من أهمها استحداث برامج لتطوير وتقوية منظمات المجتمع المدني وبناء قدرته والمساهمة في إنشاء مراكز مهنية متخصصة تساعد على ترسيخ مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان.

Abstract:

The concept of civil society is a relatively recent concept that has clearly emerged on the scene Politics and social policy in European countries at the beginning of the eighties of the previous decade، as from The most important mechanisms and modern means that regulate the relationship between the state and society and the importance of this research comes Through his discussion of the most important pillars of state building، which are (civil society and human rights education)، These are the main axes that have become today indispensable to the progress and growth of countries، as they dealt with the axis The first is human rights education، and the second axis is civil society organizations and the relationship of organizations Human rights and then the research dealt with Arab and international experiences on human rights، then recommended Searching with several recommendations، the most important of which is creating programs to develop and strengthen civil society organizations and building Its ability and contribution to the creation of specialized professional centers help consolidate the principles of democracy and human rights.

المقدمة :

إن قضية حقوق الإنسان والحريات الأساسية المرتبطة بها والضمانات التي تكفل التمتع بها وحمايتها تشكل أحد الموضوعات الرئيسية التي تحظى باهتمام العديد من المنظمات والمفكرين في الآونة الأخيرة سواء أكان ذلك على المستوى العالمي أم الإقليمي أم المحلي .

وتعد الشرائع السماوية من أقدم المصادر المكتوبة التي تناولت قضايا الحقوق والمسئوليات فحقوق الإنسان من الثوابت التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي ، فهي ليست حقوقا سياسية ودستورية فحسب ، كما إنها ليست نتاجاً فكرياً يمثل مرحلة من تطور العقل الإنساني ، وليست حقوقاً طبيعية كما يعبر عنها في القانون الوضعي ولكنها في التعاليم الإسلامية واجبات دينية يكلف بها الفرد والمجتمع كل في نطاقه وحدود المسئولية التي ينهض بها.
(محمود، ٢٠١٢، ١٠)

ومبدأ حقوق الإنسان مؤسس على أن كل إنسان بالفطرة هو حامل للحقوق، والحق يتضمن التزام لاحترام وتعزيز وحماية وتلبية ذلك الحق من قبل الدولة، والفاعلين الذين تقع على عاتقهم حماية الحقوق. والتزام الدولة يعني أنه على كل أعضاء ودوائر ووكلاء الدولة الإمتناع عن تنفيذ وتمويل

ومسامحة أي إجراء أو سياسة قانونية يتم من خلالها انتهاك حقوق الأفراد، وإعاقة حريتهم في الحصول على المصادر لتلبية حاجاتهم، وهذا يشمل قيام الهيئات الإدارية والتشريعية بضمان الالتزام بحيث تجبر الدولة ووكلائها على منع انتهاكات هذه الحقوق من قبل أفراد آخرين أو فاعلين آخرين.

ويكمن دور البرامج في تطوير قدرات المدافعين عن حقوق الإنسان للوفاء بالتزاماتهم، وتساعد أصحاب الحقوق المنتهكة لرفع مطالبهم وشكواهم، وإطار حقوق الإنسان يحدد العلاقة ما بين الأفراد، والجماعات وأصحاب الحق، والدولة والفاعلين غير الحكوميين مع الالتزامات المعيارية. وهذا التوجه يحدد أصحاب الحقوق وحقوقهم والمدافعين والقائمين على تلبية هذه الحقوق، والتزاماتهم ويعمل على تقوية قدرات أصحاب الحقوق لرفع مطالبهم والمدافعين عن الحقوق لتلبية التزاماتهم.(UN،2003،4).

وقد جاء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ م من اجل التأكيد على مراعاة الحقوق لكل البشر بغض النظر عن الأصول العرقية والقومية والإيديولوجية ، وكذلك حمايتها من خلال إطار عمل قائم على قيم حقوق الإنسان المتضمنة في الإعلان ، ولذلك وجهت دعوة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة إلى اليونسكو للعمل على تشجيع وتيسير الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

(القيسي وآخرون، ٢٠٠٨، ٣)

فالجهات التي كانت لها أثر رئيسي في القيام بالأنشطة المختلفة في المجتمع سابقا هي القطاع الحكومي (العام) وقطاع الشركات الخاصة، ولكن حالياً بدأ قطاع المنظمات غير الحكومية، الذي يقع في النطاق المتوسط بينهما ، ناشطاً في المجتمع وخصوصاً في مجالات التنميةوالديمقراطية وحقوق الإنسان ومكافحة الفساد . إن وجود منظمات مجتمع مدني فاعلة شرط أساسي من شروط الديمقراطية باعتبارها الأداة المثلى لتثقيف المجتمع وتوعيته بحقوقه وواجباته ، ولتحقيق ذلك لابد من التكامل بين المنظمة والسلطة ، وحتى يتم ذلك على السلطة المتمثلة في الحكومات إن تقر حق المواطن بالانتظام وقبل السلطة ومنظمات المجتمع المدني عند المشاركة وتقبل المشاركة وتقبل بمبدأ المشاركة بديلاً للتنافس والتوازي.

(هاريكازغير، ٢٠٠٧، ٨)

ومنظمات المجتمع المدني تعتبر السلطة الخامسة من السلطات المدنية التي أنتجها العقل البشري ، لتنظيم شؤون الحياة والمجتمع ، ومنها السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، ووجد الإنسان إن هذه السلطات لا يمكن وحدها إن تقوم ببناء مؤسسات الدولة ، فجاءت الحاجة إلى إيجاد مؤسسات جديدة فكانت السلطة الرابعة وهي الصحافة والإعلام وبعدها السلطة الخامسة منظمات المجتمع المدني ، وهذه السلطة كانت موجودة قبل فترة الاحتلال بشكل محدود لكن ظهرت بشكل ملحوظ في العراق بعد عام ٢٠٠٣ .

(نوري، ٢٠١٠، ٣٦٧)

وتتجسد علاقة المجتمع المدني بالديمقراطية في مجالات عدة ، فالديمقراطية في غياب المجتمع المدني تقوم على خط واحد من القمة إلى القاعدة ، وفي وجود المجتمع المدني عندئذ يتحقق بناء الخط الآخر من الأسفل إلى القمة ، وبذلك تسير عملية التحول الديمقراطي على وفق خطين متوازيين متكاملين وهنا يحق القول : إن المجتمع المدني وهو حق الاختلاف في الآراء ، والعيش وسط التنوع والتعدد والتلاقي أي التعددية التي هي في ذاتها إحدى الأعمدة المركزية للديمقراطية.

(البياتي، ٢٠٠٣، ٢٠٣)

لذا يؤكد البحث على ضرورة إن تأخذ منظمات المجتمع دورها الكبير في استقرار العراق فالإسهام في بناء مؤسسات الدولة يحتاج إلى تضافر جميع الجهود والتوجهات والمؤسسات وضمنها مؤسسات المجتمع المدني .

الجهود التربوية لمنظمات المجتمع المدني في العراق ودورها في التربية على حقوق الإنسان

إن ما حدث للمجتمع العراقي من هزات سياسية واجتماعية فقد خلقت هذه الأزمة السياسية نزاعات وصراعات بفعل التوتر السلطوي ، بعيداً كل البعد عن المعاناة المجتمعية التي وصلت إلى ذروتها في هذه الفترة فهذا بلا شك أدى إلى زعزعة مكانة الدولة، وبالتالي ظهور وكثرة المنظمات الأهلية ، والحركات المدنية التي من شأنها أن تقدّم أو تسد الفجوة السياسية ولو بشكل مؤقت مما أدى إن الكثير من الفئات المهمشة تتضامن مع هذه المنظمات،وذلك رغبة منها لتلبية متطلباتها التي أصبحت هذه المتطلبات رغم بساطتها بعيدة عن المنال ، وذلك بفعل أزمة وجود الدولة كما يصفها أفراد المجتمع العراقي .

مشكلة البحث :

تتضح أهمية قضية حقوق الإنسان على المستويين ، العالمي والمحلي ، فعلى المستوى المحلي توجد بعض المؤشرات التي تدلل على وجود بعض أوجه القصور والمشكلات التي تحد من قيام منظمات المجتمع المدني بدورها تجاه التربية على حقوق الإنسان وتؤكد ذلك بعض الدراسات في هذا المجال فتوصلت إلى :

-إنه على الرغم من الازدياد لمطرد في عدد المنظمات التي تندرج ضمن إطار المجتمع المدني واتساع أنشطتها وامتدادها إلى كثير من المحافظات العراقية ، إلا إنها لم تقم بدور فعال في دفع عملية التحول الديمقراطي في العراق كإحدى قضايا حقوق الإنسان ، وبخاصة محافظات .

-ضعف التعاون بين منظمات المجتمع المدني ومؤسسات التعليم قبل الجامعي في نشر الوعي يقيم ومباديء حقوق الإنسان .

-إن الأطر القانونية الحاكمة لعمل منظمات المجتمع المدني تمنح صلاحيات اكبر للحكومة في متابعة تلك المنظمات وقد يساهم ذلك في الحد من حرياتها وبالتالي قدرتها على الحركة .

ومن هذا المنطلق كانت فكرة البحث فتمحورت حول التساؤل الرئيس التالي كيف يمكن تفعيل أثر منظمات المجتمع المدني بالعراق في التربية على حقوق الإنسان في ضوء بعض الخبرات العالمية ؟

١-ما الإطار الفكري والتاريخي للتربية على حقوق الإنسان ؟ وما مدى الاهتمام بها عالميا ومحليا ؟

٢-ما أبرز الخبرات العالمية والعربية في مجال اهتمام منظمات المجتمع المجني بقضية حقوق الإنسان ؟

٣-ما الأثر التربوي المتوقع إن تسهم به منظمات المجتمع المدني في التنبيه على حقوق الإنسان ؟ وما مدى تحقيق هذا الدور على ارض الواقع ؟

٤-ما الصعوبات التي تواجه منظمات المجتمع المدني في القيام بدورها تجاه قضية حقوق الإنسان بالعراق ؟

أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى محالة التوصل إلى تصور مقترح لتفعيل أثر منظمات المجتمع المدني بالعراق في التربية على حقوق الإنسان في ضوء بعض الخبرات العالمية وذلك من خلال :

١-التنظير لقضية حقوق الإنسان(المفهوم ، النشأة والتطور ، الفلسفة)وتسليط الضوء عليها من المنظور التربوي باعتبارها من القضايا المهمة ، والتي أصبحت تشغل حيزاً من اهتمامات المسئولين عالمياً ومحلياً .

٢-تحديدأثر منظمات المجتمع المدني في التربية على حقوق الإنسان .

٣-عرض أبرز الخبرات العالمية والعربية في مجال اهتمام منظمات المجتمع المدني بقضية حقوق الإنسان .

٤-رصد الصعوبات التي تواجه منظمات المجتمع المدني في القيام بدورها تجاه قضية حقوق الإنسان .

أهمية البحث :

جاءت أهمية البحث من حيث طبيعة الموضوع والقضية التي يعالجها بعيداً عن تأثير الدولة وأجهزتها الحكومية فالأهمية التي تحظى بها منظمات المجتمع المدني ودورها من الآتي :

١-أهمية القضية التي يتناولها ، وهي قضية الإنسان والتي تبرز قضية مستقلة أو جزءاً من قضايا التنمية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية .
٢-إنه بعد استجابة للدعوة من قبل المنظمات العالمية والإقليمية إلى الاهتمام بالتربية على حقوق الإنسان من خلال سياسات تعليمية ، ومؤسسات وطنية ، ومنظمات المجتمع المدني .
٣-تنبع أهميته بوظائف منظمات المجتمع الوطنية : تحقيق الديمقراطية ،تحقيق النظام في المجتمع ، الحفاظ على حقوق الأفراد والفئات والجماعات المنتمية إليها الدفاع عن حقوق الإنسان ، تخفيف العبء عن كاهل الدولة ، المشاركة الفعالة في التنمية الشاملة .

مصطلحات البحث :

١- منظمات المجتمع المدني :

ومن التعريفات الانسب والأكثر شيوعاً تعريف سعد الدين إبراهيم الذي يعرف المجتمع المدني بأنه مجموعة التنظيمات التي تنشا بالإرادة الحرة لأعضائها والتي تملأ المجال العام بين الأسرة والسوق والدولة ، بهدف خدمة مصلحة أو قضية أو التعبير عن مشاعر مشتركة بشكل رسمي يحترم حق الآخرين في إن يفعلوا نفس الشيء.(إبراهيم، ٢٠٠١، ١٠)
وقد اكتسب مفهوم المجتمع المدني تعريفات متعددة ومختلفة ويرجع هذا الاختلاف إلى التطورات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مر بها المفهوم ، عالمياً ومحلياً ، فيعرفه البعض بأنه « جملة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال نسبي عن سلطة الدولة لإغراض متعددة منها : أغراض سياسية كالمشاركة في صنع القرار على المستوى الوطني ، وأعراض نقابية كالدفاع عن المصالح الاقتصادية لأعضاء النقابة ، والارتفاع بمستوى المهمة والتعبير عن مصالح أعضائها ، ومنها أغراض ثقافية كما في اتحاد الكتاب والمثقفين والجمعيات الثقافية التي تهدف إلى نشر الوعي وفقا لاتجاهات الأعضاء لكل جمعية ، ومنها أغراض اجتماعية للإسهام في العمل الاجتماعي لتحقيق التنمية .(فراج، ٢٠١٠، ٢٩-١٠٦)
ويعرفه المعهد الوطني الديمقراطي بمصر بأنه (مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملا المجال العام بين الأسرة والدولة ، أي بين مؤسسات القرابة ومؤسسات الدولة التي لا مجال للاختيار في عضويتها) هذه التنظيمات التطوعية الحرة تنشأ لتحقيق مصالح أفرادها او لتقديم خدمات للمواطنين أو لممارسة أنشطة إنسانية متنوعة ، وتلتزم في وجودها ونشاطها بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والمشاركة والإدارة السليمة للتنوع والاختلاف. (سليمان، ٢٠٠٩، ١٠)

٢- حقوق الإنسان :

تُعرف حقوق الإنسان بأنها « امتيازات تحكمها قواعد يعترف بها القانون الدستوري والقانون الدولي ، وهي تهدف إلى حماية الأشخاص في علاقتهم بالآخرين أو بسلطة الدولة وتوفير الظروف التي تسمح بالتمتع بهذه الحقوق. (دونللي، ١٩٨٨، ٢٢)
وتُعرف بأنها « عبارة عن مجموعة من القواعد والنصوص التي تهدف للوصول إلى المستوى المشترك في توطيد واحترام الإنسان وتحقيق الحرية والعدل والسلام في العالم.
(الإمم المتحدة، ٢٠١٢)

٣- التربية على حقوق الإنسان :

يعد تعريف الأمم المتحدة للتربية على حقوق الإنسان أكثر التعريفات انتشارا وقبولا ، حيث تعرف التربية على حقوق الإنسان بأنها « جهود النشر والتدريب والإعلام في مجال حقوق الإنسان ، والتي تهدف إلى بناء ثقافة الإنسان من خلال نقل المعلومات وإكساب المهارات وتكوين الاتجاهات الموجهة إلى (الأمم المتحدة، ٢٠١٢)
•تطوير كامل للشخصية الإنسانية والإحساس بكرامتها .
•تعزيز التفاهم والتسامح بين جميع الأمم والشعوب .

•تمكين جميع الأفراد من المشاركة الفعالة في مجتمع حر .
•تعزيز أنشطة الأمم المتحدة للحفاظ على السلام .
كما تعرفها منظمة العفو الدولية بأنها
« ممارسة مدروسة تقوم على المشاركة وتهدف إلى تمكين الأفراد والمجموعات والمجتمعات من خلال تنمية المعارف والمهارات والموافق المتسقة مع مباديء حقوق الإنسان المعترف بها دوليا». (منظمة العفو الدولية ، ٢٠١٢)
ويعرفها الباحث إجرائياً : مجموعة الأنشطة التربوية التي تهدف إلى نشأة الفرد اجتماعيا من خلال توعيته بالحقوق والمفاهيم والمباديء والمهارات المتصلة بحقوق الإنسان التي أقرتها الشرائع السماوية والقوانين والاتفاقيات والمواثيق الدولية ، على نحو يمكنه من ممارسة مسئولياته وواجباته في احترام هذه الحقوق والدفاع عنها .

منهج البحث :

سوف يستخدم البحث الحالي المنهج الوصفي ، الذي يهتم بسرد البيانات وتحليلها مع وصف واقع خبرات بعض الدول مقارنة مع دول أخرى ، وبخاصة نموذج الدراسة « المجتمع العراقي « من حيث الأبعاد الخاصة ببيئة النظام السياسي والتحولات المجتمعية وأثر ذلك على دور المجتمع المدني في التحول الديمقراطي والتعرف على مدى قدرته في التنمية .

دراسات سابقة :

١- دراسة فرج عبد العزيز عزت (٢٠٠٩م) :
هدفت الدراسة إلى التعرف على الملامح العامة لمنظمات المجتمع المدني من حيث المفهوم ، والسمات المميزة لمنظمات المجتمع المدني ، وإلقاء الضوء على المشكلات والمعوقات التي تواجه المجتمع المدني ومنظماته في مصر ، تتبع مؤشر التنمية البشرية في مصر ومكوناته على مستوى قومي ومحلي لتحديد تطور الاتجاهات القومية وكذلك لتحديد أوجه التباين على مستوى المحافظات . تحليل ما تم إنجازه من الأهداف الإنمائية للألفية على المستوى القومي ، وعلى مستوى المحافظات ، وسبل تحقيق هذه الأهداف .
وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها : من خلال تطور مؤشر التنمية البشرية في مصر إلى إنّ التقدّم لم يكن متكافئاً بين جميع المحافظات ، وإنه يتعين بذل الكثير من الجهود حتى يتسنى للمحافظات تحقيق الأهداف الإنمائية بحلول عام ٢٠١٥م، وجود تحسن مستمر في المجموع العام لمؤشرات التنمية البشرية منذ عام ١٩٩٥م ، وفي عام ٢٠٠٥م كان مؤشر التنمية البشرية في مصر ٠،٧٠٨ إذ احتلت مصر المرتبة (١١٢) من (١١٧) دولة وكان مؤشر العمر الافتراضي يتزايد باضطراد ، إن الطبيعة المتداخلة للأهداف الإنمائية للألفية تتطلب مجموعة متنوعة من التدابير السياسية التي يتم تنفيذها على التوازي لضمان المعالجة الشاملة للجوانب المختلفة.

٢- دراسة دينا محمود كامل (٢٠١٠م):
بينت الدراسة تحديد المتغيرات المجتمعية والسياسية المرتبطة بالتطوع في الجمعيات الأهلية العاملة في مجال حقوق الإنسان ، تحديد المعوقات المرتبطة بالتطوع في الجمعيات الأهلية العاملة في مجال حقوق الإنسان ، ثم وضع تصور مقترح من منظور تنظيم المجتمع لتفعيل التطوع بالجمعيات الأهلية العاملة في مجال حقوق الإنسان واستخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعي للتعرف على المتغيرات المجتمعية والسياسية المرتبطة بالتطوع، وتحديد أهم المعوقات المرتبطة بالتطوع في الجمعيات الأهلية العاملة في هذا المجال .وقد توصلت إلى أهم المتغيرات المرتبطة بالتطوع في الجمعيات الأهلية ، وتطبيق المساواة والعدالة في التطوع بالجمعيات الأهلية ، وتنمية الشخصية الاجتماعية،والتمسك بالقيم الدينية التي تحرص على مساعدة الآخرين ، والمساهمة في خدمة المجتمع ، والمستوى التعليمي والثقافي ، واهتمام وسائل الإعلام بالقدر الكافي لتنمية

الوعي لدى الشباب بالمجتمع.

٣- دراسة لبنى ياسين (٢٠١٠):

هدفت التعرف إلى أثر المنظمات غير الحكومية في دعم التعليم بالأردن ، باستخدم المنهج الوصفي التحليلي من خلال الزيارة الميدانية وإجراء المقابلات الشخصية مع إدارة المنظمات .

وتكوّن مجتمع الدراسة بأخذ عينة قصدية من أربع منظمات مختصة بالتعليم خاصة رياض الأطفال ومرحلة التعليم الأساسي ، وقد بينت الدراسة إن هناك مشكلة لنظرة أفراد المجتمع وثقافته حول مفهوم المنظمات غير الحكومية ، بالتالي يجب السعي إلى تغيير ثقافة المجتمع ، ونظرته نحو وجود هذه المنظمات من خلال عقد الندوات والمؤتمرات بالتعاون مع مؤسسات القطاع الحكومي.

وأظهرت النتائج أن المنظمات غير الحكومية لها تاثير على عملية التغيير الايجابي ويعتبر التمكين والتنمية المجتمعية من الأهداف الإستراتيجية لها وذلك عن طريق تفعيل برامج تربوية تعليمية خاصة بفئات عمرية مختلفة . أهمها مرحلة رياض الأطفال والتعليم الأساسي ، مما حقق بشكل إيجابي تغيير الفكرة في تقبل وجود المنظمات غير الحكومية في المنطقة العربية ، والإيمان بدورها وهدفها ، فارتفعت نسب الالتحاق بالمدارس ، وانخفضت نسب الأمية ،إضافة إلى التحسين والتطوير المطبق على المدارس من أنظمة ، ومناهج وأبنية ، كذلك التطوير الحاصل في اسلوب التعليم والتدريب ، إلا إنها تعاني من مشكلة نقص التمويل في دعم برامجها ومشاريعها المستمرة .

دراسات أجنبية :

١-دراسة George E. Edwards (٢٠٠٩م) :

بعنوان تقييم فعالية منظمات حقوق الإنسان غير الحكومية منذ نشأة الأمم المتحدة حتى القرن الحادي والعشرون، عشر سمات للمنظمات غير الحكومية الأكثر نجاحاً في مجال حقوق الإنسان.

هدفت هذه الدراسة إلى تقييم فعالية منظمات حقوق الإنسان غير الحكومية في الفترة منذ نشأة الأمم المتحدة حتى القرن الحادي والعشرون وذلك بهدف التمييز بين المنظمات التي تستحق الدعم المالي والترخيص والاعتماد ، ومنح مزايا ضريبية ، وكذلك مدى قيام هذه المنظمات بدورها في حماية حقوق الإنسان وقد خلصت الدراسة إلى عشر سمات يجب إن تتسم بها هذه المنظمات غير الحكومية لكي تؤدي دورها بكفاءة وفعالية هي :

١-أن يكون لها رسالة .
٢-الالتزام بمبادئ حقوق الإنسان .
٣-الشرعية .
٤-الاستقلالية .
٥-أن يتوافر لها مصادر للتمويل .
٦-إن تكون غير ربحية عند تقديم الخدمة .
٧-الشفافية والمساءلة .
٨-القدرة على التكيف والاستجابة .
٩-أن تكون ذات طبيعة تعاونية .

٢-دراسة Kiyiteru Tsutsui (٢٠٠٤م) :

بعنوان:«المجتمع المدني العالمي ، والحركة الدولية لحقوق الإنسان : مشاركة المواطنين في منظمات حقوق الإنسان الدولية غير الحكومية».

هدفت الدراسة التعرف على معدلات مشاركة المواطنين من خلال عضويتها في المنظمات الدولية لحقوق الإنسان غير الحكومية والعوامل التي تؤثر في ذلك ، خاصة في ظل ظهور نمو ملحوظ في عدد هذه المنظمات في الفترة الأخيرة ولتحقيق هدف الدراسة استخدام تحليل الانحدار متعدد المتغيرات للتعرف على حجم عضوية المواطنين في المنظمات الدولية لحقوق الإنسان غير الحكومية في الأعوام : ١٩٧٨ ، ١٩٨٨ ، ١٩٩٨ ، وقد انتهت الدراسة إلى إن هناك نمواً ملحوظاً في معدلات مشاركة المواطنين في حركة حقوق الإنسان العالمية ويرجع ذلك إلى مجموعة من متغيرات عالمية ومحلية ، وإن المتغيرات العالمية تأثيرها اقوى من تأثير المتغيرات المحلية .

٣-دراسة Unesco (٢٠٠١م) :

بعنوان : « نحو إستراتيجية لتحسين الاتصال في مؤسسات المجتمع المدني في مجال التعليم للجميع « .

هدفت الدراسة إبراز مؤسسات المجتمع المدني في دعم مبادرة التعليم للجميع والتي أطلقتها اليونسكو عام ١٩٩٠م .

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها : معظم مؤسسات المجتمع المدني في الدول الفقيرة تعاني صعوبات مالية وتشريعية وإدارية .

تعقيب على الدراسات السابقة :

تتشابه الدراسات السابقة مع البحث الحالي في التأكيد على أهمية قضية حقوق الإنسان وضرورة الاهتمام بها ، إلا أن الدراسة الحالية تختلف عن سابقاتها في كونها تهتم بأثر المنظمات في التربية على حقوق الإنسان ، ومحاولة تفعيل هذا الأثر بالاستفادة من بعض الخبرات العالمية والعربية ، واستطلاع رأي العاملين بهذه المنظمات فيما يتعلق بقيامها بالدور المنوط بها ، والصعوبات التي تواجههم ، ومقترحاتهم للتغلب عليها ، وهذا لم تتطرق له أيا من الدراسات السابقة .

وجدير بالذكر إن الدراسة الحالية قد استفادت من الدراسات السابقة في نواح عديدة وخاصة الإطار النظري والتأهيل لقضية حقوق الإنسان .

المحور الأول: التربية على حقوق الإنسان

المطلب الأول: ماهية حقوق الإنسان:

حقوق الإنسان هي حقوق متأصلة في جميع البشر، مهما كانت جنسيتهم، أو مكان إقامتهم، أو نوع جنسهم، أو أصلهم الوطني أو العرقي، أو لونهم، أو دينهم، أو لغتهم، أو أي وضع اخر(الأمم المتحدة)

مفهوم حقوق الإنسان يستند على الإقرار بما لجميع أفراد الأسرة البشرية من قيمة وكرامة أصيلة فيهم، فهم يستحقون التمتع بحريات أساسية معينة، وبإقرار هذه الحريات فإن المرء يستطيع أن يتمتع بالأمن والأمان، ويصبح قادراً على اتخاذ القرارات التي تنظم حياته.

(زين الدين، ٢٠١٤، ٢٣٢)

وتعرف على انها مجموعة المصالح المقررة للأفراد والجماعات والشعوب في الاتفاقيات الدولية، وهي بذلك حقوق متفق عليها من دول العالم، ولا تثير أيديولوجية أو عقائدية أو غيرها.

(ابراهيم، ١٩٩٨، ١٢)

أمّا كارل فاساك فيعرفها بأنها علم يهم كل شخص ولاسيّما الإنسان العامل الذي يعيش في إطار دولة معينة، والذي إذا ما كان متهم بخرق القانون أو ضحية حالة حرب، يجب أن يستفيد من حماية القانون الوطني والدولي، وان تكون حقوقه وخاصة الحق في المساواة مطابقة لضرورات المحافظة على النظام العام).

(زيادة، ٢٠٠٠، ١٧)

ويعرفها ايف ماديو بأنها دراسة الحقوق الشخصية المعرف بها وطنياً ودولياً والتي في ظل حضارة معينة تضمن الجمع بين تأكيد الكرامة الإنسانية وحمايتها من جهة والمحافظة على النظام العام من جهة أخرى).(مطرود، ٢٠٠٥، ٨)

ومما سبق يمكن إن نذكر مجموعة صفات أساسية لحقوق الإنسان وهي كالآتي:

الأزلية: بمعنى إن هذه الحقوق موجودة منذ خلق الإنسان، فهي ليست وليدة التطورات الاجتماعية والأحداث العالمية أما حقوق الإنسان الأساسية فهي موجودة منذ خلق الإنسان لأن كل إنسان بحاجة أليها ولا يستطيع العيش بدونها.

الأبدية: هذه الصفة تفيد إن حقوق الإنسان تبقى ما دامت كرتنا الأرضية تضم على ظهرها بني البشر، لان الإنسان لا يستطيع العيش بدونها فهي الضامن الأساسي الذي لا غنى عنه ليحيا الإنسان حياة حرة كريمة

التلازم: بمعنى أنها ترافق الإنسان منذ ولادته وحتى قبل ولادته، وتبقى إلى أن يموت وبعد موته، لا يستطيع احد أن يحجبها عنه، فهي ملازمه لشخص الإنسان لم يمنن بها عليه احد، ولم يمنحها له أحد .

الاعلانية: أي أنها موجودة حكماً لا موجب لإقرارها من قبل سلطة تشريعية أو دستورية أو أية سلطة أخرى وهذا ما فعلته الأمم المتحدة عندما قالت بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان ولم تقل بإقرار هذه الحقوق.

الشمولية: أي إن هذه الحقوق ليست قاصرة على فئة معينة من الناس ولا على بقعة واحدة من العالم ولا على زمان محدد وإنما هي حقوق موجودة أزلية أبدية ملازمة للإنسان في كل زمان وفي كل مكان وهذا نابع عن الترابط الجدلي بين مختلف زمر حقوق الإنسان سواء أكانت حقوق مدنية وسياسية أم اقتصادية واجتماعية وثقافية أم حقوق تضامن.(يوسف، ٢٠٠٢، ٩٦)

المطلب الثاني: التربية على حقوق الإنسان

إن التعليم أداة فعالة لنشر مفاهيم حقوق الإنسان بين الأجيال، ، وما يمثله المربي من قدوة، تعد الفضاءات المناسبة لتحقيق الأهداف المنشودة في هذا المجال، فإنه من الجوهري في هذا الصدد استحداث رؤية جديدة للتعليم تنطلق من توسيع التعريف التقليدي للتعليم لكي يعالج تحديات جديدة مثل ارتباطه بالاحتياجات، والقيم العالمية لحقوق الإنسان واتخاذ القرارات على أساس من المعرفة، وهذا يعني إن التربية على حقوق الإنسان لا تتعلق بتوفير المعارف والمهارات فحسب، وإنما تتعلق أيضاً بتعزيز الاتجاهات والمواقف والسلوكيات التي تسمح للناس بالمشاركة في حياة مجتمعاتهم المحلية والوطنية بطريقة بناءة يحترمون بها أنفسهم والآخرين، وينبغي للأجيال أن يتعلموا من خلال معايير ومبادئ الحقوق وهى تنفذ في الواقع العملي، وفي قاعة الدرس، وفي المنزل، وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

(الجامعة العربية، ٢٠٢٠)

في إطار عقد الأمم المتحدة للتربية على حقوق الإنسان عقدت اليونسكو خمسة مؤتمرات إقليمية أكدت فيها على أثر المنظمات في التربية على حقوق الإنسان.(عفيف،٢٠٠٢، ٢٧) هذا بالإضافة إلى المؤتمرات الإقليمية مثل المؤتمر الدولي الأول للحكومة العربية لحقوق الإنسان : «آفاق المستقبل «.والذي أكد على الأثر الحيوي الذي يضطلع به منظمات المجتمع المدني في التربية على حقوق الإنسان ، من خلال نشر ثقافة الحقوق والدفاع عنها ، وتحقيق الديمقراطية وتنفيذ العديد من مشروعات التربية على حقوق الإنسان بالتعاون مع مختلف المؤسسات الاجتماعية والتعليمية بالدولة.

(القصار، ٢٠١٠، ٣)

ليست التربية على حقوق الإنسان «تربية معرفية»، بل هي «تربية قيميّة» بالدرجة الأولى؛ فاهتمام هذه التربية «بالجانب المعرفي لا يعد قصداً نهائياً من هذه التربية، فهي تتوجه بالأساس إلى السلوك. وإذا ما تبين أحياناً أن هناك إهتماماً بالمحتوى المعرفي، فإن مثل هذا الاهتمام لا يتجاوز كونه مدخلاً أساسياً للمرور إلى قناعات الفرد وسلوكياته».

لا تكتفي هذه التربية الحقوقية بحشد الذهن بمعلومات حول الكرامة والحرية والمساواة والاختلاف، وغير ذلك من الحقوق؛ بل إنها تقوم أيضا على أساس أن يمارس المتعلم (الإنسان) تلك الحقوق، وأن يؤمن بها وجدانيا، وأن يعترف بها كحقوق للآخرين، وأن يحترمها كمبادئ ذات قيمة عليا. إنها ليست تربية معارف للتعلم فقط، وإنما هي تربية قيم للحياة والمعيش، انطلاقا من أن «التلاميذ لا يريدون أن يتعلموا حقوق الإنسان، فقط، وإنما أن يعيشوها في تعليمهم حتى تكون له أكبر فائدة عملية بالنسبة لهم». (الانتصار،٢٠١٠م)

وفي عام ١٩٩٣ ،أعلن المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان التربية على حقوق الإنسان ضرورة لتعزيز وتحقيق عالقات مستقرة ومنسجمة ولترسيخ تفاهم متبادل والتسامح والسلام ونظمت اليونسكو المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان والديمقراطية في مارس ١٩٩٣ ،كما أطلقت الجمعية العمومية في الأمم المتحدة التربية على حقوق الإنسان (١٩٩٤ - ٢٠٠٤)، فحث جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على تعزيز «تعميم

التدريب والمعلومات التي تهدف إلى بناء ثقافة عالمية لحقوق الإنسان». وتم تأسيس برنامج عالمي للتربية على حقوق الإنسان سنة ٢٠٠٥ لتقييم نتائج العشرية، وغيرها من المبادرات. (العدوني، ٢٠١٩، ٢٣)

إن التربية على حقوق الإنسان هي إذن سيرورة مركبة من المعارف والقيم والمواقف والإجراءات التي تستهدف تعليم الناس حقوقهم وحقوق الآخرين وممارستها. فالتربية على حقوق الإنسان لا تتوخى فقط شحن الأفراد بمعلومات ومعارف عن حقوق الإنسان بقدر ما تسعى إلى خلق قناعة ذاتية بالكرامة الإنسانية المتأصلة في الإنسان وذلك من خلال تغيير المواقف والسلوكيات والالتزام بها. »ليست التربية على حقوق الإنسان «تربية معرفية»، بل هي «تربية قيمية» بالدرجة الأولى؛ فاهتمام هذه التربية بالجانب المعرفي لا يعد قصداً نهائياً من هذه التربية، فهي تتوجه بالأساس إلى السلوك. وإذا ما تبين أحياناً أن هناك اهتماماً بالمحتوى المعرفي، فإن مثل هذا الاهتمام لا يتجاوز كونه مدخلاً أساسيا للمرور إلى قناعات . الفرد وسلوكيات. (الانتصار، ٢٠١٠)وتمتاز التربية على حقوق الإنسان بكونها عملية تساعد المتعلمين على إدماج قيم حقوق الإنسان، من قبيل الاحترام والمساواة وغيرها في حياتهم اليومية على نحو أفضل، وتحفز التربية على:

١.استخدام حقوق الإنسان كإطار مرجعي في العلاقة مع الآخرين.(العماري،٢٠١٤)

٢.فحص المواقف والسلوكيات الخاصة بكل فرد بشكل نقدي، وبالتالي القدرة على تحويلها من أجل تعزيز السلم والوئام الاجتماعي واحترام حقوق الجميع، وبالتالي تكون شخصية الطفل المتعلم، على أساس نظرته إلى الحياة، ووجدانه، ومشاعره، وفق ما تقتضيه ثقافة حقوق الإنسان من ممارسات وعلاقات بين الإفراد، ثم بين الفرد والمجتمع.

إذا كان واقع التربية داخل مؤسسات تربوية أو تثقيفية أو عالمية مختلفة في الظرفية الراهنة ما يزال بعيداً عن إرساء ثقافة حقوق الإنسان وتعميمها وتمكين الأفراد والمتعلمين من تملكها، فإن الجهود المبذولة، مع ذلك، على صعيد إنتاج النصوص والقوانين والتصورات والبرامج والإستراتيجية التربوية، سواء منظمات دولية أو الهيئات غير الحكومية أو مراكز الأبحاث والدراسات، تبقى محترمة وذات مردودية. فهناك مجهودات كبيرة تبذل من أجل ترسيخ ثقافة حقوق الإنسان، وإدماج مضامينها في البرامج والمناهج التربوية، وتأهيل الفاعلين التربويين، حيث تضمنت الخطة العربية للتربية على حقوق الإنسان الصادرة عن جامعة الدول العربية للفترة ٢٠٠٩ - ٢٠١٤ أربعة أهداف عامة ،وهي

١- إدماج حقوق الإنسان في المنظومة التربوية في مختلف المراحل التعليم.

٢- تأهيل الكوادر البشرية وتدريبها .

٣-تهيئة بيئة تعليمية للتربية على حقوق الإنسان.

٤-توسيع المشاركة المجتمعية في نشر ثقافة حقوق الإنسان.(الخطة العربية للتربية، ٢٠١٤)

مجمل القول، إنّ التربية على حقوق الإنسان، سواء تم تمريرها في إطار الأسرة أو المدرسة أو المؤسسات الإعلامية، فإن نجاحها يكون رهينا بوجود نظام اجتماعي وثقافي متحرر من التسلط، ديمقراطي،عقلاني ومنفتح،لأن التربية على حقوق الإنسان جزء من كل تتأثر به وتؤثر فيه سلبا أو إيجابا. فهي تتأثر بمؤثرات ميكروسوسيولوجية، كالتنشئة الأسرية، والبرامج المدرسية والعلاقات التربوية والإدارية وتمثلات وسلوكيات المتمدرسين والفاعلين التربويين، وأخرى ماكروسوسيولوجية كالنسق الاجتماعي العام وعناصره الأساسية من الثقافة السائدة ومنظومة القيم والنظام السياسي والهيكل الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية.

المحور الثاني: منظمات المجتمع المدني

المطلب الأول: ماهية منظمات المجتمع المدني

عرفه عبد الغفار شكر بأنه «مفهوم يشير إلى مختلف التنظيمات والهيئات التطوعية التي تنشا بمقتضى الإرادة الحرة لأعضائها بقصد حماية مصالحهم والدفاع عنها وبقدر ما يشكله

المجتمع المدني من قيمة أخلاقية واجتماعية كإطار للعمل المؤسسي ،فإنه يمثل أيضاً نسيج متشابك يقوم بين أفراده من جهة وبينه وبين الدولة من جهة أخرى ، الذي تأخذ علاقته بها أشكال متعددة قد تكون ودية أحياناً وفي صورة احتجاج سياسي وأعمال وعنف وتظاهرات معارضة أحياناً أخرى.(إبراهيم، ٢٠٠٠، ٢٢)

إن مفهوم المجتمع المدني يمثل(شكلاً وتركيباً إجتماعياً مدنياً حديثاً لبناء المجتمع) ،إنه المجتمع الذي توصف دولته بالدولة الحديثة ،والقائم على أسس الديمقراطية التي تمثل الشرعية الوحيدة التي لا بديل عنها. (الجابري، ١٩٩٣، ١٣)

وخلاصة القول إن المجتمع المدني يمثل «مجموعة التنظيمات التطوعية التي تملا المجال العام بين الأسرة والدولة، أي بين المؤسسات والارتباطات التي تفرض على المرء ولا مجال له فيها للاختيار مثل الأسرة ، العشيرة، المذهب أو الطائفة، العرق، القومية ...الخ، وبين مؤسسات المجتمع المدني التي تنشا لتحقيق خدمة عامة للمواطنين أو تحقيق وحماية مصالح أفرادها، أو ممارسة نشاطات سياسية واجتماعية، والتزامها بمعايير وقيم التراضي والتسامح والأخلاق العامة والمشاركة الفعالة في الحياة السياسية وللإدارة السلمية للتنوع والاختلاف. (الجابري، ١٩٩٣، ١٥)

المطلب الثاني:الهيكل الدستوري والقانوني لمنظمات المجتمع المدني في العراق:

العلاقة بين الدولة ومؤسسات المجتمع المدني في العراق نظمت بموجب الدستور العراقي الدائم ٢٠٠٥ إذ إن المادة) ٤٥ (أولاً / ينبغي على الدولة أن تحرص) على تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني، ودعمها وتطويرها واستقلاليتها، بما ينسجم مع الوسائل السلمية لتحقيق الأهداف المشروعة لها) وينظم ذلك بقانون.(الدستور، ٢٠٠٥) كذلك إلى جانب وجود لجنة دائمة في مجلس النواب العراقي تعرف)لجنة مؤسسات المجتمع المدني(ومهامها هي

أولا: اقتراح التشريعات واسنادها والإجراءات الكفيلة بتطوير دور مؤسسات المجتمع المدني وتفعيلها.

ثانياً : متابعة معاهد ومراكز الدراسات التي من شأنها أن تهتم بتطوير أفكار وآليات مؤسسات المجتمع المدني بما ينسجم وخصوصية وواقع المجتمع العراقي وقد سبق الاعتراف بمنظمات المجتمع المدني دستورياً حينما تم تأسيس مكتب مساعدة المنظمات غير الحكومية (سابقا) وهو يعتبر من الدوائر التابعة للأمانة العامة لمجلس الوزراء والمعنية بشؤون تسجيل المنظمات غير الحكومية (NGOs) ولقد تأسست هذه الدائرة في وزارة التخطيط مركز تسجيل المنظمات غير الحكومية نهاية سنة ٢٠٠٣ وبعدها انفصلت إلى مكتب مساعدة المنظمات غير حكومية بالأمر ١٦سنه ٢٠٠٥ ،ثم تغير عنوانها إلى دائرة المنظمات غير الحكومية بالأمر) ١٢٢ سنة ٢٠٠٨.

(النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي)أما حالياً تتولى دائرة المنظمات غير الحكومية مهمة الإشراف والمتابعة على عمل المنظمات غير الحكومية بمجاليها الإداري والفني ، وتقوم بإصدار القرارات الفنية الخاصة بالمنظمات بموجب القانون رقم ١٢ لسنة ٢٠١٠ ، كذلك من مهامها إعداد الخطط والبرامج لتطوير عمل الدائرة وملاكها لتقديم أفضل الخدمات للحكومة والمجتمع على حد سواء ، وتُعدّ هذه الدائرة الجهة المسؤولة بالإشراف على تسجيل المنظمات غير الحكومية) المحلية وفروع المنظمات الأجنبية (واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنسيق أنشطتها، تُعدّ الدائرة جهة منسقة للعلاقة بين الدولة من جهة وبين المنظمات غير الحكومية حيث تقدم خدماتها للمجتمع عن طريق الدراسات والأبحاث والخدمات الاجتماعية الأخرى من جهة أخرى، كما تقوم الدائرة بمتابعة أنشطة المنظمات غير الحكومية بغية التأكد من امتثالها لبنود القانون رقم ١٢ لسنة ٢٠١٠، ثم تقوم بتقويم النشاطات وإعداد التقارير الدورية لها من خلال حضور الندوات واللقاءات التي تقيمها تلك المنظمات واتخاذ الإجراءات القانونية بحق

المنظمات غير الحكومية عند خرقها لأي بند من بنود القانون وتتعلق بالتعليق والإلغاء الإجراءات أو إحالتها إلى القضاء إن لزم الأمر ذلك.(الشبكة الدولية للمعلومات)

المطلب الثالث: آليات تفعيل المجتمع المدني في العراق

إن نجاح تجربة المجتمع المدني في (العراق) في صياغة التحولات المجتمعية ، وبشكل إيجابي تتطلب وقبل كل شيء مناخ طبيعي ملائم مستقر امنياً وسياسياً واقتصادياً لنجاحها كشرط لازم من الوعي العام بأهمية التجربة والممارسة في البناء السياسي والديمقراطي الصحيح. (شعبان، ٢٠٠١، ٩٥) ومن هنا فان مؤسسات المجتمع المدني ينبغي أن ستؤثر في توفير مناخ ملائم للعملية الديمقراطية والحراك السياسي والمجتمعي الفاعل الذي يشده العراق والمنطقة. (الطائي،٢٠٠٣، ١١٠) ومن هذه المسارات التي شهدها العراق ثلاث تجارب ديمقراطية مهمة (٢٠٠٥، ٢٠٠٧، ٢٠١٠) وتصويتهم في الاستفتاء على دستور دائم للعراق في ٢٠٠٥ مما شكل خطوات لاباس بها في استكمال التأسيس والبناء الديمقراطي الجديد للعراق.

ولاشك إن عملية بناء مؤسسات المجتمع المدني الحديث هي خطوة مهمة وصحيحة في طريق التنمية السياسية ، ومن الضروري أن نشير إلى عملية البناء هذه لابد وان تسبق بالفكر أولا ،الذي لا ينمو ولا يزدهر إلا في إطار الحرية وعلى أرضيتها ، إذ إن التنمية في نهاية المطاف هي ضرب من ضروب التحول الشامل. (خاتمي،١٩٩٨، ٥١٢)

وعليه فإن عملية التغير هذه ينبغي أن تضعها مؤسسات المجتمع المدني في العراق ضمن أولويات عملها وأهدافها الأساسية، وينبغي عليها أن تعمل أولاً على إخراج المجتمع العراق من الهامشية والتغييب السياسي إلى الاشتراك الفعال والإيجابي في الحياة السياسية وتقرير مصيره، وبنفس الوقت تسعى إلى القضاء على أبرز المشاكل التي يعانى منها المواطن وإشباع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لجميع المواطنين على السواء ،أي بعبارة أخرى أن تسعى هذه المؤسسات بمختلف الوسائل للقضاء على الفقر والجوع والبطالة والتخلف والمرض والتهميش السياسي والاجتماعي.

فإذا كان الأمر كذلك فهل إن تلك الشعارات المرفوعة من قبل النخب السياسية والمثقفة والتي تدعوا إلى إقامة مجتمع تحترم فيه الحقوق الأساسية، كفيلة بتحقيق هذه القفزة المجتمعية)إن صح التعبير (في العراق؟ وهل يمكن مواجهة متغيرات الواقع السياسي والثقافي المهيمن في العراق وتغيره من خلال مؤسسات المجتمع المدني؟ وهل يمكن المراهنة عليها باعتبارها أداة التنظيم والقيادة في تفعيل دور الجماهير ومشاركتهم الفاعلة والحيوية في تقرير مصيرهم ؟

إذ إن عملية إعادة بناء الذات السياسية العراقية الجديدة من خلال مؤسسات المجتمع المدني ليست عملية سهلة إن لم تكن بالغة الصعوبة ، فضلاً عن كونها مستمرة و لا ترتبط بزمن محدد . وتأسيساً على ما تقدم فإن آليات تفعيل المجتمع المدني غالباً ما تطرح على مستويات أربعة هي:((إسماعيل، ٢٠١٠، ٢٩٧)

أولاً: مؤسسة تربوية وتعليمية)البيت ، والمدرسة ، والجامعة ، والمسجد ، وغيرها (والتي تأخذ على عاتقها تربية الجيل الجديد وتثقيفه بمفاهيم ورؤى جديدة حول علاقة المواطنين بالسلطة.

ثانيا: الشارع بالمعنى السياسي والاجتماعي ، بوصفه رمزاً للتواصل والحركة وطرح أراء الناس وهمومهم وتصوراتهم (حول مستقبل العراق)

ثالثاً: السوق بوصفه الوجود الرمزي الذي يؤثر بصورة مباشرة في حياة المواطنين اليومية بما يتعرض له من تقلبات في الأسعار ، فضلاً عن كونه يمثل الفضاء الذي تلتقي فيه مختلف شرائح المجتمع .

رابعاً: الجمعيات والمؤسسات والأحزاب والروابط ، بوصفها رموزا للتعاون والانتقال بالإنسان من

الوجود الفردي إلى إطار عام جماعي ، ضمن تنظيمات تدافع عن مصالحه العامة والخاصة. وفي ضوء ذلك يقترح نصار ثلاث وسائل مهمة لتفعيل المجتمع المدني ونموه واستمراره هي: (إسماعيل،٢٠١٠، ٢٩٨- ٢٩٩)

١-التربية والتثقيف.

٢-تفعيل المؤسسات والتنظيمات المدافعة عن مصالح وحقوق الأفراد في إطار القوانين التي تشرعها الدولة.

٣-تحرير السوق والتركيز عليه بوصفه مجال للتبادل والتنافس على وفق شروط مدروسة الهدف منها تحقيق الرفات الاقتصادي والاجتماعي والقضاء على المشاكل التي يعانى منها المواطن .

علاقة منظمات المجتمع المدني بحقوق الإنسان

العلاقة بين منظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان هي صلة وثيقة ، إذ إن منظمات المجتمع المدني تعمل على حماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية المرتبطة بها، والضغط على الحكومات من أجل تحقيق ذلك إذ تعد منظمات المجتمع المدني صلة وصل ما بين الدولة من جهة والأفراد من جهة ثانية.

أن منظمات المجتمع المدني تنظيمات تتوسط العلاقة بين الأفراد والدولة فأنها تعمل ضمن منظومة من الأفكار والممارسات، وهذه المنظومة تقوم على مبادئ):شطناوي،٢٠٠١، ١٢)

١-التداول السلمي للسلطة السياسية.

٢-الديمقراطية للمشاركة في صنع القرار.

٣-المواطنة.

٤-التعددية السياسية.

٥-استقلال السلطة القضائية واحترام القانون.

أن هذه المنظمات كما ذكرنا سابقا لها صلة وثيقة بحقوق الإنسان، بحيث أن غياب هذه المنظمات سيؤدي إلى : (الصالحي ٢٠٠٠، ٢٤)

١-أضعاف المسار نحو الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبالتالي فتح المجال للطروحات الأحادية التي ستكون النقيض تماما لبناء الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

٢-وجود نوع من الثقافة السلبية، إذ يؤدي إشاعة نمط من السلوكيات التي يستند إلى التشكيك بالآخرين وعدم الاعتراف بهم بالإضافة الى زيادة الفجوة بين الحاكم والمحكوم، وجعل المواطن تابعا للدولة، وهذا منافي لمقومات الحقوق.

٣-التعميق من مشكلة الوحدة الوطنية والاندماج الوطني في دولة واحدة، أي الاعتراف بالتنوع والاختلاف.

إذ إن المشكلة ليست في التعدد، إنما تكمن في كيفية إدارة هذه التعددية، لذلك على منظمات المجتمع نشر ثقافة التنوع والاختلاف، فضلا عن ذلك فأن احترام حقوق الإنسان يعني إعطاء حق لكل مكونات المجتمع في التعبير عن مصالحها وأهدافها من خلال تنظيمات مدنية وليس تنظيمات تقليدية، لات التنظيم التقليدي سيؤول إلى العشائرية والقبلية والطائفية والعنصرية، وهذا يتنافى مع ثقافة حقوق الإنسان القائمة على عدم التمييز بسبب الجنس أو اللغة أو المذهب أو اللون.(كشاكش،١٩٨٧، ١٣)

وعن علاقة منظمات المجتمع بحقوق الإنسان، فقد جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أن من «حق كل شخص أن ينشئ وينظم إلى نقابات حماية لمصلحته».(الفالح، ٢٠٠٢، ٢٤)

واستنادا إلى ما تقدم، فأن توفر الضمانات لحقوق الإنسان وحمايتها لا يتحقق بوجود ضمانات الدستورية والقضائية فحسب بل بوجود منظمات مجتمع مدني فاعلة ومؤثرة في الدفاع عن حقوق الإنسان والعمل على حمايتها، فضلا عن دورها في نشر الوعي بثقافة وقيم حقوق الإنسان.(الوكيل، ٢٠٠٦، ١٣)

أن كثير من الدول العربية التي تسود بها أنظمة حكم استبدادية لا تعي أهمية لحقوق الأفراد في تكوين منظمات مجتمع مدني، ولا تسمح بالمشاركة السياسية، بمعنى أن المفاهيم الديمقراطية والتعددية وحرية الرأي وحقوق

الإنسان والتعبير وتكوين الأحزاب، والتي لها علاقة وثيقة بالمجتمع المدني اغلبها مفاهيم غائبة عن المجتمعات العربية.

إذا لابد من البحث عن السبب الواقعي الذي يكمن وراء هذا الخمول الذي يصاحب أداء منظمات المجتمع المدني، فقد أثبتت التجربة أن هذه المؤسسات تكون غير قادرة على العمل في ظل أنظمة الحكم الشمولي الذي تفرضه الدولة، وتسيطر فيه على كل أطراف النظام، مما أدى إلى لجوء الأفراد للانتماء للطائفية والمذهبية والدينية....الخ، وبذلك تهدمت ركائز الديمقراطية بهبوط المجتمع المدني لمرحلة التجمد والغيبوبة الدائمة وهذا واضح في عدم معرفة الناس وحتى المسيسين منهم بدور هذه المؤسسات ، لذلك لايعيروها أي اهتمام في تفكيرهم السياسي.(الطراونة، ٢٠٠٣، ٢٨)

تجارب بعض الدول العربية والعالمية

تجربة قطر:

شهدت قطر في السنوات الأخيرة تحريراً أساسياً أقلّه مقارنة مع معظم دول الخليج الأخرى، وأعلن الأمير الشيخ حمد بن خليفة الثاني في العام (٢٠٠٢م) عن تأسيس لجنة حقوق إنسان وطنية مؤلّفة من ممثّلين من وزارات الحكومة ومن المجتمع المدني. ولفتت اللّجنة الانتباه إلى انتهاكات حقوق العمال الأجانب ودعت إلى وضع قانون عمل جديد. ولكن لم يتمّ الترخيص للمنظّمات المستقلّة المناضلة لحقوق المرأة وحقوق الإنسان وأنّ الأحزاب السياسية محظورة. وتأسست السلطة القطرية للنشاطات الخيرية (QACA)في العام(٢٠٠٤م) للإشراف على عمل الهلال الأحمر القطري وبضعة منظمات أهلية موافق عليها رسمياً. ويعود تأسيس هذه السلطة لرغبة قطر بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر في الإظهار للعالم بأنها تراقب تدفّق الأموال التي قد تخدم الإرهاب. ولكن ثمة توترات واضحة بين منظّمات المجتمع المدني المستقلة المرخّص لها وهذه السلطة التي لا يُعرف حتى الآن إذا ستتّبع سياسة عدم التدخل أو ستراقب منظمات المجتمع المدني.(رشماوي وموريس، ٢٠٠٧، ٢٧)

تجربة غانا

سنحت الفرصة لشراكة وثيقة بين الحكومة ومنظمات المجتمع المدني في غانا من جراء تحُّول البلاد من حكم عسكري مستبد في عهد الرئيس جيري رولينجز إلى ديمقراطية متعددة الأحزاب بداية التسعينات من القرن الماضي. وتحت ضغط من المجتمع الدولي، كان لابدّ من إقرار بنود الدستور الجديد من خلال جمعية استشارية، الأمر الذي ضمن إجراء مشاورات موسعة بين السكان. لمنظمات المجتمع المدني أثر محوري في هذه المشاورات. ولذلك، فإنه بحلول الوقت الذي تم فيه إقرار الدستور الجديد في عام ١٩٩٤ ،كانت ثقافة التشاور قد ترسخت جذورها في المجتمع الغاني، وهو ما ساعد على تمكين الناس وزيادة أهمية منظمات المجتمع المدني ودورها. وهذه المبادئ الخاصة بالمشاورات في الدستور الجديد الذي مكن هذه المنظمات بالنص على حمايتها. وأنشأ الدستور الجديد أيضا مؤسسات عامة مستقلة، منها لجنة لحقوق الإنسان، ولجنة للتعليم المدني، الأمر الذي عزز من الدور الدعوي لمنظمات المجتمع المدني. وادت هذه البيئة إلى ظهور تحالفات للمصالح العامة على رأسها منظمات المجتمع المدني، ومنها ائتلاف مكافحة الفساد، وائتلاف المعلومات، ومبادرة الشفافية في الصناعات الاستخراجية، وفي الوقت نفسه، لم تقتصر الثقافة التشاورية والدعوية على منظمات المجتمع المدني الرسمية، فقد أدركت مجموعات قبلية، وكذلك جماعات إسلامية ومسيحية مسؤوليتها وشاركت في المشاورات ممثلة لمصالح دوائر كل منها، وخرج مجلس السالم الوطني من هذه المشاورات كمظلة جماعية لمختلف المنظمات غير الرسمية في غانا. (مؤتمر الشراكة،٢٠١٤، ١٢-١٣)

التوصيات:

١-ابتعاد منظمات المجتمع المدني في نطاق عملها عن الصراع، وأن تنسق بينها من أجل تحقيق أهداف مشتركة.

٢-إعطاء منظمات حقوق الإنسان فرصاً واسعة للإبداء عن آرائها من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

٣-توفر الإمكانيات الإدارية والفنية والمادية التي تشجع مؤسسات المجتمع المدني على نشر ثقافة حقوق الإنسان.

٤-استحداث برامج لتطوير وتقوية منظمات المجتمع المدني وبناء قدرته والمساهمة في إنشاء مراكز مهنية متخصصة تساعد على ترسيخ مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان.

قائمة المراجع

١.إسراء علاء الدين نوري (٢٠١٠): دور مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة ظاهرة الفساد ، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية ، العدد (٦) لسنة.

٢.الباقر عفيف (٢٠٠٢): اعلان القاهرة لتعليم ثقافة حقوق الانسان، المؤتمر الدولي الثاني لحركة حقوق الانسان في العالم العربي، تحرير: الباقر عفيف وعصام الدين محمد حسن، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان،ص٢٧.

٣.الأمم المتحدة : الإعلان العالمي لحقوق الإنسان Available at:http://www.org/ar/documents/udhr/ ، 2L6L2012

٤.الخطة العربية للتربية على حقوق الإنسان٢٠٠٩-٢٠١٤ على الرابط
http://www.lasportal.org/ar/sectors/dep/Human Rights Dep/Documents

٥.باسيل يوسف(١٩٨٩):حقوق الإنسان في فكر الحزب – دراسة مقارنة- دار الرشيد للنشر، بغداد .

٦.منظمة العفو الدولية : مشروعات البرنامج العالمي للتثقيف في مجال حقوق الإنسان Availableat:http://www.amnesty.org/ar/human-rights-education/projects- nitiaves/rfsp/١٣/٥/٢٠١٢

٧.جاك دنللي (١٩٨٨): حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق ، ترجمة : مبارك علي عثمان ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية .

٨.جمال عبد اللطيف محمود (٢٠١٢): التربية وحقوق الإنسان في ضوء السنة النبوية ، دار العلم والإيمان.

٩.حسنين توفيق إبراهيم(٢٠٠٠): الديمقراطي في الوطن العربي، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام، القاهرة، العدد(١٢٤)، اكتوبر.

١٠.رضوان زيادة(٢٠٠٠): حقوق الإنسان في العالم العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١.

١١.سعد الدين إبراهيم (٢٠٠١): المجتمع المدني والمؤسسة الدينية والمطلقات في العالم العربي ، جريدة الحياة اللندنية ، العدد ١٣٩٨٣ ، ٢٧/٣/٢٠٠١ .

١٢.سرمد الطائي(٢٠٠٣):صخب في بداية القرن، مجلة الوعي المعاصر، العدد(١٢)،ص١١٠.

١٣.سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل(٢٠١٠): المجتمع المدني في الفكر والممارسة الإسلامية، بحث مقدم الى المجتمع المدني ودوره في تحقيق الديقراطية.

١٤.صلاح حسن مطرود(٢٠٠٥): مبادئ وقواعد عامة في حقوق الإنسان وحرياته، بغداد.

١٥.عامر فخري القصار (٢٠١٠): دور منظمات المجتمع المدني وما تنتظره من الإعلام « ، مجلة الوطن ، تصدر عن مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية ، المملكة المتحدة .

١٦.عبد الغفار عبد الجبار القيسي وآخرون (٢٠٠٨) : إعداد برنامج الإرشادي لتأسيس ثقافة حقوق الإنسان في المدارس العراقية ، مجلة العلوم الإنسانية ، تصدر عن مركز البحوث النفسية جامعة بغداد ، ع (١٣).

١٧.عصام العدوني(٢٠١٩): واقع التربية على حقوق الانسان وآفاقه، مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

١٨.عبد المجيد الإنتصار(٢٠١٠): التربية على حقوق الإنسان، مجلة فكر ونقد، العدد٣٠.
http://www.fikrwanakd.algabriabad.net/n30-٠٧intisar(2).htm

١٩.فراج سيد محمد فراج(٢٠١٠) : منظمات المجتمع المدني وقضايا حقوق الإنسان في مصر (دراسة ميدانية على عينة من الجمعيات الأهلية في محافظة الإسماعيلية) ، مجلة كلية التربية بور سعيد ، ع (٧) ، الجزء (٢) ، يناير .

٢٠. فراس البياتي(٢٠١٣) : التحول الديمقراطي في العراق بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣ ، العارف للمطبوعات ، العراق ، ٢٠١٣ ، ص٢٠٣ .

٢١.فرج عبد العزيز عزت (٢٠٠٩): منظمات المجتمع المدني والعدالة الاجتماعية في مصر ، المؤتمر العلمي السنوي الثالث عشر ، بعنوان : التوجهات الإستراتيجية للمسئولية الاجتماعية للقطاع الخاص تجاه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، كلية التجارة ، جامعة عين شمس.

٢٢.فيصل شطناوي(٢٠٠١): حقوق الانسان والقانون الدولي الإنساني، ط٢،دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٢٣.كامران الصالحي(٢٠٠٠):حقوق الانسان والمجتمع المدني بين النظرية والتطبيق»دراسة تحليلية سياسية،ط٢، مؤسسة موكر باني للطباعة والنشر، أربيل.

٢٤.كريم يوسف كشاكش(١٩٨٧): الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، مطبعة منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

٢٥.لبنى ياسين (٢٠١٠) : دور المنظمات غير الحكومية في دعم التعليم في الأردن ، بحث مقدم لمؤتمر التربية في عالم متغير ، الجامعة الهاشمية (٧ – ٨) نيسان ، ٢٠١٠ ، الأردن .

٢٦.متروك الفالح(٢٠٠٢): المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، دراسة مقارنة لاشكالية المجتمع المدني في ضوء تريف المدن،ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت.

٢٧.محمد إبراهيم خيري الوكيل(٢٠٠٦): دور القضاء الاداري والدستوري في إرساء مؤسسات المجتمع، ط١، دار الفكر الجامعي، القاهرة.

٢٨.محمد الطراونة(٢٠٠٣): دراسات في حقوق الانسان، منشورات مركز عمان لدراسات حقوق الانسان، عمان.

٢٩.ميرفت رشماوي وتيم موريس(٢٠٠٧):نظرة شاملة عن المجتمع المدني في العالم الغربي، دراسة تطبيقية،

برنامج انتراك.
٣٠.مؤتمر الشراكة من اجل معارف التنمية(٢٠١٤): دعم المشاركة بين الحكومة اليمنية ومنظمات المجتمع المدني ، للفترة(٤-٦) مارس
٣١.محمد عبد الجابري(١٩٩٣):إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات(الوحدة العربية، بيروت) العدد(١٦٧)، كانون الثاني،ص١٣-١٥.
٣٢.محمدخاتمي(١٩٩٨):جدليةالاستبدادوالحرية،مجلة قضايا إسلامية، أيران العدد السادس،ص٥١٢.
٣٣.منظمة العفو الدولية : تقرير منظمة العفو الدولية ، 2012. Available at : www.amnesty.org/sites/im-pacty.org/fi/esy.org/files/20 ، 7/5/2012 .
٣٤.منظمة هاريكازغير الحكومية : دور منظمات المجتمع المدني في التنمية الاجتماعية ، مطبعة زانا ، دهوك ، العراق ، ٢٠٠٧ .
المصادر الاجنبية :
1.George E. Edwards : «Assessing the effectiveness of Human Rights Non- Governmental organization (NGOS) form the Birth of the United Nations to the 21 st century : Ten Attributes of Highly Successful Human Rights NGOS ، Michigan State ، Journal of International Low ، vol. 18، 2009 ، pp. 165 – 227 ، Available at : http://papers . ssrn.com/2013/papers . cfm? Abstract id : = 1371708 . 6/6/2012 .
2. Kiyoteru Tsutsui : « Global civil society and the International Human Rights movement : citizen participation in Human Rights International Non Govemental organization ، Oxford of Journals volume 83 ، Issue 2 ، 2004 . At web site : http://sf-OxfordJournals.org/content/83/2/587. shprt،6/6/2012.
3. UNECSO : Human Rights Education : World Program for Human Rights Education ، 2004 .
4. UNESCO (2001) : Towards a strategy for improving communication in framework of the CCNGO/EFA network. Paper presented at the Annual meeting of the collective consolation of NGOS on EFA ، Bangkok .

إهمال الآباء للأبناء وطرق المعالجة في ضوء معايير الشريعة الإسلامية

أ.د. ابتسام موسى جاسم علا عمار عدنان نور
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية

الملخص:

مشكلة البحث وأهميته تتجسد المشكله لما ياتي :

١-الضعف الأسري نتيجة الإهمال و الذي لا ينسجم مع الشريعة الاسلامية إذ تحث على التلاحم الأسري .

٢-النظر لهيبة الإنسان الاجتماعية والابتعاد عن التكبر و الغرور .

وتتجلى اهمية الموضوع لما يأتي :

١-اهمية الموضوع لما له علاقة وثيقة بالتعامل الأسري ووجوب الإهتمام بالوالدين .

٢-أهمية النظر و التدبر في قدرة الله في الخليقة ليحسن التعامل مع والديه .

وتتجلى أهداف البحث لما يأتي :

١-من الناحية الدينية

٢-من الناحية الاجتماعية

٣-من الناحية الأخلاقية

وحددت الباحثة المفاهيم التي تتطلب التوضيح

أما الآثار التربوية المستنبطة من جراء إهمال الأباء للأبناء :

١.معاشرة أصدقاء السوء بسبب غياب أو فقدان أحد الأبوين .

٢.إنحراف سلوك الأبناء بسبب بعد الأبوين عنهم و عدم المتابعة الصحيحه مما يؤدي إلى التطرف والتزمت العنيف لرأي ما ممّا يؤدي إلى الإرهاب .

أمّا الاستنتاجات و التوصيات فتتمثل بالنقاط التالية :

الاستنتاجات :

١.ينبغي توافر المسؤولية الحق إتجاه الأبناء .

٢.الابتعاد عن الا فراط و المبالغة في التربية (القوه واللين) .

التوصيات :

١-توصي الباحثة بإجراء دراسة مماثلة للوقوف على نقاط القوة و الضعف في البيئة الاجتماعية .

٢-توصي الباحثة بإجراء دراسة حول المؤسسات الإيوائية و أهميتها في تعديل مسار الأبناء تجاه الأباء .

Abstract:

The problem of research and its importance is embodied in the following:

1. Family weakness as a result of neglect, which is inconsistent with Islamic law, as it urges family cohesion.

2.Looking at the person›s social prestige and avoiding arrogance and arrogance.

The importance of the issue is evident in the following:

1.The importance of the topic because it is closely related to family interaction and the necessity of paying attention to parents.

2.The importance of contemplating and contemplating the power of God in creation in order to better deal with his parents.The objectives of the research are as follows:

1.From a religious point of view

2.Socially

3.Ethically speaking

The researcher identified the concepts that require clarification. As for the educational effects deduced from parents› neglect of children:

1.Cohabitation with bad friends due to the absence or loss of one of the parents.

2.The deviation of the children's behavior because of the parents' distance from them and the lack of proper follow-up, which leads to extremism and violent strictness of an opinion, which leads to terrorism.The conclusions and recommendations are the following points:

Conclusions:

1.There should be the right responsibility towards the children.

2.Stay away from excessive and excessive education (strength and softness).

Recommendations:

1.The researcher recommends conducting a similar study to find out the strengths and weaknesses in the social environment.

3-The researcher recommends conducting a study on residential institutions and their importance in modifying the path of children towards their parents.

مشكلة البحث و أهميته:

قد عانى المجتمع الإسلامي كثيراً من الحالات الاجتماعية الملبكة ومايترتب علية من سوء المعاملة سواء كانت معاملة الآباء للأبناء أم بالعكس. فمن مشاكل الأسرة التي تؤثر على السلوك الاجتماعي التقصير و الخطأ في تربية

إهمال الآباء للأبناء وطرق المعالجة في ضوء معايير الشريعة الإسلامية

الأبناء كالإساءة والتجاوز الخلقي مما يؤدي إلى عقوق الوالدين و قد حرّم الإسلام ذلك وأعده من الكبائر لقوله تعالى: (وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) سورة الإسراء: ٢٣ – ٢٤.

وما نعيشه اليوم من المشاكل هي مشكلة صراع الاجيال التي تعاني منها كل الاجيال و المجتمعات بدون استثناء رغم ادراك الافراد لنتائجها السلبية على تنشئة الاطفال و تربيتهم، و الحقيقة انها مشكلة إنسانية تكاد تكون غريزية في الأفراد و تدل هذه المشكلة على صراع قوي بين التغيير و المحافظة في أساليب العيش القديمة و الحديثة، فالآباء ميالون للمحافظة على القديم ولاسيّما في مجال تربيتهم لأبناءهم، و ينتظرون عموماً لجعل الأبناء نسخة منهم أو ينظرون إليهم على إنهم استمرار لذواتهم بينما ينظر الآبناء لانفسهم على إنهم مستقلون في شخصياتهم و ليسوا ملزمين بتطبيق تعاليم أولياء أمرهم .

تُعدّ تلك مشكلة عامة و لكن تختلف حدتها باختلاف الطبقات الاجتماعية و اختلاف نظرة الاباء للتربية و التنشئة و الهدف منها و نوعية القيم التي يريدون ترسيخها في ابناءهم.

إذ عنيت دراسات عده تؤكد وجود خلل كبير في سلوكيات الأبناء تجاه الآباء مما يصدر إنعكاس خلقي مخالف للشريعة الإسلامية الذي يؤدي إلى إهمال الأبوين وتؤكد دراسة(الحايك،٢٠١٦م) الموقف السلوكي المعاكس إذ إنها تهدف إلى :

(أساليب المعاملة الوالديــة الخاطئة في تنشئة الأطفال) .

واهتمت بمعرفة الموضوعات الاتية من :

أسلوب النبذ أو الرفض، وأســلوب التــساهل والإهمال، والحماية الزائدة، والتدليل، والقسوة والتسلط، والتفاوت في المعاملة، فضلاً عن إنها أكدت على الآثار السلبية لهذه الأساليب، وتوصلت إلى النتائج الآتية منها :

إنها سعت لإيجاد شخصية قلقة متمردة تنزع إلى الخروج عن الأنظمة والقوانين المتعارف عليها كوسيلة للتنفيس والتعو يض عن الحرمان العاطفي في الأسرة مما أدى إلى ظهور تقصير كبير بحق الأبناء من قبل آبائهم .

وبذلك فإن إهمال الآبناء للأباء يعد من أشد الذنوب التي يرتكبها الأبناء بحق الآباء إذ انها تعطي انعكاسا تربويا مخالف للشريعه الاسلامية و الديانات الاخرى ويعد ذلك جريمة كبرى بحق المجتمع يلام عليه الابناء لانه حاول ان ينتقص من حكمه الله في الكون وهو وجوب بر الوالدين لقوله تعالى:(وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)سورة النساء:٣٦

وبالتالي تستمر الحياة على نفس النهج لقوله تعالى:(إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) سورة آل عمران:١٤٠ ، وفضلا عن ذلك لاننسى وجوب رعاية الاباء لابنائهم لان النقيض يؤدي الى التشرد و التسول و ماشابه ذلك و ينتج جيل بعيد عن محبة الله و رسوله ولا يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر أي إنه مخالف للشريعة الإسلامية بكل ماجاءت به من قوانين وسبل لتسيير التعايش بالكون وعمل بمايغضب الله ونحن ندرك بأن ضياع أحدى القيم لدى الإنسان يؤدي إلى اختلال في نعم الله الكونية في الخليقة إذ خلق الإنسان و كرمه على سائر المخلوقات و يعز علينا أن نجد غريزة العاطفة لدى الدابة أكثر من الإنسان لقوله تعالى :(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (سورة الأنعام:٣٨)وأسباب فشل تربية الآباء للأبناء ربمايعود لأسباب إنشغالهم في أمور الحياة و ملذاتها من دون أي رعاية لمشاعر الأبناء وتبدأ الخلافات بين الأبناء وآبائهم مما يؤدي إقتراب الوقوع بالهاوية لقوله تعالى :(وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠)) سورة القارعة /٨-١٠

الضعف الأسري نتيجة الأهمال و الذي لا ينسجم مع الشريعة الإسلامية إذ تحث على التلاحم الأسري لقول النبي : (صلى الله عليه وآله) :

«مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم كمثل الجسد

الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى ».
و عليه فالتمسك بكتاب الله و سنة نبيه عليه الصلاة و السلام هما السبيلان الوحيدان لتحقيق التماسك الأسري في صورته الكاملة و من ثم تحقيق التماسك الاجتماعي هذا من جهة و من جهة أخرى للقضاء على العوامل التي توقع التفكك سواء كانت مادية أو غيبية لأن في الإسلام حلولا لكل عواملها سواء كانت من أفعال البشر أو من أفعال الشيطان لقوله تعالى:(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) سورة البقرة/١٦٨.
وكل ما يفعلة الإنسان من عمل صالح في الدنيا يحرزه لأخرته ببره لوالدية على الرغم من تأكيد مجيء يوم القيامة بأنه لاينفع مال ولا بنون إلا ماقدمت يداه أي يحصد لآخرته ممّا زرعة في الدنيا
وممّا تقدّم ذكرة آنفاً يتضح لنا مشكلة البحث تتجسد بما ياتي :
١- الضعف الاسري نتيجة الاهمال و الذي لا ينسجم مع الشريعة الإسلامية إذ تحث على التلاحم الأسري .
٢-الحفاظ على الطبيعة الكونية واراده الله في خلقه ،إذ خلق الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات لقوله تعالى :(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (سورة الإسراء:٧٠)
٣-النظر لهيبه الانسان الاجتماعية والابتعاد عن التكبر و الغرور لقوله تعالى :
(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) (سورة الإسراء:٣٧)
٤-النظر و الاعتبار من الامم السابقة لتيسير نظام الله لما يرضاه الله تعالى كما هو حال قصة مصاحبة النبي موسى في الطريق للرجل الصالح وبخلافه النزاع و الترك و الهجر كما هو الحال بترك الابن لأبويه فقال تعالى:
(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)
سورة يوسف:١١١

أهمية البحث:
تتجسد اهمية البحث من اهمية الموضوع إذ يوصي سبحانه وتعالى بإعطاء حق البشرية في التعامل مع الوالدين و مصاحبتهما في الدنيا خير صحبة لقوله تعالى :
(وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) سورة لقمان:١٥
الأهمية العلمية : يكمن إختيار موضوع البحث (الاهمال الاجتماعي) لما له أثر كبير على نمو الأفراد إنطلاقا من الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه سواء كان بالمعاملة أو إهمال من جراء التفكك الأسري ، فنجد الأهمال يؤدي بالفرد إلى الأنحراف و الجنوح نتيجه إنعدام الأهتمام وإنعدام توافرالمطالب و مستلزمات الحياة الضرورية للفرد وهذا يدل على إهمال الأسره و تقصيرها في أداء دورها لتوفير حاجات أبنائهم العاطفية و التعليمية و المادية
ب)الأهمية العملية : تأتي أهمية الدراسه من هذه الناحية إذ إنها تمكن من طرح نماذج عن الاهمال في المجتمع بصفه خاصه لدى شريحة من أفراد الأسرة كإهمال الآباء للأبناء .
ومن كل ذلك تظهر لنا العناية الآلهية بالخليقة و تسخير كل مافي الكون من البحر و البر و الخ لخدمة الإنسان دليل على رقيه و تميزه عن سائر المخلوقات فلابد أن يعمل الإنسان بحسن العشرة مع أسرته و ذويه لأن الدين عند الله المعاملة
قال تعالى:(اَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) سورة لقمان:٢٠
وصرّح القرآن الكريم بأنّ الله تعالى خلق الأنعام، وملّكها للإنسان ، ثم ذلّلها له للركوب ، والأكل ، والمنافع ، والمشارب .
ومن كل ماتقدم ذكره آنفاً يتبين لنا ضرورة الاهتمام بتنشئة و تماسك اواصر الاسرة و تلاحمها اذ بعكسه يؤدي الى الميل و الانحراف الاسري الذي يبعد الإنسان عن خالقه واسرته اذ ان المرادبعلاقة الإنسان باالله سبحانه وتعالى في الحقيقة هو علاقة العبد بخالقه،كما يريده الله

إهمال الآباء للأبناء وطرق المعالجة في ضوء معايير الشريعة الإسلامية

تعالى، وتتحقق إرادته سبحانه في اتباع منهجه الذي أرسل به رُسُله لهداية الناس إلى الحق، ويشوب علاقةَ الإنسان بخالقه تعالى نوعان من الانحراف، وهما :

أ ـ انحراف العقيدة وهو خروج الإنسان عن التوحيد الله تعالى لقولـه تعالى:

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة آل عمران: ٨٥

ب ـ انحراف العبادة وهو في الأصل عدم اتباع ما شرعه الله تعالى في العبادة، بحيث يصرف الإنسان نوعاً من أنواع العبادة إلى غير الله عزّ وجلّ، ويُشْرِك به أحدًا ومن ذلك فهو جاحد بنعم الله تعالى مما يعكس ذلك على تعامله مع اسرته لقوله تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) سورة الطلاق/٢-٣.

هناك عدة مواقف للنبي لتعديل سلوك الانسان عن الانحراف منها عنايه النبي (صلى الله عليه وآله) بالسبطين (عليهم السلام) ، ونذكر منها ما يلي :

١ ـ روى سعيد بن راشد ، قال : جاء الحسن والحسين (عليهما السلام) يسعيان الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذ أحدهما فضمه الى إبطه ، ثم جاء الآخر فضمه إلى إبطه الاخرى ، وقال : هذان ريحانتي من الدنيا من أحبني فليحبهما وكان النبي (صلى الله عليه وآله) دوما يضفي عليهما هذا اللقب ، وقد وردت بذلك روايات عديدة .

٢ ـ روى انس بن مالك قال : سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال (صلى الله عليه وآله) : الحسن والحسين وكان يقول : لفاطمة ادعي ابني فيشمهما ويضمهما إليه .

٣ ـ روى أسامة بن زيد قال : طرقت النبي (صلى الله عليه وآله) ذات ليلد في بعض الحاجة فخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو مشتمل على شيء لا ادري ما هو؟ فلما فرغت من حاجتي ، قلت : ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ قال فكشفه فاذا هو حسن وحسين على وركيه ، فقال : هذان ابناي ، وابنا ابنتي ، اللهم ، إني احبهما فأحبهما وأحب من يحبهما .

٣ـ وروى سلمان الفارسي قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : الحسن والحسين ابناي من احبهما احبني ، ومن احبني أحبه الله ، ومن أحبه الله ادخله الجنة ، ومن أبغضهما ابغضني ومن ابغضني ابغضه الله ، ومن ابغضه الله ادخله النار .

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

(لئن يؤدب أحدكم ولدا خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم) .

عن الامام الصادق عليه السلام قال:(دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعا، والزمه نفسك سبع سنين، فان أفلح وإلا فإنه من لا خير فيه) .

الإمام الغزالي رحمه االله: « إن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش فيه ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة مربيه والقيم عليه «. ٣)

لإهمال تربية الأولاد عواقب وخيمة تتحدث عنه الأخبار ويتذاكرها الناس ومن أحسن القصص الواعظة في هذا الباب القصة التالية :

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي االله عنه يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب (أي القراءة). قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أمّا أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي وقد سماني جعلاً (أي خنفساً) ولم يعلمني من الكتابة حرفا واحداً،فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إليَّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

إهمال الآباء للأبناء وطرق المعالجة في ضوء معايير الشريعة الإسلامية

ومما تقدم تتجلى اهمية البحث لما ياتي :
١-اهمية الموضوع لما له علاقة وثيقه بالتعامل الاسري ووجوب الاهتمام بالوالدين
٢-اهمية النظر و التدبر في قدرة الله في الخليقه ليحسن التعامل مع والدية قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} سورة الحجر :٢٦
٣- تحقيق العدالة الاجتماعية بكل انواعها المعاملة العادلة بين الابن والاب
٤-انها سبل من وسائل الرحمة و التواصل الاسري والعمل على منهج الرسول (صلى الله عليه وآله) بحب الوالدين و الاحسان اليهما و صلة الارحام لقوله تعالى:{ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ } سورة النساء / ١ .
٥-ضرورة المحافظه على النسق البشري كما ارادة الله تعالى لقوله تعالى :
{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} سورة آل عمران / ١١٠
نجد نماذج في المجتمع بالرغم من وجود الاهمال يتمسك الانسان بالحياة من اجل ارضاء الله عز وجل لاتمام مطالب الدينا بعباداته ومعاملاته في المجتمع .

أهداف البحث

تتجلى اهداف البحث لما ياتي :
١-من الناحية الدينيه : الأمة القوية وحدها هي التي تستطيع ان تخلق جيل متماسك بوحدة تعاليم الاسلام . لقوله تعالى :
{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} طه/١٣٢
٢-من الناحية الاجتماعية إن منشأ المجتمع وأساسيه هي العائلة وهي اصغر وحدة اجتماعية ينبض في عروق أفرادها دم واحد ولكن وظيفة العائلة قد اختلفت عنها في العصور الماضية فقد كانت تقوم بكل الوظائف تقريبا وترضى جميع الحاجات ولكنها في المجتمع الحديث نظرا لمتطلبات الحياة الكثيرة لا تستطيع القيام بكل متطلبات الحياة فنشأت المؤسسات الاجتماعية الأخرى ولكنها لا تزال تقوم ببعض وظائفها الأساسية كتربية النشء وتثقيفهم لقوله تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) ، (سورة الكهف ٤٦) .
٣-من الناحية الاخلاقية : يقصد بها التمسك بالمبادئ والقيم التي توارثها الإنسان عبر الأجيال والتمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل المتفق عليها في ثقافة المجتمع لقوله تعالى :
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }سوره التحريم :٦ .

حدود البحث

يقتصر البحث على ضرورة اهتمام الابناء بالاباء و بالعكس .

تحديد المصطلحات :

أولاً : الآباء

لغة : اصله ابَوٌ- بالتحريك- لأنّ جمعه آباء (١) .
الاباء اصطلاحا : هو كل من كان سببًا لإيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره (٢).

ثانياً :الابناء

الابن لغة : المتولِّد من نطفة أبيه، وبويضة أمه (٣).
الوَلَدُ الذَّكَرُ مُطْلَقاً ، سَواءً كان بِالنَّسَبِ ، ويَشْمَلُ الابْنَ وابْنَ الابْنِ وإن نَزَلَ، ويُسَمَّى: الابْنُ النَّسَبِيُّ، أو كان بِالرَّضاعِ، ويُسَمَّى الابْنُ الرَّضاعِي (٤) .

ثالثا : التمرد

تعريف التمرُّد لغةً : مصدر تمرّدَ ، و المتمرد هو العاتي الشديد ، وأصله من مـردة الجـن والـشياطين ، وهـو لفـظ بمعنى الخروج عن الشيء (٥).
تعريف التمرُّد اصطلاحًا : ويعني العصيان ورفض طاعة الأوامر وعدم تنفيذها، وتعد وسيلة للتعبير عن الغضب المكبوت في نفس الإنسان، فتجعله يرفض أسلوب حياة معين أو يرفض الرأي الآخر، كما ويعتبر البعض التمرُّد بمثابة حالة نفسيّة يضطر من خلالها الفرد أن يخرج عن المألوف (٦).

رابعا : التكبر

إهمال الآباء للأبناء وطرق المعالجة في ضوء معايير الشريعة الإسلامية

التكبر لغة : الكبر بالكسر اسم من التكبر (٧) .
وقيل الكبر هو : استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له (٨) .
الاسباب و المشاكل التي يعاني منها الابناء تجاه الاباء

أولاً : اسباب تتعلق باهمال الاباء للابناء

١.حب التسلط من قبل الاباء و الغاء شخصية الابناء اي تحكم الاباء بالابناء والغاء شخصيتهم المستقلة بعد سن ١٨ واختيار شريك حياة الابناء من غير رغبة منهم لمصلحة تقتضي ،دون النظر الى مصلحة الابناء ومشاعرهم وحتى بعد زواج الابناء يستمرفرض الرأي عليهم والتدخل بينهم وبين ازواجهم لفرض سيطرة الاباء على الابناء كالتدخل في الماكل و الملبس و السكن الذي يعد من اهم مظاهر التفكك الاسري حين يقررالابن ترك والدية لكثرة المشاكل بين الام و الزوجة و الابن و الاب وهذا السبب اساسي في اهمال الابناء للاباء وترك السكن معهم لما له من تفكك اسري مقصود كالحقد وعدم حب الخير للابناء او غير مقصود كالانانية (٩) .
٢.ممارسة اسلوبي العنف و الضرب والنهر لقوله تعالى : {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ }سورة الضحى / ٩- ١١ ، علما ان السنة النبوية الغت اسلوب العقاب من سن ٧ .
٣.الاستهزاء و السخرية و استعمال الالفاظ الغير صحيحة لغرض التنقيص و التحقير من شان الابناء (١٠) .
٤.اتباع اسلوبي الذل و الاهانه بسبب انفاق المعيشة (١١).
ثانيا : اسباب تتعلق بالابناء من جراء الاهمال الاسري مشاكل يعاني منها الا بناء بسبب اصدقاء السوء لعل من أخطر ما يواجه الأبناء ويسبب في انحراف والشذوذ الخلقي مما يؤدي بهم الى التقمص و التعويض عن طريق الاخرين ومرافقتهم و مشاهدتهم للأفلام اللاخلاقيه وافلام والجريمة تلك الأفلام التي تقود إلى الميوعة والانحلال لانغماسه وشرود ذهنه بملذات الحياة العشوائية (١٢) ، ولا سيما كونه يتحول من طفل الى شاب بسبب تغييرات جسمية فسيولوجية و صراعات نفسية تحتاج الى متابعة و تعديل من قبل ابويه ولكن بسبب الاهمال و الترك قد يعاني صراع نفسي مما يؤدي الى مرافقة اصحاب السوء المسؤولية التامة أتجاه انحراف الابناء بسبب اهمال الاباء في تربيه الأبناء وتيسيرهم لسبل هذه المشاهدات لما أقدم الأولاد على هذا الفعل المهدم للأخلاق والإسلام بمبادئه التربوية يضع أمام الآباء والمربين والمسؤولين المنهج القويم في توجيه الأبناء وتربيتهم لمعرفة الافعال الصحيحة(١٣)و الخاطئه ليتمكن الابناء من تحقيق غاياتهم في ضوء توجيهات القران الكريم و السنه النبوية .
ومن مظاهر الإهمال في تربية الأولاد تخلي الأبوين عن تربية أولادهما إما غفلة منهما أو انصرافا عن هذه المسؤولية أو إهمالا لهذه الأمانة.
ينتج نسل سيء او ذرية طالحه وانعكاسات اجتماعية بعكس مسار الاسلام الصحيح كالكذب و الغيره و الانانية التطرف في سلوكياتهم .

اسباب تتعلق بالمجتمع

الابناء و منهج التربية الصحيحه اي (اساليب المعالجة التربوية) :
اولاً : اختيار البيئة الصالحة أول ما تتجه المسؤولية نحو الأبناء أن يختار لهم البيئة الصالحة في الأسرة، وذلك باختيار الزوجة الصالحة التقية التي ستكون معدن هؤلاء الأطفال والتي لها الحظ الأكبر في العناية بهم والإشراف على تربيتهم، فقد قال النبي (صلى الله عليه وآله) : (تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم)(١٤).
وضرورة الاهتمام و النظر والسعي لايجاد بيئة صالحة تعمل بمايرضي الله و رسوله وتبتعد عن كلما يغبضه ، لقوله تعالى :
{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } آل عمران / ١١٠ .
ثانيا : وبعد اختيار البيئة الصالحة نجد أن

مسؤولية الاباء نحو الابناء تبدأ من أول يوم يتنفس فيه الولد نسيم الحياة خارج الرحم وعما يحتاجه من مطالب وما يستتبع ذلك من الأعباء . ومن أول ما يلزم الآباء حينئذ إحاطة الطفل بسياج من التعويذ باسم الله حتى لا يقربه شيطان . وقد كان من هدى النبي (صلى الله عليه وآله) أن يؤذن للطفل في أذنه عند ولادته دفعا للشيطان. ثم يستتبع ذلك حق آخر هو العقيقة عن الولد وقد فعلها النبي (صلى الله عليه وآله) ودعا إليها (١٥).

ثالثا : ثم تتجه المسؤولية إلى الرعاية التامة والتربية الحسنة، فتبدأ من أول الأشياء تعلقا بالطفل وهو الإسم. فعلى الوالدين اختيار الاسم الحسن لابنهما، فقد أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) باختيار الأسماء الحسنة لهم.

رابعاً : وعلى الوالدين أن يشعروا أولادهم الحنان والرحمة، كما نجد أن الشارع أمر بالعدل بين الأبناء في المعاملة

خامساً : العناية بتربيتهم وأمرهم بكل ما هو من صالح الأمور والعبادات،

إقتضاء بقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} سورة التحريم /٦ .

وقال (صلى الله عليه وآله) :

(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع) (١٦) .

ففي هذا السن وما بعده إلى سن البلوغ على الوالدين ترسيخ معنى العقيدة السليمة في نفس إبنهما وتوثيق صلته بالله.ومن أعظم ما يدل عليه ما وصى به النبي (صلى الله عليه وآله) عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال له : (يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن لا يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) (١٧) .

فهذا الحديث الشريف يظهر لنا أنموذجا لتعليم أبنائنا في مثل هذه المرحلة، فإن أهم شيء فيها تثبيت العقيدة السليمة في قلوبهم .

أساليب المعالجة في ضوء الشريعة والتربية الإسلامية

أولاً : المعالجة في ضوء الشريعة

ينبغي ان تكون معاملة الوالدين لأولادهم تقوم على أساس المحبة والرحمة والعدل لجميع الأولاد، وعدم إيثار بعضهم على بعض، وهذه المشاعر من الآباء تجاه الأبناء أمرٌ جِبليٌّ فطري يظهر في أقوالهم وأفعالهم يلاحظه الأبناء، ويقنعهم بما في قلوب والديهم من محبة، وعطف، ورحمة لقوله تعالى:{ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } سورة النساء / ١١ .

أي لاتدرون أي من الأولاد لكم نفعه في الدعاء لكم ، والصدقة عنكم ، ففي الحديث الصحيح ، قال رسول الله: (صلى الله عليه وآله) (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث... أو ولد صالح يدعو له) (١٨).

فالآباء والأمهات مدعوون لتحقيق مبدأ العدل بين أبنائهم في المعاملة؛ ليمنعوا الغيرة والحسد من التسلل إلى نفوسهم، وإفساد علاقة الأخوّة الحميمة التي تربطهم، والتي ستبقى بعد وفاة الآباء، والنبي (صلى الله عليه وآله) ينهى المؤمنين عن التحاسد، والتباغض، والتدابر. فعن أنس (رضي االله عنه) قال: قال رسول االله (صلى الله عليه وآله) : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»(١٩).

أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الأخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال (٢٠).

الآثار التربوية المستنبطة من جراء إهمال الآباء للأبناء :

١) معاشرة أصدقاء السوء بسبب غياب أو فقدان أحد الأبوين .

٢) إنحراف سلوك الأبناء بسبب بعد الأبوين عنهم و عدم المتابعة الصحيحه مما يؤدي إلى التطرف والتزمت العنيف لرأي ما ممّا يؤدي إلى الارهاب (٢١).

٣) الإهمال و العنف الأسري إذ إنه خطأ يقع فيه الأبوان بصورة تشعر الأبناء بالنقص والمهانة والصواب هو تنبيه الولد على اخطائه إذا أخطأ برفق ولين مع تبيان الحجج التي تقنعه لاجتناب الأخطاء .

٤) عدم الإشهار بالعقاب إذ يؤدي إلى ضياع قيمة التأديب فمن واجبات المربي أن لا يقوم بزجر الولد وتأنيبه أمام رفقائه وإنما ينصحه منفرداً عنهم (٢٢) .

٥) العدول و الوسطية في التربية.

٦) من آثار الإهمال تتزامن حالات مرضية فجائية كمرض التوحد وزيادة الانطواء وكثرة الخوف وضعف الثقة بالنفس (٢٣) .

٧) الابتعاد عن اسلوبي التحقير و الاستهزاء في توجيه الأبناء .

٨) من مظاهر الاهمال ينتج عدم ثقه الآباء بقدرة الأولاد البدنية و العقلية .

٩) من نتائج الإهمال فقدان روح المشاركة مع الأسرة في صناعة الحياة وخدمات البيت ومنها الاعتماد على الآخرين وفقدان الثقة بالنفس ومنها تعود الكسل والاعتماد على الآخرين بتلبية الاحتياجات الحياتية .

١٠) ومن آثار الإهمال وجود سلوك غير سوي من قبل الآباء أمام الأولاد كالتدخين أو سماع الأغاني يؤدي إلى إنعكاس سلبي على الأبناء (٢٤) .

١١) من آثار الإهمال هو تفضيل بعض الأولاد على بعض سواء كان في العطاء أو المعاملة أو المحبة والمطلوب العدل بين الأولاد وترك المفاضلة (٢٥) .

الاستنتاجات و التوصيات :

١)ينبغي توافر المسؤولية الحق إتجاه الأبناء من الحديث النبوي الشريف(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)فضلاً عن ذلك يولد الإنسان على الفطرة وتتدخل البيئه باكساب كل ماهو جميل لإيجاد الشخصية المتكاملة سعياً والشريعة الإسلامية فقد قال (صلى الله عليه وآله):(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)(٢٦).

٢) الابتعاد عن الافراط و المبالغة في التربية (القوه واللين) اي العدول الى الوسطية لقوله تعالى :{وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}سورة آل عمران / ١٥٩ أي خير الامور اوسطها الأب أو الأم (٢٧).

٣)الاصلاح والرشاد والدعاء للأبناء بالهداية واتباع الأساليب التي تلين القلوب و استبصار الصواب بما يرضي الله و رسوله لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ } سورة الطور : ٢١

لقوله (صلى الله عليه وآله) :

(ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن :

دعوة المظلوم ،ودعوة المسافر،ودعوة الوالد على ولده) (٢٨).

التوصيات

١-وصي الباحثة بإجراء دراسة مماثلة للوقوف على نقاط القوة و الضعف في البيئة الاجتماعية .

٢-توصي الباحثة بإجراء دراسة حول المؤسسات الايوائية و أهميتها في تعديل مسار الأبناء تجاه الآباء .

٣-توصي الباحثة بإجراء دراسة عن أهمية رعاية الأبناء للآباء و بالعكس بين النظرية و التطبيق .

الهوامش:

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين المناوي ،عالم الكتب ، ط١ ، مصر – القاهرة ، ١٩٩٠ م ، ٣٥ .

(٢) لسان العرب ، ١٢/ ٦ .

(٣) لسان العرب، ١٤/ ١٨٩.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الحنفي، ن: دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ٢/ ٢٥ .

(٥) معجم لسان العرب ، ابن منظور ، (ب. ت) دار المعارف : القاهرة ، ٦/ ٤١٧٢ .

(٦) المشكلات النفسية عند الأطفال ، زكريا الشربيني ، ط١ ، ١٩٩٣ ، القاهرة : دار الفكر

العربي ، ٦٢ .
(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيومي ، ٢/ ٥٢٣ .
(٨) تهذيب الأخلاق ، للجاحظ ، ن : دار الصحابة للتراث ، ١٩٩٠ م ، ٣٢ .
(٩) ركائز في تربيه الأبناء ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، ط ١ ، ٢٠١٦ ، الكويت : مطبعة النظائر ، ٨-١٩.
(١٠) مقدمة في التربية ، ابراهيم ناصر،ط٢ ، عمان – الاردن ، ١٩٨٩، ٢٥٥ .
(١١) مكارم الاخلاق الحسن بن الفضل الطبرسي، ت: الشيخ حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات لبنان – بيروت ،٢٢٢ .
(١٢) مكارم الاخلاق ، مصدر سابق ، ٢٥٥ .
(١٣) احياء علوم الدين ، ابو حامد الغزالي ، كتاب : رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب ، دار المنهاج ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، مجلد ٣ ، ١٤٣٢ -٢٠١١،٧٢ .
(١٤) سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، حديث رقم: ١٩٦٨ ، ص : ٢٨٢ .
(١٥) اللمسة الإنسانية لمحات في فن التعامل مع الأبناء ، محمد محمد البدري ، ط٣ ، ٢٠٠٣ م ، القاهرة : دار الصفوة ، صفحة ٢٣٨- ٢٤٠.
(١٦) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، حديث رقم : (٤٩٥) ،٨٢,٢ .
(١٧) سنن الترمذي، باب : صفة القيامة والرقائق ، حديث رقم : ٢٥١٦ ، ص : ٥٧٢ .
(١٨) صحيح مسلم ، كتاب الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، ٨٥/١١ .
(١٩) صحيح مسلم ، بشرح النووي ، مسلم بن الحجاج ، بيروت : دار الفكر ١٩٧٨م ، ١١٥/٥ .
(٢٠) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٧٤/٥ ، الشوكاني : فتح القدير ، ج١/ص٦٥٣ .
(٢١) فقه تربية الأبناء ، مصطفى العدوي ، ط١ ، ١٩٩٨، جدة : دار ماجد عسيري ، ٢٤٧ .
(٢٢) لتربيه الإيمانية للمراهقين ، سعيد بن محمد آل ثابت ، ١٩٩٩ ، ١٣-١٥.
(٢٣) كيف تربي ولدك ، ليلى بنت عبد الرحمن الجريبة ، ب. د. ت ، ٨٠ – ٨٥ / ١ .
(٢٤) أصول التربية الإسلامية ، خالد حامد الحازمي ، المدينة المنورة : دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م ، ٢٩٣ .
(٢٥) عبدالله ناصح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، دار الشهاب ، دار الفكر العربي ، باتنة، ١٩٨٩، ط١ ،ص١٣٥ .
(٢٦) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث (١٣٨٥)، ٢٢٢.
(٢٧) المجتمع المتكافل في الإسلام، عبد الله الخياط، دار المعرفة ، ١٩٢٤م ،٢٥٥.
(٢٨) السنن ، الترمذي ،رقم الحديث (١٩٠٥) .

قائمة المصادر

١-احياء علوم الدين ، ابو حامد الغزالي ، كتاب : رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب ، دار المنهاج ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، مجلد ٣ ، ١٤٣٢ -٢٠١١ .
٢-أصول التربية الإسلامية ، خالد حامد الحازمي ، المدينة المنورة : دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م .
٣-بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الحنفي، ن: دار الكتب العلمية ، بيروت ـلبنان ، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٤-تهذيب الأخلاق ، للجاحظ ، ن : دار الصحابة للتراث ، ١٩٩٠ م .
٥-التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين المناوي ، عالم الكتب ، ط١ ، مصر – القاهرة ، ١٩٩٠ م .
٦-الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٧٤/٥ ، الشوكاني : فتح القدير ، ج١ .
٧-ركائز في تربيه الأبناء ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، ط ١ ، ٢٠١٦ ، الكويت : مطبعة النظائر .
٨-السنن ، الترمذي ،رقم الحديث (١٩٠٥) .
٩-سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، حديث رقم: ١٩٦٨ .
١٠-سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، حديث رقم : (٤٩٥) .
١١-سنن الترمذي، باب : صفة القيامة والرقائق ، حديث رقم : ٢٥١٦ .
١٢-صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث (١٣٨٥) .
١٣-صحيح مسلم ، بشرح النووي ، مسلم بن الحجاج ، بيروت : دار الفكر ١٩٧٨م ، ١١٥/٥ .
١٤-صحيح مسلم ، كتاب الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، ٨٥/١١ .
١٥-عبدالله ناصح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، دار الشهاب ، دار الفكر العربي ، باتنة، ١٩٨٩، ط١ .
١٦-فقه تربية الأبناء ، مصطفى العدوي ، ط١ ، ١٩٩٨، جدة : دار ماجد عسيري .
١٧-كيف تربي ولدك ، ليلى بنت عبد الرحمن الجريبة ، ب. د. ت ، ٨٠ – ٨٥ / ١ .

١٨-لتربيه الإيمانية للمراهقين ، سعيد بن محمد آل ثابت ، ١٩٩٩ ، ١٣-١٥.
١٩-اللمسة الإنسانية لمحات في فن التعامل مع الأبناء ، محمد محمد البدري ، ط٣ ، ٢٠٠٣ م ، القاهرة : دار الصفوة .
٢٠-المجتمع المتكافل في الإسلام، عبد الله الخياط، دار المعرفة ، ١٩٢٤م .
٢١-المشكلات النفسية عند الأطفال ، زكريا الشربيني ، ط١ ، ١٩٩٣ ، القاهرة : دار الفكر العربي .
٢٢-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيومي .
٢٣-معجم لسان العرب ، ابن منظور ، (ب. ت) دار المعارف : القاهرة .
٢٤-مقدمة في التربية ، ابراهيم ناصر،ط٢ ، عمان – الاردن ، ١٩٨٩ .
٢٥-مكارم الاخلاق الحسن بن الفضل الطبرسي، ت: الشيخ حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات لبنان – بيروت .

list of sources

1-The Revival of Religious Sciences, Abu Hamid Al-Ghazali, Book: Psychology, Refining Morals and Treating Heart Diseases, Dar Al-Minhaj, Saudi Arabia, Jeddah, Volume 3, 1432-2011.
2-The Fundamentals of Islamic Education, Khalid Hamid Al-Hazmi, Al-Madinah Al-Munawwarah: Dar Alam Al-Kutub for printing, publishing and distribution, 1420 AH-2000AD.
3-Badaa' al-Sana'i in the Order of Laws, Alaa al-Din al-Hanafi, n: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 2nd Edition, 1406 AH - 1986 AD.
4-Refinement of morals, by Al-Jahiz, N: Dar Al-Sahaba for Heritage, 1990 AD.
5-Arrest on Definitions Tasks, Zain Al-Din Al-Manawi, World of Books, 1st Edition, Egypt - Cairo, 1990 AD.
6-Al-Jami` Al-Ahkam Al-Qur'an, Al-Qurtubi, 5/74, Al-Shawkani: Fath Al-Qadeer, Part 1.
7-Pillars in raising children, Abdul Razzaq bin Abdul Mohsen Al-Badr, Edition 1, 2016, Kuwait: Al-Nazaer Press.
8-Al-Sunan, Al-Tirmidhi, Hadith No. (1905).
9-Sunan Ibn Majah, Book of Marriage, Bab al-Akfaa, Hadith No.: 1968.
10-Sunan Abi Dawood, The Book of Prayer, Chapter: When a boy is commanded to pray, Hadith No.: (495).
11-Sunan al-Tirmidhi, Chapter: The Attribute of the Resurrection and the Foils, Hadith No.: 2516.
12-Sahih al-Bukhari, Book of Funerals, chapter on what was said about the children of the polytheists, hadith (1385).
13-Sahih Muslim, explained by an-Nawawi, Muslim bin Al-Hajjaj, Beirut: Dar Al-Fikr 1978 AD, 115/5.
14-Sahih Muslim, Book of the Will, Chapter: What rewards a person after his death, 11/85.
15-Abdullah Nasih Alwan, Raising Children in Islam, Dar Al-Shehab, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Batna, 1989, 1st Edition.
16-The jurisprudence of raising children, Mustafa Al-Adawi, i 1, 1998, Jeddah: Dar Majid Asiri.
17-How to raise your son, Laila bint Abdul Rahman Al-Jaribah, b. Dr.. T, 80-85/1.
18-To educate the faith for adolescents, Saeed bin Muhammad Al Thabet, 1999, 13-15.
19-The Human Touch Glimpses in the Art of Dealing with Children, Muhammad Muhammad Al-Badri, 3rd Edition, 2003 AD, Cairo: Dar Al-Safwa.
20-The Mutual Society in Islam, Abdullah Al-Khayyat, Dar Al-Maarifa, 1924 AD.
21-Psychological problems in children, Zakaria El-Sherbiny, 1st edition, 1993, Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
22-The luminous lamp in the strange explanation of the great, Fayoumi.
23-Dictionary of Lisan al-Arab, Ibn Manzur, (b. T.) Dar al-Maaref: Cairo.
24-Introduction to Education, Ibrahim Nasser, 2nd Edition, Amman - Jordan, 1989.
25-Makarim Al-Akhlaq Al-Hassan bin Al-Fadl Al-Tabarsi, T: Sheikh Hussein Al-Alamy, Al-Alamy Foundation for Publications, Lebanon - Beirut.

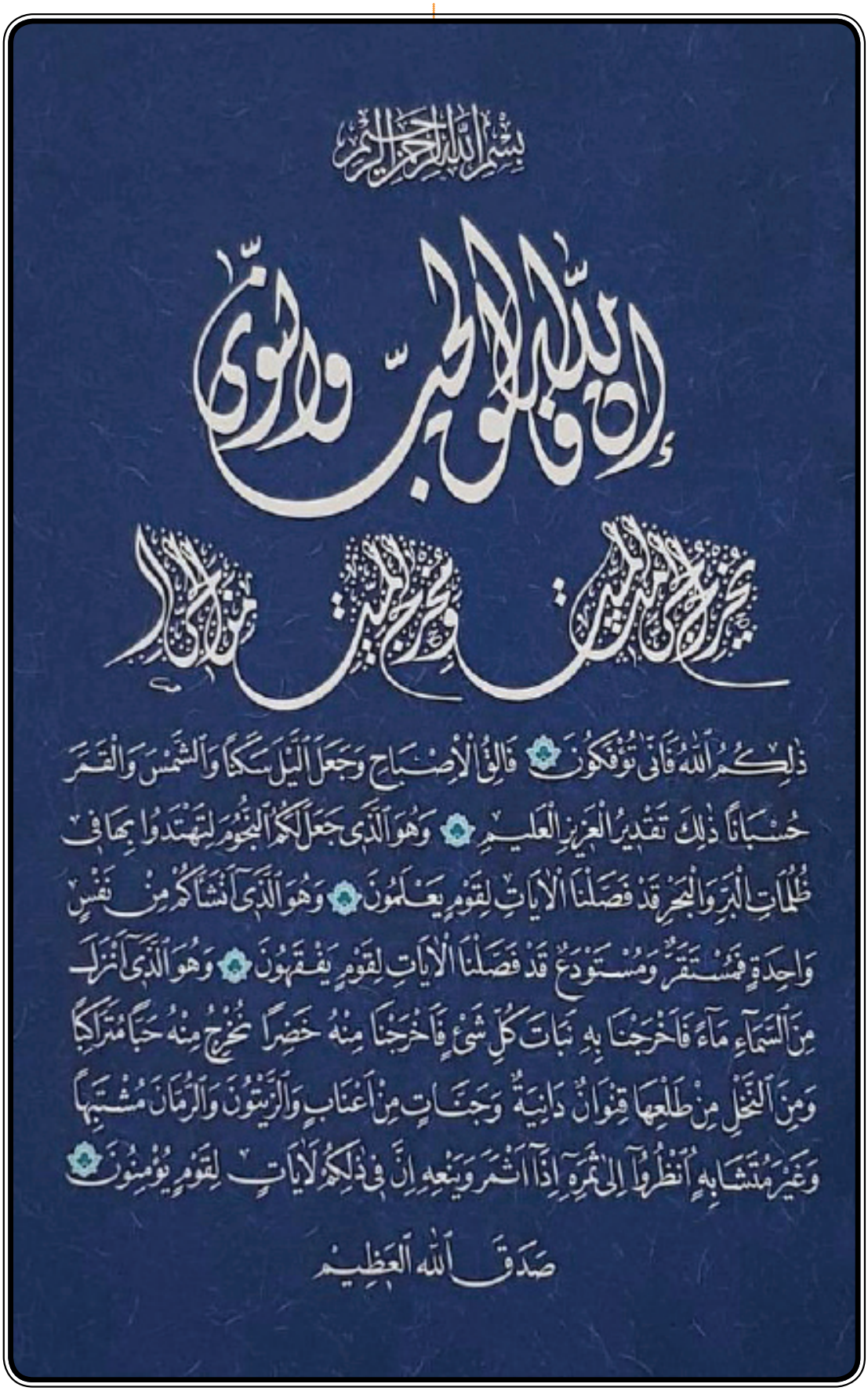
بسم الله الرحمن الرحيم
إن الله فالق الحب والنوى
يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي
ذلكم الله فأنى تؤفكون ۞ فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر
حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ۞ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في
ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ۞ وهو الذي أنشأكم من نفس
واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ۞ وهو الذي أنزل
من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا
ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها
وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون
صدق الله العظيم

التكرار في القرآن الكريم دراسة دلالية
سورة الرحمن أُنموذجاً

أ.م.د. جهانكير اميري م. عالية جاسم
جبار م. مرتضى رسول عكش
جامعة الرازي

الملخص:

التكرار ظاهرة لغوية بلاغية للغة العربية، وتدرج في تناول موضوعه من العام إلى الخاص، حيث تعرض في المحور الأول إلى تعريف لفظة (التكرار) في اللغة والاصطلاح، ثم تناول المحور الثاني أصل التكرار ووظائفة في النص القرآني، وتناول أغراض (التكرار) في اللغة العربية بالعموم ووظائفه، ثم تناول المحور الثالث التكرار في سورة (الرحمن) ودلالة استخدامه.

وتعود مشكلة البحث إلى التساؤل عن علاقة ماهية التكرار كخاصية لغوية، وعلاقته بإثبات الإعجاز اللغوي للنص القرآني من ناحية، وكيفية توظيف النص القرآني له من ناحية أخرى، كذلك التساؤل عن مدى تأثير التكرار على اللفظ القرآني ومعناه ودلالته، وطبيعة توظيف التكرار في سورة (الرحمن) خاصة ووظيفته. هذا البحث هو محاولة للكشف عن وجه من وجوه الإعجاز اللغوي للنص القرآني، وهو الوجه البلاغي متمثلاً في التعرض لخاصية التكرار، كخاصية لغوية بلاغية، وظاهرة موسيقية بنائية لها إيقاع مؤثر على المتلقي، ومن النتائج التي خرج بها البحث: بيان العلاقة بين خاصية التكرار والإعجاز اللغوي للنص القرآني، كما تم الكشف عن أنواعه في النص القرآني وكيف تم توظيفه، وكذلك تم الكشف عن مدى تأثير (التكرار) على المتلقي من ناحية، وعلى اللفظ والصياغة من ناحية أخرى، من خلال التعرض لنموذج قرآني له هو سورة (الرحمن).

Abstract:

The research dealt with the characteristic of repetition in the Qur›an، which is a rhetorical linguistic characteristic of the Arabic language، and The research included in the treatment of its subject from year to private، where it was presented in the first axis to the definition of the word (repetition) in language and terminology، and then address in the second axis types of repetition and function in the Qur›anic text، through three demands، first: dealt with the definition of linguistic miracles، and second: dealt with types (repetition) in Arabic in general and its functions، then third: dealt with types (repetition) in the Holy Quran and its functions، and then addressed in the third axis repetition in Surat (Rahman) and the significance of its use، through three demands: first: the definition of Sura (Rahman) and the reason for its descent، second: repetition in Sura (Rahman) and The indication of its use، third: Fadl Sura (Rahman) and what characterized it. The problem of research back to the question of what it is like to repeat as a linguistic characteristic، and its relationship to proving the linguistic miracle of the Qur›anic text on the one hand، and how the Qur›anic text was used for it on the other، as well as the extent to which repetition affects the Qur›anic word، its meaning and significance، and the nature of repetition in Surat (Rahman) Especially his job. This research is an attempt to reveal one aspect of the linguistic miracle of the Qur›anic text، which is the rhetorical aspect Represented in repetition، as a linguistic characteristic of rhetoric، and a musical phenomenon that has an impact on the recipient، and from the results of the research: the statement of the relationship between the characteristic of repetition and the linguistic miracle of the Qur›anic text، and revealed About its types in the Qur›anic text and how it was employed، as well as the extent of the effect (repetition) on the recipient on the one hand، and on the pronunciation and formulation on

التكرار في القرآن الكريم دراسة دلالية سورة الرحمن أُنموذجاً

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل النور البين هدايةً للعالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه المنتجبين.

أما بعدُ:

كتابُاللهِ دستورٌسماويٌّ فيه منالدقة مالاينال إلا بأنامل العلم، وأدواتالفكر،ولا يوُصلُ مرجانهُ إلا بالبحثِ الحثيث،والجهد الغزر لكي نفي ما بين أيدينا من عظمة ومعجزة ، فيجب أن نغزره بحثاً وعلماً ؛ لنعرف مكوناته بدراسة اللغه العربية ، وما بها من لأيء تدلنا على فهم هذا النص الآلهي الذي جعل من اللغة العربية لغة مخلدة لذا جاءت هذه الدراسة لسورة الرحمن ؛ لكونها عروس القرآن ، مليئة بالفضائل فانهلت منها لتوضيح هذه الكنوز العظيمة.

فإن هذه الدراسة المقدمة تترصد ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، وقد اعتمدت التنقيب فيه، للوقوف على مدى بلاغة التكرار في سياق الآيات القرانية ومقارنتها مع ما جاء في التراث اللغوي من نصوص، وبعد تدوين الآراء وتفسيرها على حسب معطيات الواردة لدى المتقدمين والمتأخرين.

وكان دور الباحث يكمن في توجيه تلك الآراء باعتماد كتب التفاسير، ومعالجة تلك الآراء الواردة في البحث كون وجودها يغني العربية. بعد دراستها ومناقشتها بطريقة علمية.

وقد اقتضت خطة البحث، أن تكون على شاكلة عنوانات تسبقها مقدمة وتنتهي بنتائج البحث.

أمّا ترتيب عنوانات المادة العلمية، فكانت على النحو الآتي:

-التكرار بين اللغة والاصطلاح.

-أصل التكرار .

-الفرق بين التكرار والتأكيد.

-أغراض التكرار وفوائدها.

-الدراسة التطبيقية للتكرار في سورة الرحمن.

ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصل إليها، ثم أتبعت ذلك بثبت للمصادر والمراجع التي استعنت بها في دراسة معطيات هذا البحث وتحليلها، يقف في مقدمتها من كتب القدماء، (مجمع البيان) لطبرسي، و(المقتضب) للمبرد، و(المنصف) لابن جني، و(شرح شافية ابن الحاجب) للرضي الاستراباذي وكذلك (الممتع في التصريف) لابن عصفور، أما كتب الدراسات الصوتية الحديثة، فقد اعتمدت الكتب المعنية بدراسة الأبنية الصرفية من منظور صوتي، في مقدمتها (المنهج الصوتي للبنية العربية) للدكتور عبد الصبور شاهين، و(التصريف العربي) للطيب البكوش، و(أثر القوانين الصوتية) وكذلك (تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي) للدكتور فوزي الشايب، و(علم الأصوات العربية) للدكتور محمد جواد النوري. أما منهج البحث الذي اتبعته في دراستي، فكان على وفق الآتي:

-ذكر نصّ القرآن، وتعيين الألفاظ موضوع الدراسة.

-استعراض آراء علماء اللغة القدماء بشأن التكرار المراد دراسته وأنتهي بآراء العلماء .

-أتتبع الآراء والإجراءات ادلالية المعتمدة من قبل القدماء كونها ركائز عامة لا يمكن أن نركن عندها، ومن ثم نسلط الضوء على حقيقة ما توصلت إليه الألفاظ في صورتها على وفق قناعات علمية، يتم للبحث الترجيح، وفي أحيان كثيرة يعتمد التدخل لحل بعض الغموض الذي يكتنف التأطير النهائي للألفاظ، مستنداً إلى الدليل العلمي.

حَدُّ التكرار:

في اللغة:

بين ابن منظور في لسان العرب أن التكرار من كرر: الكرُّ: الرجوع. يقُالُ: كرَّهُ وكرَّ بنفسه يتعدى ولا يتعدى. والكرُّ: مصدرُ كرَّ عليه يكرُّ كرًّا وكروراً وتكرارًا :عطف وكرَّ عنه: رجعَ، وكرَّ على العد وِّ يكرُّ؛ ورجلٌ كرار ومكر وكذلك الفرس وكرر الشيء وكركره. أعاده مرةً بعد أخرى. والكرة : المرة والجمع الكرات (١).

وفي الاصطلاح:

هو ممّا يقوي الوحدة والتمركز، ويظهر في تناوب الحركة والسكون أو تكرر الشيء على أبعادٍ متساوية. وفي ترديد لفظٍ واحد أو معنى واحد وهو الترجيع :ترجيع البداية في النهاية، ترجيع القرار في الغناء. رد العجز على الصدر في الشعر، ترجيع النوتة الواحدة في الموسيقى والعود المتواتر إلى شيءٍ بعينه، والتكرير هو ذكر الشيء مرة فصاعداً بعد أخرى وكذا التكرار كما ويستفاد من المطول في تعريف الفصاحة، والإتقان التكرير من أنواع إطناب الزيادة وهو أبلغُ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط (٢). ما ذكرنا في التمهيد التكرار هو:(مصدر على صيغة«تفعال»مأخوذ من «كرر»،وأصله الرجوع،ويفيد كذلك الاعادة وترديد الصوت . قال ابن منظور: الكرُّ: الرجوع . يقال: كرهُ وكرَّ بنفسه ؛ يتعدى ولا يتعدى .والكر: مصدر كرَّ عليه يكر كراً وكروراً وتكراراً : عطف. وكرّ عنه : رجع ،وكرّ على العدو ويكرّ ،ورجل كرار ومكر ،وكذلك الفرس .وكرر الشيء وكركره : أعاده مرةً بعد أخرى. والكرة : المرة ،والجمع: الكرات. ويقال: كررت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه(٣).

ولو تأملنا في المادة التي كتبها « ابن منظور» لوجدنا أن مادة «كرر» تفيد معاني عديدة فهي تعني:

١. الرجوع إلى الشيء أو التراجع ،فالكر : الرجوع على الشيء وتكركر الماء: تراجع في مسيله ،وتكركر في ذلك : أي رجع ،من كركرته إذا دفعته ورددته

٢.الرد أو التردد أو الترديد: كركره عن الشيء : دفعه ورد ،وتكركر الرجل في أمره أي تردد ،والمكرر من الحروف الراء وذلك لأنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغير بما فيه من التكرير ،والكركرة : صوت يردده الإنسان في جوفه ،وكركرة الرحى بترديدها...ولو انتقلنا بهذا المفهوم العام إلى المفهوم الخاص لكلمة التكرار فسنجد:أن التكرار يعني جميع تلك المعاني.

فالتكرار يعني الرجوع والترديد الصوتي ،والإعادة وهذا أمر معلوم ،ويعني كذلك الربط أو الجمع ،ويظهر هذا في تكرار الجملة ،فانظر إلى الفاصلة المكررة في سورة الرحمن على سبيل المثال ،نجد أنها أي الفاصلة المكررة تجمع ما تفرق من معانٍ في السورة وكأن بقية الآيات ماء يصب ماء يصب في قنوات الفواصل أو كأن آيات السورة كحبات المسبحة تنظمها وتربطها هذه الجملة المكررة ،ولو نظرنا إلى قصيدة في موضوع الغزل فسنجد أن اللفظة المكررة هي لب الموضوع ،وعليها اعتماده ،وأن فيها مجامع أفكاره ومنها يفرق كلماته على سائر القصيدة أو كما الروي وزن القصيدة وقافيتها.

٢-نلاحظ في الأصل اللغوي لـ« تكرار» وجود علاقة صوتية أو حركية تكاد توجد في جميع مشتقاتها ،ففي صوت الرحى : استمرار لنغمة رتيبة متلاحقة ،وفي حشرجة الصدر توافق صوتي متشابه ،وفي الضحك أو الكركرة مقاطع لا تخلو من تناغم وائتلاف ،وفي خرير الماء تناسق صوتي كذلك فكأن تناغم الصوت وتكررهُ في انسجام وتألفه في نظام صوتي شرط في التسمية ،وهو كذلك في التكرار فكأن التكرير اللفظي ترديد لنفس الصوت ؛لأنه إعادة للفظ أو للجملة سواء متعاقبا أم متراخيا (٤).

وهناك فرق بين التكرار والتأكيد،إذ يعُد التكرير باباً ، ومن أغراض هذا الباب هو التأكيد؛ وذلك لكون التكرير أبلغ من التأكيد كما أشار الى ذلك العلماء،ومنهم «الزركشي «في كتابه البرهان، فقد قال: واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد وبين ذلك «السيوطي «وبعده « الكفوي « وبينا أن التكرير من محاسن الفصاحة . والتأكيد يأتي مبحثا من مباحث النحو فهو الضرب الأول من التوابع الخمسة وهي: التأكيد والصفة وعطف البيان والبدل والعطف بحرف (٥).

التأكيد : واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد لأنه وقع في تكرار التأسيس وهو أبلغ من التأكيد ،فإن

التكرار في القرآن الكريم دراسة دلالية سورة الرحمن أُنموذجاً

التأكيد يقرر إدارة المعنى الأول ،وعدم التجوز كما في قوله تعالى (٦): « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون « ، وكذا قوله تعالى(٧) :

«وما أدراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين « ،فضلاً عن ذلك أنه قد يأتي التأكيد تكراراً كما تم ذكرُه، وقد لا يأتي تكراراً كما ذُكِّرَ سابقاً أيضا، وربما التكرار يكون غير تأكيد من حيثُ الصناعةُ ،وإن كان يفيد التأكيد معنىً.

ومن التكرار ما وقع فيه الفصل بين المكررين ،فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده كقوله تعالى (٨): {اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} ، وقوله تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}(٩)، فالآيتان جاءتا من باب التكرير لا التأكيد (١٠).

آراء العلماء في التكرار:

- يقول الزمخشري إن إنقياد النفس إلى الخير، أو دفعها أي دفع النفوس له يعدّ شيئاً له من الصعوبة بمكان ومن هنا كان الواعظون دائما يكررون ما يعظون به نصيحةً وإرشاداً لهذه النفوس الغلابة لأصحابها حتى تنقاد إلى أمر الله ،وهذا هو السر من جعل الله أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني. ويقول أيضاً إن قال أحد ما فائدة التذكير والتثنية فأجيبه إن النفوس لتنفرمن حديث الوعظ والنصيحة ،فإن لم تكرر عليها في وعظك فلن يترسخ فيها ولن يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)حيث أنه كان يكرر ما ينصح به ،وينصح ،ثلاث مرات، وسبعاً ،ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم (١١).

ابن الأثير:

التكرار : هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً...،وهو ينقسم إلى قسمين : أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى الآخر يوجد في المعنى دون اللفظ. فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ومنه قول المتنبي: (١٢)

لم أرَ مثل جيراني ومثلي
لمثلي عند مثلهم مقامُ

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك : أطعني ولا تعصني ،فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية.

وكل من هذين القسمين :ينقسم إلى مفيد وغير مفيد ،ولا أعني بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة ؛فإنه عندهم عبارة عن اللفظ المركب ؛ إما من الاسم مع الاسم ،بشرط أن يكون للأول بالثاني علاقة معنى يسع مكلفاً جهله ،وإما من الاسم مع الفعل التام المتصرف ،على هذا الشرط أيضا ،وإما من صرف النداء مع الاسم ،فهذا هو المفيد عند النحاة ،وغير المفيد أن يأتي لغير معنى(١٣).

-ابن النقيب: يقول :» إن حقيقة التكرار عند ابن النقيب هو أن يقول المتكلم لفظاً أو يأتي به ثم يقوم بإعادة هذا اللفظ نفسه سيان ما بين اتفاق اللفظ والمعنى أو اختلافهما ، أويأتي بمعنى ثم يعيده . ويشترط في هذا أن يكون هنالك بسن المعنى الأول والثاني ،فإن أتى متحد الألفاظ والمعاني فتكمن الفائدة في إ ثبات الأمر المقصود وتقريره في النفس ، وكذلك إذا كان المعنى متحداً. وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلف فالفائدة من الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين» (١٤).

الزركشي: يقول : وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ،ظناً أنه لا فائدة له ؛وليس كذلك بل هو من محاسنها، ولاسيما إذا تعلق بعضه ببعض؛ وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادةً لتحقيقه وقرب وقوعه ،أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيداً ،وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم، عليه أو الاجتهاد في الدعاء عليه ،حيث يقصد الدعاء؛ وإنما نزل القرآن بلسانهم ،وكانت مخاطباته جاريةً بين بعضهم وبعض ،وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة . وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد، لأن الإنسان مجبولالطبائع المختلفة ،وكلها داعية إلى الشهوات ،ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع ، قال تعالى(١٥): « ولقد يسرنا القرآن

للذكر» ، قال في «الكشاف» :أي سهلناه للاذكار ، نسجناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من والاتعاظ بأن الوعد والوعي(١٦).

الجاحظ: الجاحظُ هو أسبق من تحدث عن التكرار من بين العلماء الذين تحدثوا فيه ،وبينوا أهميته ومحاسنه ومقاصده ،ومساوئه ،حيثُ أوضح في قول له بهذا الخصوص: « ليس التكرار عياً ،ما دام لحكمة كتقرير المعنى أو خطاب الغبي أو الساهي، كما أن ترداد الألفاظ ليس بعي ما لم يجاوز الحاجة ويخرج إلى العبث»(١٧).

ابن الرشيق القيرواني:

لم يكن القيرواني من الغافلين عن أسلوب التكرار بل وعده من أساليب العربية ، وأنه موجود في كل ف نٍ من فنونها القولية حسب ما عبر ، وقسم القيرواني استناداً على ما ذُكِّرَ التكرارَ إلى أقسامٍ ثلاثة ، وحيثُ بين أن للتكرار مواضع يحسنُ فيها وأخرى يقُبح فيها وأكثر ما يقع التكرار : في الألفاظ دون المعاني ،وهو في الألفاظ دون المعاني أقل ،وأشار أنه إذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه إذا كان ذلك في تغزلٍ أو نسيب»(١٨).

أبو محمد القاسم السجلماسي:

وقد تناول أبو محمد القاسم التكرا ر، وتكلم عنه باتساع وهذ نصه :

« التكرير هو مثال أول لقولهم :كرر تكريراً :ردد وأعادوالتكرار فيه هو بنية مبالغة وتكثير ،وهو من باب ما تكثر فيه المصادر من فعلت بلحاق الزيادة وهي الفاء المفتوحة من أدلة من أوله لقصد المبالغة فصار بناؤه بناءً آخر على غير ما يجب للفعل كالتهدار والتلعاب والتصفاق والترداد والتجوال والتقتال والتسيار....

وتمام كلام الموطيء من نقل الاسم وبيان النسبة بينٌ بذاته. وأما الفاعل فهو إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعداً ،والتكرير اسم لمحمول يشابه به شيئاً في جوهره المشترك لهما، فلذلك هو جنسٌ عالٍ تحته نوعان :أحدهما التكرير اللفظي ولنس مِّه مشاكَلَةً. والثاني : التكرير المعنوي .وليس منه مناسبةً وذلك لأنه إما يعيد اللفظ وإما أن يعيد المعنى ،فإعادة اللفظ هو التكرير اللفظي وهو المشاكلة ،وإعادة المعنى هو التكرير المعنوي وهو المناسبة(١٩).

اما التكرار عند المحدثينمن أمثال :

نازك الملائكة:

إذ بينت إن أبسط قاعدة نستطيع أن نصوغها بالاستقراء ونستفيد منها هي أن التكرار ،في حقيقته ،إلحاح على جهة هامة في العبارة يعُنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها.

وهذا هو بقانون الأول البسيط الذي نلمسه كامناً في كل تكرار يخطر على البال ، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها... (٢٠) .

كما أن لنازك الملائكة رأياً مهما في التكرار حيث تعده من الأساليب التعبيرية المهمة ،وأن فيه من الإمكانات الراقية والإبداعية والكبيرة وهذه القدرات الإبداعية تستطيع أن ترقى به إلى مرتبة عليا أو مرتبة أعلى من ذلك وهي مرتبة الأصالة. (٢١)

محمد صابر عبيد:

وأشار إلى أن التكرار هو الإتيان بعناصر متماثلة مع اختلاف المواقع في الأعمال الفنية ،وما يمثل أساس الإيقاع هو التكرار بأنواعه المختلفة جميعها ،فهو موجود في الموسيقا ،كما و يوجد بشكل أساسي لنظرية القافية في الشعر هو ما يمثل النجاح والجمال في الكثير من المح سنات البديعية كما هو الحال في العكس والتفريق والجمع مع التفريق و رد العجز على الصدر في علم البديع العربي(٢٢).عبد الكريم الخطيب : متكلماً عن التكرار في القرآن الكريم :) هو إعجاز من إعجازه ! ووجه جديد من وجوه ا لبلاغة ،لم ينطق به من قبل القرآن لسان ،فيجد فيه الطلاوة والحلاوة ! .. على هذا الوجه الذي جاء به الكتاب الكريم.ذلك أن كل كلام يكُرر يثقل ،ويسمج، ويسقط! أمّا التكرار الذي وقع

في القرآن فإنه كان من المواضع التي جاء فيها نغماً جديداً من أنغام الحسن الرائع .. أضيف إلى تلك الأنغام السارية في القرآن الكريم كله.. (٢٣)

أغراض التكرار:

وللتكرار فوائد: منها التقرير ، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر ،وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله تعالى(٢٤):«وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا».

ومنها التأكيد، ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ،ومنه قوله تعالى(٢٥):«وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع » فإنه كرر فيه النداء لذلك.ومنها إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانياً تطريةً له وتجديداً لعهده .

ومنها التعظيم والتهويل، نحو قوله(٢٦):

{ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ} وقوله(٢٧) :

{الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ}وقوله(٢٨):

{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ}.

ويعرف علي الجندي التكرار بأنه: يأتي لتأكيد غرض من أغراض الكلام أو للمبالغة فيه ومثل ذلك:

١- كالغزل في قول أمرئ القيس إذ قال(٢٩) :

ديار لسلمى عافيات بذي الخال
ألح عليها كل أسحم هطال
وتحسب سلمى لا نزال كعهدنا
بوادي الخزامي أو على رأسِ عال
وتحسب سلمى لا تزال طلاء
من الوحش أو بيضاء بميثاء محلال
ليالي سلمى إذا تريك منضداً
وجيد كجيد الرئم ليس بمعطالِّ

ب- وكالتنويه، والإشارة إليه بالذكر، ويشمل ذلك: المدح كقول الخنساء في أخيها صخر حيث قالت(٣٠):

وإن صخراً لوالينا وسيدنا
وإن صخراً إذا نشتو لنحارٌّ

فتكرير اسم الممدوح هنا تنويه به وإشارة بذكره ،وتفخيم له في القلوب والأسماع.

٢-الهجاء على سبيل التشهير وشدة التوضيع بالمهجو كقول ذي الرمة(٣١)

تسمى امرأ القيس بن سعد إذا اعتزت
وتأبى السبال الصهب والآنف الحمر
ولكنما أصل امرئ القيس معشر
يحل لهم لحم الخنازير والخمر
نصاب امرئ القيس العبيد ،وأرضهم
تمر المساحي لا فلاة و لا مصر

٣- الازدراء والتهكم والتنقيص كقول حماد عجرد في ابن نوح وكان يتعرب فقال(٣٢) :

يا بن نوح يا أخا الحِلسِّ ويا بن القتب
ومن نشا والده بين الربا والكثب
يا عربيٌّ يا عربيٌّ يا عربيٌّ يا عربيٌّ

٤-التقريع والتوبيخ كقول بعضهم:

إلى كم وكم أشياء منكم تريبني
أغمض عنها لست عنها بذي عمي

التعظيم للمحكي عنه كالذي أنشده سيبويه ،في قصيدة لعدي بن زيد أو لابنه سوادة حيث قال (٣٣):

لا أرى الموت يسبق الموت شيء
نغص الموت ذا الغني وذا الفقيرا

٦- الوعيد والتهديد .... ومثاله في القرآن الكريم (٣٤): « الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة» ،وقوله تعالى(٣٥): «القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة» .

٧-التوجع في الرثاء والتأبين كقول متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً فقال(٣٦):

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك فقلت لهم :
إن الأسى يبعث الأسى
ذروني فهذا كله قبر مالك

٨- الاستغاثة - وتدخل في باب المدح- كقول العدُيل بن الفرخ (٣٧):

بي مسمع لولا الإله وأنتم
بي مسمع لم ينكر الناس منكرا

٩- التفخيم ، كقول امرئ القيس(٣٨):

تقطع أسباب اللبانة والهوى
عشية جاوزنا حماة وشيزرا
عشية جاوزنا حماة وشيزرا
لخائف ومستريش ذي الأمل

١٠-التعجب ، كالذي رواه القالي عن أبي بكر بن الأنباري عن أبيه حيث قال (٣٩):

لما تبدت الأستار قلت لها
سبحانَ سبحانَ ربي خالق الصور

١١- الاستبعاد ، كقوله _ تعالى(٤٠):

« هيهات هيهات لما توعدون»

١٢-التهويل ، كقوله _ عزَّ وجل _ (٤١):

«الحاقة ما الحاقة»

١٣- التقرير والإنكار ،كقوله _ تعالى(٤٢):

« فبأي آلاء ربكما تكذبان»(٤٣) .

والزمخشري: يفسر تكرار النداء في سورة غافر مستوحياً اللفظ المكرر وما له من أثر في استجابة النفس فيقول في قوله تعالى(٤٤) : «وقال الذي آمن يا قوم اتبعونِّ أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع .... يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة... فإن قلت لم كرر نداء قومه ... قلت أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنةِّ الغفلة ،وفيه أنهم قومه عشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ،ويتلطف بهم ،ويستدعي بذلك ألا يتهموه فإن سرورهن سروره ،وغمهم غمه ،وينزلوا على نصيحته بهم كما كرر إبراهيم (عليه السلام) في نصيحة أبيه يا أبتِّ...

ويرى الزمخشري أن هنالك من الحالات ما هو غريب على النفس وهي وإن كانت لا تنكره ؛لأنه لا مجال فيه للإنكار، إلا أنها محتاجة إلى مزيد من الاطمئنان والتقرير، وهذا موطن من مواطن التكرير وغرض من أغراضه.يقول في قوله تعالى(٤٥):

« ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وأنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطرهُ»، وهذا تكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده ؛لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم لينبهوا ويعزموا ويجدوا .

التكرير في آيات الوعيد والتهديد متابعة للنفس وتجديدا لتذكير لها...

وقد تكرر الجملة على اختلاف صياغتها وهذا تكرير حسن كما يقول الزمخشري لأن الاختلاف في الصياغة من عناصر القوة في التكرير يقول في قوله تعالى(٤٦):

{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُوْلَـٰئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤ } ، ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخيرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية وأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل ؛لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوهم جميعاً، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخيرية أولا ،وبالاستثنائية ثانيا، وما في الجملة الاستثنائية من الوقع على وجه التأكيد والتخصيص ،أنواع المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه.

وهنالك التكرير الذي يضاف فيه الكلام المكرر جملة جديدة ذات أهمية في المعنى، وهذه طريقة العلماء فيما يكتبون لا يكررون الكلام إلا لفائدة ،يقول في قوله تعالى(٤٧): {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا}(٤٨)،إن قلت لم يكرر يسألونك وإنما علمها عند الله؟ قلت للتأكيد ولم جاء به بعد زيادة قوله تعالى كأنك حفي عنها، وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق، فكتبه يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة (٤٩) .فأما التكرار الذي جاء في الأنباء والقصص في القرآن

الكريم ،فقد قيلت فيه آراء ووجوه ، وأفضل وأصح ما يقال هو أن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن وأعجز به القوم عن الإتيان بمثله ،ولو بآية واحدة لكنهم عجزوا ؛لصحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ،ثم كرر القصة في مواضع متعددة ليبين أنهم عاجزون وإعلاماً أنهم لن يستطيعوا الإتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبر ، فهذا أولى ما قيل في هذا الباب(٥٠).

-دلالة التكرار في سورة الرحمن :

قوله تعالى :{ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}٩ - ٨ -٧ أعاده ثلاث مرات ،فصرح ولم يضمر ،ليكون كل واحد قائم اً بنفسه ،غير محتاج إلى الأول ،وقيل : لأن كل واحد غير الآخر . الأول ميزان الدنيا ،والثاني ميزان الآخر ة ،والثالث : ميزان العقل ،وقيل : نزلت متفرقةً فاقتضى

الإظهار (٥١) .

وأيضا أعاد الله هذا اللفظ ، تأكيد اً وتوصيةً منه لعباده بإيفاء الوزن وإقامة العدل في كل جوانب الحياة العامة ،فهي صفة حميدة أمر الله عباده بها كما أن كل واحد منها غير الآخر ...

فقوله(٥٢) :{وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}، دلت على أنه جلَّ شأنه خلق كل شيء بترتي ب معلو م في الكون فهو عدل الدنيا ،وقوله(٥٣) : « ألا تطغوا في الميزان»، معناه أنه أوصى عباده وحضهم على العدل في الكيل وعدم التطفيف فيه ، أما قوله(٥٤) :{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}، فإنه في هذا الموضع يدعو خلقه إلى إعمال العقل وخوف الله (٥٥) .

قال تعالى (٥٦): {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، تم تكرير هذه الآية إحدى وثلاثين مرةً في سورة الرحمن بعد كل خصلةٍ من النِّعم ،وجعلها الله فاصلة بين كل نعمتين ؛لتقرير وتأكيد النعم ،وللتنبيه على ما لها من أهمية ،ومن نعم محصورة في دفع المكروه ،وتحصيل المقصود(٥٧) وجاء في تأويل مشكل القرآن أنه : «عدد في هذه السورة نعماءه ،وأذكرَ عباده آلاءه ،ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه ،ثم اتبع ذكر كل خلة وصفها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين نعمتين ؛ ليفهم النعم ،ويقررهم به(٥٨)».

« فبأي آلاء ربكما تكذبان»: فأما الوجه لتكرار هذه الآية في هذه السورة ،فإنما هو التقرير بالنعم المعدودة ،والتأكيد في التذكير بها كلها . فكلما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها قرر عليها ،ووبخ على التكذيب بها ،كما يقول الرجل : أما أحسنت إليك حين أطلقت لك مالاً ؟ أما أحسنت إليك حين ملكتك عقاراً ؟ أما أحسنت إليك حين بنيت لك دارا؟ فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقُرَر به . ومثله كثير في كلام العرب وأشعارهم.

قال المهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً(٥٩) :

على أن ليس عدلاً من كليبٍ
إذا طُرِّد اليتيمُ عن الجزور
على أن ليس عدلاً من كليبٍ
إذا ضِّيم جيران المجيرِّ
على أن ليس عدلاً من كليبٍ
إذا رُجف العصاة من الدبور
على أن ليس عدلاً من كليبٍ
إذا خرجت مخبأة الخدورِّ
على أن ليس عدلاً من كليبٍ
إذا ما أعلنت نجوى الصدورِّ

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن حمير (٦٠):

لنعم الفتى يأتوب كنت ،ولم تكن
لتسبق يوماً كنت في تجاولُ
ونعم الفتى يأتوب كنت إذا التقت
صدور العوالي واستشال الأسافلُ
ونعم الفتى يأتوب كنت لخائ فٍ
أتاك لكي تحمي ونعم المجاملُ (٦١)

وسنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عباد(٦٢):

قربا مربط النعامة مني
لقحت حرب وائل عن حيالِّ

فكرر قوله :(قربا مربط النعامة مني)،في رؤوس أبياتٍ كثيرةٍ عناية بالأمر وإرادة الإبلاغ في التنبيه والتحذير...

وكقول الآخر: كم نعمة كانت له كم كم وك م
فكرر لفظ كم لفرط العناية بقصد تكثير العدد.
قال علماؤنا : فعلى هذه السنة جاء ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله :« فبأي آلاء ربكما تكذبان»(٦٣)

وهذا النوع من التكرار يسُتحسَن ،وعلل ذلك في البرهان : لتعدد المتعلق ،كما في قوله تعالى : «فبأي آلاء ربكما تكذبان « ،فإنها وإن تعددت ؛ فكل واحد منها متعلق بما قبله ،وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن ،وعدد عليهم نعمه التي خلقها لهم ؛ فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه ،وهي أنواع مختلفة ،وصور شتى (٦٤) .
وذُكرَ في التحرير والتنوير : هذا توبيخ على عدم الاعتراف بنعم الله تعالى ،جيء به في نظيره الذي سبقه ليكون التوبيخ بكلام مثل سابقه ؛وذلك تكرير من أسلوب التوبيخ ونحوه أن يكون يمثل الكلام السابق ،فحق هذا أن يسُمى بالتعداد لا بالتكرار ؛لأنه ليس تكريراً لمجرد التأكيد ،فالفاء من قوله :»فبأي آلاء ربكما تكذبان» هنا تقريع على قوله :»رب المشرقين ورب المغربين «؛ لأنَّ ربوبيته تقتضي الاعتراف له بنعمة الإيجاد والإمداد وتحصل من تماثل الجمل المكررة فائدة التأكيد والتقرير أيضا فيكون للتكرير غرضان كما قدمناه في الكلام أول السورة.
وفائدة التكرير توكيد التقرير بما لله تعالى من نعم على المخاطبين وتعريض بتوبيخهم على إشراكهم بالله أصناماً لا نعمة لها على أحد ،وكلها دلائل على تفرد الإلهية ، وعن ابن قتيبة أنَّ الله عدد في هذه السورة نعماء ،وذكر خلقه آلاءه ثم أتبع كل خلة وصفها ،ونعمة وضعها بهذه ،وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها، وقال الحسين بن الفضل :التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة (٦٥).
وجاء قوله تعالى في سورة القمر(٦٦) :
« فذوقوا عذابي ونذر فقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر»، فإنه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا ،وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكاراً وإيقاظاً ،وأن يستأنفوا تنبيهاً واستيقاظاً، إذا سمعوا الحث على ذلك والبحث إليه ،وأن تقرع لهم العصا مرات لئلا يغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة ،وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن : {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}؛ وذلك عند كل نعمة عددها على عباده(٦٧).

التكرار الوارد في سورة الرحمن له أسبابه ويمكن أن نسجل هذه الملاحظ:

•أولاً : إن هذا التكرار الوارد في سورة الرحمن، هو أكثر صور التكرار الوارد في القرآن على الإطلاق.

•ثانياً : أنه – أي التكرار في هذا الموضع- قد مُهِّدَ له تمهيداً رائعاً ، حيث جاء بعد اثنتي عشرة آية متحدة الفواصل، وقد تكررت في هذا التمهيد كلمة (الميزان) ثلاث مرات دون ملل .....
وهذا التمهيد قد أشاع _ كذلك _ لحناً موسيقياً عذباً كان بمثابة مقدمة طبيعية لتلاؤم صور التكرار ولتألفها النفس وتأنس بها فلا تهجم عليها هجوماً لأن القرآن قد راعى في فواصل المقدمة التمهيدية ما أثبتت عليه فواصل الآية المكررة.

ثالثاً : إن الطابع الغالب على هذه السورة هو طابع تعداد النعم على الثقلين :الإنس والجن ،وبعد كل نعمة أو نِّعم يعددها الله تأتي هذه العبارة : «فبأي آلاء ربكما تكذبان «، وعلى هذا الأساس يمكن بيسر فهم علة التكرار الذي حفلت به سورة الرحمن أنه لذكر وتقرير لنعمه ،وأنها من الظهور بمكان فلا يمكن إنكارها أو التكذيب بها ،فتكرار الفاصلة في الرحمن يفيد تعداد النعم والفصل بين كل نعمة وأخرى ؛لأن الله سبحانه عدد في السورة نعماءه وذ كر عباده بآلائه ،ونبههم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة لتعرف موضع ما أسداه إليهم منها ، ثم فيها إلى ذلك معنى – التبكيت والتقريع والتوبيخ – ؛لأن تعداد

النعم والآلاء من الرحمن تبكيت كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها، ولقائل أن يسأل : أن هذه الفاصلة قد تكررت بعدما هو ليس بنعمة من قوله تعالى :(٦٨)« يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان»وقوله(٦٩):{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }وقوله (٧٠):
{هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ «٤٣» يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ«٤٤» فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ «٤٥»}، وظاهر هذه الآيات بلاء وانتقام وليس بنعم.

ولكن المتأمل من يدرك أن الإنذار والوعيد وبيان مآل الضالين عصمة للإنسان من الوقوع فيما وقعوا فيه فيكون مصيره مصيرهم ، ومن هذا الاعتبار يتبين أن هذه المواضع مندرجة تحت النعم ،لأن النعمة نوعان إيصال الخير . ثم دفع الشر . والسورة اشتملت على كلا النوعين .فلذلك كررت (٧١)

وقال القرطبي في هذا التكرار وغيره :

قال أكثر أهل المعاني :نزل القرآن بلسان العرب ومن مذاهبهم التكرار إرادةإرادةَ التأكيد والإفهام ،كما إن من مذاهبهم الاختصار إرادةإرادةَ التخفيف والإيجاز ؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء ،أولى من اختصاره في المقام على شيء واحد ،قال تعالى(٧٢) :{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}وقال (٧٣):
«ويل يومئذ للمكذبين»وقال(٧٤):{كَلَّا سَيَعْلَمُونَ «٤» ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}قال(٧٥):{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا «٥» إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا «٦»}

كل هذا على التأكيد. (٧٦) قال تعالى(٧٧):
{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}، تم ذكر هذه الآية مرتينٍّ في موقعينٍّ مختلفينٍّ ، من سورة الرحمن والآيتان لهما المعنى نفسه الذي تراه متمثلاً بالطهارة ،أما وجه تكريرهما فهو من أجل التدقيق في الوصف . وفائدة التكرار فيهما أيضاً هو تبيين ووصف العفة والإخلاص لن ساء الجنة(٧٨).أما في قوله تعالى (٧٩):{فيهما عينان تجريان}وقوله(٨٠):{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}
كررت الآيتان الكريمتان ؛لأنه تقدست أسماؤه في مقام وصفٍ لجناته (٨١).وهنالك كلمات ذكرت ولكنها أقل تكراراً ولكن أيضاً لمعنىً يناسبها : ذكرت كلمت «جنتان» في موقعينٍّ مختلفين من السورة ؛وهذا لتقرير فضل الله المضاعف على عباده الصالحين، و رددت لفظة « الإحسان « مرتين؛ لأنه سبحانه يؤكد من عمل خيراً فيجزى بأحسن منه، وكرر الفعل « خلق « ثلاث مرات و «تنقذوا» نفس العدد أما عن الفعلان « علم « و» وضع» فقد تكررا في موضعين اثنينٍّ من السورة وكلها أفعال أعيدت للدلالة على عظمته وجبروته وتنوعت الصياغة لتجميل الكلام (٨٢).

وأيضاً هنالك نوع من التكرار غير الجمل والكلمات وهو تكرار الحروف والأصوات ففي قوله تعالى) (٨٣): « الرحمن ،علم القرآن خلق الإنسان،علمه البيان...»،تكرر حرف النون أربعة وستين مرة ،وفي صوت النون نغمة توحي إلى الهدوء والسكينة ،كما أنه يبعث الراحة في النفس لتظهر لنا عظمة الله وقدرته الباهرة تمعن ، كما إن حرف اللام، والميم ،والراء تكررت هذه الحروف مراتٍ عديدة وهذا في مثال قوله:
(الجلال،الإكرام ،ربكما)،وفي اتحاد هذه الحروف تعبير عن قوة الله وشدته ، إما حرف المد فقد أخذ نصيبا كبيرا من السورة ،فقد لزم السورة من بدايتها إلى نهايتها حتى أنه كان من بين أكثر الحروف تكراراً حيث بلغت عدد مواطن تكراره مائة وواحدا وسبعين مرة ،وهذا ما منحها قيمة موسيقية عذبة تطرب الأذن لسماعها ،أضف إلى ذلك القيمة الدلالية كقوله :(يلتقيان ،يبغيان ،تبارك .....) ،فحرف المد هنا فيه تعبير عن الإيمان بالله وبرحمته الواسعة (٨٤).

الخاتمة:

•توصلت من خلال دراستي للتكرار في سورة الرحمن إلى نتائج أهمها:

•كررت آية «فبأي آلاء ربكما تكذبان» إحدى وثلاثين مرةً بعد كل خصلة من النعم ،وأيضا

جعلها الله فاصلة بين نعمتين للتأكيد والتقرير بهما

•تكرار «فبأي آلاء ربكما تكذبان» من مقاصدها المهمة هو العناية بالأمر المقصود ،وإرادة الإبلاغ ،والتنبيه ،والتحذير.

•عدد الله نعماءهُ في هذه السورة ،وذ كر عبادَهُ بآلائهِ .

•ومن معاني التكرار في هذه السورة التوبيخ لمن كذب بها .

•ومن الأغراض أيضا التنبيه حيثُ نبههم على قدرته ،ولطفه بخلقه

•إن الله سبحانه وتعالى كرر جملة « ووضع الميزان « ثلاث مراتٍ تأكيداً وتوصيةً بإيفاءِ الوزنِ ، وإقامة العدل في كل جوانب الحياة العامة

٦-«فيهما عينان تجريان « و» فيهما عينان نضاحتان « تم تكرار هذين الآيتين مرتين ؛ لأنه سبحانه وتعالى في مقام وصف لجناته

٧- ومن الأغراض التي جاءت في سورة الرحمن هو التدقيق بالوصف حيث تكررت آية) لم يطمثهن إنس ولا جان (من أجل هذا الغرض ألا وهو التدقيق .

٨- ذكرت كلمت «جنتان» في موقعينِ مختلفين من السورة وهذا لتقرير فضل الله المضاعف على عباده الصالحين وكذلك رددت كلمة «إحسان « لتأكيد الجزاء الحسن لم ن عمل خيرا وهنالك أفعال تكررت لغايات دلالية سبق ذكرها بالتف صيل.

وهذا ما أختم به وخير الخواتيم ما تكلل بتوفيق الرحمن وتسديده.

الهوامش:

(١)ينظر : لسان العرب لابن منظور: ١٢/ ٦٤.
(٢) ينظر :النقد الجمالي واثره في النقد العربي ، روز غريب ، ٢٨ ، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، علي التهاوني، -٥ .
(٣) ينظر :لسان العرب :١٢/ ٦٤.
(٤) ينظر: التكرار مظاهره واسراره ، عبد الرحمن محمد الشهراني :٢-٤ ، و النقد الجمالي واثره في النقد العربي ٣٢.
(٥) ينظر :التكرار واثره في التفسير دراسه تطبيقية على سورة الشعراء ، حليمة طواهريه ، ١٦-١٧.
(٦) سورة التكاثر ، الايات ٣، ٤.
(٧) سورة الانفطار ، الايات : ١٧،١٨.
(٨) سورة الحشر ، الاية : ١٨.
(٩) سورة آل عمران ، الاية : ٤٢.
(١٠) ينظر : الاتقان في علوم القران ، السيوطي : ١٩٩-٢٠٠.
(١١) ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٣٧٤.
(١٢) ديوان المتنبي : ١٠٢.
(١٣) ينظر : المثل السائر ، ابن الاثير : ٢/ ١٥٧ -١٥٨.
(١٤) مقدمة تفسير ابن النقيب ، ابن النقيب : ٢٢٦.
(١٥) سورة القمر ، الاية : ١٧ .
(١٦) ينظر : البرهان في علوم القران للزركشي : ٣، ٩.
(١٧) ينظر : البلاغة الاسلوبية ، عبد القادر علي زروقي ، ٩.
(١٨) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، ٢/ ١٧٣ - ١٧٤.
(١٩) ينظر : المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع ، السجلماسي: ٤٧٦- ٤٧٧.
(٢٠) ينظر : قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة : ٢٤٢.
(٢١) ينظر : البلاغة الاسلوبية : ١٢.
(٢٢) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٢٣) ينظر : الاعجاز في دراسات السابقين ، عبد الكريم الخطيب : ٣٩٥.
(٢٤) سورة طه ، الايه: ١١٣.
(٢٥) سورة غافر ، الاية : ٣٨ ، ٣٩ .
(٢٦) سورة الحاقة ، الاية : ١، ٢.
(٢٧) سورة القارعه ، الاية : ١، ٢.
(٢٨) سورة الواقعه ، الاية : ٢٧.
(٢٩) ينظر : الاتقان للسيوطي ، ١٩٩-٢٠٠.
(٣٠) ديوان امرئ القيس ، ١٣٥.
(٣١) ديوان الخنساء : ٤٦.
(٣٢) ديوان ذي الرمه : ١٠٦.
(٣٣) ينظر : جواهر الادب لابن السراج : ٥٢٧.
(٣٤) ينظر : خزانة الادب للبغدادي١ |٣٤٣.
(٣٥) سورة الحاقة ، الايات : ١ -٣.
(٣٦) سورة القارعة ، الايات : ١-٣.
(٣٧) ينظر : مالك وتميم ابنا نويرة ، اليربوعي :١٢٥ .
(٣٨) ينظر : انساب الاشراف ، البلاذري ، ٦| ٤٤٥ .
(٣٩)ديوان امرئ القيس ، ٩٥.
(٤٠) ينظر : الامالي ، القالي البغدادي ، ١|٢٤٧.
(٤١)سورة المؤمنون ، الاية : ٣٦.
(٤٢) سورة الحاقة ، الايات : ١،٢.
(٤٣) سورة الرحمن .
(٤٤) ينظر : البلاغة الغنية ، علي الجندي : ٢٠١-٢٠٨.
(٤٥) سورة غافر ، الايات : ٣٨-٣٩-٤١.
(٤٦) سورة البقرة ، الاية : ١٤٩- ١٥٠.
(٤٧) سورة ص ، الاية : ١٢-١٣.
(٤٨)سورة الاعراف ، الاية ، ١٨٧..
(٤٩) ينظر : البلاغة القرانية : الزمخشري ، ٢٧٤- ٣٧٧ .
(٥٠) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة العربية ، ابن فارس ، ٢١٤ .
(٥١) ينظر : اسرار التكرار في القران الكريم ، محمد بن حمزة الكرماني ، ٢٣١ .
(٥٢) سورة الرحمن ، الاية : ٧ .
(٥٣) سورة الرحمن ، الاية : ٨ .

(٥٤) سورة الرحمن ، الاية : ٥ .
(٥٥) ينظر : دلالة التكرار في القران الكريم ، فتحية فايدي ،٢٨ .
(٥٦) سورة الرحمن .
(٥٧) ينظر : التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ،٢١٤ .
(٥٨) ينظر : تأويل مشكل القران ، ابن قتيبة ، ٢٣٩ .
(٥٩)ديوان المهلهل بن ربيعة ، ٤٠ .
(٦٠) ديوان ليلى الاخيلية ، ٩٣ .
(٦١) ينظر : مجمع البيان في تفسير القران ، الطبرسي ٩: ٢٥٤-٢٥٥ .
(٦٢)ديوان الحارث بن عباد : ١٩٩ .
(٦٣)ينظر : الصاحبي في فقه اللغة العربية ، ابن فارس ، ٢١٣ .
(٦٤)ينظر : البرهان للزركشي : ٣\ ١٨ .
(٦٥)ينظر : التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ٢٧ ، ٢٤٦ .
(٦٦)سورة القمر ، الاية : ٣٩ ، و ٤٠ .
(٦٧)ينظر : المثل السائر : ٢\١٦٨ .
(٦٨)سورة الرحمن ، الايات : ٣٥ ، ٣٦ .
(٦٩)سورة الرحمن ، الايات : ٤١ ، ٤٢ .
(٧٠)سورة الرحمن ، الايات :٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .
(٧١)ينظر : خصائص التعبير القراني ، عبد العظيم ابراهيم ، ٣٢٩ -٣٣١ .
(٧٢)سورة الرحمن .
(٧٣)سورة المرسلات .
(٧٤)سورة نبأ ، الاية :٤ ، ٥ .
(٧٥)سورة الشرح ، الاية : ٥ ، ٦ .
(٧٦)ينظر : الجامع لاحكام القران ، القرطبي : ٢٢، ٥٣٥ .
(٧٧)سورة الرحمن .
(٧٨)ينظر : دلالة التكرار في القران الكريم ، ٣٠ .
(٧٩)ينظر : المصدر نفسه ، ٢٩ - ٣٠ .
(٨٠)سورة الرحمن ، الايات : ١، ٢، ٣، ٤ .
(٨١)ينظر : دلالة التكرار في القران الكريم ، ٢٩ -٣٠ .
(٨٢)ينظر المصدر نفسه .
(٨٣)ينظر : المصدر نفسه .
(٨٤)ينظر : المصدر نفسه .

المصادر والمراجع :

الكتب
١-أسرارالتكرار في القران ، محمد بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) ، دار الفضيلة – القاهرة .
٢-الاعجاز في دراسات السابقين ، عبد الكريم الخطيب ، الطبعة الأولى ١٩٧٤ ، دار الفكر العربي ،
٣-الإتقان في علوم القرآن ،الحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩ -٩١١ هجريه) ،المجلد الثالث ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزارة الشؤون الإسلامية والاوقاف والدعوة والإرشاد ،السعودية .
٤-الأمالي أبو علي إسماعيل بن القاسم الغالي البغدادي ،الجزء الأول ،الهيئة العامة المصرية للكتاب -١٩٧٥.
٥- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ،دكتور محمد حسين أبا موسى ،دار الفكر العربي.
٦- البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين محمد بن عبد الله الزق الزركشي ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة.
٧-البلاغة الغنية ،علي الجندي ،الطبعة الثانية ١٩٦٦ ،مكتبة الأنجلو المصرية.
٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز مجد الدين الفيروز آبادي.
٩-تفسير الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ،الجزء الأول ،تاريخ النشر ١٣٨٤هـ-١٤٢٦ م ، ط١، (التصحيح الثالث) الناشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إيران قم.
١٠-تفسير الميزان محمد حسين الطبطبائي ، الجزء الأول ، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت لبنان.
١١- التفسير المنير، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، المجلد الرابع عشر الجزءان ٢٧ – ٢٨ ، دار الفكر، دمشق، البراميكة ،٢٠٠٩.
١٢-تفسير القرطبي، القرطبي ،دار الكتب العلمية لبنان.
١٣- التحرير والتنوين، محمد الطاهر بن عاشور، الجزء ٢٧، الدار التونسية للنشر ،تونس ١٩٨٤ م.
١٤-تاويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر ،مكتبة دار التراث القاهرة ،الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م.
١٥-جمال انساب الأشراف ،أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفى ٢٧٩ هـ-٨٩٢م ، تحقيق سهيل زكار- رياض زركلي ، اشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
١٦-جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب ، أبو بكر محمد بن عبد الملك الشحن تريني الأندلسي الملقب بابن السراج ٥٤٩هـ ، تحقيق محمد حسن قفزان ، الجزء الأول ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،وزارة الثقافة، دمشق -٢٠٠٨.
١٧- الجامع لاحكام القرآن ،أبو عبد الله القرطبي توفي ٦٧١ هـ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، الجزء ٢٢ ،مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى ٢٠٠٦.
١٨- خزانة الأدب ،عبد القادر بن عمر البغدادي ،تحقيق عبد السلام محمد هارون الخامجي ، مكتبة الخاتجي ، القاهرة.
١٩- خصائص التغير القرآني ،عبد العظيم إبراهيم محمدالمرطعني ، الجزء الأول ، الناشر : مكتبة الوهبة ، القاهرة، ط١ ،١٩٩٣م.
٢٠-ديوان مالكم متمم ابني نويرة اليربوعي ، ابتسام مرهون الصفار، ساعدت جامعة بغداد في نشرها ،مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨.
٢١-ديوان امرؤ القيس ، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت -لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤ م.
٢٢- ديوان الخنساء حمدو طماس ، دار المعرفة ،بيروت -لبنان الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤ م .
٢٣- ديوان ذي الرمة، الفه غيلان بن عقبة بن مسعود ،شرحه أحمد حسن يسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.
٢٤-ديوان ليلى الأخيلية ، عني بجمعه إبراهيم العطية وخليل العطية ، دار الجمهورية، بغداد ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.
٢٥- ديوان المهلهل، شرح طلال حرب ، الدار العلمية.
٢٦- ديوان المتنبي دار بيروت للطباعة والنشر بيروت

١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.
٢٧-سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩-٢٩٧) مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده ، الجزء الخامس ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، الطبعة الثانية ١٩٧٥.
٢٨- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي اللغوي ، تحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف- بيروت ، ط ١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م .
٢٩-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ابن رشيق (٣٩٠-٤٥٦) الجزء الثاني، ط٢ ، المكتب التجارية الكبرى -مصر ،١٩٥٥.
٣٠-قضايا الشعر المعاصر ،نازك الملائكة ،منشورات مكتبة النهضة.
٣١- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار الحديث القاهرة – سنة الطبعة ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .
٣٢- لسان العرب ، ابن منظور (٦٣٠-٧٧١) الجزء ٥،٦،١٢،ط٣، لبنان – بيروت ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩م .
٣٣-موسوعة كشاف إصلاحات الفنون محمد علي التهاوني ، الجزء الأول ، مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٦ م
٣٤- معجم التعريفات ، علي محمد السيد الشريف الجرجاني ٨١٦ =١٤١٣ ، تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة – مصر.
٣٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،أبو الفتح ضياء الدين نصر الله المعروف بابن الأثير ، المتوفى ٦٣٧ هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الثاني ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٥٨ هـ- ١٩٣٩ م .
٣٦- المنزع بديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم السجلماسمي ، تحقيق علال الغازي ، مكتبة المعارف -الرباط ط ١، ١٤٠١ هـ- ١٩٨٠م .
٣٧- مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مكتبة لبنان.
٣٨- مقدمة تفسير ابن النقيب ، أبو عبد الله جمال الدين محمد الشهير بابن النقيب المتوفى ٦٩٨ هجرية ، الناشر مكتبة الخاتجي القاهرة.
٣٩- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي الجزء٩ ، دار العلوم للتحقيق والطباعة، بيروت – لبنان
٤٠- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، روز غريب، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٢ م
الرسائل والأطاريح
١- أساليب التشبيه في سورة الرحمن (رسالة ماجستير) إنين سافطي .
٢- البلاغ الأسلوبية (رسالة ماجستير)عبد القادر زروقي.
٣- التكرار مظاهرة-أسراره (رسالة ماجستير)عبد الرحمن محمد الشهراني ، ١٩٨٢ م السعودية ،جامعة أم القرى.
٤- التكرار وأثره في التفسير دراسة تطبيقية على سورة الشعراء (رسالة ماجستير)، حليمة ظواهرية.
٥- دلالة التكرار في القرآن الكريم سورة الرحمن إنموذجا (مذكرة مقدمة لنيل شهادة إليسانس) فتحية فايدي – يسمينه فايدي كلية الآداب واللغات -الجزائر.

الأساليب اللغويّة في شعر عمرو بن قميئة
دراسة فنية

م.د خالد سعد الدراجي أحمد سالم العابدي
جامعة فردوسي/كلية الآداب

الملخص :

نسعى في بحثنا إلى بيان المظاهر اللغوية و مدى إمكانية المستوى اللغويّ المستعمل عند الشاعر عمرو بن قميئة، وبيان الأساليب المستعملة التي تكوّن الجمل التعبيرية،والأشكال التي رسمت الصورة الشعرية عند عمرو بن قميئة؛ إذ إنّ التراكيب اللغوية هي المادة الرئيسة التي يستعملها الشاعر في نقل أفكاره و صوره ، و إن كل عمل أدبي هو انتقاء من لغة معينة، أما الأشكال ، فالشعر حركة تستلزم حضور الخيال من الواقع المعاش، ويرسم الواقع هذا صور الخيال الذي يريد النص إيصالها، و بالنتيجة التراكيب هذه بناء لغويّ ؛ إذ تمثّل الرؤيا الشعرية ، و غير الممكن أن يكون الشعر خالياً من الصورة.

Abstract:

In our research we seek to clarify the linguistic aspects and the extent of the possibility of the linguistic level used by the poet Amr Ibn Qumaymah، and the methods used that make up expressive sentences، and the patterns that painted the poetic image of Amr ibn Qumaymah، as linguistic structures are the main material used by the poet In conveying his ideas and images، and that every literary work is a selection from a specific language، as for patterns، poetry is a movement that requires the presence of the imagination from the lived reality، and this reality paints images of the imagination that the text wants to convey، and as a result، these structures are a linguistic structure where the poetic vision represents، And poetry cannot be devoid of image.

المقدمة:

عمرو بن قميئة هو أحد الشعراء الجاهليين ممّن تركوا بصمة واضحة في ميدان الإبداع الشعري؛ بحكم ما طرق من موضوعات تتشابه مع معاصريه، واختلف في بعضها الآخر عنهم، ويعد شعره من الأشعار التي مهدت لبناء القصيدة العربية على مختلف العصور؛ إذ احتوى ديوان الشاعر على موضوعات متعددة : غزل، ومدح، وفخر، ورثاء، وحكمة.

ولم تكن الموضوعات الدنيوية هي التي احتلت المساحة الكبرى؛ بل نجد له نظرات في موضوع القدر والفناء وعدم القدرة على الخلود والتحسر على الشباب، وهو أول من تحدث عن الطيف والخيال، وابن قميئة واحد من الشعراء الذين يمتلكون خيالاً واسعاً؛ إذ تميّز بقدرته الفنية على نسج الصورة وتقريب المتباعدات حتى قدم لنا مجموعة من الصور البكر التي كان قائدها وفارس ميدانها.

يهدف البحث إلى دراسة شعر عمرو بن قميئة وتحليله والوقوف على أبرز ما تميز فيه، إضافة الى تتبع أخباره وتأثيرها في أشعاره، وخاصة إنّ حياة الرجل حافلة بمواقف ترجمت بنصوص شعرية، وكذلك التعرض إلى الصورة الفنية عنده وكيفية استعماله للأساليب اللغوية التي طرزت أشعاره. وقد تبين من طريق البحث أنّه أول من قال الشعر وقصد القصيد، وأن كثيراً من أشعار أمرئ القيس هي ليست له، وإنما اخذها من عمرو بن قميئة، أمّا ما يخص الموضوعات الشعرية التي تطرق لها الشاعر لم يخرج عن الموضوعات الجاهلية وكانت المرأة حاضرة؛ لأنها ركن من اركان المجتمع الجاهلي، وأهم السمات الفنية في اسلوبه هي الصور البيانية، وتعدد الموضوعات التي تناولها في شعره من فخر، وغزل، شكوى، الموت والفناء، التحسر على الشباب، وصف الشيب، وإلى جانب ذلك كان للمرأة حضور مهم ونصيب كبير في حياته، فتغزل فيها وصورها وابدع في تصويره، وترجع جماليات مضامينه في الغالب إلى جمال تصويره، وكان أهم ما يميز اسلوبه هو الألفاظ الواضحة السهلة الخالية من الكلمات المتنافرة والغريبة، ومعانيه قوية وجزلة، لا تكلف فيها، وانسياب جرسه الموسيقي، فشعره يدخل إلى القلب، والموسيقى الشعرية من أهم العناصر الفنية التي أستعملها، وهي أقوى عناصر الإيحاء حتى قيل:

إنَّ الشعر موسيقى ذات أفكار وتعبر عن احساس الشاعر، وهي فن تآلف الأصوات الموسيقية؛ لتعبر عمّا يجول في النفس، والموسيقى لها القدرة والإمكانية على تجسيد المشاعر داخل العمل الشعري، وإعانته على ربط وتواصل بنائه الفكري بالعمل الموسيقي، وهذا الثنائي يشكلُ ترنيمة متحدة تعطي خاصية، لها ثمرة على المتلقي، والشاعر استخدم الموسيقى الداخلية والخارجية.

الأساليب اللغوية :

١ . الاستفهام

من خلال دراسة شعر عمرو بن قميئة سُلِطَ الضوءُ على أساليبهِ اللغوية المتنوعة وخواصّ تركيباتهِ و دلالاتها، والاستفهام احد الأساليب اللغوية البارزة، وهو طَلب العِلم بشيءٍ لم يكن معلوماً مِن قبل وذلك بأداة من أدواته.

وهي (الهمزة،وهل،وما،ومن،ومتى،وأيّان،وكيف ،وأين،وأنَّى،وكم،وأيّ)،وينقسم بحسب الطلب على ثلاثة أقسام:

أ-مايُطلب به التّصور تارة والتّصديق تارة أخرى وهو: الهمزة.

ب- مايُطلب به التّصديق فقط وهو: هل.

ت- مايُطلب به التّصور فقط وهو: بقيّة ألفاظ الاستفهام (١) .

والاستفهام لغةً: هو سؤال عن شيء مجهول(من جزع عن الاستبهام، فزع إلى الإستفهام)(٢)، واصطلاحاً هو:(استعلام مافي ضمير المخاطب، أو هو طلب حصول صورة شيء في الذهن (٣)، وقد يخرج الاستفهام إلى معانٍ أخرى بحكم النص وما يقتضيه السياق فَالالفاظ «إذا استخدمت في غير معانيها الحقيقية تعطي الكلام حيوية وتزيد الإقناع والتأثير بذلك لما في هذا الاستعمال من إثارة للسامع وجذب لانتباهه، ومن اشراكه في التفكير ليصل بنفسه إلى الجواب دون أن يملىَّ»(٤).ويظهر في دراسة أشعار عمرو بن قميئة الاستفهام (بالهمزة)وهي حرف استفهام، واضحاً في مقدمات القصائد ولاسيما الطلليّة يقول مستفهماً: [الطويل]

أمن طَلَلَ قفرٍ ومن منزلٍ عافِ
عفته رياحٌ من مشات وأصياف(٥)

إذ نجد الاستفهام (بالهمزة) وجاء الشاعر بالهمزة للتصديق في كلمة (أمن)، محاولة منه ليعكس هذا التصوير الرائع في القصيدة ويبث روح التساؤل لدى المتلقي على وفق قصدية محدودة في بيان أحاسيسه ومشاعره ممزوجاً بالمقدمة الطللية.

وقد تخرج الهمزة إلى معاني مجازية أخرى، وهي رسم صورة تقريرية(لابن الشقيقة) والشاعر يمدح ابن الشقيقة، قال: [متقارب]

ألستَ أَبرَّهُمُ ذِمّةً
وأفضَلهم إن أرادوا فضالا(٦)

ويرى الشاعر في(ابن الشقيقة)من خلال الاستفهام وهو إثبات صفة المدح واقرارها وهو مخاطب الملك بأنه صاحب عهد ولا يخون، وخاطبه ابن قميئة راجياً منه خائفاً لعله يحقق أمنيته وهو العفو عنه، وحين وصفه ونسب إليه شرف الملوك وأعلاهم منزلة وأنت صاحب عهد، وأنك ذو مكانة وسمعة جيدة بين الناس، ثم تربص به الأعداء لكي يوقعوا بينه وبين عمه، وهنا الشاعر يفدي الملك ويعتذر منه ويطلب رضاه. ومن أدوات الاستفهام الاخرى(هل)،التي وردت في شعره وقد ذكر استعمالها للتعبير عن المجهول إذ قال في مقدمة طلله بقوله:[الخفيف]

هل عرفتَ الدّيار عن أحقابِ
دارساً آيُها كخطّ الكتاب(٧)

نجد الشاعر يستعمل الأداة (هل) وهي حرف استفهام في هذا البيت الشعري، وقد اقترنت بالفعل الماضي(عرفت)، وعبر عنها للمجهول فالشاعر يوجه سؤالاً مباشراً إلى صاحبه يستعلمه ويذكره بما جرى في طلله.

وقد تخرج (هل) حرف الاستفهام إلى معنى مجازي آخر، هو استفهام تعجبي عبر بها الشاعر عن صفات وسلوك جميل أراد بها الشاعر التعجب لما فيه قيمة فنية جميلة في البيت الشعري قال:[الوافر]

مُشيحاً هل يرى شَبَحاً قَريباً ويوُفي دونها العَلَم العليّا(٨)

في البيت الشعري إذ يستعمل الشاعرالأداة(هل) مع الفعل المضارع(يرى)،وهو استفهام تعجبي؛

إذ تعجب الشاعر بسلوك ناقته التي أثارت انتباهه، ونرى عمرو بن قميئة الحذر الحازم في (ناقته)كأنه يكون رأى شخصاً أو حيواناً آخر، وبالنتيجة سلك مجراه في الاستفهام وعبر عن معنى مجازي له قيمة فنية في رصانة اللغة والأسلوب الشعري.

وقد استعمل الاداة (كيف) التي خرجت عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي وهو التعجب بقوله:[المتقارب]

وكيف تَبُتَّينَ حبل الصفا
ءِ من ماجدٍ لايريدُ اعتزالاَ(٩)

وردت الأداة(كيف)مع الفعل(تبتينَ)،والشاعر متعجباً من حبيبته كيف تقطع حبل المودة والوصال تجاه الحبيب ،وهذا العاشق متعجب كيف استعملت حبيبته مقياساً غير واضح ودقيق في سلوكها تجاه المحبوب.

كما استعمل الأداة(من) في استفهام تعجبي آخر، قال:[الوافر]

يُحاذر أن تباكرَ عاذلاتٌ
فَيُنبأ أنه أضحى غويّا
فقال لنا ألاهل من شواء؟!
بتعريضٍ، ولم يكميه عيّا(١٠)

لقد استخدم الشاعر الأداة (من) مع الاسم (شواء)،وهنا الشاعر خاطب عاذلاته بأسلوب خطابي إنكاري تعجبي، ونجد الاستفهام بالأداة(من) ورد في شعره مرة واحدة فقط.

-النتيجة: يشكل اسلوب الاستفهام بعداً دلالياً واضح التأثير لدى الكثير من الشعراء، وقد استعملهُ الشعراء لغرض التأثير في نفس المتلقي وهو محاولة لتحريك ذهن المتلقي وشده للنص وتشويقه، ولمعرفة الاسئلة التي يطرحها الشاعر في القصيدة من جهة، والمساحة التي تحدثها الدلالة اللغوية من جهةٍ أخرى، والتي نلمسها من خلال الأساليب التعبيرية في النص الشعري، ومن خلال استقراء اشعاره من الديوان أرى الشاعر يستعمل الاستفهام الحقيقي والمجازي ليعبر عن احساسهِ، ويثير التساؤل لدى المتلقي، وأيضاً كان يأتي بالاستفهام لزيادة التقرير في القصيدة الشعرية.

٣-١-٢- الأمر ورد اسلوب الأمر في شعر عمرو بن قميئة ويأتي بعد الاستفهام من حيث الأهمية، والأمر لغةً هو:(نقيض النهي)(١١).

وفي الاصطلاح (هو قول القائل لمن دون: افعلْ (١٢)، ولأسلوب الأمر أربع صيغ: هي فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، وأسم فعل الأمر والمصدر النائب عن فعل الأمر(١٣).

وبتعبير آخر الأمر(هو صيغة تستدعي الفعل أو هو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء)(١٤).

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تُستفَادُ من سياق الكلام وقرائن الأحوال نحو الدعاء والالتماس والإرشاد والتهديد والتعجيز والتسوية والإكرام والامتنان والإهانة والدّوام والتمني وغير ذلك من الأغراض(١٥).

ومن خلال دراستي لأشعار عمرو بن قميئة وجدتُ أنه يستعمل أسلوب الأمر بصيغة مباشرة في الابيات الشعرية، ونلاحظ أنه لم يستعمل الصيغ الأخرى، التي تحدثنا عنها سابقاً، وهناك نماذج شعرية نقوم باستعراضها قال الشاعر:[الطويل]

فقلتُ لهمُ: سيروا فدى خالتي لكم
أما تجدون الرّيحُ ذات سَهام(١٦)

حدث الأمر في الجملة الواردة في البيت الشعري وهي جملة (فقلت لهم سيروا)،وهنا دلالة الأمر الاستمرارية في السير، ويتبين من خلال الفعل (سيروا) المتصل بواو الجماعة، والشاعر هو قائد الرحلة وكبير القافلة، لذلك أمرهم مباشرة إلى أتباعه ،ومرتبة الجملة الأمرية هي من أعلى إلى أدنى مرتبة؛ لأنه كبيرهم، وكأنهم رفاقه، وهنا الامر ليس مباشراً، بل التماس لأنهم رفاقه ولا سلطة له عليهم، بل التمس منهم اليسر وفداهم بحاله.وقال في بيت شعري أخر ورد فيه فعل الأمر:[الطويل]

شَكوتُ إليه أنني ذو خلالة
وأني كبيرٌ ذو عيال مُجنّبُ
فقال لنا: أهلاً وسهلاً ومرحباً
إذا سرّكم لَحمٌ من الوحشِ فأركبوا(١٧)

يلاحظ في هذين البيتين قد ورد فعل أمر خرج من

معناه الحقيقي الى معنى مجازي، وخرج من الشاعر في شكوى ذاتية من العوز والفقر وسوء الحال، وجاء الخطاب في جملة(فاركبوا) وهي مقول القول لأن الأمر وقع متساوي في الرتبة فهو التماس وهنا الخطاب وقع من الشاعر الجاهليّ امرئ القيس إلى عمروبن قميئة، وهذا يدل على أن الأمر متروك للشاعر، وليس لزاماً عليه الصيد، وهو بذلك يريد ارشاده.

قال الشاعر في وصف قومه يفتخر بهم:[المتقارب]

تحِنُّ حَنيناً إلى مالكٍ
فحِني حنينك إني مُعالي
إلى دار قومٍ حسان الوجوه
عظام القِباب طوال المعالي(١٨)

خاطب الشاعر قبيلته بأسلوب الأمر (فحني)،ودلالة الياء في الفعل هو ضمير متصل(الياء) يعود على القبيلة ولربما ناقته' وهنا دعوة صادقة من الشاعر من أجل الانتماء القبلي وتأصيله، أراد جمع القبيلة من التشتت وعمرو بن قميئة فرد خاطب الجماعة(أبناء قبيلته).، والمراد من الكلام على الحنين دلالةً على استحقاقهم ذلك.

وفي أسلوب آخر يستعمل عمرو بن قميئة فعل الأمر في فخره القبلي بقوله:[المتقارب]

فكوني أولئك تسقينها
فدىً لأولئك عمّي وخالي(١٩)

قد خاطب الشاعر أبناء قبيلته بصيغة الأمر(فكوني)،ودلالة الياء في الفعل هو الضمير المتصل(الياء) ،خرج إلى معنى مجازي وهو الاكرام،وفخر الشاعر بقبيلته أراد علو شأنها، وخرج فعل الأمر إلى صيغة أخرى هي الدعاء في قوله(فدى لأولئك عمّي وخالي).

وفي صورة أخرى خرج الأمر بأسلوب يدل على الاستغاثة، بقوله:[المتقارب]

تَصدّق عليَّ فإني امرؤ
أخافُ على غير جُرم نَكالا(٢٠)

ورد الأمر في(تصدق عليَّ) خرج إلى معنى الاستعطاف وحدث الأمر من أدني(الشاعر) إلى أعلى(ابن الشقيقة)، فقد استمر الشاعر بالدفاع عن نفسه ودفع التهمة عنه ويبرر ويرجو منه أن يصدقه فهو خائف مرعوب ويخاف أن يصدر حكم المنذر بقتله، وهو من غير سبب لأنه رجلُ مترفع عن الرذائل، وقد شهدا له بأنه عفيف النفس ولا يخون عمه.

وقال في موضع أخر وخرج فعل الأمر إلى معنى مجازي هو التمني:[المتقارب]

فيا دهرُ قدك فأسجح بنا
فلسنا بصخرٍ ولسنا حديدا(٢١)

ورد فعل الأمر في كلمة(فأسجح) وهنا أراد الشاعر استعطافاً من الدهر طالباً منه عطفه وهذا هو الدهر الذي لديه قدرة كبيرة حيث يقضي على الإنسان ومصيره ، والشاعر على يقين بأن الدهر لايستجيب لطلبه وتمنيه وهو أمر محال.

-النتيجة: نجد الشاعر يستعمل اسلوب الأمر بصيغة المختلفة الحقيقي والمجازي، وجاءت أغراضه متنوعة بحسب التأثير في المتلقي من شعره والبعد اللغوي على النص الشعري، وجاءت اغراضه في شكوى من الفقر وسوء الحال، والالتماس، والفخر، والاستعطاف من الممدوح .

٣-١-٣- النداء

النداء لغةً:»الصوت، فهو مشتق من(النّدى) وهو بُعد الصوت وناداه مناداة، ونداء أي صاح به، وأندى الرجل حسن صوته ورجلٌ نديّ الصوت يَعيدُه، والأنداء بُعْدُ الصوت»(٢٢)، وفي الاصطلاح هو»تنبيه المخاطب وحمله على الالتفات ليقبل عليك بحروف مخصوصة»(٢٣).

وهي ثمانية (الهمزة، وأيّ، ويَا، وآ، وآيْ، وأيَا، وهيَا، ووَا) وتستخدم الهمزة وأيّ لنداء القريب، وباقي الأدوات لِنداء البعيد ،وتخرج ألفاظ النِّداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تُفهم من السياق بمعونة القرائن ومنها الإغراءُ، والاستغاثة،والنُّدبة،والتعجب، والتّحَسُّر والتَّوَجُّع وغير ذلك من الأغراض(٢٤).

وقد أستخدم الشاعر النداء وهو لا يقل أهمية من التراكيب السابقة، واقترنت شواهده الشعرية بالنداء بأداة(يا)، قال:[الخفيف]

يا ابنة الخير إنما نحن رهنٌ
لصروف الأيام بعدّ الليالي(٢٥)

جاء النداء هنا بأداة (يا)، وعبر بالنداء القريب تعظيماً لحبيبته وإكراماً لها وهي تكتم(يا ابنة

الخير) وجاء النداء ممزوجاً بالحكمة.
وخرج النداء إلى معنى مجازي وعبر عنه الشاعر من أجل الاستغاثة قال:[الطويل]

نبذنا إليهم دعوةً يا ل مالك
لها إربةٌ إن لم تجدْ من يُريحُها(٢٦)

جاء النداء في البيت الشعري(يال مالك) وخرج من معناه الحقيقي إلى معنى الاستغاثة أوندبة بحرف(اللام) الداخل على الاسم المنادى، ودلالة (يا) هي لنداء المطلق ويريد بمالك هم قبيلة الشاعر.وفي موضع اخر جاء بالنداء من خلال الأداة(يا) متفجعاً ومتحسراً على ذهاب شبابه قال:[الخفيف]

جزعاً منك يا ابن سعدٍ وقد أخـــ
ـلقَ منك المشيبُ ثوبَ الشَّبابِ(٢٧)

خاطب الشاعر نفسه(ابن سعد)، جاءت أداة النداء(يا) وسبقت حرف النداء كلمة (جزعاً) وهي تدل على تحسر الشاعر على شبابه وذهابه، وهنا نداء مجازي.ورد النداء في أسلوب مجازي في شعر عمرو بن قميئة للدلالة على التحسر والتفجع بقوله:[المنسرح]

يالهفَ نفسي على الشباب ولم
أفقد به إذ فقدته أمَمَا(٢٨)

ورد النداء في البيت الشعري (يالهف نفسي)، والنداء خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي يدلُ على التفجع والتحسر والتأسف على شيء له أهمية وأثر على الشاعر هو شبابه الذي ذهب.
يواصل الشاعر التفجع و التحسر من الدهر بقوله:[المتقارب]

فيا دهرُ قدك فأسجح بنا
فلسنا بصخرٍ ولسنا حديدا(٢٩)

النداء في البيت الشعري(يا دهرُ) وهنا خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو التمني حيث خاطبه الدهر بأن يهون عليهم مصائبهم فلا قدرة لهم على تحمل الأرزاء والهموم والشدائد.
وفي البيت التالي يخرج النداء إلى معنى التنبيه بقوله:[السريع]

يا ربَّ من أسفاه أحلامه
أنْ قيل: إنَّ عمراً سكورْ(٣٠)

النداء حصل بأداة(يا) المتبوعة بحرف الجر(ربَّ)، ومعناها هو التنبيه في هذا الاستخدام المجازي، وقد نبه الشاعر الذين يتحدثون عنه طيشه في شرب الخمر، والشاعر يرى أن الخمرة لا تؤثر فيه ولا تفقد عقله.
-النتيجة: الغالب على النداء في شعره (الياء) نسبته التردد (التكرار) وسببه المعاني الغالبة وسبكه اللغوي المحكم، وقد جاء النداء في شعره الحقيقي والمجازي وبمختلف الأغراض وبذلك فأن الدلالة اللغوية وما تحمل من معاني هي التي لها أثر واضح على الشاعر، من شكوى من الدهر أو تحسر وتلهف على الشباب وهذه دلالة نفسية للشاعر.

٣-١-٤- الشرط

الشرط من الأساليب المهمة في اللغة العربية وهو أسلوب لغوي مؤثر يأتي الشعراء به ليجعلوا نوعاً من السبك الفني والترابط بين أبيات القصيدة والشرط لغةً:»الزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه»(٣١).
واصطلاحاً:»تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني»(٣٢)، و أدوات الشرط تقسم على قسمين:
الجازمة وهي:إن،إذ ،ما،من،ما،مهما،أي،متى،أيان ،أين،حيثما،أنى،كيفما،وغير الجازمةهي:إذا،كلم ا،لو،لولا،لوما،اما،لم الحينية(٣٣)،وجملة الشرط تتكون من أداة الشرط وفعل الشرط وجواب الشرط ،و لكل أداة معنى في الجملة، وأمَّا(إذا) فإنها تكون شرطاً في الامور الواضحة،و(مَنْ) للتعميم في أُولِي العلم،و(أَيّ) لتعميم ماتضاف إليه في أُولِي العلم وغيرهم،و(متى)للتعميم في الأوقات المستقبلة،و(أَيْنَ)لتعميم الأمكنة،و(أَنَّى) لتعميم الأحوال،و(حيثُما) لتعميم الأمكنة،و(مَا) تكون للتعميم في كل الأشياء، و(لو)فهي للشرط في الماضي دالّةٌ على امتناع الشيء لامتناع غيره(٣٤).
نجدُ الشرط من أكثر الأساليب المستخدمة في شعر عمروبن قميئة، وقد تنوعت أدواته التي ذكرها في أبياته الشعرية وكان من أهم الأساليب وأكثرها هي(إذا)؛ لما فيها دلالة القدرة على استقبال الزمان، قال:[الكامل]

وإذا العذارى بالدخان تَقَنّعت
واستعجلت نَصبَ القدور فملّتِ(٣٥)

درّت بأرزاق العيال مغالق
بيديّ من قَمَع العِشار الجِلّةِ

أداة الشرط (إذا) وهي أداة غير جازمة وفعل الشرط (تقنعت) وجواب الشرط المتأخر عن فعله(درّت)، والشاعر ذكر ذلك بكرمه على السامع المتشوق لمعرفة جواب الشرط.

وقال الشاعر في قصيدة أخرى حيث ذكر الأداة(إذا) وسط الجملة:[الوافر]

وكنتُ إذا الهموم تضيّفتني
قريتُ الهمَّ أهوجَ دوسريّا(٣٦)

جاءت أداة الشرط(إذا) مسبوقة بفعل ماضي ناقص(كنت)، فعل الشرط (تضيف)، جواب الشرط (قريتُ)، يخاطب الشاعرنفسه التي أصابها الهم والحزن المخيم على قلبه ووصفه بالضخم الشديد، بصفة ضيف يقبل على الشاعر فأنه مرحب به ويكرمه .

وقال في قصيدة أخرى:[الطويل]

إذا ما رآني مقبلاً شدَّ صوتَه
على القِرن واعلولى على من يُخاصمه(٣٧)

لقد جمع الشاعر مع الأداة(إذا)ما الزائدة وأضاف سمة أسلوبية تعبيرية في البيت الشعري، فعل الشرط(رآني)، وجواب الشرط(شدَّ)،كان يرفعون أصواتهم عليه وهي إشارة إلى أبعاده عنهم أو قد يكون المعنى أنه حين يراه مقبلاً يتقوى به على خصومه بوصفه منقذاً.

وقال الشاعر في قصيدة أخرى:[الطويل]

فقال لنا:أهلاً وسهلاً ومرحباً
إذا سرّكم لحمٌ من الوحش فاركبوا(٣٨)

لقد وجدنا أداة الشرط في عجز البيت الشعري(إذا) وفعل الشرط (سرّكم) وجواب الشرط(فاركبوا)، وأقترن جواب الشرط بالفاء التي ربطت جملة فعل الشرط وجوابه.

ننتقل إلى أداة أخرى ذكرها الشاعر في أسلوبه اللغوي في قصائده وهي (إنْ) قال:[السريع]

إنْ أكُ مسكيراً فلا أشربُ
وَغْلاً ولا يسلم مني البعير(٣٩)

أداة الشرط (إنْ) وفعل الشرط(أكُ) وهو فعل مضارع ناقص، وجواب الشرط الجملة المنفية المقترنة بالفاء الرابطة، والجملة الثانية خبرية فوجب الاقتران، وأكتمل الهدف المراد تحقيقه(إنْ كان كثير الشرب فلا يشرب إلاّ من ماله الخاص) .

قال في قصيدة أخرى:[الكامل]

رشفُ الذّناب على جماجمها
ما إنْ يكونُ لحوضها سَمَل(٤٠)

أداة الشرط(إنْ) مع فعل الشرط(رشفُ) وجواب الشرط الجملة الناقصة(يكون)،والشاعر وصف الناقة عندما ترتفع درجة حرارة الشمس المحرقة فأن الإبل تحتاج الماء،فإذا روت شربت كل الماء ولايبقى منه شيئاً.

أداة أخرى استعملها الشاعر (لما) وهي حرف تضمّن معنى الشرط بقوله:[المتقارب]

فلما هبطنَ مَصاب الربيع
بُدّلن بعد الرَّحال الحِجالا(٤١)

ذكر الشاعر الأداة(لما) في أول البيت وربط بها بين الجملتين، جملة فعل الشرط(هبطن مصاب الربيع)، وجملة جواب الشرط(بُدلن بعد الرَّحال الحِجالا) وأن الفعلين هما في زمن الماضي(هبطن، بدلن) مما يعطي انسيابية وموسيقى جميلة، وبطبيعة القافلة إذا حل فصل الربيع كأنها تُزين وتبدل غير التي وضعت عليها .

قال الشاعر في قصيدة أخرى:[الخفيف]

وكأني لَما عرفتُ ديار
الحيّ بالسفح عن يمين الحُباب
يَسَرٌ حارصِ الرَّبابةَ حتى
راحَ قَصْراً، وضيم في الأنداب(٤٢)

الأداة (لما) جاءت في وسط البيت ومسبوقة بتشبيه(كأني) وفعل الشرط (عرفت) وجواب الشرط(يَسَرٌ) وقد حصل الترابط في الفعلين (عرفت، يسر) ليعطي بطء في الترتيب الزمني عند السامع، والشاعر حين وقف على الديار ورأى خرابها علم أنه خسر الدنيا كلها.

ونجد الشاعر يستعمل الأداة (لو) غير الجازمة وهي لاتقل أهمية عن الأدوات التي ذكرت سابقاً بقوله:[الطويل]

فلو أنها نَبْلٌ إذًا لاتّقيتها
ولكنني أُرمَى بغير سهامِ(٤٣)

أداة الشرط (لو) جاءت مع جملة الشرط (أنها نبل) الأسمية وجواب الشرط (لاتقيتها)،حين

بلغ الشاعر الشيخوخة بدأ يشكو من الزمان لما فيه من قسوة ،والشاعر يتحدث في الطور الأخير من حياته لأن الرزايا تأتي دون علم مسبق.

وجاءت الأداة (لولا) واستعملها الشاعر قليلاً في قصائده بقوله:[الطويل]

أرى جارتي خفّتْ وخفّ نصيحُها
وحب بها لولا النّوى وطموحها(٤٤)

أداة الشرط (لولا)وجملة الشرط (النّوى وطموحها) وجوابه (حب بها) وجاء الشاعر بجملة جواب الشرط متقدمة على الأداة وقد خالف الترتيب الشرطي الذي هو الأداة وجملة الشرط وجواب الشرط؛ لابتعاد زوجته وعبر عنها (جارتي) أي كناها والسبب في ذلك هو الفراق وما يحويه عن شدة وألم.

النتيجة: أن الشرط أسلوب لغوي مهم ومتميز ويربط الجملة الشرطية، ويبنى على جملتين لاتنفرد أحداهما عن الآخرى، لأهمية الترابط الشرطي الذي يجمعهما في وحدة سياقية ولغوية مهمة، والشاعر يرسم تلك المساحة في النص الشعري ليعطي مفهوما وبعدا خاصا يظهر للمتلقي، من طريق الدلالات والأداة، وكل أداة لها مدلولها ومعناها وهي التي تحقق الترابط وتكون متقدمة للجملة الشرطية، وهذا بدوره يعطي دلالة لتحقيق الجواب، والشرط يرسم التلاحم الفني والتوافق بين ابيات القصيدة، ونجد الشرط من أكثر الأساليب التي استعملها الشاعر عمروبن قميئة، وتنوعت أدواته(ان،إذا،لما،لو،لولا)، وكان الشاعر غالباً يستخدم الأداة(إذا)؛ لأنها تدل على استقبال الزمان، وبلغ استخدامه لها، ثماني وعشرين مرة.

٣-١-٥- النفي

النفي من أساليب اللغة العربية والشاعر له مواقفه الخاصة في استعمال النفي؛ اذ ان له خاصية مهمة في بناء القصيدة، والنفي لغةً:»نفى الشيءُ ينفي نفياً تنحَّى ونفيتهُ أنا نفياً، ويقال نفى الشيء نفياً جحده، ونُفِي فلان من البلد أُخرج وسير»(٤٥)، والنفي «خلاف الإيجاب والإثبات»(٤٦)

والنفي اصطلاحاً فقد عرفه النحاة «بأنه ما لاينجزم بـ(لا) وهو الإخبار عن ترك الفعل»(٤٧).

والنفي له ادوات منها :(ليس، ما، لا، ان ، لات، لم، لن، لمّا، غير)،ولها معانٍ مختلفة يستعين بها الشعراء من أجل توصيلً معانيهم وأغراضهم إلى المتلقي والسامع بأسلوب عذب يشمل كل التراكيب اللغوية ودلالاتها في القصيدة (٤٨).

وعمرو بن قميئة استعمل أسلوب النفي في أشعاره كثيراً وسخر له طاقات فنية كبيرة بلغت حيزاً من ديوانه ،نأخذ نماذج منها قال:[الطويل]

وحيٍّ من الأحياء غَوْرٍ عرمرمٍ
مُدَلٍ فلا يخشون من غيب أخياف(٤٩)

في البيت الشعري الأداة(لا) جاءت مع الفعل المضارع(يخشون) والفعل المضارع مسندٌ إلى واو الجماعة، والشاعر أراد بذلك النفي ان يصف الفروسية والشجاعة والكرم.

وقال في أنموذج آخر :[الطويل]

رمتني بناتُ الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يُرمَى وليس برام(٥٠)

أداة النفي (لا) والفعل الماضي (أرى)، والشاعر يشكو من الدهر وصروفه وينفي أن يكون على علم بحدوث النوائب والمصائب، وهنا نتج عن قوة أسلوبية في بناء القصيدة من خلال رؤيته الشعرية واللغوية الظاهرة من الحزن والألم التي عاشها في آخر ايام حياته.

وقال الشاعر:[الكامل]

لا تحسبنَّ الدهرَ مُخلدكم
أو دائماً لكم ولم يَدمِ(٥١)

أداة النفي (لم) التي دخلت على الفعل المضارع (يَدم) ،عبر الشاعر عن موضوع عدم الخلود الذي مهما عاش الإنسان فإن مصيره الموت وهو قضية حتمية لايمكن أن ينجو منها أحد

قال الشاعر:[الطويل]

على أنّ قومي أشقذوني فأصبحت
ديارى بأرض غيرِ دانٍ نبوحُها(٥٢)

أداة النفي (غير) وردت مع الأسمً (دانٍ) ،والشاعر يشكو في هذا البيت الشعريً من قومه الذين نفوه من دياره فقال القصيدة وهو في الغربة ،حيث وصف ديار الغربة بأنها موحشة وبعيدة وحتى لايسمع صوت أحد فيها.

- النتيجة: أن هذا الأسلوب قد أخذ حيزاً ومجالاً واسعاً من شعره، حيثُ سخر الشاعر له مساحة فنية وتعبيرية كبيرة واستعمل الأدوات (لم،لا،ليس،غير)، ونجدُ الأداة الأكثر استخداماً هي(لا) وجاءت بنسبة سبع عشرة مرة ، ونراه في شكوى ذاتية من الدهر وهو شيخ كبير.

الخاتمة :

١-استعمل الشاعر أسلوب الاستفهام احد الأساليب اللغوية التي تخرج لمعاني مجازية متعددة كالتقرير والتعجب والنفي ويشكل اسلوب الاستفهام بعداً دلالياً واضح التأثير لدى الكثير من الشعراء، وقد استعملهُ الشعراء لغرض التأثير في نفس المتلقي وهو محاولة لتحريك ذهن المتلقي وشده للنص وتشويقه، ولمعرفة الاسئلة التي يطرحها الشاعر في القصيدة من جهة، والمساحة التي تحدثها الدلالة اللغوية من جهةٍ أخرى.

٢. استعمل الشاعر أسلوب الامر بصيغ مختلفة خرجت من معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى كالدعاء والالتماس والإرشاد والتهديد والتعجيز والتسوية والإكرام والامتنان والإهانة والدّوام والتمني. وجاءت أغراضه متنوعة لاجل اعلتأثير في المتلقي ، وجاءت شكواه من الفقر وسوء الحال، والالتماس، والفخر، والاستعطاف من الممدوح .

٣-استعمل الشاعر أسلوب النداء مخاطبا محبوبته وقد خرج الى معان متعددة منها التعظيم والإغاثة والتفجع والتحسر على ذهاب شبابه، والغالب على النداء في شعره (الياء) نسبته التردد (التكرار) وسببه المعاني الغالبة وسبكه اللغوي المحكم.

٤-كذلك نجد أن الشرط أسلوب لغوي مهم ومتميز عند الشاعر، والشرط يرسم التلاحم الفني والتوافق بين ابيات القصيدة، ونجد الشرط من أكثر الأساليب التي استعملها الشاعر عمروبن قميئة، وتنوعت أدواته(ان، إذا، لما، لو، لولا)، وكان الشاعر غالباً يستخدم الأداة(إذا)؛ لأنها تدل على استقبال الزمان، وبلغ استخدامه لها، ثماني وعشرين مرة.

٥- واستعمل الشاعر أسلوب النفي والذي قد أخذ حيزاً ومجالاً واسعاً من شعره، حيثُ سخر الشاعر له مساحة فنية وتعبيرية كبيرة واستعمل الأدوات (لم، لا، ليس،غير)، ونجدُ الأداة الأكثر استخداماً هي(لا) وجاءت بنسبة سبع عشرة مرة. وغير ذلك من الأساليب الأخرى التي ذكرناها في طيات البحث .

الهوامش:

(١)ينظر: ابن هشام ، مغني اللبيب : ج١/ ١٥، وينظر: أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة،ص:٧٨.
(٢)مادة(فهم):اساس البلاغة.
(٣)عبدالقاهر الجرجاني:التعريفات،ص:٢٦.
(٤)عبد العزيز عبد المعطي:من بلاغة النظم العربية،ص١٠٣.
(٥)خليل إبراهيم العطية:ديوان عمرو بن قميئة،ص:٤٦.
(٦)ينظر:ديوانه،ص:٦٩.
(٧)ديوانه:٤٩.
(٨)ديوانه:٦٢.
(٩)ديوانه:٥٦.تبتين:البت،القطع.
(١٠)ديوانه:٦١.
(١١)ابن منظور:لسان العرب،مادة(فهم).
(١٢)عبد القاهر الجرجاني:التعريفات،ص:٣٨.
(١٣)أحمدالهاشمي:جواهرالبلاغة،٧١.
(١٤)يحيى بن حمزة بن علي العلوي:الطرازالمتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز،ص:٢٩٩-٣٠٠.
(١٥)أحمدالهاشمي:جواهرالبلاغة،٧١-٧٢.
(١٦)ديوانه:٣٨.
(١٧)ديوانه:٦٦.
(١٨)ديوانه:٤٢.
(١٩)ديوانه:٤٣.
(٢٠)ديوانه:٧٠.
(٢١)ديوانه:٧٧.
(٢٢)ابن منظور:لسان العرب،مادة(ندى)
(٢٣)أبي بكرمحمدبن سهل بن السراج النحوي،الأصول في النحو،ص:٤٠١.
(٢٤)أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص:٨٩-٩٠.
(٢٥)ديوانه:٤٥.
(٢٦)ديوانه:٣٥.
(٢٧)ديوانه:٤٩.
(٢٨)ديوانه:٤٠.
(٢٩)ديوانه:٧٧.
(٣٠)ديوانه:٥٨.
(٣١)ابن منظور،لسان العرب،مادة(شرط).
(٣٢)عبدالقاهر الجرجاني،التعريفات،ص:١١٧.
(٣٣)هادي نهر،التراكيب اللغوية في العربية،ص:١٩٨.
(٣٤)ينظر: سيبويه، الكتاب: ج٣ ص ٦٩ وينظر: يحيى بن حمزة العلوي،الطراز،ص:٢٩٩-٣٠٠.
(٣٥)ديوانه:٧٦.
(٣٦)ديوانه:٦١.دوسريا:الضخم الشديد.
(٣٧)ديوانه:٤٨.القِرن:كفؤك في الشجاعة.
(٣٨)ديوانه:٦٦.
(٣٩)ديوانه:٥٩.

(٤٠)ديوانه:٥٣.الذناب:جمع الذنوب،وهي الدلوالعظيمة ولايقال لها وهي فارغة ذنوب.السمل:جمع السملة وهي بقية الماء في الحوض.
(٤١)ديوانه:٦٩.
(٤٢)ديوانه:٤٩.
(٤٣)ديوانه:٣٩.
(٤٤)ديوانه:٣١.
(٤٥)عبدالقاهر الجرجاني،اساس البلاغة،ص:٣٤٥،أنظر لسان العرب،مادة(نفي).
(٤٦)المعجم الوسيط،ج٢،ص:٩٤٣.
(٤٧)التعريفات،ص:٢٢٠.
(٤٨)ينظر:الزمخشري،الأنموذج في النحو،ص:١٠٢.
(٤٩)ديوانه:٤٦.العود:القديم،العرمرم:الكثير.
(٥٠)ديوانه:٣٩.
(٥١)ديوانه:٨١.
(٥٢)ديوانه:٣٢.

المصادر والمراجع:

•ابن منظور، لسان العرب،(٢٠٠٤م)دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط٣.
•ابن هشام الانصاري، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة المدني القاهرة.
•أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو: تحقيق: عبدالحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، د.ت.
•أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
•خليل إبراهيم العطية، ديوان عمرو بن قميئة،(١٩٩٤م)، دارصادر، بيروت، لبنان.
•سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الخامسة ٢٠٠٩.
•العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجُرجاني ،معجم التعريفات: تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.
•عبد العزيزعبد المعطي، من بلاغة النظم العربية دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني،(١٩٨٤م)ط٢،عالم الكتب، بيروت.
•خليل إبراهيم العطية، ديوان عمرو بن قميئة،(١٩٩٤م)،دارصادر، بيروت، لبنان.
•يحيى بن حمزة العلوي ،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، (١٩١٤م)،مطبعة المقتطف،مصر.
•الزمخشري،الأنموذج في النحو(١٩١٤م)
دار الأفاق،ط١،بيروت،لبنان.
•مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية،ط٤.
•هادي نهر ،التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية(١٩٨٧م)،مطبعة الإرشاد،بغداد.

سورة الانفطار – دراسة تحليلية –

م . د . قحطان نعمة حسن الصِّحَاف
ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

الملخص:

وقع اختياري على موضوع (سورة الإنفطار / دراسة تحليلية) ليكون عنواناً لبحثي، في محاولة مني لشد أنظار الناس إلى يوم القيامة، وتذكيرهم بهول ذلك اليوم العظيم، بعد أن إنهمكوا في ملذات الدنيا وشهواتها الفانية، ونسوا أنّ وراءهم يوماً يجعل الولدان شيباً، فوجدت في هذه السورة المباركة السبيل الأفضل والوسيلة المثلى لتحقيق غايتي، والوصول إلى ما أرمي إليه في هذا البحث، ليعودوا إن شاء الله إلى ما كانوا عليه (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) .

{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتثرت وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} (سورة الإنفطار ١-٥).

Abstract:

I chose the topic (Surat Al-Infitar / Analytical Study) to be the title of my research, in an attempt to draw people's attention to the Day of Resurrection, and to remind them of the horror of that great day, after they were preoccupied with the pleasures of this world and its mortal desires, and they forgot that behind them a day that makes the children gray. This blessed surah is the best way And the best way to achieve my goal, and to reach what I aim at in this research, to return, God willing, to what they were (the best nation raised for people).{If the sky breaks apart, and if the stars are scattered, and if the seas explode, and if the graves are scattered, you know the breaking of the fast} (Fuhr 1-5

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين الطيبين، وصحبه الأخيار الصادقين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم معجزة، تحدى الله سبحانه وتعالى بها الإنس والجن، فقال تعالى:{قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرءان لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}(١)بل تحداهم بأقل من ذلك، أن يأتوا بسورة من مثله ولم يفلحوا، ووقف أمامه أكبر العلماء والفصحاء مطأطئي رؤوسهم خجلاً من هذا القرآن العظيم، وخرست ألسنتهم من النطق بكلمة من مثله لعظمته، وإنّه كلام الله العزيز.وما يزال هذا التحدي قائماً بوجه المؤامرات التي تُحاك في كل زمان ومكان بطرق ذكية لنصرة مبادئها الهدامة التي ترسخت في نفوس ضعفاء الدين،والمتخاذلين للنيل من حضارة هذه الأمة التي سادت مبادئها البناءة منذ نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد (ﷺ)، وصلح حال الدنيا والدين، وصلح الإنسان الذي إستخلفه الله ليحكم هذه الأرض بالحق، ويمضي في العمل المثمر، هذا الإنسان الذي ترعرع في ظلال هذا القرآن، وكانت الأمة خير أمة أخرجت للناس.لكن هذه الأمة غيبت في القرون الأخيرة لابتعادها عن منهجها القويم السليم، المستمد من القرآن والسنة، فولّد ذلك تيهاً بأفكار أبناء هذه الأمة، وجهلاً بمقاصد هذا الدين العظيم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى انبهروا بأفكار وضعية جعلتهم تابعين لها، بعد أن كانوا أعلام الهدى، وقادة الخلق إلى الحق.وقد وقع إختياري على موضوع (سورة الانفطار – دراسة تحليلية) ليكون عنواناً لبحثي، في محاولة مني لشد أنظار الناس إلى يوم القيامة، وتذكيرهم بهول ذلك اليوم العظيم، بعد أن انهمكوا في ملذات الدنيا وشهواتها الفانية، ونسوا أنّ وراءهم يوماً يجعل الولدان شيباً، فوجدت في هذه السورة المباركة السبيل الأفضل والوسيلة المثلى لتحقيق غايتي، والوصول إلى ما أرمي إليه في هذا البحث، ليعودوا إن شاء الله إلى ما كانوا عليه {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }(٢).

وقد تمثل منهجي التحليلي في البحث بما يأتي :

١. وضع العنوانات المناسبة للمطالب.
٢.ذكر الآيات في أول كل مطلب بما يتلاءم مع مضمونه.
٣.ذكر سبب النزول للآيات الكريمة إن وجد.
٤.بيان معاني المفردات الغريبة في الآيات القرآنية
٥.ذكر القراءات القرآنية المختلفة للآية، إن وجدت أكثر من قراءة.
٦.ذكر وجه المناسبة بين الآيات إن وجد.
٧.بيان المعنى الاجمالي للآيات الكريمة.
٨.ذكر الفوائد المستنبطة من الآيات الكريمة.

سورة الإنفطار – دراسة تحليلية–

واستلزم البحث أن أقسمه على: مقدمة، ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له، ومنهجي في كتابة البحث. وسبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الإنفطار

المطلب الثاني: علامات الساعة الكبرى.

المطلب الثالث: توبيخ الإنسان وتهديده على جحوده لنعم الله عليه.

المطلب الرابع: انكار الناس ليوم القيامة.

المطلب الخامس: وجود الحفظة من الملائكة الذين يدونون حسنات الناس وسيئاتهم.

المطلب السادس: جزاء المؤمنين والكافرين.

المطلب السابع: كون الله تعالى المتصرف وحده بيوم القيامة.

وخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث.

المطلب الاول

تعريف عام بسورة الانفطار

أولا: أسماؤها:

١- سورة (انفطرت) (٣).

٢- سورة (إذا السماء انفطرت)(٤).

٣- سورة (المنفطرة) أي: السماء المنفطرة٥

ثانياً: نوعها:

وهي من السور المكية بقول الجميع، وقد حكى الإجماع في ذلك الماوردي ، وابن عطية ، وابن الجوزي(٦)، والقرطبي(٧)، والشوكاني(٨).

ثالثاً: وقت نزولها، وترتيبها في المصحف:

نزلت بعد سورة (النازعات)(٩)، وقبل سورة (الانشقاق) ، أي أنها السورة الثانية والثمانون في ترتيب النزول، وهي السورة الثانية والثمانون – أيضاً في ترتيب المصحف(١٠).

رابعاً: عدد حروفها وكلماتها وآياتها:

حروفها ثلاثمئة وسبعة وعشرون حرفاً، وكلماتها ثمانون كلمة، وهي تسع عشرة أية(١١).

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

لما كانت السورة المتقدمة ـ أي سورة التكوير – في ذكر أهوال يوم القيامة، افتتح الله سبحانه هذه السورة بمثل ذلك، ليتصل بها إتصال النظير بالنظير. ولما ختم الله سبحانه (سورة الإنفطار) بذكر القيامة، وما أعد فيها للأبرار والفجار،بين تعالى في (سورة المطففين) التي تأتي بعد (سورة الإنفطار) ذكر أحوال الناس في القيامة أيضاً(١٢).

سادساً: ما ورد في فضلها:

١- روى الترمذي بإسناده عن ابن عمر (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: {إذا الشمس كورت)،و إذا السماء الفطرت، و { إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ }

٢- روي عن أبي بن كعب (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ) : « ومن قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كل قبر حسنة، وبعدد كل قطرة مئة حسنة، وأصلح الله شأنه يوم القيامً

٣- روي عن أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) أنه قال:

« من قرأ هاتين السورتين {إذا السماء الفطرت، و {إذا السماء انشقت وجعلهما نصب عينيه في صلاة الفريضة والنافلة، لم يحجبه من الله حجاب، ولم يحجزه من الله حاجز، ولم يزل ينظر إلى الله، وينظر الله إليه، حتى يفرغ من حساب الناس ولا شك أن حصول ثواب السورتين، إنما يتم لمن وضعهما في أعماق روحه، وبني على أسسها أركان نفسه وعمله، وليس لمن يلوكهما في لسانه فحسب(١٣).

سابعاً: موضوعاتها:

حوت سورة الإنفطار على موضوعات كثيرة متنوعة مع كونها من قصار السور القرآنية، ولعل أغلب موضوعاتها متعلقة بالأمور السمعية، وخاصة تلك التي تتكلم عن علامات القيامة الكبرى وأهواله، وقد احتوت على الموضوعات التالية:

أ. علامات الساعة الكبرى.

ب. توبيخ الإنسان وتهديده على جحوده لنعم الله عليه.

ج. انكار الناس ليوم القيامة.

د. وجود الحفظة من الملائكة الذين يدونون حسنات الناس وسيئاتهم.

هـ. جزاء المؤمنين والكافرين.

و. كون الله تعالى المتصرف وحده بيوم القيامة(١٤).

المطلب الثاني

علامات الساعة الكبرى

قال تعالى:{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ

أنتثرت وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}.

بيان الغريب:

انفطرت: انشقت.

الكواكب: جمع كوكب، وله معان كثيرة، منها: النجوم بشكل عام، والزهرة بشكل خاص، والمعنى الحقيقي هو النجم المتلألئ(١٥).

انتثرت: تساقطت وتهافتت(١٦).

فجرت: أي فجر بعضها في بعض، فصارت بحراً واحداً، واختلط العذب بالمالح، وثمة تفسير ثان: أنّ الإنفجار بمعنى الإحتراق، لأنّ مياه البحار والمحيطات ستتحول إلى قطعة من نار، فالماء يتكون من عنصرين شديدي الإشتعال: الأوكسجين والهايدروجين، فلو تحلّل الماء إلى عنصريه فسيكفيه شرارة صغيرة لجعلة قطعة ملتهبة من النّيران(١٧).

بعثرت: قلبت وأخرج ما فيها. يقال: بعثرت المتاع وبحثرته، إذا جعلت أسفله أعلاه(١٨).

القراءات القرآنية:

قرأ بعضهم: فجرت بالتخفيف، وقرأ مجاهد: فجرت على البناء للفاعل والتخفيف، بمعنى بعث لزوال البرزخ نظرا إلى قوله: {لَا يَبْغِيَانِ}(١٩)،لأن البغي والفجور أخوان(٢٠).

الأوجه البلاغية:

{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ أنثرت} . و استعارة مكنية، شبه الكواكب بجواهر قطع سلكها فتناثرت متفرقة، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الانتثار على طريق الاستعارة المكنية(٢١).

(قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) ... طباق، وهو من المحسنات البديعية.

المعنى الإجمالي:

أخبر الله تبارك وتعالى ببعض علامات يوم القيامة الكبرى، كانفطار السّماء وانشقاقها بأمر الله، للزول الملائكة، كقوله تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا } سورة الفرقان: الآية ٢٥

وتساقط الكواكب وتهافتها، وتفجر البحار بعضها في بعض وفيضانها واختلاط مائها العذب بالمالح، لتشمل كل الأرض بسبب الزلازل المرعبة، وتبعثر القبور وخروج ما فيها من الموتى والكنوز، فإنه إشارة إلى قلب الأرض ظهراً لبطن، وبطنا لظهر.وقدمت لنا الآيات مشاهد مروعة من يوم القيامة، فأخبرت عن تفطر السماء من هول الكارثة، ثم انتقلت إلى ما يصيب الكواكب ونظامها، فسينهدم العالم العلويوستحدث الإنفجارات العظيمة المهيبة في النجوم السماوية كلها، وسيتخلل نظام المجموعات الشمسية، فتخرج النجوم من مساراتها، لتصطدم الواحدة بالأخرىتتلاشى، فينتهي عمر العالم، ويتناثر كل شيء، ليبنى على أنقاضه عالم جديد آخر، عندها تعلم كل نفس ما قدمت من خير وشر، مثل قوله تعالى: {ينبوا الإنسن يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ}(٢٢)(٢٣).

قال الطبري : إنّ كل ما عمل العبد من خير أو شر فهو مما قدمه، وأن ما ضيع من حق الله عليه وفرط فيه فلم يعمله، فهو مما قد قدم من شر، وليس ذلك مما أخر من العمل، لأنّ العمل هو ما عمله. فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدمها، فلذلك قلنا: ما أخر: هو ما سنه من سنة حسنة وسيئة، مما إذا عمل به العامل، كان له مثل أجر العامل بها أو وزره(_٢٤).

وقوله تعالى { إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ... وما أشبهها مما أخبر فيه عن مستقبل بلفظ الماضي فمعناه إنّه كائن عنده لا محالة وواقع لا شك فيه، والفعل الماضي يأتي بلفظه ومعناه الاستقبال في ثلاثة مواضع: فيما أخبر الله عز وجل به، وفي الشرط، وفي الدعاء. فما أتاك في هذه الثلاثة بلفظ الماضي فمعناه الاستقبال، ودليله واضح بين.

قال الرازي: فإن قيل: وفي أي موقف من مواقف القيامة يحصل هذا العلم؟ قلنا: أما العلم الإجمالي فيحصل في أول زمان الحشر، لأن المطيع يرى آثار السعادة، والعاصي يرى آثار الشقاوة في أول الأمر. وأما العلم التفصيل، فإنما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة(٢٥).

الفوائد المستنبطة من الآيات:

١- تحذر الآيات الإنسان من أن يتخذ العالم الفاني هدفاً لوجوه، فيتصوره محلّ خلوده، لأنّ ذلك سيؤول إلى تلوث قلب الإنسان شاء أم أبي، وما ينتج عن التلوث سوى الذنوب المؤدية إلى عذاب الجحيم(٢٦).

٢-ويستنبط من هذه الآيات أنّ العلويات

كالنجوم والكواكب تفنى، كما تفنى السفليات كالبحار والقبور، وسائر الحوادث الموجودة في الأرض، لأنها تشترك في كونها أجساماً محدثة، ولأن المتماثلات حكمها واحد فمتى يصح حكم على واحد منها، وجب أن يصح على الباقي، ومآل كل حادث الفناء، وليس كما زعم الفلاسفة أن الغلويات لا تفنى(٢٧).

٣- هذا الترتيب، فيه دلالة أن المراد من هذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا، وانقطاع التكاليف، والسماء كالسقف، والأرض كالبناء، ومن أراد تخريب دار، فإنه يبدأ أولا بتخريب السقف ثم يأتي على باقي الأجزاء.

٤- فيها التحذير من السنة السيئة يتركها المرء بعده فإن أوزارها تكتب عليه وهو في قبره(٢٨).

المطلب الثالث:

توبيخ الإنسان وتهديده على جحوده لنعم الله عليه قال تعالى:{يَأَيُّهَا الْإِنْسَانَ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فسونك فعدلك (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}

سبب النزول:

نقل البغوي عن عطاء أنه قال: نزلت في الوليد بن المغيرة.

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في الأسود بن الشريق ضرب النبي (ﷺ) فلم يعاقبه الله عز وجل، فأنزل الله هذه الآية يقول: ما الذي غرك بربك الكريم المتجاوز عنك إذ لم يعاقبك عاجلا بكفرك.

بيان الغريب:

فسواك: التسوية: جعل الأعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها(٢٩).

فعدلك: «قوم خلقك.»، والتعديل: جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء، أو معدلة بما تسعدها من القوى.

الإعراب:

{يَأَيُّهَا الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ } (ما غرك) : اسْتِفْهَامٌ لَا غَيْرُ ، وَلَوْ كَانَ تَعَجُّبًا لَقَالَ : مَا أغرك)فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(يجوز أن تكون «ما» زائدة، وأن تكون شرطية، وعلى الأمرين الجملة نعت لصورة؛ والعائد محذوف؛ أي ركبك عليها

القراءات القرآنية:

قرأ عاصم والكسائي وحمزة وأهل الكوفة وأبو جعفر» (فعدلك) بالتخفيف. والباقون بالتشديد (فعدلك) فمن قرأ بالتخفيف جعل (في) بمعنى (إلى) فكأنه قال: فعدلك إلى أي صورة شاء أن يركبك يعني صرفك إلى ما شاء من الصور من الحسن والقبح، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: { هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ومن قرأ بالتشديد فمعناه: قومك ويكون (ما) صلة وقد تم الكلام عند قوله (فعدلك) ثم ابتدأ فقال: في أي صورة شاء ركبك.° قال الفراء: وهو – أي وجه قراءة التشديد – أعجب الوجهين إلي، وأجودهما في العربية لأنك تقول: في أي صورة ما شاء ركبك، فتجعل- في- للتركيب أقوى في العربية من أن يكون - في - للعدل لأنك تقول: عدلتك إلى كذا وكذا، وصرفتك إلى كذا وكذا، أجود من أن تقول: عدلتك فيه، وصرفتك فيه(٣٠)، ومن القراءات الشاذة قراءة سعيد بن جبير { ما أغرك بربك}، فيجوز أن يكون معناه: مالذي دعاك إلى الإغترار به، ويجوز أن يكون تعجباً، وأغرك يجوز أن يكون من الغر والغراوة، فيكون معناه: ما أجهلك وما أغفلك، عمّا يراد بك. ويجوز أن يكون من الغرور على غير القياس(٣١).

الأوجه البلاغية:

{يَأَيُّهَا الْإِنْسَانَ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}(الآية ٦ سورة الانفطار)

ذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الإغترار، فإنّ محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي، فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والإشعار بما به يغره الشيطان، فإنه يقول له: افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحداً ولا يعاجل بالعقوبة، والدلالة على أنّ كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغتراراً بكرمه (٣٢).

وقوله: { مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ؟} و الاستفهام للتوبيخ والإنكار.

المعنى الإجمالي:

هذا خطاب توبيخ وعتاب معناه: أي شيء غرك بربك وخدعك وسول لك الباطل حتى، كفرت بالله أو عصيته، أو غفلت عنه، وأضعت ما وجب عليك، وأمنت من عقابه؟ فدخل في العتاب الكفار وعصاة المؤمنين، ومن يغفل عن الله في الأحيان

من الصالحين(٣٤).

{فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}، والمعنى:

في أي صورة شاء أن يركبك – ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة – ركبك من ذكر وأنثى، وأبيض وأسود، وطويل وقصير، ووسيم ودميم، وقوي وضعيف، ذلك، وكل ذلك ينتهي إلى تدبير الرب الكريم، لا صنع للإنسان في شيء من ذلك(٣٥).

وتقريره ما عرف في علم التشريح أنه سبحانه ركب جانبي هذه الجثة على التسوي حتى إنه لا تفاوت بين يصفيه لا في العظام ولا في أشكالها ولا في ثقبها ولا في الأوردة والشرايين والأعصاب النافذة فيها والخارجة منها(٣٦).

الفوائد المستنبطة من الآيات:

-تهدف هذه الآيات بدقة إلى تعريف الإنسان المغرور بحقيقته، منذ كان نطفة قذرة، مروراً بتصويره وتكامله في رحم أمه، حتى أشد حالات نموه وتكامله، وتؤكد على أنّ حياة الإنسان في حقيقتها مرهونة بنعم الله. وكل حي يفعم برحمة الله في لحظات حياته كلها. ولا بد لكل ذي لب وبصيرة من أن يترحل من مطية غروره وغفلته، ويضع طوق عبوديته المعبود الأحد في رقبته، وإلا فالهلاك الحتمي(٣٧).

٢ – فيها الزجر عن المعصية، والترغيب في الطاعة

٣- التحذير من الغرور والانخداع بعامل الشيطان من الإنس والجن.»

المطلب الرابع

إنكار الناس ليوم القيامة

قال تعالى: {كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}

مناسبة الآية

بعد بيان أمارات الساعة الدالة على صحة القول بالبعث والنشور، وبعد تعداد نعم الله على الإنسان، وجحوده إياها، ذكر الله تعالى علة هذا الجحود وهو التكذيب بالبعث(٣٨).

بيان الغريب:

بالدين : هو الجزاء أو دين الإسلام(٣٩).

القراءات القرآنية:

ذكر الفراء أنّه: قرأ أبو جعفر وبعض أهل المدينة تكذبون « بالياء ، والباقون ومنهم الأعمش وعاصم بالتاء، والتاء أحسن الوجهين لقوله: «وإن عليكم» ولم يقل عليهم(٤٠).

الأوجه البلاغية:

كلا ، ردع عن الاغترار بكرم الله، وقوله: {بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ} - إضراب إلى بيان ما هو السبب الأصلي في اغترارهم

المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر الله أنّ من دلائل نعمه على الإنسان خلقه على أحسن صورة، وأنّ ذلك يدل على أنّ له حياة أخرى غير هذه الحياة: فيها يجازى بما عمل من خير أو شر،أعقب هذا بيان أنه لا شيء يمنعه عن التصديق بهذا اليوم إلا العناد والتكذيب، فزجرهم على هذا التكذيب الذي ينشأ عنه كل سوء وكل جحود(٤١).

الفوائد المستنبطة من الآية:

فيها التحذير من التكذيب بالبعث والجزاء فإنه أكبر عامل من عوامل الشر والفساد في الدنيا وأكبر موجب للعذاب يوم القيامة(٤٢).

المطلب الخامس:

وجود الحفظة من الملائكة الذين يدونون حسنات النّاس وسيئاتهم {وإن عَلَيْكُم لحفظين كِرَامًا كاتبين يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}

بيان الغريب:

لحافظين: من الملائكة يحفظون أعمالكم(٤٣).

كراماً كاتبين: كراماً على الله تعالى، يكتبون أعمال بني آدم»، أي من الحسنات والسيئات.

الإعراب:

(كراما) : نعت، و «يعلمون» كذلك، ويجوز أن يكون حالا، أي يكتبون عالمين(٤٤).

الأوجه البلاغية:

وإن عليكم لحفظين كراماكبين - سجع ترصيع(٤٥).

المعنى الإجمالي:

أن قوله تعالى: { وإن عليكم حفظين .. وإن كان خطاب مشافهة إلا أن الأمة مجمعة على أن هذا الحكم عام في حق كل المكلفين، ثم هاهنا احتمالان:

أحدهما: أن يكون هناك جمع من الحافظين، وذلك الجمع يكونون حافظين لجميع بني آدم من غير أن يختص واحد من الملائكة بواحد من بني آدم.

وثانيهما: أن يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخرة، ثم يحتمل أن يكون الموكل بكل واحد من بني آدم واحدا من الملائكة لأنه تعالى

قابل الجمع بالجمع، وذلك يقتضي مقابلة الفرد بالفرد، ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل: اثنان بالليل، واثنان بالنّهار، أو كما قيل: إنهم خمسة.

ووصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بصفات أولها: كونهم حافظين وثانيها: كونهم كراما وثالثها: كونهم كاتبين ورابعها: كونهم يعلمون ما تفعلون، وفيه وجهان أحدهما: أنهم يعلمون تلك الأفعال حتى يمكنهم أن يكتبوها، وهذا تنبية على أن الإنسان لا يجوز له الشهادة إلا بعد العلم والثاني: أنهم يكتبونها حتى يكونوا عالمين بها عند أداء الشهادة.

وأن وصف الله إياهم بهذه الصفات الخمسة يدل على أنه تعالى أثنى عليهم وعظم شأنهم، وفي تعظيمهم تعظيم لأمر الجزاء، وأنه عند الله تعالى من جلائل الأمور.

ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه، هؤلاء العظماء الأكابر.

الفوائد المستنبطة من الآيات:

فيها تقرير عقيدة كتابة الأعمال حسنها وسيئها والحساب بمقتضاها يوم القيامة

بواسطة ملكين كريمين على كل إنسان مكلف لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر»وصلاة العصر، ثم يعرج الذين بأتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»(٤٦).

المطلب السادس:

جزاء المؤمنين والكافرين

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥)وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ }(١٦). سورة الانفطار

الإعراب:

قوله تعالى: (يصلونها) : يجوز أن يكون حالا من الضمير في الخبر، وأن يكون نعتا لجحيم.

الأوجه البلاغية:

إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم – مقابلة–، قابل بين الأبرار والفجار، وبين النعيم والجحيم، وقد جاء بـ (نعيم) و (جحيم) على صيغة التنكير للتعظيم والتهويل

المعنى الإجمالي:

إن الله تعالى لما وصف الكرام الكاتبين لأعمال العباد ذكر أحوال العاملين، فبين أن الناس في هذا اليوم فريقان: بررة مطيعون لربهم فيما به أمر وعنه نهي، وهؤلاء يتقلبون في النّعيم، وفجرة يتركون أوامر الدين، وأولئك يكونون في دار العذاب والهوان يقاسون حر النار ولهيبها، لا يفارقونها أبداً ولا يغيبون عنها بل هم فيها خالدون، وقيل: المعنى وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية، بل كانوا يجدون حرها في قبورهم.

الفوائد المستنبطة من الآيات:

١- فيه تهديد عظيم للعصاة.

٢- بيان حكم الله في أهل الموقف إذ هم ما بين بار صادق فهو في نعيم، وفاجر كافر فهو في جحيم(٤٧).

المطلب السابع:

كون الله تعالى المتصرف وحده بيوم القيامة

{وَمَا أدراك مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أدراك مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْس لِنَفْس شَيْئًا وَالْأَمْر يَوْمَئذ لله(١٩)}.

القراءات القرآنية:

قرأ ابن كثير وأهل البصرة { يوم لا تملك } برفع (يوم) وقرأ الباقون بنصبها، فأما وجه الرفع في قوله تعالى:{ يوم لا تملك نفس } أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو يوم لا تملك. والمعنى يوم الدين يوم لا تملك نفس.وأما وجه النّصب فإنه لما قال: { وما أدريك ما يوم الدين } فجرى ذكر الدين، وهوالجزاء، قال: { يوم لا تملك } يعني الجزاء يوم لا تملك نفس، فصار { يوم لا تملك } خبر الجزاء المضمر، لأنه حدث. وتكون أسماء الزمن أخباراً عن الحدث.ويجوز النصب على وجه آخر، وهو أنّ اليوم لما جرى في أكثر الأمر ظرفاً، تُرك على ما كان يكون عليه في أكثر أمره، والدليل على ذلك ما اجتمع عليه القراء والعرب في قوله تعالى: * وأنا منا الصلحون ومنا دون ذلك(٤٨).

ومما يقوي النصب في ذلك، قوله تعالى:

{القارعة * ما القارعة * وما ادراك ما القارعة * يوم يكون الناس}فالنصب في{يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ }،مثل هذا ونحوه(٤٩).

سورة الإنفطار – دراسة تحليلية–

الأوجه البلاغية:

قوله:{وَمَا أدريك مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أدريك مَا يَوْمُ الدِّينِ}تعجيب وتفخيم لشأن اليوم، أي كنه أمره، بحيث لا تدركه درايه دار. وقيل: بل هو لفائدة مجددة، إذ المراد بالأول أهل النار، والمراد بالثاني أهل الجنة، كأنه قال: وما أدراك ما يعامل به الفجار في يوم الدين؟ ثم ما أدراك ما يعامل به الأبرار في يوم الدين؟ وكرر يوم الدين تعظيما لما يفعله تعالى من الأمرين بهذين الفريقين.

وفي إعادة الجملة إطناب، لتعظيم هول ذلك اليوم وبيان شدته، كأنه فوق الوصف الخيا(٥٠).

الإعراب:{يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ}.

يوم: بالنصب على البدل من{ يَوْمُ الدِّينِ } في قوله: { يصلونها يوم الدين } الأول المنصوب. ويقرأ بالرفع على البدل من { يوم الدين } في قوله: { ثم ما أدريك ما يوم الدين و المرفوع، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو يوم لا تملك(٥١).المعنى الإجمالي: أي لا يملك أحد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب، كما يملك كثير من الناس في دار الدنيا ذلك، ويكون الأمر يومئذ الله وحده، أي: الحكم الله في الثواب والعقاب، والعفو والإنتقام، وروي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: إن الأمر يومئذ واليوم كله لله، يا جابر! إذا كان يوم القيامة بادت الحكام، فلم يبق حاكم إلا الله. والمعنى الصحيح للآية: لا أمر لسواه ولا حكم من دون أن يكون في هذا إنكار لشفاعة النّبي (ﷺ)، لأن الشفاعة لا تكون إلا بأمره تعالى، وبإذنه(٥٢).والحقيقة أن كل شيء في هذا العالم هو بيد الله العزيز القهار، وستظهر حقيقة حاكمية الله المطلقة ومالكيته على كل من تنكر لهذه الحقيقة الحقة، ولكن الآية لا تتعارض مع موضوع الشفاعة، لأن الشفاعة لن تكون إلا بإذنه تعالى، وأنّ الشفاعة غير مطلقة، بل هي مقيدة برضا الله تعالى، إذ قال تعالى:

{ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ}(٥٣)(٥٤).

الفوائد المستنبطة من الآيات:

١- بيان عظم شأن يوم الدين وأنه يوم عظيم.

٢- بيان أن الناس في يوم الدين لا تنفعهم شفاعة ولا خلة إذ لا يشفع أحد إلا بإذن الله والكافرون هم الظالمون، وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.

٣-إثبات مالكية الله تعالى وحده ليوم القيامة، كما وصف تعالى نفسه بقوله:
ملك يوم الدين . وقوله:
{لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ}(٥٥).

الخاتمة :

تبين لي مما سبق عرضه

١- أنّ سورة الإنفطار من السور المكية بقول الجميع، وهي من قصار السور القرآنية، الواقعة في الجزء الأخير من سور المفصل.

٢- امتازت كسائر هذه الشور بتناولها المسائل العقدية الشمعية، إذ تحدثت عن أحوال يوم القيامة وأهواله، والدمار الهائل الذي يحصل فيه، ووجوب عدم إغترار الإنسان بكرم ربه، وبيان حسن تدبير الله تعالى لخلق الإنسان، وتكذيب أكثر الناس ليوم الحساب والجزاء، وإثبات وجود الحفظة من الملائكة المكرمين الذين يسجلون حسنات الإنسان وسيئاته، وبيان جزاء المتقين وهو الجنة، وجزاء الكافرين وهو الجحيم، وبيان ضخامة ي القيامة يوم وهوله، وتجرد النفوس من كل حول فيه، وتفرد الله سبحانه بأمره.

٣- دلت الشورة على أنّ الكائنات العلوية كالنجوم والكواكب، والسُفلية كالبحار والجبال، ستفني جميعاً، بخلاف ما زعمه الفلاسفة بأنّ الكواكب العلوية سرمدية لا تفنى.

٤- أثبتت الشورة أنّ مرجع العباد كافة، أولهم وآخرهم إلى الله تعالى، ليجزي المحسن بالإحسان، ويعاقب المسيء بالعذاب الأليم وهذا من عدل الله تبارك وتعالى، لئلا يتساوى المحسن والمسيء.

الهوامش:

١-سورة الإسراء/ الآية ٨٨.

٢-سورة آل عمران: من الآية ١١٠

٣-هكذا سماها السّمعاني في تفسيره. ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٧٢)، وكذا سماها النيسابوري. ينظر: تفسير النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٥٧

٤-هكذا شاها العز بن سلام في تفسيره. ينظر: تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٤٢٧).

٥-التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٣٠٧).

٦- النكت والعيون: ٦/ ٢٢٠.

٧- المحرر الوجيز: ٥/ ٤٤٦.

٨- زاد المسير: ٨/ ١٩٥.
٩- الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ٢٤٢.
١٠- فتح القدير: ٥/ ٣٩٤.
١١-تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥٨)، و تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧١٤)، و تفسير المراغي ٣٠/ ٦٣.
١٢- ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٣٠٧).
١٣- تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٥٥٤)، و تفسير البغوي (٥/ ٢١٨)، وتفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/ ٤٥٧.
١٤- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي (١٠/٢٨٣)، و التفسير القرآني للقرآن.١٦/١٤٧٨
١٥- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي ١٠/٢٨٩.
١٦-سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة إذا الشمس كورت (٥/ ٢٩٠) رقم الحديث ٣٣٣٣. وسكت عنه.
١٧- مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي ١٠ /٢٨٣
١٨-المصدر نفسه (١٠/٢٨٣)، وينظر: الأمثل في كتاب الله المنزل، للشيرازي (١٩/٣٤٧) لكنه نسب القول للإمام الصادق (عليه السلام).
١٩- ينظر: الأمثل في كتاب الله المنزل، للشيرازي (١٩/٣٤٧).
٢٠- ينظر: تفسير المراغي (٣٠/ ٧١)، والميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي (٢٠/٤٨٨)، و الأمثل في كتاب الله المنزل، للشيرازي (١٩/٣٤٧)، و التفسير الواضح، للحجازي ٣/ ٨٣٣.
٢١- غريب القرآن لابن قتيبة (٤٤٣)، و التفسير البسيط للواحدي (٢٣/ ٢٨٩).
٢٢ - ينظر: الأمثل في كتاب الله المنزل، للشيرازي (١٩/٣٤٧).
٢٣- تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٥٥٤)، و لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٣/٦٩٦)
٢٤-غريب القرآن لابن قتيبة (٤٤٣)، و التفسير البسيط للواحدي (٢٣/ ٢٩٠)، و الأمثل في كتاب الله المنزل، للشيرازي (١٩/٣٤٩).
٢٥- غريب القرآن لابن قتيبة (٤٤٣).، و تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣/ ٥٥٤
٢٦- سورة الرحمن: من الآية ٢٠.
٢٧- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣١/ ٧٣.
٢٨-ينظر: صفوة التفاسير (٣/ ٥٠٤.
٢٩- ينظر: المصدر نفسه (٣/ ٥٠٤,
٣٠- سورة الفرقان: الآية ٢٥
٣١- سورة القيامة: من الآية ١٣
٣٢- ينظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٣/ ٦٩٦)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٤٤)، والأمثل (١٩/٣٤٨).
٣٣- تفسير الطبري = جامع البيان (٢٤/ ٢٦٩).
٣٤- الحجة في القراءات السبع) ٣٦٤.
٣٥- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ٧٣).
٣٦- ينظر: الأمثل في كتاب الله المنزل، للشيرازي (١٩/٣٤٩).
٣٧- ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ٧٢).
٣٨- ينظر: المصدر السابق نفسه (٣١/ ٧٣).
٣٩- أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٥٣١).
٤٠- تفسير البغوي (٥/ ٢١٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٢).
٤١- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٩٢).
٤٢- غريب القرآن لابن قتيبة (٤٤٣).
٤٣- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٩٢).
٤٤- التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٧٤).
٤٥- ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٧٤)، والميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ٢٠/٤٩٠.
٤٦- هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي الكوفي، كان إمام الكوفة بعد عاصم، وكان ثقة حجة، توفي بحلوان سنة ١٥٦هـ. ينظر: طبقات القراء السبعة: ١/٩٢، وجامع الأحكام في تلاوة القرآن: لفائق أحمد حساني: ٤٠-٤١.
٤٧- هو يزيد بن القعقاع المدني، من التابعين، وأول قارئ بالمدينة المنورة، توفي سنة ١٢٨هـ. ينظر : طبقات القراء السبعة: ١/١٠٤، وجامع الأحكام في تلاوة القرآن: لفائق أحمد حساني:
٤٨- سورة آل عمران: من الآية ٦.
٤٩- ينظر: الحجة في القراءات السبع (٣٦٤)، وتفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٥٥٥،

ومجمع البيان للطبرسي (١٠/٢٨٤).
٥٠- معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٤٤).
٥١-ينظر: مجمع البيان للطبرسي (١٠/٢٨٤).
٥٢- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٩٢).
٥٣- ينظر: صفوة التفاسير(٣/ ٥٠٤).
٥٤- ينظر: تفسير البغوي (٥/ ٢١٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٢).تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥٨).
٥٥- سورة غافر: من الآية ١٦.

المصادر

•القرآن الكريم.
١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: للعلامة الفقيه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، حققه : محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
٣- أوضح التفاسير : محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ) ، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها ، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م
٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر ابن جابر الجزائري ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
٥- بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، حققه: د. محمود مطرجي، دار النشر : دار الفكر - بيروت
٦- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(المتوفى : ٦١٦هـ)، حققه: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون طبعة وتاريخ.
٧- التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، بن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) ، حققه : الدكتور عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
٨- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
٩-التفسير البسيط : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، أصل تحقيقه في (١٥) اطروحة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ
١٠- التستري : أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري(المتوفى: ٢٨٣هـ) ، جمعها: أبو بكر محمد البلدي ، حققه : محمد باسل عيون السود ، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ
١١- تفسير العز بن عبد السلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، حققه: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
١٢- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، حققه : سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط/٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩
١٣- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، حققه : أسعد محمد الطيب ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ
١٤- التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
١٥- تفسير الماوردي = النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، حققه: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، بدون طبعة وتاريخ.
١٦- تفسير المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م
١٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ
١٨- تفسير النسفي المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبدالله ابن أحمد بن محمود النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه : الشيخ: مروان محمد

الشعار ، دار النشر: دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥
١٩- التفسير الواضح : محمد محمود الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد بيروت ، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ
٢٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧م، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧م، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧م، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨م.
٢١- جامع الأحكام في تلاوة القرآن: فائق أحمد حساني، ديوان الوقف السني، دائرة البحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
٢٢- جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، حققه : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠
٢٣- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن
أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)
، حققه : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية –
القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، حققه : علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
٢٥- زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ) حققه :عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
٢٦- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، حققه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.
٢٧- صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٨- طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم: عبد الوهاب بن يوسف ابن إبراهيم، ابن السّلَّار الشافعي (المتوفى: ٧٨٢هـ)، المحقق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية - صيدا بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
٢٩- غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، حققه: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
٣٠- فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ:-
٣١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة سنة ١٤٠٧ هـ
٣٢- لطائف الإشارات = تفسير القشيري : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) ، حققه : إبراهيم البسيوني ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، الطبعة: الثالثة
٣٣-مجمع البيان في تفسير القرآن: لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن
الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، حققه وعلق عليه: لجنة من
العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له: الإمام الأكبر السيد محسن الأمين
العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ
ـ ٢٠٠٥م.
٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن
عبد الرحمن، ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) حققه: عبد
الطبعة:
السلام عبد الشافي محمد ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
الأولى - ١٤٢٢ هـ
٣٥- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء
(المتوفى: ٢٠٧ هـ)، حققه: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبدالفتاح
إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.
٣٦- الميزان في تفسير القرآن: للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، قدمه:
سماحة آية الله جوادي آملي، دار الأضواء، بيروت –

سورة الإنفطار – دراسة تحليلية–

مفهوم السُّلطان في الْقُرآنِ الكَرِيْم
دِراسَة تَرْكيبية دِلاليّة

م. رياض علي حسن
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
للعلوم الإسلامية الجامعة

الملخص :

لا ينبغي الفصل بين التحليل التركبي والتحليل الدِلالي ؛ إذ إن أحدهما يعتمد في وجوده على الآخر ، فدراسة التركيب وسيلة ومطية إلى الآخر وهو الدلالة ، وفي ضوء ذلك سعى الباحث في دراسته الموسومة بـــ (مفهوم السلطان في القرآن الكريم) ، وتمحور الحديث فيه حول الدراسة التركيبية والدلالية ، وتناول السلطان في دائرة المفاهيم اللغوية ودلالتها الاصطلاحية ، كما تناول المفهوم بين السياقات القرآنية والصيغ التركيبية ، وأفرد حديثٌ خاص عن قوله تعالى ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)) (الرحمن٥٥/٣٣)) ، وارتكز البحث على تحلِيل التركيب ؛ بغية الوقوف على مداليله ، ولم يكن النظر في التركيب وتحليله غرضا أساسا لذاته _ كما بينتُ آنفا_ وإنما هي مرحلة ينتقل فيها البحث إلى دلالات ذلك التركيب ، وقد تمخضت الدراسة عن نتائج متعددة عُرضت في خاتمة البحث .

ABSTRACT :

Synthetic analysis should not be separated from semantic analysis; As one of them depends in its existence on the other, the study of structure is a means and a ride to the other, which is the signification. the research was based on composition analysis; In order to find out its implications, the consideration and analysis of the structure was not a main purpose in itself – as I explained above – but rather it is a stage in which the research moves to the implications of that structure, and the study yielded multiple results for which the research was recently presented.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وبعد ، فإن القرآن الكريم الحجة البالغة ومعجزة الإسلام الخالدة ، وهو المعين الذي لا ينضب ، والعطاء المتجدد ، والنهر الفياض ، والبحر الذي لا ساحل له ، لا عزة ولا كرامة إلا لمن استمسك به ، قال تعالى { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}(الزخرف٤٣/٤٣_٤٤)،فلا يخلق على كثرة الردِّ , ولا يشبعُ منهُ البلغاء ، ولا تنقضي عجائبه ، لذا مهما ألفت الكتب ، وصنّفت التصانيف ونشرت البحوث والدراسات ، فليس بوسع أحد أن يستوفيَ حقه من البحث والدراسة . أما هذا البحث الموسوم بـ(مفهوم السُّلطان فِي الْقُرآنِ الكَرِيْم _ دِراسَة تَرْكيبية دِلاليّة) ، فإنَّ من أهم دواعي اختيار هذا الموضوع للبحث هو ارتباط هذه اللفظة بمفهوم فكريٍّ مهم متمثل بتفسير كتاب الله تعالى. وقد اعتمدت الدراسة الجانب التركيبي للجذر (سلط) وبعده الدلالي ، كما اعتمد البحث على جملة من المصادر ، تنوعت ما بين كتب التفسير ، والمعجمات العربية ، وكتب اللغة والحديث . وقد ختم البحث بجملة نتائج ، جاءت لتعطي خلاصة سريعة لهذا البحث. وفي الختام ، أسأل الله _ تعالى _ أن يوفق الباحثين خدمة للغة القرآن الكريم ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

التمهيد:

السلطان في دائرة المفاهيم اللغوية ودلالتها الاصطلاحية

السلطان لغة :

لفظ (السلطان) على وزن (فُعْلَان) ، مأخوذ من السلاطة ، بمعنى الانبساط بالقوة ، وهو مشتق من المادة اللغوية (سلط) التي بمعنى القوة والقهر ، قال ابن فارس « السين واللام والطاء أصلٌ واحدٌ، وهو القوّة والقهر. من ذلك السَّلاطة، من التسلط وهو القَهْر، ولذلك سمِّي السُّلْطان سلطاناً. والسلطان: الحُجَّة. والسَّليط من الرجال : الفصيح اللسان الذَّرِب. والسَّليطة: المرأة الصَّخَّابة(١).والسُلْطَانُ:الوالي،وهو فُعْلَانٌ يذكّر ويؤنّث، والجمع السَلاطينُ.والسُلْطانُ أيضاً : الحجَّةُ والبرهانُ، ولا يجمع لأنَّ مجراه مجرى المصدر(٢) .

السلطان اصطلاحا :

ذكر أبو هلال العسكري « الفرق بين السلطان والملك : أن السلطان قوة اليد في القهر للجمهور الأعظم وللجماعة اليسيرة أيضا ألا ترى أنه يقال

مفهوم السُّلطان في الْقُرآنِ الكَرِيْمِ دِراسَة تَرْكيبية دِلاليّة

الخليفة سلطان الدنيا وملك الدنيا وتقول لأمير البلد : سلطان البلد ، ولا يقال له : ملك البلد ؛ لان الملك هو من اتسعت مقدرته على ما ذكرنا ، فالملك هو القدرة على أشياء كثيرة ، وللسلطان القدرة سواء كان على أشياء كثيرة أو قليلة ، ولهذا يقال له في داره : سلطان ، ولا يقال له في داره : ملك ، ولهذا يقال : هو مسلط علينا وإن لم يملكنا ، وقيل السلطان المانع المسلط على غيره من أن يتصرف عن مراده ، ولهذا يقال : ليس لك على فلان سلطان فتمنعه من كذا»(٣) ، وذكر أيضا «الفرق بين البيان والبرهان والسلطان : هي نظائر، وتختلف حدودها . فالبيان : إظهار المعنى للنفس كإظهار نقيضه. والبرهان: إظهار صحة المعنى وإفساد نقيضه. والسلطان:
إظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال كذا قيل»(٤).و«كل سلطان في القرآن فهو حجة ، وأصل السلطنة القوة ، ومنه السليط ؛ لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان»(٥).

المطلب الأول:

السُّلطان في القرآن الكريم بين السياقات القرآنية والصيغ التركيبية:

وردت مادة (سلط) بتصريفاتها المختلفة في القرآن الكريم في تسعة وثلاثين موضعا ، ، جاء في موضعين بصيغة الفعل ، وجاء في سبعة وثلاثين موضعا بصيغة الاسم (فُعْلان) (سُلْطان) _ وهو ما يهم بحثنا هذا _ وكان أكثرها في آيات مكية ، إذ ورد في ثمانية وعشرين موضعاً ، أما المدني ، فقد ورد في تسعة مواضع بمعان مختلفة ، وكانت أحواله في ضوء التركيب النحوي على النحو التالي :

أولاً : يأتي مجروراً بحرف الجر (من) الزائد في سبعة مواضع مكية فقط ، اثنان منها جاءا في سياق الحصر بالنفي وإلا ، وهي في قوله تعالى {وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ } (إبراهيم ١٤/ ٢٢) ، وفي قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}(سبأ ٣٤ /٢١) ، وما جاء مجروراً بحرف الجر (من) فحسب قوله تعالى: {أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } (الأعراف ٧/ ٧١) ، وقوله تعالى: {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا}(يونس١٠/ ٦٨) ، وقوله تعالى:
{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}
(يوسف ١٢/ ٤٠)، وقوله تعالى:((وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ)) (الصافات ٣٧/ ٣٠) ، وقوله تعالى: { إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ }
(النجم ٥٣ /٢٣) . وفي ضوء هذه الحال يمكن رصد الملاحظات التالية :

١.مجيؤه في السور المكية فقط .
٢.مجيؤه في سياق النفي فقط .
٣.عند مجيئه في سياق الحصر يستعمل الأداتين (ما) و(إلا) فقط .
٤.ورد نكرة فقط .
٥.الملاحظ في اللفظ أنه موجه في المواضع كلها إلى الكافرين فقط ، غير أنه صادر من جهات مختلفة ، وذلك على النحو التالي :

أ.من الله تعالى إلى الكافرين ، وذلك في قوله تعالى {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا } (يونس١٠/ ٦٨) ، وفي قوله تعالى :
{وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ}(سبأ ٣٤ /٢١)،وفي قوله تعالى:{ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } (النجم ٥٣ /٢٣) .

ب. من النبيين (نوح ويوسف)(عليهما السلام) إلى الكافرين ، وذلك في قوله تعالى: { أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } (الأعراف ٧/ ٧١) ، وفي قوله تعالى { مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}(يوسف ١٢/ ٤٠) .

ت.من الشيطان إلى الكافرين في قوله تعالى:
{وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي } (إبراهيم ١٤/ ٢٢) .

ث.من الكافرين إلى الكافرين في قوله تعالى:
{ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ }(الصافات ٣٧/ ٣٠) .

٦. استخدام اللفظ في الآيات بمعانٍ مختلفة ، يمكن حصرها في التالي :

أ.في سياق عبادة الأصنام ، في قوله تعالى:

مفهوم السُّلطان في الْقُرآنِ الكَرِيمِ دِراسَة تَرْكيبية دِلاليّة

((أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)) (الأعراف ٧/ ٧١) ، وقوله تعالى ((مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)) (يوسف ١٢/ ٤٠) ، وقوله تعالى: ((إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)) (النجم ٥٣ /٢٣) .

ب.في سياق نفي الولد عنه تعالى في قوله تعالى: ((قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا)) (يونس١٠/ ٦٨) .

ت.في سياق نفي السطان للشيطان على البشر في موضعين ، أحدهما من الله تعالى خطاباً إلى الناس ، قال تعالى ((وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ)) (سبأ ٣٤ / ٢١)،والآخر خطابا من الشيطان نفسه إلى مَن في النار في قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي)) (إبراهيم ١٤/ ٢٢) .

ث. في سياق تخاصم أهل النار ونفيهم السلطان لأحدهم في قوله تعالى ((وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ)) (الصافات ٣٧/ ٣٠)

٧. وردَ مصاحباً لقوله:((أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا)) ، في ثلاثة مواضع في قوله تعالى ((أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)) (الأعراف ٧/ ٧١) ، وقوله تعالى: ((مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)) (يوسف ١٢/ ٤٠) ، وقوله تعالى:((إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)) (النجم ٥٣ /٢٣) .

ثانياً : مجيؤه منصوبا كونه مفعولا به فقط ، وذلك في أحد عشر موضعا ، سبعة منها مدنية ، وأربعة مكية ، في قوله تعالى ((سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا)) (آل عمران ٣/ ١٥١) ، وقوله تعالى ((وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا)) (النساء ٤/ ٩١) ، وفي الآية ٤/ ١٤٤ من السورة نفسها ((أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا)) ، وكذا في الآية ٤/ ١٥٣ ((وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا)) ، وفي قوله تعالى ((وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا)) (الأنعام٦/ ٨١) ، وقوله تعالى ((وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا)) (الأعراف ٧/ ٣٣) ، وقوله تعالى: ((وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا)) (الإسراء ١٧/ ٣٣) ، وفي الآية ١٧/ ٨٠ من السورة نفسها ((وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا)) وقوله تعالى ((وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا)) (الحج ٢٢/ ٧١) ، وقوله تعالى: ((قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا)) (القصص ٢٨/ ٣٥) ، وقوله تعالى: ((أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ)) (الروم ٣٠/ ٣٥).

ويلحظ في هذه الحال ما يأتي :

١.لم يرد إلا نكرة .

٢.الغالب وروده في سياق عبادة الأصنام .

٣.الغالب في وروده أن يكون فاعله الله جل جلاله ، وذلك في عشرة مواضع .

٤.انحصار فعله بين (يُنَزِّلْ) و (أَنْزَل) و (جَعَل) و (أَتَى) .

ثالثاً : ورد مبتدأ في سياق الحصر بـ(إنما) في موضع واحد في آية مكية في قوله تعالى: ((إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ))(النحل ١٦/ ١٠٠) ، ويلحظ في أحواله الآتي :

١.مجيؤه معرفة في هذا الموضع فحسب .

٢.ورد في سياق الحديث عن المشركين .

٣.ورد مضافا إلى الضمير (الهاء) المكنى به عن الشيطان .

رابعاً : ورد مبتدأ في قوله تعالى ((أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ))(الصافات٣٧/ ١٥٦) ، والملاحظ فيه أنه موصوف بلفظ (مبين) ، ومجيؤه نكرة متأخرا .

خامسا : ورد مصاحبا للفعل (ليس) في ثلاثة مواضع مكية ، في قوله تعالى ((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)) (الحجر١٥/ ٤٢) ، وقوله تعالى ((إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) (النحل ١٦/ ٩٩) ، وقوله تعالى ((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)) (الإسراء ١٧/ ٦٥) . ويلحظ في أحواله الآتي :

١.ورد في سياق نفي السلطان عن الشيطان على المؤمنين.

٢.ورد في سياق مؤكد بـ(إن) .

٣.الغالب في سياق الآيات أن المخاطب هو الشيطان .

سادسا : ورد فاعلا للفعل (هلك) في موضع واحد

في قوله تعالى ((هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ)) (الحاقة ٢٩/٦٩) ، ويلحظ في أحواله التالي :
١.ورد في سياق الكافر وعلى لسان الكافر .
٢.ورد معرفة مضافا إلى ياء المتكلم .
٣.ورد في معرض النفي وغياب السلطان المكنى عنه بالفعل (هلك) .

سابعاً: ورد مجرورا بحرف الجر في ثمانية مواضع ، واحد مدني والباقي مكي ، في قوله تعالى ((قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ))(إبراهيم١٤/١٠) ، وفي الآية (١٤/١١) من السورة نفسها ((وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)) ، وفي قوله تعالى ((هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ)) (الكهف١٨/١٥) وفي قوله تعالى ((لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) (النمل٢٧/٢١) ، وفي قوله تعالى ((وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) (الدخان٤٤/١٩) ، وفي قوله تعالى: ((وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) (الذاريات٥١/٣٨) ، وفي قوله تعالى: ((أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) (الطور٥٢/٣٨) ، وفي قوله تعالى ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)) (الرحمن٥٥/٣٣) .

ويلحظ في أحواله التالي :
١.مجيؤه مرة واحدة في سياق الحصر بـ(لا)و(إلا)
٢.الغالب في وصفه بـ(مبين) او (بيِّن) .
٣.لم يرد إلا نكرة .
٤.الغالب فيه العامل (أتى) ومشتقاتها ، وذلك في ستة مواضع .

ثامنا:ورد مجرورا بالعطف في ثلاثة مواضع مكية ، في قوله تعالى:((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ))(هود١١/٩٦)،وقوله تعالى: (أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ)(المؤمنون٢٣/٤٥)،وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) (غافر ٤٠/٢٣) .

ويلحظ في أحواله التالي :
١.وصفه بلفظ (مبين) .
٢.العامل فيه الفعل (أرسل) .
٣.معطوف على قوله (آياتنا) .
٤.وروده في سياق الحديث عن نبي الله موسى (عليه السلام) .
٥.ورد في موضعين متشابهين ، وذلك في سورتي هود وغافر بقوله تعالى ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) ، وذلك على النحو التالي : حرف العطف (الواو) + اللام الموطئة للقسم + حرف التحقيق (قد) + الفعل (أرسل) + الضمير (نا) + الاسم المعطوف عليه (موسى) + حرف الجر (الباء) + الاسم المجرور(آياتنا) + حرف العطف (الواو) + الاسم المعطوف (سلطان) + الوصف (مبين) .

ثامنا : ورد مجرورا بالإضافة في موضعين ، أحدهما مكي ، والآخر مدني ، في قوله تعالى: ((الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ)) (غافر٤٠/٣٥) ، وفي الآية / ٥٦ ، من السورة نفسها ((إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ)) ، ويلاحظ في أحواله التالي :
١.إن المضاف في الموضعين هو (غير) .
٢.ورد في سياق الكافرين .
٣.مصاحبا لقوله ((يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ)) .

ويمكن القول: إن الآيتين متشابهتان في ألفاظهما ، باستثناء (إنَّ) في بداية الآية الاخرى ، وذلك على النحو التالي :
الاية الاولى : الاسم الموصول (الَّذِينَ) + الفعل المضارع (يُجَادِلُونَ) + حرف الجر (فِي) + الاسم المجرور المضاف (آيَاتِ) + المضاف إليه (اللَّهِ) + حرف الجر (الباء) + الاسم المجرور المضاف (غَيْرِ) + المضاف إليه (سُلْطَانٍ) + الفعل الماضي والفاعل والمفعول به في محل نصب حال (أَتَاهُمْ) .
الآية الاخرى : إنَّ + اسم (إنَّ) الاسم الموصول (الَّذِينَ) + الفعل المضارع (يُجَادِلُونَ) + حرف الجر (فِي) + الاسم المجرور المضاف (آيَاتِ) + المضاف إليه (اللَّهِ) + حرف الجر (الباء) + الاسم المجرور المضاف (غَيْرِ) + المضاف إليه (سُلْطَانٍ) + الفعل الماضي والفاعل والمفعول به في محل نصب حال (أَتَاهُمْ) .

ويمكن تصنيف لفظ (سلطان) في الآيات بلحاظ سياقاتها ، وذلك على النحو التالي :
أولا : الغالب وروده في سياق الكافرين في تسعة عشر موضعا ، ويكثر في السور المكية ، إذ يتناسب مع طبيعتها بخلاف السور المدنية التي يغلب

عليها طابع التشريع وإرساء دعائم المجتمع المدني ومستقبله ، في قوله تعالى:
((سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا)) (آل عمران ٣/ ١٥١) ، وقوله تعالى ((وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا)) (النساء ٤/ ٩١) ، وقوله تعالى ((وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا)(الأنعام٦/ ٨١) وقوله تعالى ((وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا)) (الأعراف ٧/ ٣٣) ، وقوله تعالى ((أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)) (الأعراف ٧/ ٧١) ، وقوله تعالى:
((مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ))
(يوسف ١٢/ ٤٠) ، وقوله تعالى ((قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)(إبراهيم١٤/ ١٠) ، وقوله تعالى ((وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي)) (إبراهيم ١٤/ ٢٢) ، وقوله تعالى:((هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ)) (الكهف١٨/ ١٥)،وقوله تعالى:((وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا))(الحج ٢٢/ ٧١) ، وقوله تعالى ((أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ)) (الروم ٣٠/ ٣٥) ، وقوله تعالى ((وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ)) (الصافات ٣٧/ ٣٠) ، وقوله تعالى ((أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ))(الصافات٣٧/ ١٥٦) ، وقوله تعالى ((الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ)) (غافر٤٠/ ٣٥)،وقوله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ)) (غافر٤٠/ ٥٦) ، وقوله تعالى ((أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) (الطور٥٢/ ٣٨) ، وقوله تعالى ((إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)) (النجم ٥٣ /٢٣) ، وقوله تعالى ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)) (الرحمن٥٥/ ٣٣) .

ثانياً : ورد في سياق نبي الله موسى (عليه السلام) ، في سبع آيات (النساء / ١٥٣ ، هود /٩٦ ، والمؤمنون / ٤٥ ، والقصص /٣٥ ، وغافر /٢٣ ، والدخان / ١٩) .

ثالثاً : ورد في سياق نفي السلطان عن الشيطان في ستة مواضع في قوله تعالى ((وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ)) (إبراهيم ١٤/ ٢٢) وقوله تعالى ((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)) (الحجر١٥/ ٤٢) وقوله تعالى ((إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) (النحل ١٦/ ٩٩) ، قوله تعالى ((إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)) (النحل ١٦/ ١٠٠) ، وقوله تعالى ((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)) (الإسراء ١٧/ ٦٥) ، وقوله تعالى ((وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ)) (سبأ ٣٤ / ٢١) .

رابعاً : ورد في سياق نبي الله سليمان (عليه السلام) مع الهدد في موضع واحد في قوله تعالى ((لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) (النمل٢٧/ ٢١)

خامساً: ورد في سياق المؤمنين في موضع واحد مدني في قوله تعالى ((أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا)) (النساء ٤/ ١٤٤) .

سادساً : ورد في سياق القتل في موضع واحد مدني ، قال تعالى ((وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا)) (الإسراء ١٧/ ٣٣) .

سابعا : ورد في سياق الدعاء في موضع واحد مدني ، قال تعالى ((وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا)) (الإسراء ١٧/ ٨٠) .

ثامناً : ورد في سياق نفي ادعاء الولد لله تعالى في موضع واحد في قوله تعالى ((قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا))
(يونس١٠/ ٦٨) .

تاسعاً : ورد مرة واحدة في سياق الشيطان يخاطب الكافرين في قوله تعالى ((وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ)) (إبراهيم ١٤/ ٢٢) .

وثمة تصنيف ثالث للآيات التي ورد فيها لفظ (سلطان) ، يُقسَّم فيه اللفظ إلى قسمين من جهة المعنى :

الأول : ورد فيه لفظ السلطان بمعنى (الحجة) و (البرهان) ، ومنه قوله تعالى ((قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا))

(يونس ٦٨/١٠) ، أي «ما عندكم من حجة بهذا القول»(٦) ، ومثله قوله تعالى في خطاب النبي هود عليه السلام لقومه ((أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ))(الأعراف : ٧/ ٧١) أي « ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجُّون بها ، ولا معذرة تعتذرون بها ؛ لأن العبادة إنما هي لمن ضرَّ ونفع ، وأثابَ على الطاعة وعاقب على المعصية ، ورزق ومنَع » (٧) ، ومثله قوله تعالى ((هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ))(الحاقة ٢٩/٦٩) قال ابن عباس «هلكت عني حجتي» (٨) . وأكثر ما جاء لفظ (السلطان) في القرآن الكريم بحسب هذا المعنى(٩) .

الآخر : ورد لفظ السلطان بمعنى التسليط والقهر، فقد ورد هذا المعنى في غير آية ، منه قوله تعالى ((وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ)) (سبأ ٣٤ / ٢١) ، « أي : ما كان تسليطنا إياه عليهم ... إلا لنعلم ، لنرى ونميز المؤمن من الكافر» (١٠) ، ومثله قوله تعالى:((وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ)) (إبراهيم ١٤/ ٢٢) ، أي ما كان لي عليكم « من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها ... إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني ، وليس الدعاء من جنس السلطان ، ولكنه كقولك : ما تحيتهم إلا الضرب » (١١) ، ومنه قوله تعالى:

((لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)) (٣٣/٥٥) « أي حيث توجهتم فثم ملكي ولا تخرجون من سلطاني فأنا آخذكم بالموت»(١٢) وقال الزمخشري« يعني بقوّة وقهر وغلبة ، وأنى لكم ذلك»(١٣) ، وفي الاستعمال القرآني لهذين المعنيين يمكن القول : إن لفظ (السلطان) أكثر ما استعمل في القران الكريم بمعنى الحجة والبرهان ، وجاء بمعنى القهر والتسلط والقوة على نحو أقل ، ولم يأت استعمال لفظ (السلطان) في القرآن الكريم بمعنى (الحاكم) ، وهو القائم على أمور العباد والبلاد ، وقد أعرضت عنه ؛ درءا للإطالة ، ويمكن الرجوع إلى هذين المعنيين في كتب الأشباه والنظائر ونحوها (١٤) .

المطلب الثاني: الانسجام الدلالي والبناء التركيبي في نسق الآية القرآنية:

((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ))(الرحمن/٣٣)مما يلحظ في نظم آية الرحمن((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)) (٣٣/٥٥) أن المادة (سلط) جاءت على صيغة (فُعْلان) (سُلْطان) في سياق النفي بـ (لا) و (الا) ، والنفي بـ(لا) يدل على طول النفي ودوامه واتساعه ، والنفي بـ (لا)« سلط على النسبة بين المسند والمسند اليه ، لا على المفرد الذي اتصلت (لا) به ؛ لأنه لا معنى لنفي القراءة (لا يقرأ زيد) وحدها»(١٥) ، فالنفي في قوله تعالى (لَا تَنْفُذُونَ) مسلط على نسبة الفعل وفاعله ، فهو يشمل الجملة كلها .

وورد نفي النفوذ في الآية في سياق الاستثناء المفرغ الذي يفيد القصر ، ودلالة القصر – هنا – تفيد نفي النفوذ كله إلا النفوذ بسلطان ، جاء في (المقتضب) « وانما احتجت إلى النفي والاستثناء لأنك إذا قلت (جاءني زيد) فقد يجوز أن يكون معه غيره ، فإذا قلت (ما جاءني إلا زيد) نفيت المجيء كله إلا مجيئه»(١٦) . وقال ابن يعيش « وفائدة الاستثناء في قولك :

ما قام إلا زيد اثبات القيام له ، ونفيه عمن سواه ، ولو قلت (قام زيد) لا غير لم يكن فيه دلالة على نفيه عن غيره»(١٧).

وقد أُثرت صيغة القصر بالنفي والاستثناء في الآية محل الحديث لمعنى الاختصاص ، جاء في دلائل الاعجاز « واعلم أنَّ قولَنا في الخبر إذا أخِّرَ نحو ما زيدٌ إلاّ قائم أنك اختَصَصْتَ القيامَ من بين الأوصافِ التي يُتوهَّم كونُ زيدٍ عليها ... فانما نعني أنك نفَيْتَ عنه الأوصافَ التي تُنافي القيامَ نحو أن يكون جالساً أو مضطجعاً أو مُتَكئاً أو ما شاكلَ ذلك»(١٨)فقوله تعالى:

((لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)) نفي لدلالة النفوذ بأي شيء سوى السلطان .

واللطيفة الأخرى في إيثار صيغة النفي والاستثناء هو أنَّ الخبر بالنفي والإثبات يكون ينكره المخاطب ويشك فيه ، فإذا قلت : ما هو إلا مصيب ، أو ما هو إلا مخطيء ، قُلتَهُ لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته ، وإذا رأيت شخصاً من بعيد فقلت : ما هو إلا زيدٌ ، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنَّه ليس بزيد ، وأنَّه إنسان آخر ، ويُجِدُّ في الإنكار أن يكون زيداً (١٩). ونقل السيوطي في (الاتقان) قول الرماني « معنى (الا) اللازم لها الاختصاص

بالشيء دون غيره»(٢٠) ، ففي قوله تعالى:
((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)) أن النفوذ اختص بالسلطان وحده . ويلاحظ ايضا أن النفي جاء بـ (لا) في الآية الآنفة الذكر دون غيرها من أدوات النفي ، إذ إن النفي بها يدل على طول النفي ودوامه واتساعه (٢١) وهذا مناسب لما الآية بصدده من نفي الفرار من قبضته تعالى ، وكما في قوله تعالى «ما لكم من الله من عاصم» ، وقوله تعالى ((وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأرض وَلاَ فِي السماء)) (العنكبوت ٢٢/٢٩)) وقوله تعالى:
((لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ))(النور٢٤ / ٥٧) فكما أنهم يستحيل عليهم الفرار من قبضته في دار الدنيا فمن الأولى عدم ذلك في الآخرة ، وقوله تعالى:((فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ)) وقوله تعالى:
((إِن كُلُّ مَن فِي السَّماوتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ ءَاتِى الرَّحْمنِ عَبْدًا(٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً))(مريم:١٩/ ٩٣-٩٤)« فلا هم يستطيعون الفرار من حكومته ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم»(٢٢)، وكما قال الإمام علي(عليه السلام) في دعاء كميل بن زياد « ولا يمكن الفرار من حكومتك»(٢٣) .

وفي بيان المعنى العام لقوله تعالى:((لا تنفذون إلاّ بسلطان)) « بيان للتعجيز الذي في الجملة قبله فإن السلطان : القدرة ، أي لا تنفذون من هذا المأزق إلا بقدرة عظيمة تفوق قدرة الله الذي حشركم لهذا الموقف ، وأنّى لكم هاته القوة . وهذا على طريق قوله تعالى:((وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون)) [الشعراء : ٢١٠ ، ٢١١] ، أي ما صعدوا إلى السماء فيتنزّلوا به»(٢٤). « يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا»(٢٥) ، وهذا المعنى يتلائم مع ما ورد من أحاديث في الآية محل الحديث فضلا عن الجو العام للآية وما يعضده من آيات أخرى ، ومن جملتها ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) حيث يقول « إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد ، وذلك أن يوحي إلى السماء الدنيا أن اهبطي بمن فيك ، فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجنّ والإنس والملائكة ، ثمّ يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين ، فلا يزالون كذلك حتّى يهبط أهل سبع سماوات فتصير الجنّ والإنس في سبع سرادقات من الملائكة ثمّ ينادي مناد (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبع أطواق من الملائكة»(٢٦) . وإلى ذلك ذهب الرازي بقوله « أن نفوذهم إشارة إلى طلب خلاصهم فقال: لا تنفذون من أقطار السموات لا تتخلصون من العذاب ولا تجدون ما تطلبون من النفود وهو الخلاص من العذاب إلا بسلطان من الله يجيركم وإلا فلا مجير لكم ، كما تقول : لا ينفعك البكاء إلا إذا صدقت وتريد به أن الصدق وحده ينفعك ، لا أنك إن صدقت فينفعك البكاء « (٢٧).وهذا التفسير – بادلته ومؤيداته - يكبح جماح الرأي المتهافت الذي يذهب اليه من لا علم له ويسوق آراءه كما اتفق له ((بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)) (الحج /٨).

وذلك بأن الآية تشير إلى الوصول إلى السماء بدعوى أن المراد بالسلطان في الآية هو هذا العلم الحادث الذي من نتائجه الصواريخ والأقمار الصناعية . وهذا الرأي – كما ألمحت - مردود ، إذ لا دلالة في الآية على أنهم ينفذون بذلك العلم من أقطار السموات والأرض من أوجه :

الأول: إن معنى الآية الكريمة هو إعلام الله جل وعلا أنهم لا محيص لهم ولا مفر عن قضائه ونفوذ مشيئته فيهم ، وذلك عندما تحف بهم صفوف الملائكة يوم القيامة ...

الوجه الثاني : أن الجن أعطاهم الله القدرة على الطيران والنفوذ في أقطار السموات والأرض ... وإنما منعوا من ذلك حين بعث صلى الله عليه وسلم ... فالجن كانوا قادرين على بلوغ السماء من غير حاجة إلى صاروخ ولا قمر صناعي فلو كان معنى الآية هو ما يزعمه أولئك الذين لا علم لهم بكتاب الله لم يقل جل وعلا يا معشر الجن لأنهم كانوا ينفذون إلى السماء قبل حدوث السلطان المزعوم .

الوجه الثالث : أن العلم المذكور الذي لا يجاوز صناعة يدوية على الله جل وعلا من أن يطلق عليه اسم السلطان ؛ لأنه لا يجاوز أغراض هذه الحياة الدنيا ولا نظر فيه ألبتة لما بعد الموت ...

مفهوم السُّلطان في الْقُرآنِ الكَرِيْم دِراسَة تَرْكيبية دِلاليّة

الوجه الرابع :«أنا لو سلمنا تسليماً جدلياً أن ذلك المعنى المزعوم كذبا هو معني الآية فإن الله أتبع ذلك بقوله { يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ } (الرحمن : ٣٥) الآية ، فهو يدل على ذلك التقرير على أنهم لو أرادوا النفوذ من أقطارها حرقهم ذلك الشواظ والنحاس»(٢٨).

ويمكن أن يضاف إلى ذلك كله _ فيما يراه الباحث _ بأن ما ذهب إليه المتطفلون على كتاب الله بدعوى أن الآية فيها إشارة إلى ما بيد الإنسان المعاصر من وسائل نقل جوية ، فهم يرون أن في الآية دلالة على صناعة الطائرة ونحوها ، فالآية وإن كانت في معرض التعجيز ، كقوله تعالى: ((أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ))(الطور /٣٨) ، وقوله تعالى: ((وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ)) (الانعام /٣٥) بيد أن هذا التعجيز متعلق بالآخرة ، وهو من شأنياتها وليس مما هو متعلق بدار الدنيا ألبتّة .ويضاف أيضا أن القرآن نزل بلغة عصره ومعانيه التي تخلو من واقع الصناعات الحديثة-الموصوف حال زمانها بالمتطور-، فقد اهتم بشأن الزراعة كثيرا لعامة الناس قال تعالى:((أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤))) (الواقعة ٦٣_٦٤) ، والآن الزراعة يعمل بها أناس قليلون تتوفر لديهم الآلات الحديثة (المكننة) والاسمدة ما يغنيهم عن اليد العاملة الكثيرة ، وكذلك اهتم القرآن بالوقود المتمثل بالحطب ، قال تعالى ((أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣))) (الواقعة /٧١_٧٣) ، واليوم الناس تستعمل النفط والغاز في طهي طعامها وإنارتها وتدفئتها ، واهتم بالخضرة (الزينة) ، والناس اليوم تهتم بالعمرآن وتعبيد الشوارع ورفع الأشجار والأنهر والجداول والسواقي والروافد ، قال تعالى ((إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا)) (الكهف/٧) ، ومن معاني القرآن استعمال آلة السيف للقتال ، قال تعالى: ((فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ))(الأنفال/١٢)،واليوم آلة الحرب الأسلحة الحديثة الفتاكة بدأ من السلاح الخفيف ومرورا بالدبابات والطائرات المقاتلة وانتهاء بالأسلحة النووية ونحوها.وتحدث عن الخيل والبغال والحمير وسيلة للركوب وزينة ، وأثنى عليها ، قال تعالى ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣)))
(يس/ ٧١_٧٣)، واليوم يعج العالم بوسائل نقل حديثة لا حد لها ولا عد ، والقرآن تحدث عن واقع الناس لا يشغلهم شأن الكتابة وتعلمها ، قال تعالى ((وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ)) (البقرة /٢٨٣)، واليوم الناس الكتابة من شأنياتهم التي لا تتخلف عنهم ، وغير ذلك مما يطول به المقام ، والمحصلة كيف خرجت آية السلطان _محل الحديث_ وحدها عن طبيعة القرآن ومعانيه ؟

ويمكن القول : إذا قيل : إن الآية تشير إلى المركبات الفضائية والطائرات فإن ذلك معناه إثبات النفوذ في أقطار السماوات والأرض بهذه الوسيلة ، وهذا يتعارض مع مطلع الآية الذي يشير إلى احكام القبضة على الثقلين(الأنس والجن)، قال تعالى ((سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ))(الرحمن /٣١)،وقال تعالى عقب ذلك جزاء التكذيب ((يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ))(الرحمن /٣٥) ، ووجه التعارض هنا في السؤال التالي : كيف يتوعد الله تعالى بالعذاب ، ثم يستثني من العذاب من استطاع أن ينفذ بواسطة هذه الوسائل ، وهو العليم بما سيؤول إليه الناس من أحوال مختلفة ؟ويضاف أيضا: أن المعول عليه-على نحو التعجيز- في بلوغ السماء في القرآن الكريم هو السُّلَّم ، قال تعالى :((وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ)) (الانعام /٣٥) فالنص أيا كانت دلالته تأديبا أو عتابا أو تسلية عما كان يفعل المشركون من السعي في إبطال الآيات ولم يكن اتخاذ السلم على وجه الحقيقة ولكن هذه الوسيلة -السلم- غاية ما بوسع البشر استعماله للوصول إلى السماء بلغة القرآن ، وعليه يمكن القول في نقض الادعاء الباطل : إن دلالة السلطان على وسائل النقل الحديثة تتعارض مع معاني القرآن وموضوعاته فيما يتعلق بجهة الوصول إلى السماء فغاية ما

يوصل الأنسان إلى ذلك المكان هو السلم . وبعبارة أخرى لو قلنا : إن السلطان في آية الرحمن بمعنى المركبة التي تجوب الفضاء ، فكيف لنا أن نفهم استخدام القرآن لوسيلة أخرى للوصول إلى ذلك الفضاء ، مع كون هذه الأخيرة وسيلة تنم عن العجز وعدم المقدرة ، فضلا عن كونها غير مجدية للوصول إلى ذلك الهدف وهو السماء .

وثمة توجيه آخر للآية لا يتزاحم مع ما ذكر آنفا وهو أن السماء التي تجوب فيها المركبات الحديثة هي السماء الدنيا وهي في متناول أيدي البشر إذ تصل اليها طائراتهم ومركباتهم ، على حين أن الدليل يمنع اعتبار السماء المشار إليها في سورة الرحمن – السماء الدنيا ؛ لأن هذه الأخيرة في متناول أيديهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ))(الأعراف/٤٠)،فالسماء في الآية ليس للبشر قابلية على الوصول إليها فضلاً عن ولوجها والدخول فيها .

الخاتمة والنتائج:

في دراسة لغوية لبعض مستويات الدرس اللغوي ،وفي نظرة شاملة لجميع تصريفات مادة (سلط) ضمن النص القرآني جعلت الباحث يقف على كثير من الأمور التي لها علاقة بالكشف عن جمال التعبير القرآني ، ودقته ولطفه في استعمال لفظ ما في موطن معين ، وفي سياق خاص ، وفي شيوعه في موضع معين دون موضع هذا كله من جهة ، والوقوف على ملابسات التفسير من جهة أخرى ، وهذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث :

١.استعمل القرآن الكريم مادة (سلط) بصيغ معينة، وهي صيغة (فَعْلان) (سلطان) ، وصيغة (فعَّلَ) (سَلَّطَ) ، وصيغة (يُفَعِّلْ) (يُسَلِّط) ، إذ لم ترد لهذه المادة صيغ أخرى _ قد وردت في الاستعمال الجاهلي ، كما وردت في المعجم _ نحو صيغة (فَعَالَة) سَلاطَةٌ ، بمعنى القهرُ. وصيغة الفعل الماضي (تَفَعَّلَ) تَسَلَّطَ . وصيغة الاسم السُلْطَة على وزن فُعْلَة . وصيغة (فَعِيْل) نحو سَليطٌ أي فصيحٌ حديدُ اللسان ، ونحو سَليطَة بمعنى صَخَّابَة ، وصيغة (فِعْلَة) السِلْطَةُ : السهمُ الطويلُ، وغيرها من الصيغ (٢٩)، ويُعزى سبب عدم استعمالها أن شيئا من دلالاتها لم ينفع في تأدية معاني القرآن الكريم .

٢.إن حمل دلالة السلطان في سورة الرحمن في القرآن الكريم على وسائل النقل الحديثة عار عن الصحة وتخبط بلا دليل ، لاسيما أن الصناعات الحديثة ضرب من التكلف المنهي عنه ، قال تعالى ((وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ))(ص/٨٦) ، فضلا عن كون ضررها أكبر من نفعها في أصل وجودها لا بحسب الضرورة وحاجة الناس إليها ، والاحتكام إلى قاعدة النفع والضرر في الأسلام أمر مستحكم ، قال تعالى ((وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)) (البقرة / ٢١٩) .

٣.لم يرد استعمال صيغة (السلطان) في القرآن الكريم بدلالة الحاكم .

٤. اختص الاستعمال صيغة السلطان على معنيين فحسب ، ومهما السلطان بمعنى الحجة والسلطان بمعنى القدرة .

٥.الغالب في استعمال مادة (سلط) على صيغة (فُعلان) (سلطان) ووردت مرتين بصيغتين مختلفتين (سلَّط) و (يُسلِّط) .

٦.الغالب في استعمال صيغة السلطان بمعنى الحجة .

٧.تنوع الاستعمال القرآني لصيغة السلطان في مواطن متعددة ومختلفة بحسب السياق ، فبعض استعمالاتها ورد في سياق الدنيا ، والبعض الآخر في سياق الآخرة ، كما بعضها جاء على لسان رب العزة ، وبعضها الآخر على لسان الانبياء ، وبعضها ورد على لسان المؤمنين ، وبعضها على لسان الكافرين ، كما وردت على لسان ابليس .

٨.الغالب في استعمال صيغة السلطان في سياق الكافرين .

٩.الغالب في استعمال صيغة السلطان في السور المكية ، ونزر قليل في السور المدينة ، وربما ، يُعزى سبب ذلك إلى طبيعة النزول المكي ، كونه متعلقاً بالدعوة والعقيدة التي من شأنها الحاجة إلى الحجة والبرهان ، وقد عبر عن ذلك بلفظ السلطان .

١٠.الملاحظ في استعمال صيغة السلطان مجيؤها في كلّ القرآن الكريم نكرة من دون إلحاق (ال) التعريف بها ، كما أنها لم ترد معرفة بالاضافة إلا في موردين ، أحدهما : حكاية عن لسان الكافر في الاخرة ، والآخر : في سياق الحديث عن

مفهوم السُّلطان في الْقُرآنِ الكَرِيْمِ دِراسَة تَرْكيبية دِلاليّة

المشركين .
١١.الغالب في وصفه بـ(مبين) او (بيِّن) .
١٢.عدم خروج مادة (سلط) في الاستعمال القرآني عن الدلالة المعجمية .

الهوامش:

(١) مقاييس اللغة :١ / ٥٦٧ .
(٢) الصحاح في اللغة ١ / ٢٠٩ .
(٣)الفروق اللغوية : ١/ ٢٨٢ .
(٤) الفروق اللغوية : ١/ ١٠٨ .
(٥) الكليات : ١/ ٧٧٨ .
(٦) الكشاف : ٢ / ٣٣٠ .
(٧) تفسير الطبري : ٨/ ٢٦٢ .
(٨) تفسير القرطبي : ١٨/ ٢٣٧ .
(٩) ينظر : تفسير الطبري : ٢٩/ ٧٤ .
(١٠) معالم التنزيل :٦/ ٣٩٧ .
(١١) تفسير الكشاف ٢/ ٥٠٣ .
(١٢) مجمع البيان : ٩ / ٢٦٢ .
(١٣) تفسير الكشاف ٤/ ٣٠٩ .
(١٤)ينظر : الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : ١/ ٤٣ .
(١٥)في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٤٨ .
(١٦) المقتضب : ٤/ ٣٨٩ .
(١٧) شرح مفصل الزمخشري :٢/ ٨٧ .
(١٨) دلائل الإعجاز : ٣٢٧ .
(١٩) ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٥٥ .
(٢٠) الإتقان في علوم القران :١ / ١٩٩ .
(٢١) بدائع الفوائد : ١/ ٩٧ .
(٢٢) الأمثل : ٩ / ٣٦١ .
(٢٣) مصباح المتهجد : ٣٣ .
(٢٤) التحرير والتنوير : ١٤/ ٢٩٩ .
(٢٥) لباب التأويل : ٦/ ٢٧ .
(٢٦) تفسير مجمع البيان : ٩/ ٢٦٢_ ٢٦٣ .
(٢٧) التفسير الكبير ومفاتح الغيب : ٢٩/ ١١٤ .
(٢٨) أضواء البيان : ٥/ ١٦٠ .
(٢٩) ينظر : الصحاح في اللغة : ١/ ٣٢٥ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم
١.الإتقان في علوم القرآن : ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) ، البابي الحلبي ، ط ٣ ، ١٩٥١ .
٢.الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠ هـ) ، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالله محمود شحاتة ، مطابع الهيئة المصرية .
٣.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنفيطي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
٤.الامثل:الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان ، ط ٢ ، (د . ت) .
٥.بدائع الفوائد : ابو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .
٦.تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ ، أو ٣٩٨ ٥) ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، (د . ط) ، ١٢٨٢ ٥ .
٧.التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د . ط) ، (د . ت) .
٨.التفسير الكبير ومفاتح الغيب : الأمام محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين ، دار الفكر ، بيروت _ لبنان ، ط ١ ، ١٩٨١ .
٩.جامع البيان عن تأويل القرآن : الإمام أبو جعفر أبو محمد بن جرير الطبري ، ضبط وتعليق محمود شاكر الحرستاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان ، ط ١ ، (د . ت) .
١٠.الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ط٣ ، ١٩٦٣ م .
١١.دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني، تعليق وشرح عبد المنعم خفاجي ، مكتبة سعد الدين ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٧ .
١٢.شرح المفصل الزمخشري : موفق الدين ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) ، صححه وعلق عليه مشيخة الأزهر ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، (د . ط) ، (د . ت) .
١٣.الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم المشرفة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
١٤.في النحو العربي نقد وتوجيه : د. مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، (د . ط) ، ١٩٦٤ م .
الكشاف : الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار الحديث ، القاهرة ، (د . ط) ، (د . ت) .
١٦.كليات : أبو البقاء الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ) ، بولاق ، ط٢ ، (د. ت) .
١٧.لباب التأويل في معاني التنزيل : للإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ط) ، ١٤١٥هـ .
١٨.مجمع البيان في تفسير القران : ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار العلوم ، بيروت _ لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٥ .
١٩.مصباح المتهجّد : لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (ت ٥٤٦٠) ، تحقيق : عليّ اصغر بروارید ، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ ٥ .
٢٠.معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ ٥) ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٤ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
٢١.مقاييس اللغة : أبو الحسين احمد بن فارس (٣٩٥هـ) ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط ٣ ، ٢٠١١ .
٢٢.المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد المبرد(٢٨٥ هـ) ، تحقيق : حسن حمد ، ومراجعة د . أميل بديع ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ _ ١٩٩٩ .

مفهوم السُّلطان في الْقُرآنِ الكَرِيْم دِراسَة تَرْكيبية دِلاليّة

أهمية القراءات عند ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)

م. م. رويده عبد الكريم جاسم عودة
وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة
بغداد / الرصافة الثالثة

الملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على علم القراءات الذي يعرف به كيفية نطق كلمات القرآن الكريم، وكذلك طرائق أدائها سواء كانت باتفاق أو اختلاف، مع إرجاع كلّ وجه من وجوة تلك القراءات إلى صاحبها ، وهذا ما جعل ابن قتيبة يبذل جهده في دراسة القراءات عندما شاع اللحن. وحصر ابن قتيبة الخلاف في القراءات في سبعة أوجه. والشرط في كل قراءة أن تكون صحيحة السند الى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أو آل البيت (عليهم السلام) وموافقة خط المصحف ولو تقديراً، وموافقة العربية ولو بوجه .

ABSTRACT:

This research sheds light on the science of readings by which he knows how to pronounce the words of the Noble Qur'an، as well as the methods of their performance، whether they are in agreement or disagreement، with the return of every aspect of those readings to its owner، and this is what made Ibn Qutayba make his effort to study the readings when the melody became popular. And limited Ibn Qutayba disagreement in the readings in seven aspects. The condition in every recitation is that the chain of transmission to the Messenger of God (may God bless him and his family) or Ahl al-Bayt (peace be upon them) be correct، agree with the handwriting of the Qur'an، even if it is in appreciation، and agree with Arabic، even if only partially.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان علّمه البيان والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد(صلى الله عليه وآله) الذي أُوتي جوامع الكَلِم واللسان، وعلى آلِهِ أرباب الفصاحة والبيان.

تعد القراءات جزءاً لا يتجزأ ، فلا يشك باحث مهما كانت مرتبته أنّ القرآن الكريم مصدر ثري ومرجع لكل لغوي أو أديب أو نحوي، وذلك لبلاغته، وفصاحته وثبوت تواتره فكان ولايزال وسيبقى محطّ أنظار الدّارسين عرباً وعجماً، فهو السبيل لمن أراد الحقيقة وجدَّ في طلبها، قال تعالى:((وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) (فصلت: ٤١-٤٢).

ابن قتيبة، هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد ، المروزي ، الدينوري ، الكوفي(١) ولد سنة(٢١٣هـ)، وأغلب المصادر تشير إلى أنه ولد بالكوفة(٢)،فلقب بالكوفي لهذا السبب، وذهب إلى هذا الرأي بعض الباحثين منهم بروكلمان وجرجي زيدان(٣).

وآخرون ذهبوا بأنَّ مولده كان ببغداد(٤)، وبعض الباحثين وافق قول القدماء هذا كابن خلكان وخير الدين الزركلي(٥). وقد قيل إنَّه من أهل مرو، أو إنَّ أباه مروزي(٦). ويسمى بالدينوري نسبة إلى مدينة الدينور من مدن الجبل(٧). وتولى القضاء فيها، فنسب إليها وهو ليس من أهلها(٨). وتوجد رواية انفرد بها السمعاني تقول: إنه من أهل الدينور وسكن بغداد(٩).

لكن الراجح أنه ولد بالكوفة. وأقام بها مدة قصيرة ثم انتقل إلى بغداد وقضى أكثر حياته فيها ، ودرس وتثقف على يد أبرز علمائها(١٠). كان ابن قتيبة منذ شبابه ذا نفس تواقة الى المعرفة وقد اقتضاءه ذلك أن يغشى مجالس علماء الحديث والتفسير والنحو والفقه والكلام، والأدب والتاريخ، فغشى ما غشى وتثقف عنهم ما تثقف مما هيأ له من وسائل التفوق ، فكان (عالما في اللغة والنحو والشرع متفنناً بالعلوم) (١١). والمعروف انه كان جريئاً في قول الحق (١٢) .وقد تتلمذ على يد أعلام عصره وأخذ عن كثير من أعيانه فمنهم والده(مسلم بن قتيبة)

وعن محمد بن سلام الجمحي البصري وغيرهم..
أما وفاته فقد أجمعت المصادر على أنَّه : ((أكل هريسة فأصاب حرارة ، ثم صاح صيحة شديدة ، ثم أُغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر ، ثم اضطرب ساعة ، ثم هدأ ، فما زال يتشهد إلى وقت السحر ، ثم مات))(١٣) رحمهُ الله سنة(٢٧٦هـ).

مؤلفاته

وقد صنف الكثير من المصنفات ، زادت على ثلاثمئة كتاب ،والكثير منها عُنيَ بالقراءات القرآنية، فكانت جهوده واضحة في الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن من خلال إيضاح قراءاتهِ الصحيحة. ومن مؤلفاته:

-غريب القرآن.
-تأويل مشكل القرآن .
-الاختلاف في اللفظ والرد على الجهميَّة والمشبِّهة .
- إصلاح غلط ابي عبيد .
- أدب الكاتب أو أدب الكتاب.
-تأويل مختلف الحديث .
-تأويل مشكل القرآن.
-تفسير غريب القرآن.
- تلقين المتعلم في النحو.
-عيون الأخبار.
-القراءات .
-المسائل والأجوبة في الحديث واللغة .
- المعارف.
- المعاني الكبير في أبيات المعاني.

اهتمامه بالقراءات

من أسباب اهتمام ابن قتيبة بالقراءات هـــي:

-فشو اللحن.
-ضعف الملكات في اللغة العربية.
-ظهور الإلحاد.
-مخالفته للمعتزلة في المذهب.

وهذا ما ذكره في كتابه المعروف(تأويل مشكل القرآن) ولذلك وجدنا إنه يستحق منا الدراسة . وسنتطرق في بحثنا إلى التعريف بالقراءات لغةً واصطلاحاً ، وأهميتها وأوجه القراءات عند ابن قتيبة إذ يرى ابن قتيبة أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعاينها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد، والاستعارة إلى الشيء ، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليها الا اللقن. وكما معروف أن ابن قتيبة موسوعة عصره وأحد أوعية العلم وتتجلى اهتماماته وجهوده للقراءات لاتصالها بالقرآن الكريم، الذي هو كلام الله تعالى فكثير من المعاني تتضح عند معرفة اختلاف أوجه القراءات وقد ذكر ابن قتيبة رحمه الله في مقدمة كتابه تأويل مشكل القرآن :أن فضل القرآن لا يعرفه إلا ((من كثُر نظرهُ ، واتسع علمُه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات ،فإنه ليس في جميع الأمم أمه أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ،ما أوتيته العرب...))(١٤).

والمتتبع للأحاديث والنصوص الواردة بخصوص نزول القرآن يجد أن نزول القرآن على سبعة أحرف لم يكن من أول وهلة، فمن الظاهر أنه نزل بلغة قريش أولاً وهي أحد الاحرف السبعة أي (القراءات) وقد تجنب ابن قتيبة الغوص في الخلافات في القراءات القرآنية وهذا راجع الى تعمده اجتناب الغوص في التفصيلات ،والاسانيد . وتميز ابن قتيبة في منهجة عن مناهج علماء عصره لذلك أثنى عليه الكثير من العلماء، ووصفوه بما يليق به من العلم والفضل والثقة والديانة، وربما كان ابن النديم من أوائل الذين أثنوا عليه حين قال: (كان ابن قتيبة: صادقاً فيما يرويه، علماً باللغة والنحو ، وكتبه مرغوب فيها)(١٥).

وخلاصة ما تقدم نحاول ولو بشيء ميسر أن نبيّن ان ابن قتيبة عنُي بكل ما يخص القرآن الكريم بصورة عامة والقراءات بصورة خاصة فهي المرآة التي تعكس الواقع اللغوي السائد في شبة الجزيرة قبل الإسلام لكونها تشتمل على كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم وكيفية كتابة الألفاظ ومواضع اتفاق واختلاف نقلة القرآن وتمييز ما صح منها ومالم يصح، ولأن علم القراءات مشتمل على بعض العلوم أيضاً ،

كالتجويد، ومباحث كثيرة من شتى علوم القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية وغيرها(١٦).

ونحاول بشيء ميسر أن نبرز أهمية القراءات عند ابن قتيبة فقد الف ابن قتيبة كتاباً عرف بعناوين عديدة فسماه ابن قتيبة (وجوه القراءات)(١٧)،وسمّاه غيره من العلماء : إعراب القراءات أو مشكل القراءات أو القراءات ، أو أدب القراءة(١٨).

المبحث الأول

مفهوم القراءات وأهميتها:

أولاً: القراءات في اللغة

القراءات جمع قراءة، وهي مصدر الفعل قرأ، يقال قرأ، يقرأ، قراءة ،وقرآناً بمعنى تلا فهو قارئٌ(١٩).(وقرأ الكتاب قراءةً، وقرآناً، تتبع كلماته نظراً ونطق بها وتتبع كلماته ولم ينطق بها)(٢٠).ويختلف معنى القرآن والقراءة، فمعنى القرآن هو الجمع وسمي قرآنا لأنه يجمع سور القرآن فيضمها.

ثانياً: القراءات في الاصطلاح

عرفها القراء بتعاريف متعددة ومختلفة، ولعل تعريف الإمام الجزري لها من أحسن التعاريف جمعاً وشمولاً ،فقد عرفها بقولهِ:(علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة)(٢١).

وعرّفها الشيخ عبدالفتاح القاضي بقوله:((هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية ، وطريق أدائها اتفاقاً، واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله))(٢٢).

وعرفها الزركشي: ((القرآن هو الوحي المنَّزل على محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها))(٢٣).

ولقد مرت القراءات القرآنية بمراحل متعددة بدءاً من حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما أنزل القرآن على سبعة أحرف، ليقرئ كل قبيلةٍ على حرفها ولغتها ثم نقلها الصحابة ومن ثم تلقاها التابعون. وحُظيت القراءات القرآنية باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يومنا هذا. لأنها متعلقة بكتاب الله تعالى وهي أحد مزاياه التي اختصها الله تعالى به، إذ أنزله على وجوه القراءات المختلفة فجاء مُصَّرفاً على أوسع اللغات، تيسيراً للأُمة، ولما للقراءات من أثرٌ بالغٌ في استنباط المعاني، وأهمية في إبراز جانب من جوانب الإعجاز القرآني، نالت القراءات القرآنية اهتماماً وعناية من أبن قتيبة لها لاسيما أنه قد اتخذها أعداء الإسلام سبيلاً للطعن في هذا الدين ،فيقف أبن قتيبة مدافعاً عن الاسلام، ذاباً عنه من خلال الرد على أولئك المارقين في الدين، أو الملاحدة الشعوبيين وتكمنُ فائدة علم القراءات القرآنية في صَوْنُ الكلمات القرآنية من التحريف والتغيير، وكذا ففي اختلاف القراءات تسهيل على الأمة، واستنباط الأحكام الفقهية من تنوعها، وإن اختلاف القراءات القرآنية إنما هو اختلاف التّنوّع لا اختلاف التّضادّ، وحيث تصح القراءة، كقراءات القّراء السبعة، فإن لها من المعاني شيئاً عظيم الأثر، فهذه القراءات ترفع عن الأُمة الحرج وتخفف عنها. وقد قسمت القراءات الى ما هو صحيح وما هو شاذ.ومرت القراءات في بدايتها بمراحل للانتقال حيث كانت تعتمد على الرواية المشافهة من أفواه الصحابة الذين أخذوا القراءة عن رسول الله وبعد ذلك انتقلت من طور الرواية الى طور التدوين والتأليف .

وقد عقد ابن قتيبة أبواباً في كتابه للرد عليهم في وجوه القراءات، وما ادعوه على القرآن من اللحن وما تجلوه من التناقض والاختلاف بين آيه وما قالوه في المتشابه(٢٤).فكلام ابن قتيبة في القرآن فهو القول الفصل ويجب التمسك به (٢٥).

المبحث الثاني:

أوجه القراءات عند ابن قتيبة

اعتنى ابن قتيبة بالقراءات القرآنية في مباحثه اللغوية فقد احتجَّ بالقراءة المشهورة، والتي قرأ بها القراء السبعة واستدل بأصول القراءات والتي هي: صحة السند، وموافقة خط المصحف

ولو تقديراً، وموافقة العربية ولو بوجه ((إنّ كل ما كان منها موافقاً لمصحفنا، غير خارج من رسم كتابه جاز لنا ان نقرأ به))(٢٦).

فهو من المتقدمين الذين حصروا أوجهْ الخلاف في القراءات في سبعة أوجه، إذ خصص بابين كاملين للقراءات هما (باب الرد عليهم في وجوه القراءات (٢٧)، إي الرد على من أنكروا وجود هذهِ القراءات في القرآن الكريم أو الطعن في بعضها. و(باب ما ادّعي على القرآن من اللحن) (٢٨).

والأوجهْ التي حصرها ابن قتيبة- أوجه الخلاف في القراءات - هي سبعة أوجه.

الوجه الأول: الاختلاف في إعراب الكلمة ، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ}:(هود، :٧٨). أو (اطهرَ لكم).

{ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} (سبأ: ١٧)،وهل نجازي الا الكفور.

الوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} (سبأ : ١٩) وربنا باعَدَ بين أسفارنا. وقوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} (يوسف : ٤٥)، وبعد أمَهٍ.

الوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها ، نحو قوله تعالى: {وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا}(البقرة :٢٥٩)، أو ننشرها، ونحو قوله تعالى {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ} (سبأ : ٢٣) أو فرّغ.

الوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها ، نحو قوله تعالى: (إن كانتْ إلا زقيةٌ)(يس: ٢٩) أو {صَيْحَةً} (وكالصوف المنفوش) أو {تكونُ الجبالُ كالعهنِ المنفوشِ}(القارعة: ٥).

الوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى : (وطلع منضود) وفي موضع {وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ } (الواقعة:٢٩).

الوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله تعالى: {وَجاءتْ سَكْرَةُ الْمَوتِ بالْحقِّ} (ق:٩) ، وفي موضع آخر: (وَجاءتْ سَكْرَةُ الحق بالموت).

الوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى :(وما عملت أيديهم)، {ومَا عَمِلَتْهُ أيديهِيمْ} (يس:٣٥)، ونحو قوله تعالى: {إن الله هو الغَنِيُ الحميدُ}(لقمان : ٢٦)، أو (إن الغني الحميد).

ونلاحظ في رأي ابن قتيبة أمرين:

اولاً: أنه اقتصر على وجوه القراءات، دون التعرض الى أنواع الأداء في الوجوه السبعة ، مع أنه في آخر كلامه عاد الى فكرة التيسير فكان ذلك أن يُقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم، فالهُذلي يقرأ: (عتى حين) ، يريد (حتى حين)، لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ تِعْلمون، وتِعلمٌ، وتِسود وجوه بكسر التاء، وألم إعْهد إليكم بكسر الهمزة، والتميمي يَهمزُ، والقريشي لايَهمزُ، والاخر يقرأ (وإذا قيل لهم) و(غيض الماء) بإشمام الضم مع الكسر و(هذهِ بضاعتنا رُدت إلينا) بإشمام الكسر مع الضم، و(مالك لاتأمنا) (بإشمام الضم مع الإدغام) (٢٩)، ثم قال (أراد الله برحمتهِ ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات كتيسيره عليهم في الدين)(٣٠).

ثانياً: إنه لم يفرق بين القراءات المتواترة والقراءة الشاذة التي لم تعد تجوز القراءة بها بعد الاجماع على ما في دفتي المصحف، ومن هذهِ القراءات التي مثل بها في التقديم والتأخير المنسوبة إلى أبي بكر الصديق، وكذلك قراءة(زقية واحدة)

و(الصوف المنفوش) المنسوبة إلى ابن مسعود، و(طلع منضود) المروية عن أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب(عليه السلام).

وهذا التمثيل قد يوهم أن بعض قراء الصحابة يجيز إبدال كلمة في القرآن بكلمة مرادفه لها معنى، مثل قراءة (الفاجر) في مكان (الاثيم) وهو خطأ فاحش لم يقل به أحد ،وإنما كان الايهام ناتجاً عن سوء فهم ما رواه ابن الانباري في قوله: (إن ابن مسعود علّم رجلا: (أنّ شجرةَ الزقومِ طعامُ الاثيم) فقال الرجل(طعام اليتيم) فأعاد عليه عبدالله الصواب ، فأعاد الخطأ ،فلما رأى عبدالله أن لسان الرجل لا يستقيم على الصواب قال له: (أما تحسن أن قول طعام الفاجر؟)، قال :(بلى)، قال :(فافعل))(٣١).

ومن تأمل هذا الأثر يمكنه أن يقطع بأن كلمة (الفاجر) هنا لا تعد قراءة معتمدة، لأن الشرط الأول في كل قراءة (أ ن ت)كون مسندة الى رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وإنما أتت الكلمة هنا في سياق التعليم فهي تفسير لكلمة (الأثيم) ليفهم معناها من لا يستقيم لسانه على الصواب ومما يشهد لهذا المنحى أن الرواية نُسبت الى أبي الدرداء الذي كان يُقرئ رجلاً :(طعام الأثيم) فلما لم يفهم قال له: (طعام الفاجر) ولذلك فإن هذا النوع من روايات القراءات غير المرفوعة والتي وردت على سبيل التفسير والتبيين ليست من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، فهي على افتراض صحة نسبتها للصحابيين الجليلين، إنما جاءت على سبيل التمثيل والتفسير والتقريب وليست من القرآن الكريم(٣٢). وكان كثير التفحص في القراءات ففي قراءة ابن عباس ذكر ابن قتيبة (وقراءة ابن عباس هذه تخالف مذهبه في التفسير من كلِّ وجه)(٣٣) وعن قراءة حمزة في قوله تعالى : { ولا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض}(النور : ٥٧) قال:(كان يقرؤها بالياء (يحسبنَّ)...فلم اره يجوز لأنَّ العرب تخاطب شاهداً وتريد غيره غائباً كان أو شاهداً)(٣٤) وغيرها .

المبحث الثالث:

توجيه القراءات عند ابن قتيبة:

اهتم ابن قتيبة في توجيه نوعين من القراءات هما:

١ـ القراءات المتواترة: في غالب توجيهه للقراءات يقتصر على توجيه القراءات المتواترة، ومن أمثلته قوله تعالى: {والله أعلَمُ بما وضَعَتْ} (آل عمران : ٣٦)، في قراءة من قرأ بجزم التاء وفتح العين(٣٥)، مقدم ومعناه التأخير، كأنه: إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى، والله أعلم بما وضعت، ومن قرأ (والله أعلم بما وضَعْتُ) بضم التاء(٣٦)، فهو كلام متصل من قول أم مريم(عليها السلام).

٢ـ القراءات الشاذة: أحياناً يتطرق لتوجيه القراءة الشاذة مع توجيه للقراءات المتواترة، ومن أمثلته قوله تعالى: {كيف نُنْشِزهَا} (البقرة : ٢٥٩)، بالراء(٣٧)، أي نحييها ، يقال: أنشرَ الله الميت فَنشَر، وقال: {ثُمَ إذا شَاءَ أنشَرهُ} (عبس: ٢٢)، ومن قرأ (نُنْشِزُهَا) بالزاي(٣٨)، أراد: نحرك بعضها الى بعض ونزعجه، ومنه يقال: نَشَرَ الشيءُ، ونَشَزَت المرأَةُ على زوَجِها، وقرأ الحسن: (نَنشُزُها)(٣٩)، كأنه من(النشز عن الطَيَّ). إن الناظر في توجيه ابن قتيبة للقراءات المتواترة والشاذة يجد أنه قد اتَّكـأ في توجيهه على أُسس وأُصول متعددة ومتنوعة، هي على النحو الآتي:

الأصل الأول: القرآن الكريم وله صورتان:

الأولى: توجيه القراءة بآية من القرآن، ومنها قوله تعالى:{طلحٍ منضودٍ}[الواقعة: ٢٩]، وكان بعض السلف يقرأه: (وطلعٍ منضودٍ) واعتبره(٤٠) بقوله تعالى: {لها طلعٌ نضيدٌ} [ق: ١٠].

الثانية: توجيه القراءة بسياق الآية، ففي قوله تعالى قال: {واعتدت لهن مُتكئاً}، (متكئاً) أي طعاماً، يقال: اتكأنا عند فلان: إذا طعمنا، ومن قرأ (مُتَّكئاً) فإنه يريد: الأترُّج، ويقال الزُّمَاوَرْد، وأياً ما كان فإني لا أحسبه سمي متَّكئاً إلا بالقطع، كأنه مأخوذ من البتك، وأبدلت الميم

فيه من الباء، كما يقال: سَمَّدَ رأسهَ وسَبَّدَه...، ومما يدل على هذا قوله:{وءاتتْ كُلَّ واَحدةٍ منْهُنَّ سِكّيناً} [يوسف: ٣١]، لأنه طعام لا يؤكل حتى يُقطع(٤١).

الأصل الثاني:

السنة النبوية، ومن أمثلته: قوله عند قوله تعالى:{مُسَومّينَ} (٤٢)[آل عمران:١٢٥]، أي معلمين بعلامة الحرب، (وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لأصحابه يوم بدر: (تَسَوَّموا، فإن الملائكة قد تسَوَمَّتْ) ومَنْ قرأ (مُسَوَّمِين) بالفتح أراد: أنه فُعِل ذلك بهم..) (٤٣).

الأصل الثالث: أقوال الثقلين وأمثلته كثير فقد ذكر قراءات كثيرة عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) منها :(كان علي (عليه السلام) يقرأ: (لنُحَرِقنّهُ ثم لننسفنه في اليم نسفا))(٤٤)، وقوله :(روي أن علياً رحمه الله كان يقرأ مثال الجنة، أو أمثال الجنة. وهو بمنزلة مثل)(٤٥).

الأصل الرابع: اللغة العربية، وهي السمه البارزة في أصول توجيه ابن قتيبة للقراءات، إذ قلما وجَّه قراءة دون الاحتجاج لها باللغة العربية بأنواعها ، والتي منها:

١ـ الاحتجاج بأشعار العرب ونثرهم ففي تفسيره لقوله تعالى{كأنَّهمْ حُمُر مُسْتَنفْرةٌ} [المدثر: ٥٠]،قال:(ومن قرأ: (مُستَنفِرةُ) بكسر الفاء، أراد: نافرة. قال الشاعر(٤٦):

ارْبُط حَمِارَكَ إنّهُ مستنفِرٌ
في إثرِ أحمْرةٍ عَمْدانُ لِغُرّبَّ

ومن أمثلة احتجاجه بنثر العرب: تفسيره لقوله تعالى: {أمَّنْ لا يهِدِّي} [يونس : ٣٥]، (أراد: من لا يهتدي فأدغم التاء في الدال ومن قرأ (يهدي) خفيفة، فأنها بمعنى: يهتدي.

قال الكسائي: (يقول قوم من العرب: (هديت الطريق بمعنى: اهتديتُ))(٤٧).

٢ـ الاحتجاج بالنحو: ذكر ابن قتيبة في قوله تعالى: {تساءلونَ به ِوالارحَام} [النساء: ١]، (من نصب أراد :اتقوا الله الذين تساءلون به، واتقوا الارحام أن تقطعوها، ومن خفض أراد: الذين تساءلون به والارحام، وهو مثل قول الرجل: نَشَدتُكَ بالله وبالرحم)(٤٨).

٣ـ الاحتجاج بالصرف: ذكر ابن قتيبة أن (ومن قرأ: {وقرنَ في بُيُوتكُنَّ} [الاحزاب : ٣٣]بنصب القاف، جعله من القرار، وكأنه من(قرَّ يَقَرُّ) بفتح القاف أراد: «اقررنْ في بيوتكن» فحذف الراء الاولى ، وحوَّل فتحتها الى القاف، كما يقال: ظَلَنْ في موضع كذا، من «اظْلَنَ». قال الله تعالى: {فَظَلْتُم تَفَكَّهُونَ} [الواقعة: ٦٥]، ولم نسمع بـ(قَرَّ يَقَرُّ) إلا في قُرة العين، فأمَّا في الاستقرار فإنما هو (مرَّ يَقُرِ) بالقاف المكسورة ولعلها لغةٌ(٤٩).

أما منهج ابن قتيبة في نسبة القراءات الى قرائها فكان في نوعين:

النوع الأول: قراءات منسوبة ومعزوة إلى قرائها، وهذا النوع قليل بالنسبة لما أهمله من عزوه للقراءات الى قرائها، وبالنظر إلى هذا النوع نجد أن منها ما نسب الى الصحابة ، فعند قوله تعالى: {مستكبرينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ } [المؤمنون:٦٧]، ذكر ابن قتيبة (وقرأ ابن عباس: (تُهجِرون) بضم التاء وكسر الجيم)(٥٠).

ومنها ما نسب الى التابعين،ومن أمثلته في قوله تعالى: {سُكِرْت أبْصَارنُاَ} [الحجر: ١٥]، ذكر ابن قتيبة (وقرأ الحسن(سُكِرتْ) بالتخفيف، وقال سُحِرَتْ)(٥١).

ومنها ما نسب الى البلد، ففي قوله تعالى:(هنالك تتلوا كل نفس ما أسلفت)، ذكر ابن قتيبة (ومن قرأ (تبلوا) [يونس: ٣٠] بالباء أراد تختبر ما كانت تعمل ، وقال أبو عمرو: وتصديقها {يوم تبلى السرائر} [الطارق:٩]، وهي قراءة أهل المدينة(٥٢).

النوع الثاني: قراءات غير منسوبة ولا معزوة الى قرائها، بل يغلب عليها عدم التصريح بالقارئ، وهذا النوع هو الأكثر والأغلب في مضمونه، وقد تنوعت وتعددت عباراته في ذلك فتارة يكتفي بعبارة (قرأ) ومنها في قوله تعالى: { فَمَا اسْتَيْسَرَ

مِنَ الْهَدْيِ } [البقرة: ١٩٦]، وقد قرئ: { حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدِيُّ مَحِلَّهُ }(٥٣) بالتشديد، واحدةُ هديه، ثم يخفف فيقال: هَدْية(٥٤)، وتارة يكتفي بإبهام القارئ، فعند قوله تعالى: {أن يطوَّفَ بهما}(٥٥) [البقرة: ١٥٨]،قال: (وقرأ بعضهم: ((الا يطوف بهما)). وكقوله: (وكان بعض القراء يقرأ: {واذ قالَ ابراهيمُ لأبيهِ آزرُ} يرفع آزرَ على نية النداء كأنه {يا آزرُ أتتخذُ أصناماً آلهة}. وعلى هذه القراءة يجوز إن يكون دعاه إلى صفة كأنه قال: يا ضعيفُ أو يا جاهلُ إن كان ذمَّهُ... ويا مؤازري أو يا مصاحبي إن لم يكن ذمَّهُ...) (٥٦).

وفعل نفس الشيء في عدم التصريح عندما نقل عن الأئمة فمنهم من صرح باسمه، ومنهم من اكتفى بعبارة: (يقال)، (وبعض المفسرين)، و(روي في التفسير) (وقال المفسرون).أما من صرَّح باسمه ونقل عنه فهم قسمين:

الأول : من وجدت له مصدراً لأقوالهم .

الثاني: من لم أجد له مصدراً لأقوالهم.

وممن وجدت لهم مصدراً هم:

- الفراء(٢٠٧هـ) نقل عن كتابه (معاني القرآن) (٥٧).

-أبوعبيدة(٢١٠هـ)نقل عن كتابه(مجاز القرآن) (٥٨).

أما من لم أجد لهم مصدراً فهم :

-المازني (١٥٤ هـ).

-الكسائي (١٨٩هـ).

-ابو زيد بن ثابت الانصاري(٢١٥هـ).

الخاتمة:

تأتي أهمية توجيه ابن قتيبة للقراءات من قيمة مصادره، فمن تتبع ما ذكره ابن قتيبة في توجيه القراءات يجد أنه اعتمد في توجيهه بما عنده من ملكة علمية عالية، ومن خلال النظر في توجيه ابن قتيبة للقراءات لا تكاد تجد له اهتمام في تقديم أو تأخير قراءة على أخرى، وإن وجد له اختيار وهذا النادر فإنه يكون قد بناهُ على أسس وضوابط ولكن لا يلزم بها إلا إذا كان هناك التباس ومشاكلة قراءة بأخرى، ومن أمثلته قوله تعالى: {فاتخذتموهم سخرياً} [المؤمنون: ١١٠]، بكسر السين ، إي تسخرون منهم وسخريا بضمها: تسخرونهم، من السخرة(٥٩).

وكان ينقل ويرد وكما كان يتوافق مع بعض القرّاء والمفسرين ، فإنه اختلف معهم في بعض القراءات. ونراه أحيانا يوائم بين القراءات. فهو المتفحص في القراءات والتفاسير وليس الناقل.

والقيمة العلمية في توجيه القراءات تنبع من قيمة ابن قتيبة الذي يحظى بمكانة رفيعة، فهو من أئمة القراء المعتبرين وله الأقدمية والأسبقية.

الهوامش:

(١) ينظر: ابن حجر العسقلاني :١٦:٢٦ .باب :رفع الأصر عن قضاة مصر .
(٢) ينظر: الكامل في التاريخ : ٦: ٣٥٩.
(٣)ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية :٥٧٤ .
(٤)ينظر: انباه الرواة:٢:١٤٣، وتاريخ بغداد : ١٠: ١٧٠.
(٥)الاعلام للزركلي: ٤ : ١٣٧.
(٦) ينظر: تاريخ بغداد : ١٠ : ١٧٠.
(٧) ينظر: الأنساب للسمعاني : ٣٤٠ ، ٣٤١.
(٨) ينظر: الكامل لابن الأثير : ٧: ٤٣٨.
(٩) ينظر: الأنساب للسمعاني : ٣٤٠.
(١٠) ينظر: نزهة الالباء : ١: ١٥٩،والفهرست : ١: ١١٥.
(١١) تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان :٥٧٥.
(١٢)ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية : ٥٧٤.
(١٣) تاريخ بغداد : ١١: ٤١١،وتأويل مشكل القرآن : ١: ١٠ ،وعيون الأخبار : ١: ٣٤.
(١٤) تأويل مشكل القرآن: ١: ١٧.
(١٥) الشعر والشعراء: ١: ٥٠.
(١٦) ينظر :اللهجات العربية: ٨٣.
(١٧) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٦٤، غريب القرآن: ١٦.
(١٨) ينظر: ابن النديم في الفهرس: ٨٦، وفيات الاعيان: ٣: ٤٢.
(١٩) ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي: ٤٧.
(٢٠)المعجم الوسيط: ابراهيم مصطفى:٧٥٦.
(٢١) منجد المقرئين :لابن الجزري:٣، وفي القاموس المحيط(الناقلة) ضد القاطنين.
(٢٢)البدور الزاهرة:٢٠٥، عبدالفتاح القاضي.
(٢٣)البرهان في علوم القرآن:١: ١١٧.
(٢٤) ينظر :المصدر نفسه:٣٦ .
(٢٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن : ٨٠.
(٢٦) تأويل مشكل القرآن: ٤٢.
(٢٧) المصدر نفسه:٢٩ـ ٤٥.
(٢٨) المصدر نفسه: .
(٢٩) ينظر: النشر، ج١، ص٢٢ـ٢٣، لابن الجزري.
(٣٠) نفس المصدر: ٢٣.
(٣١)تفسير القرطبي: ١٦ : ١٤٩ و النشر: ج١ :٢٧.

(٣٢) ينظر: تفسير القرطبي: ج١٦:١٤٩.
(٣٣) المسائل والأجوبة :٢١٢.
(٣٤) المسائل والأجوبة : ابن قتيبة : ٢٢٥،٢٢٦.
(٣٥) وبها قرأ ابن كثير، ونافع، وابو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص بن عاصم، ينظر: المبسوط، ص١٦٢، للاصبهاني ٣٨١هـ.
(٣٦) تسكين العين، وبها قرأ: ابن عامر، ويعقوب، وعاصم برواية ابي بكر، ينظر: المصدر السابق.
(٣٧) بضم النون الاولى، وهي قراءة متواترة قرأ بها: ابن كثير، ونافع، وابو عمرو، وابو جعفر، ويعقوب ،وينظر: السبعة، ص:١٨٩، والنشر(٢/ ٢٣١)، والمبسوط: ص١٥١.
(٣٨) بضم النون، وهي قراءة عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، ينظر: المصادر السابقة.
(٣٩) بفتح النون الاولى وضم الشين والراء، وهي قراءة شاذة، وبها قرأ : ابن عباس، وابو حيوة، ينظر، المحرر الوجيز(٢/ ٤١١)، والقرطبي(٣/ ٢٨٠) والبحر المحيط(٢/ ٣٠٥).
(٤٠) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة، ص٤٧.
(٤١) ينظر: المصدر نفسة، ص:٣٠.
(٤٢)بكسر الواو، وهي قراءة ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ويعقوب برواية رويس، انظر، النشر(٢/ ٢٤٢).
(٤٣) غريب القرآن لابن قتيبة، ص:٢٤.
(٤٤)غريب الحديث: ٢: ١١٢.
(٤٥)تأويل مشكل القرآن: ١: ٥٧.
(٤٦)غريب القرآن:٤٩٨.
(٤٧) المصدر السابق:١٩٧.
(٤٨)غريب القرآن: ١١٨.
(٤٩) المصدر نفسة:٣٥٠، ٣٥١.
(٥٠) غريب القرأن:٢٩٩.
(٥١) المصدر نفسه:٢٣٦.
(٥٢) المصدر نفسه: ١٩٧.
(٥٣)ينظر: المصدر نفسه،:٧٨.
(٥٤)تأويل مشكل القرآن :١٣٩، غريب القرآن : ٧٨ وغيرها.
(٥٥) المصدر نفسه: ٦٦.
(٥٦) المسائل والأجوبة: ابن قتيبة: ٢٠٤.
(٥٧) ينظر: غريب القرآن: ٢٩ ،٦٧، ٥١ وغيرها .
(٥٨) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣، ٣٣ ، وتأويل مشكل القرآن : ٣٩.
(٥٩) ينظر: المصدر السابق:٣٦.

المصادر والمراجع:

١.ابن حجر العسقلاني.
٢.الأنساب لعبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني المروزي. (ت ٥٦٢هـ) ، تح: عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، ط: ١ ،مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م
٣.البحر المحيط لأثير الدين أبي حيان الاندلسي ت٥٧٤٥، الجزء الأول، تح: ماهر حبوش.
٤.البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي ت١٤٠٣ه.
٥.البرهان في علوم القرآن، للزركشي ت ٥٧٩٤ ، الجزء الأول.
٦.إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، أبو الحسن جمال الدّين عليّ بن يوسف القفطيّ . (ت٦٤٦هـ)، تح: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار الفكر العربيّ – القاهرة، ومؤسّسة الكتب الثقافيّة – بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٧.الأعلام ،خير الدين بن محمود بن محمد ، الزركلي الدمشقي . (ت: ١٣٩٦هـ) ، ط ١٥ ٢٠٠٢ م، دار العلم للملايين .
٨.تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان .
٩.تاريخ بغداد، العلاّمة أحمد بن عليّ بن ثابت المعروف بالخطيب البغداديّ (ت٤٦٢هـ)، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ – ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٠.تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، تأليف د. محمد المختار.
١١.تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة(ت ٥٢٧٦) ، شرحه ونشره(السيد أحمد صقر) ،ط :٢، دار البترات، القاهرة.
١٢.تفسير القرطبي، ت ٥٦٧١، تح: د. عبد الله بن عبد الحسن، الجزء الأول.
١٣.رأي ابن قتيبة في القراءات الموسوعة القرآنية، المكتبة الشاملة الحديثة.
١٤.الشعر والشعراء: ابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، ٥١٤٢٣.
١٥.عيون الاخبار ابن قتيبة، (ت ٥٢٧٦)،تح: منذر محمد سعيد، الجزء الاول.
١٦.غريب القرآن لابن قتيبة، (ت٥٢٧٦) تح : د. احمد صقر، دار طيبة الخضراء.
١٧.القاموس المُحيط، مَجد الدّين مُحمّد بن يعقوب الفيروز أباديّ الشّيرازيّ (ت٨١٧هـ)،مُحمّد نعيم العرقوسي، ط٨،- ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م.
١٨.قراءة في نحو القراءات من الفاتحة الى الكهف، دراسة دلالية إعداد حبيب بوسغادي، جامعة وهران، ٢٠١٢-٢٠١٣.
١٩.الكامل في التاريخ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني المعروف بابن الاثير (٥٦٣٠)،تح: عبد الله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية. ٥١٤١٥،بيروت.
٢٠.كتاب الفهرست لابن النديم، أبو الفرج مُحمّد بن اسحاق بن مُحمّد الورّاق البغداديّ المعروف بابن النديم (ت٤٣٨هـ)، إبراهيم رمضان، ط١، دار المعرفة للطّباعة والنّشر – بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢١.اللهجات العربية.
٢٢.المبسوط في القراءات العشر، لابي بكر الاصبهاني ت٥٣٨١، تح: ربيع حمزة.
٢٣.المحرر الوجيز للقاضي الاندلسي ت٥٥٤٦، تح: عبدالسلام عبدالشافي.
٢٤.المسائل والأجوبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (٥٢٧٦)، تح : مروان العطية، محسن خرابة ،دار ابن كثير ، ط: ١، ٥١٤١٠ -١٩٩٠م .
٢٥.المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيّات، وحامد عبد القادر، ومُحمّد النّجّار)، مجمع اللُّغة العربيّة بالقاهرة، دار الدّعوة.
٢٦.المقتبس من اللّهجات العربيّة والقرآنيّة، د. مُحمّد سالم محيسن، مؤسّسة شباب الجّامعة – ١٩٨٦م.

٢٧.المنار في علوم القرآن مع مدخل في اصول التفسير ومصادره، د. محمد علي الحسن، بيروت، ط١، ١٤٢١ه، ٢٠٠٠م.
٢٨.منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري ت٨٣٣ه، تح: محمد بن عبد الشباني، دار الصحابة.
٢٩.منهج ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن وأثره في الدراسات القرآنية، تأليف د. فادي بن محمود الريحانة.
٣٠.نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، عبد الرّحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ، أبو البركات، كمال الدّين الأنباريّ (ت٥٧٧هـ)، تح: د. إبراهيم السّامرائيّ، ط٣، مكتب المنار، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٣١.النشر في القراءات العشر، لابي الخير ابن الجزري ت٨٣٣ه، تح: علي محمد الصباغ الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.
٣٢.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن مُحمّد بن أبي بكر بن خلّكان (ت٦٨١هـ)، تح: مُحمّد عبد الرّحمن المرعشليّ، ط٢، دار إحياء التّراث العربيّ - بيروت - لبنان - ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

أسباب انهيار الحضارات في القرآن الكريم
سُوْرَة الْقَصَصِ أُنموذجاً / دراسة موضوعية

م. م .لمياء صاحب
جامعة الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)

الملخص :

يتضمن البحث في بيان أسباب انهيار الأمم والحضارات السابقة والتي هي الطغيان والتكبر والهيمنة والتي كانت واضحة في سورة القصص بين فرعون وقومه وقارون وأمواله، وكذلك اجريت مقارنة بين فرعون وأمريكا ، وذلك للشبه الكبير بين الماضي والحاضر، فقد تأثر المسلمون اليوم بالهيمنة الأمريكية، كما تأثر قوم موسى عليه السلام من المؤمنين بالهيمنة الفرعونية ، فيجب الاتعاظ من هذه القصص ونعلم ان الطغيان والتكبر هو السبب الرئيسي لغضب الله تعالى والفشل والانهيار وهو ما سنلاحظه في هذا البحث ولأنه عبارة عن فكرة جديدة. لخدمة النص القرآني وتجدده الزماني ـ والمكاني.

ABSTRACT:

The research includes explaining the reasons for the collapse of previous nations and civilizations، which are tyranny، arrogance and domination، which were clear in Surat Al-Qasas between Pharaoh and his people، Qarun and his money، as well as a comparison was made between Pharaoh and America، due to the great similarity between the past and the present. Moses، peace be upon him، is one of the believers in the pharaonic hegemony، so we must learn from these stories and know that tyranny and arrogance is the main cause of God's anger، failure and collapse، which we will notice in this research and because it is a new idea. To serve the Qur'anic text and its temporal and spatial renewal.

Keywordstyranny، arrogance، domination

المقدمة:

نحمد الله ونشكره على نعمائه التي لا تعد ولا تحصى ، الطغيان والاستكبار والترفع على الآخرين من المشاكل الواضحة في عصرنا الحالي ، إلا إن جذوره تمتد لمسافات قديمة عبر التاريخ ، فقد بين القرآن الكريم طغيان واستكبار الامم السابقة مع الانبياء السابقين وبين طرق الطغاة في التعامل مع الناس ، والذي أوصلها إلى التهلكة والخزي في الدنيا والآخرة .

طريقة الدراسة : بالاعتماد على المنهج الاستقرائي والوصفي وذلك بالاعتماد على الآيات القرآنية والتفاسير في بيان مصير الاقوام الطاغية مثل فرعون الذي طغى واستعلى على الناس وادعى بالألوهية وبينت مصيره مع جنوده العذاب الاليم والخزي ، وكذلك ماحل بقارون الذي استعلى على الناس بماله من خلال سورة القصص ، واجريت مقارنة بين زمن فرعون الذي طغى وبين أمريكا في الوقت الحاضر التي تظلم العالم الاسلامي وتؤذي الناس بحجة مكافحة الارهاب .

الهدف من البحث : إنّ لكل طاغٍ ومستكبر مصيره العذاب والذل والخزي في الدنيا والآخرة ، فيجب اخذ العبرة من قصص الأُمم الطاغية السابقة . هذا وقد اشتملت الدراسة على مبحثين

المبحث الاول : مفهوم الهيمنة والطغيان والتكبر

المطلب الأول : هيمنة ، طغيان ، تكبر

المطلب الثاني : أسباب التكبر والهيمنة

المطلب الثالث : الطغيان في الاستعمال القرآني جاء الطغيان في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه

المطلب الرابع: أساليب القرآن الكريم في التحذير من الطغيان والتكبر

المبحث الثاني:

الطغيان والتكبر في سُوْرَة الْقَصَصِ

المطلب الأول : العلو في الارض

المطلب الثاني :

الاستعلاء والطغيان بالثروة والمال

المطلب الثالث :

مقارنة بين دولة فرعون ودولة أمريكا

المطلب الرابع : السنن الإلهية في سقوط وزوال الأمم والحضارات في سُوْرَة الْقَصَصِ

المطلب الخامس : وسائل التخلص من الطغيان والكبر

المبحث الأول : مفهوم الهيمنة والطغيان والتكبر

المطلب الأول: هيمنة ، طغيان ، تكبر

أولاً: معنى الهيمنة:

١- في اللغة : هَيْمَن يُهَيْمِنُ هَيْمنَة إِذَا كَانَ رَقِيبًا عَلَى الشَّيْءِ أي سيطر عَلَيْهِ وراقبه وَحفظه (١)

٢- في الاصطلاح : قدرة مطلقة على الشّيء من كافّة جوانبه وبشتّى الوسائل بما يكفل تحقيق الغاية المشروعة. أو سيطرة الدُّول الكبرى على الدُّول الصُّغرى، وتوجيه قراراتها السِّياسيّة والاقتصاديّة في اتّجاه مصالحها الشَّخصيّة أو تهديدها العسكريّ لها(٢).

ثانياً : معنى الطغيان:

١-في اللغة: طَغَى يَطغي طَغياً وَطغو يَطغُو طُغياناً تَجاوزَ القدرَ وارتفع وغلا في الكُفرِ. وطل مجاوز حدَّه في الطُّغيان طَاغٍ تجاوز الحد(٣) (٤).

٢- في الاصطلاح : بمعنى تجاوز الإنسان الحدود التي لا يصح تجاوزها ، فيجب على الإنسان الالتزام وأن لا يبتعد عن الحدود التي وضعها الله تعالى لأن إذا ابتعد وقع في التمرد والمعصية قال تعالى: اذهَب إِلَى فِرعَونَ إِنهُ طَغَى(٥) . أَيْ تجَاوَزَ الْقَدْرَ فِي الْعِصْيَانِ والتكبر والتجاسر حتى ادعى الربوبية. (٦) قال تعالى : فاستقم كَما أُمِرت (٧)

ثالثاً : معنى التكبر:

١- في اللغة : الكِبْر: العَظَمَة والتَّجَبُّر، كالكِبْرِياء، وَقد تَكَبَّر واسْتَكْبَر وتَكابَر، وَقيل: تَكَبَّر من الكِبْرِ، والتَّكَبُّر والاسْتِكْبار: التَّعَظُّم وَالْكِبْرُ بِالْكَسْرِ اسْمٌ مِنْ التَّكَبُّرِ (٨).

٢- في الإصطلاح : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ (٩). حالةٌ يتخصّص بهَا الإِنْسَان من إعجابه بِنَفسِهِ، وَأَن يرى نفسَه أَكْبَر من غَيره (١٠).

مطلب ثاني :أسباب الاستكبار والظلم

١- المال : قال تعالى : (وَقالُوا نَحنُ أَكثرُ أَموالاً وَاَولاداً وَمَا نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ)(١١).إن من عادة المترفين تكذيب الرسل لأنهم مشغولين بزخرفة وزينة الدنيا ومنغمسون بالشهوات ، لذلك دائماً يعترضون ويحجبون الناس عن طاعة الرسل، وَإِنَّمَا نَسَبَ الْقَوْلَ إِلَى الْمُتْرَفِينَ لِأَنَّ الْأَغْنِيَاءَ الْمُتْرَفِينَ هُمُ الْأَصْلُ فِي الكفر والطغيان(١٢).

٢- السلطة : قال تعالى : (اذهَب إِلَى فِرعَون إِنهُ طَغَى) (١٣).أَنَّ فِرْعَوْنَ مَعَ كَمَالِ سُلْطَتِهِ كَانَ يَزِيدُ كُفْرُهُ ، فقد طغى على الله وعلى الناس بأن تكبر وهيمن عليهم واستعبدهم (١٤).

المطلب الثالث : الطغيان في الاستعمال القرآني

١- الضلالة والعصيان ، قال تعالى :

(اذهب إِلَى فِرعَون إِنهُ طَغَى)(١٥).

٢- الارتفاع والكثر، قال تعالى : (إِنَّا لَمَّا طَغَا المَآءُ حَمَلناكُم فِي الجَارية) (١٦).

٣- ظلم ، قال تعالى:(أَلَّا تَطغَوا فِي المِيزَانِ)(١٧).

المطلب الرابع: أساليب القرآن الكريم في التحذير من الطغيان والتكبر .

١- النهي الصريح ، فالآيات القرآنية فيها النهي الصريح والتحذير من ارتكاب الطغيان، فقد أمر نبيه وأهل الايمان بالاستقامة والتحذير منه ، قال تعالى : (فَاستَقِم كَمَآ أُمِرتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطغَوا إِنَّهُ بِمَا تَعمَلُون بَصِيرٌ) (١٨).

٢- بيان سوء المصير يرصد أهل الظلم والمعصية (١٩) ، قال تعالى :(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَت مِرصَاداً لِّلطَّاغِينَ مَئَابا)(٢٠).

٣- الحث على الاعتبار بالسابقين ،قال تعالى :

(فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهلِكُوا بِالطَّاغِية) (٢١) .

المبحث الثاني:

الطغيان والاستكبار في سورة القصص

المطلب الاول : العلو في الارض

١- علو فرعون في الأرض ، قال تعالى :

(إِنَّ فِرعَونَ عَلَا فِي الأرضِ) (٢٢) فقد استكبر فرعون وتجبر، وبغى وتعاظم في أرض مصر. وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا أي فرق وأحزاب ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ بترك البنات، فلا يقتلهن، ويقتل الأبناء إنه كان مِنَ الْمُفْسِدِينَ بالقتل والعمل بالمعاصي(٢٣).وطغيان السلطة يترتب عليه ظلم الناس فالاوتاد على أقاويل: أحدها: الأوتاد الجنود ، فلذلك سمي بذي الأوتاد لكثرة جنوده، الثاني: لأنه كان يعذب الناس

بالأوتاد يشدها في أيديهم ، الثالث: أن الأوتاد البنيان فسمي بذي الأوتاد لكثرة بنائه ، الرابع : أنه ذو الأوتاد لكثرة نخلة وشجرة ، لأنها كالأوتاد في الأرض(٢٤).

يستفاد من النصّ أشارت الآيات التي مرت إلى جانب من حياة مصر في حقبة حكم الفراعنة إلى فرعون موسى على وجه الخصوص.

٢- نصرة المستضعَفين : يبين الله فعل فرعون الشنيع بقتل الأولاد واستحياء النساء، واستضعاف بني إسرائيل وتفرقهم شيعاً لغرض المحافظة على دوام ملكه كما يعتقد، لأن كهنته وعلماءه أخبروه بأنه سيولد مولود من بني إسرائيل يكون زوال الملك على يديه. ثُمَّ عطفه على هذه الأفعال الشنيعة لفرعون. فمنّ الله على عباده المستضعفين بأن يخلصهم من فرعون ويورثهم ملكهم. ففي الآية وجهان: أحدهما: بما صبروا على أذى فرعون. والثاني: بما صبروا على طاعة الله (٢٥)

المطلب الثاني:

الاستعلاء والطغيان بالثروة والمال

١- قارون وكنوزه ، بغى على الناس بماله واستخف بالفقراء ولم يرع حق الايمان مع كثرة ماله . قال تعالى :(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)(٢٦).

٢- استكبار وتجبر قارون ، قال تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُو)(٢٧).

٣- هلاك قارون وماله ، فلما ذكر الله تعالى اختيال قارون في زينته ، وتفاخره على قومه وبغيه وعليهم ، عقب بعد ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض (٢٨) (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) (٢٩).

المطلب الثالث : مقارنة بين فرعون وأمريكا في ممارستها للظلم والطغيان للناس

أولاً : طغيان فرعون وأمريكا في الملك والمال والإعلام والقوة وفقاً لما جاء في سورة القصص . بالهيمنة في الطغيان الأمريكي، هو من المواضيع المتعددة المفاهيم، وذلك لأوجه الشبه بين الطغيانين، فكأن التاريخ يعيد نفسه بين القديم والحديث.(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)(٣٠) يدلّ على استمرارية الدلالة المكانية الزمانية ـ لآيات الكتاب المبين .

١- الطغيان في الملك

١- العلو في الارض ، علو فرعون على الناس ، وأمريكا تعلو بادعائها أنها القوة العظمى (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)(٣١) .

٢- جعل الناس شيعا ،بالتآمر وزرع الفتن والطائفية (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)(٣٢).

٣- الذبح والقتل ، كان فرعون يقتل ويذبح الابناء ، أمريكا تشن حرب على المسلمين(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)(٣٣) .

٤- الظلم ، فرعون يظلم الناس في الارض ، أمريكا ظالمة في قوتها (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)(٣٤) .

٢-طغيان القوة

١-الاستضعاف(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (٣٥). استضعاف الناس من قبل فرعون،امريكا تستضعف شعوب العالم والمسلمين من خلال التهديد أو السيطرة على الشعوب .

٢- الادعاء (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ

أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ۖ فَلَا تُبْصِرُونَ)(٣٦) إدعى فرعون بأن الأرض له، أمريكا تدعي أنّ الأرض لها .

٣- الحذر(وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (٣٧) كان فرعون يحذر من الايمان ، أمريكا تحذر مِنْ الإسلام .

٣- طغيان المال

١- السلب ، فرعون يسلب مال الناس ، سلب كل الأموال من قبل أمريكا(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (٣٨).

٢- الادعاء، كان فرعون يدعي أن ملك مصر له ، وكذلك امريكا تدعي ان العالم لها .

٤- طغيان الاعلام

١- ادعاءه بالسحر (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ) (٣٩).

ادعاؤه إن ما جاء به موسى سحر، أمريكا ترمي كل مخالفيها بالإرهاب .

٢- ادعاؤه بالألوهية(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)(٤٠) ادعاؤه انه الأله الواحد ، أمريكا تدعي إنها القوى المتحدة .

٣- الاستهزاء (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)(٤١). فرعون استهزاء بموسى وطلب بناء برج ، أمريكا تبني ناطحات السحاب تشبه أبراج فرعون وهامان التي أرادا تشييدها .

٤- الاستكبار(وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ)(٤٢). استكبار فرعون مع جنوده ، الأمريكي عقيدته أن لا يقهر .

ثانياً: أسباب زوال الطغاة قديماً وحديثاً في سورة القصص

١- عدم التمسك بالشرع الإلهي(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) (٤٣).

٢- الابتعاد عن شرعة الحق (نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(٤٤).

٣- التعالي في الارض(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)(٤٥).

٤-تفريق الناس(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (٤٦).

٥- استضعاف الناس(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (٤٧).

٦- القتل الغير مبرر (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (٤٨).

٧- استعباد النساء (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (٤٩).

٨- الفساد(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (٥٠).

٩- اغتصاب الارض(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)(٥١).

المطلب الرابع : السنن الالهية في سقوط وزال الأمم والحضارات في سورة القصص إن سنة الله في الأقوام الطاغية العقوبة في الدنيا وهي سنة ماضية جرت على الأقوام السابقة وستجري على الحاضرين والقادمين ، كلّ هذا في الدنيا وفي

الآخرة أشد وأعظم وأنكى العذاب للطغاة .

وهذا ما جرى لفرعون وسيجري على الأقوام الطاغية مثل أمريكا. فسنة الله ثابتة لا تغيير فيها ، فيجب الإتعاظ وأخذ العبرة (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ) (٥٢) لِمَنْ يَتَّعِظُ وَيَنْزَجِرُ(٥٣).

فهلاك فرعون وقارون في الماضي التاريخي إنّما كان بسبب الطغيان والتكبر والفساد ، ولاشك أن هذه العوامل نفسها ستكون سبب في زوال وهلاك أميركا وإسرائيل(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(٥٤).

المطلب الخامس : وسائل التخلص من الطغيان والكبر

١- معرفة الله تعالى ، فإن المتكبر إذا عرف الله تعالى وأسمائه وصفاته ، يأبى أن يكون كبيراً على أحد أو أن يكون أحد عليه كبير غير الله . وقوم عاد لما استكبروا بغير الحق وأغتروا بقوتهم ذكرهم الله ببديع صنعه وعظمته ، ليرجعوا عن عتوهم وطغيانهم واستكبارهم ويذلوا لله تعالى ، فمعرفة الله تعالى أول خطوة للتخلص من مرض (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)(٥٥) .

٢-معرفة الطاغي والمتكبر حقيقةمصيره (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)(٥٦).

وواضح الفعل المباشر لله في أخذ فرعون وقومه، ونبذهم في اليم. وهو الإيقاع المقصود لإبراز آية الله في موسى(عليه السلام).والقرآن الكريم يزخر بالآيات التي تبين المصير الثابت للطغاة بالهلاك المحتوم في الدنيا والعذاب الدائم الأخرة (٥٧).

٣- توعد المتكبرين(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾)(٥٨).

فقد يُعذَب الطاغي والمستكبر في الدنيا وقد يمهل ، أما في الآخرة فلا إهمال بل متحقق الحصول ، فسيعذبون ويوثقون، عذابا ووثاقا وراء التصورات والظنون. (٥٩).

٤- أخذ العبرة والعظة من الأمم السابقة فنبتعد عن الطغيان والإستكبار والهيمنة ، فالطغاة قد تخدعهم قوتهم وسطوتهم المادية ، لأنهم نسو قوة الله ولكن الله لهم بالمرصاد{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)}(٦٠).

الخاتمة:

١- يجب أخذ العبرة من قصص الأُمم الطاغية السابقة .

٢- يجب معرفة إن لكل طاغٍ ومستكبر مصيره العذاب والذل والخزي في الدنيا والآخرة .

٢- معرفة إن الله تعالى سوف يزج الطغاة في أليم العذاب ، فيجب الحذر من الاستكبار والظلم للآخرين.

٣- يجب عدم الاستعلاء على الناس سواء كان بالمال أم السلطة .

٤- هلاك فرعون وقارون في الماضي التاريخي إنما كان بسبب الطغيان والتكبر والفساد ، ولاشك أن هذه العوامل نفسها ستكون سبب في زوال وهلاك الدول الطاغية .

٥- أسباب زوال الطغاة قديماً وحديثاً عدم التمسك بالشرع الإلهي، والابتعاد عن شرعة الحق.

الهوامش:

(١) ينظر : لسان العرب : ابن منظور ، ت ٥٧١١ ، النشر دار صادر بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ ه ، ١٣/ ٤٣٧ . والمعجم الوسيط : لإبراهيم مصطفى واحمد الزيات ، النشر دار الدعوة ، باب الواو ، ٢/ ١٠٠٥.

(٢) ينظر : معجم اللغة العربية المعاصر : احمد مختار ، ت ١٤٢٤ ه، نشر عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٢٩ ه – ٢٠٠٨م ، باب ٥ ، ي ، م ، ن ، ٣/ ٢٣٨٧.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة : للأزدي ، ت٣٢١ه ، تحقيق

رمزي بعلبكي ، نشر دار العلم بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ٩١٩/٢.
(٤) ينظر : تفسير الراغب الاصفهاني ، للأصفهاني ، ت ٥٠٢ ه ، تحقيق محمد بسيوني ، النشر كلية الآداب جامعة طنطا
ط١، ١٤٢٠ه ، ١٩٩٩م ، ١٠٤/١.
(٥) سورة النازعات : آية ١٧ .
(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي: ت ٦٧١ه ، تحقيق احمد البردوني ، النشر دار الكتب المصرية – القاهرة ،
ط ٣ ، ١٣٨ه ، ١٩٦٤ م ، ٢٠١/١٩ . وروح المعاني : للآلوسي ، ت ١٢٧٠ ه ، تحقيق علي عبد الباري ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ ه ، ٨/ ٤٩٥.
(٧) سورة هود : آية ١١٢.
(٨) ينظر : تاج العروس : للزبيدي ، ت١٢٠٥ه ، ت ١٢٠٥ه ، النشر دار الهداية ، ٨/١٤. والمصباح منير : للفيومي ، ت ٧٧٠ ه ، النشر المكتبة العلمية – بيروت ، ٢/ ٥٢٣.
(٩) صحيح مسلم : ٢٦١ه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار احساء التراث العربي بيروت ، باب تحريم الكِبر وبيانه ، رقم ٩١ ، ٩٣/١.
(١٠) ينظر: تاج العروس : للزبيدي ، ٩/١٤.
(١١) سورة سبأ : آية ٣٥.
(١٢) ينظر: مفاتيح الغيب : للرازي ، ت ٦٠٦ ه ، النشر بيروت ، ط ٣، ١٤٢٠ ه ، ٢٠٩/٢٥.
(١٣) سورة النازعات : آية ١٧.
(١٤) ينظر: مفاتيح الغيب : للرازي ، ٣٢/ ٢٢٠.
(١٥) سورة النازعات : آيه ١٧.
(١٦) سورة الحاقة : آية ١١.
(١٧) سورة الرحمن : آية ٨.
(١٨) سورة هود : آيه ١١٢.
(١٩) ينظر: التحرير والتنوير : ابن عاشور، ت ١٣٩٣ ه ، نشر – تونس ، ١٩٨٤ه ، ٣٥/٣٠.
(٢٠) سورة النبأ ٢١-٢٢.
(٢١) سورة الحاقة : آية ٥.
(٢٢) سورة القصص : من آيه ٤.
(٢٣) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد : للواحدي ، ت ٤٦٨ه ، تحقيق عادل احمد ، ط١ ، ١٤١٥ ه -١٩٩٤ م ، ٣/ ٣٨٩ -٣٠٩ . والكشاف : للزمخشري ، ٣/ ١٥٦.
(٢٤) ينظر: النكت والعيون : للماوردي ن ٤٥٠ ه ، المحقق ابن عبد المقصود عبد الرحيم ، النشر بيروت لبنان ، ٦ /٢٦٩
(٢٥) ينظر: المصدر نفسه ، ٢/ ٢٥٤.
(٢٦) سورة القصص : أية ٧٦.
(٢٧) سورة القصص : آية ٧٨.
(٢٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم : ابن كثير،ت ٧٧٤ هـ ، المحقق سامي بن محمد سلامة ، الناشر دار طيب للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩ م ، ٢٥٦/٦.
(٢٩) سورة القصص : آية ٨١.
(٣٠ سورة القصص : آيه ٢.
(٣١) سورة القصص : آيه ٢.
(٣٢) سورة القصص : آيه ٢٠.
(٣٣) سورة القصص : آيه ٤.
(٣٤) سورة القصص : آيه ٤.
(٣٥) سورة القصص : آيه ٤.
(٣٦) سورة الزخرف : آيه ٥١.
(٣٧) سورة القصص : آية ٦.
(٣٨) سورة القصص : آية ٤.
(٣٩) سورة القصص : آية ٣٦.
(٤٠) سورة القصص : آية ٣٨.
(٤١) سورة القصص : آية ٣٨.
(٤٢) سورة القصص : آية ٣٩.
(٤٣) سورة القصص : من آيه ٢.
(٤٤) سورة القصص : آية ٣.
(٤٥) سورة القصص : من آية ٤.
(٤٦) سورة القصص : من آية ٤.
(٤٧) سورة القصص : من آية ٤.
(٤٨) سورة القصص : من آية ٤.
(٤٩) سورة القصص : من أية ٤.
(٥٠) سورة القصص : من آية ٤.
(٥١) سورة القصص : آية ٥.
(٥٢) سورة النزعات : آية ٢٦ .
(٥٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، ٨/ ٣١٥.
(٥٤) سورة القصص : آية ٤٣.
(٥٥) سورة فصلت : آية ١٥.
(٥٦) سورة القصص : آية ٤٠.
(٥٧) ينظر: في ظلال القرآن : سيد قطب ، ت ١٣٨٥ ه، الناشر دار الشروق بيروت القاهرة ، ط١٧ ، ١٤١٢ ه ، ٦/ ٣٣٨٤.
(٥٨) سورة ابراهيم : آية ٤٢ – ٤٣.
(٥٩) ينظر: في ظلال القرآن : سيد قطب ، ٦/ ٣٩٠٧.
(٦٠) سورة الفجر : آية ٦ – ١٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١ ١٣٩٣ه ، نشر – تونس ، ١٩٨٤ه ، ٣٥/٣٠.
٢- الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي: ت ٦٧١ه ، تحقيق احمد البردوني ، النشر دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٨ه ، ١٩٦٤ م ، ٢٠١/١٩ .
٣- تاج العروس : للزبيدي ، ت١٢٠٥ه ، ت ١٢٠٥ه ، النشر دار الهداية ، ٨/١٤.
٤- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، ت ٧٧٤ ه ، المحقق سامي بن محمد سلامة ، الناشر دار طيب للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩ م ، ٢٥٦/٦.
٥- لسان العرب : ابن منظور ، ت ٧١١ه ، النشر دار صادر بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ ه ، ١٣/ ٤٣٧ . والمعجم الوسيط : لإبراهيم مصطفى واحمد الزيات ، النشر دار الدعوة ، باب الواو ، ٢/ ١٠٠٥.
٦- المصباح منير : للفيومي ، ت ٧٧٠ ه ، النشر المكتبة العلمية – بيروت ، ٢/ ٥٢٣.
٧- النكت والعيون : للماوردي ن ٤٥٠ ه ، المحقق ابن عبد المقصود عبد الرحيم ، النشر بيروت لبنان ، ٦ /٢٦٩ .
٨- الوسيط في تفسير القرآن المجيد : للواحدي ، ت ٤٦٨ ه ،

تحقيق عادل احمد، ط١، ١٤١٥ ه -١٩٩٤ م، ٣/ ٣٨٩-٣٠٩.
٩- تفسير الراغب الاصفهاني ، للأصفهاني ، ت ٥٠٢ ه ، تحقيق محمد بسيوني ، النشر كلية الآداب جامعة طنطا ، ط١، ١٤٢٠ ه ، ١٩٩٩م ، ١/ ١٠٤.
١٠- جمهرة اللغة : للأزدي ، ت٣٢١ه ، تحقيق رمزي بعلبكي ، نشر دار العلم بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ٢/ ٩١٩.
١١- روح المعاني : للآلوسي ، ت ١٢٧٠ ه ، تحقيق علي عبد الباري ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ ه ، ٨/ ٤٩٥.
١٢- صحيح مسلم : ٢٦١ه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار احساء التراث العربي بيروت ، باب تحريم الكِبر وبيانه ، رقم ٩١ ، ١/ ٩٣.
١٣- في ظلال القرآن : سيد قطب ، ت ١٣٨٥ ه، الناشر دار الشروق بيروت القاهرة ، ط١٧ ، ١٤١٢ ه ، ٦/ ٣٣٨٤.
١٤- معجم اللغة العربية المعاصر : احمد مختار ، ت ١٤٢٤ ه، نشر عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٢٩ ه – ٢٠٠٨م ، باب ه ، ي ، م ، ن ، ٣/ ٢٣٨٧.
١٥- مفاتيح الغيب : للرازي ، ت ٦٠٦ ه ، النشر بيروت ، ط ٣، ١٤٢٠ ه ، ٢٥/ ٢٠٩.

منظومة المقاصد عند الدكتور جاسر عودة

م. م نغم يحيى ناجي
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

الملخص :

أضحى موضوع «المقاصد» ميداناً رحباً للباحثين في العلوم الإسلامية، وذلك بسبب ما تعيشه الأمّة المسلمة من حركة قاصدة، لاستعادة كينونتها وإبراز هويتها المرجعية، بخصائصها المعرفية ورؤيتها الفكرية الحضارية؛ إذ إن علم المقاصد يمثّل -بلغة علماء التشريع المعاصرة- فلسفةَ التشريع وروحَه، فهو علم معياريّ، حاكم وضابط؛ أي موجّه ومرشد وكاشف، ودونه يكون التعامل مع خطابات الشارع ومقرّراته تعاملاً سطحياً، كثيراً ما يوقع في الخطل والخطر.

لقد زخرت المكتبة الإسلامية بكمّ من الكتب والدراسات والبحوث الجادّة في مجال المقاصد، من حيث التنظير لهذا العلم وتأصيله ، يهدف البحث إلى تسليط الضوء على المنظومة المقاصدية عند الدكتور جاسر عودة ويتضمن البحث مبحثين الأول وكان عنوانه المقاصد والتأصيل ويحتوي هذا المبحث مطلبين الأول،مفهوم المقاصد ونشأته وأقسامه والثاني تأصيل المقاصد.

أمّا البحث الثاني فقد اتخذ عنوان الدكتور جاسر عودة وجهوده المقاصدية وتضمن مطلبين كان المطلب الأول عنوانه سيرة مقاصدية وركز المطلب الثاني علة منظومة جاسر عودة المقاصدية وبعدها الخاتمة والنتائج ثم المصادر والمراجع .

ABSTRACT:

The subject of «purposes» has becomea wide field for researchers in Islamic sciences, due to the intentional movement of the Muslim nation, to restore its entity and highlight its reference identity, with its cognitive characteristics and its civilized intellectual vision. The science of maqasid represents - in the language of contemporary legal scholars - the philosophy and spirit of legislation. It is a normative science, a ruler and a regulator; That is, a guide, a guide, and a revealer, and without it, dealing with the discourses and decisions of the street is superficial, often falling into error and danger. The Islamic Library has abounding in books, studies and serious research in the field of objectives, both in terms of theorizing. In the field of objectives, both in terms of theorizing and rooting this science, the research aims to shed light on the intentional system of Dr. The title of Dr. Jasir Odeh and his intentional efforts included two demands. The first requirement was entitled Biography of Maqasidiyah. The second requirement focused on the cause of Jasir Odeh›s intentional system, and then the conclusion and results, then sources and references.

المبحث الأول :المقاصد المفهوم والتأصيل :

المطلب الأول: مفهوم المقاصد ونشأته وأقسامه

أولاً :المقاصد لغة: واصطلاحاً :

المقاصد لغة : جمع مقصد من قصد الشيء، وقصد له وقصد إليه قصدًا من باب ضرب، بمعنى طلبه وأتى إليه واكتنزه وأثبته، والقصد هو طلب الشيء أو إثبات الشيء، أو الاكتناز في الشيء أو العدل فيه (١)

مقاصد الشريعة في الاصطلاح:

هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان (٢).وحدّد العلماء مقاصد الشريعة بأنها تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة (٣)، في العاجل والآجل، ومصالح الناس في الدنيا: هي كل ما فيه نفعهم وفائدتهم وصلاحهم وسعادتهم وراحتهم، وكل ما يساعدهم على تجنب الأذى والضرر ودفع الفساد، إن عاجلًا أو آجلًا، ومصالح الناس في الآخرة هي الفوز برضاء الله تعالى في الجنة، والنجاة من عذابه وغضبه في النار. وعرَّفها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ((مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصُّ ملاحظتها بالكون في نوعٍ خاصٍّ من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة، وغاياتها العامة، والمعاني التي

لا يخلو التشريع من ملاحظتها ويدخل في هذا معانٍ من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنَّها ملحوظة في أنواعٍ كثيرة)) (٤).

وعرفها الريسوني: قوله المقاصد: جمع مقصود، وهو ما تقصده وتريد الوصول إليه، فهو مقصود لك ولسعيك؛ ولذلك: يستعمل المقصد والمقصود بمعنى واحدٍ، ومقاصد الشريعة هي الغايات المستهدفة والنتائج والفوائد المرجوة من وضع الشريعة جملةً، ومن وضع أحكامها تقصيدًا، أو هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد(٥).

وقد وردت الأحكام الشرعية لجلب المصالح للناس، ودفع المفاسد عنهم، وأن كل حكم شرعي إنما نزل لتأمين أحد المصالح، أو دفع أحد المفاسد، أو لتحقيق الأمرين معًا، وأنه ما من مصلحة في الدنيا والآخرة إلا وقد رعاها المشرع، وأوجد لها الأحكام التي تكفل إيجادها والحفاظ عليها، وإن المشرع الحكيم لم يترك مفسدة في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل، إلا بينها للناس وحذرهم منها، وأرشدهم إلى اجتنابها والبعد عنها (٦).

ثانياً: نشأة المقاصد وأقسامها :

إن الفكر المقاصدي بدأ مع الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يتعاملون مع روح الشريعة مقاصديا، إلا أنهم لم يكونوا يتعاطون مع ذلك كعلم مدون، وإنما كعمل وممارسة دعا إليها اجتهادهم في الأحكام، ولم يبدأ النظر في المقاصد بمعناه العلمي المتعارف عليه إلا في القرن الرابع فما فوق، فبدأ بذلك مع ثلة من العلماء أذكرهم حسب الترتيب الزماني:

في القرن الرابع الهجري

إذ أننا «في القرن الرابع نجد الحكيم الترمذي- وهو غير الترمذي المحدث- برزت شخصيات مهمة كانت تهتم بالمقاصد هذا ترمذي آخر أيضاً مشهور، وكان فقيهاً وحكيماً(٧)الحكيم تعني تقريباً الفيلسوف، وكان صوفيًّا، وكان فقيها. هذه هي أبرز صفاته العلمية. وله عدة كتب تنم عن اهتمام مكثف بمقاصد الشريعة؛ وأبرز ذلك كتابه الذي سماه «الصلاة ومقاصدها»، وهو كتاب كامل في مقاصد الصلاة»(٨). ثم «تلاه بعد ذلك كل من:

١.العامري الفيلسوف (توفي عام ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) : كان أول تأليف معروف حول التصنيف النظري لمقاصد الشريعة كما نعرفها اليوم ما قدمه العامري الفيلسوف في كتابه الإعلام بمناقب الاسلام (٩). كتب عن : « مزجرة قتل النفس المحترمة»ومزجرة أخذ المال ... ومزجرة هتك الستر ... ومزجرة ثلب العرض ... ومزجرة خلع البيضة (أي الدين) ... « ، غير أن تصنيف العامري مقصور على العقوبات الجنائية خاصة « الحدود « في الإسلام . وهكذا فإن تصنيف المقاصد بحسب درجات الضرورة لم تتطور حتى القرن الخامس الهجري ، ثم وصلت نظرية المقاصد برمتها إلى ذروة نضوجها في القرن الثامن الهجري (إذا استثنينا ما جرى من تطورات في القرن العشرين الميلادي)(١٠).

٢.ابن بابويه القمي: المعروف بالشيخ الصدوق، وهو من الامامية ؛ له كتاب «علل الشرائع» وهو مطبوع. (١١)

٣.أبو بكر الشاشي: وهو أصولي وفقيه شافعي.. وأشهر كتبه «محاسن الشريعة» وهو مطبوع منشور (١٢).

القرن الخامس الهجري

«وأما في القرن الخامس فقد انتقلت حركة الاهتمام بالمقاصد والكتابة فيها من طور التعليلات الجزئية والتفصيلية إلى طور التأصيل والتنظير للمقاصد بصفة عامة وإجمالية، مما أثمر فيما بعد ما نعرفه اليوم من مقاصد ومصطلحات وتقسيمات وضروريات خمس، وغير ذلك»(١٣).

و»كثير من المصطلحات المعروفة اليوم في التعبير عن مقاصد الشريعة ترجع إلى الجويني، ويرجع الفضل إليه في وضعها وبثها»(١٤)، والتقسيم الثلاثي (الضروريات والحاجيات والتحسينيات) للشريعة بدأ معه.ثم «جاء الغزالي، وهو

شافعي المذهب، فتوسع في مباحث المقاصد بكتاب «المستصفى»، وتناول الكليات الخمس الضرورية، وجعلها أصلاً للمقاصد كلها»(١٥) و»ظهر بعد ذلك عز الدين بن عبد السلام فألف كتاب «القواعد»، سار فيه على المنهج الذي اختطه الغزالي في المستصفى، وكان شافعي المذهب مثله، وقد جعل الأحكام قسمين باعتبار النظر المصلحي: عبادات ومعاملات. أما العبادات فإنها أحكام تعبدية يجب العمل بها على ما رسمه الشارع لها، دون النظر في تعليلها بعلة عقلية.

وأما المعاملات فإنه يمكن للعقل إدراك عللها وأسبابها لأنها مبنية على مصالح العباد»(١٦) ثم «جاء بعد العز بن عبد السلام نجم الدين الطوفي الحنبلي فركز اهتمامه على ما سماه بالمصالح الشرعية، وحصر فيها المقاصد كلها، وأسرف في اعتبار المصلحة حتى زعم وجوب تقديمها على النص والإجماع، وصنف في مذهبه هذا رسالته المشهورة التي سماها «المصالح المرسلة»، وهو لايعني بها المصالح المرسلة على نحو ما عند مالك»(١٧) و»بعد هؤلاء جميعا ظهر أبو إسحاق الشاطبي فخصص الجزء الثاني من كتاب الموافقات لعلوم المقاصد»(١٨). ولم يكن الشاطبي أول من ابتكر علم المقاصد وإنما «الشاطبي هو أنه اتى إلى أفكار المتقدمين في المقاصد فجمعها وزادها بياناً وزادها توضيحاً واستدل لها وبنى عليها فروعاً وقواعد»(١٩).

اقسام مقاصد الشريعة

إن مقاصد الشريعة هي تحقيق مصالح الناس، ولكن مصالح الناس ليست على درجة واحدة من حيث الأهمية والخطورة وحاجة الناس إليها، وإنما هي على مستويات مختلفة، ودرجات متعددة، فبعض المصالح ضروري وجوهري يتعلق بوجود الإنسان ومقومات حياته، وبعضها يأتي في الدرجة الثانية ليكون وسيلة مكملة للمصالح الضرورية السابقة، وتساعد الإنسان على الاستفادة الحسنة من جوانب الحياة المختلفة في السلوك والمعاملات وتنظيم العلاقات، وبعض المصالح لا تتوقف عليها الحياة، ولا ترتبط بحاجات الإنسان، وإنما تتطلبها مكارم الأخلاق والذوق الصحيح والعقل السليم، لتأمين الرفاهية للناس، وتحقيق الكماليات لهم (٢٠) ومن هنا حصر العلماء مصالح الناس وقسموها بحسب أهميتها وخطورتها وأثرها في الحياة وحاجة الناس إليها إلى ثلاثة أقسام، وأن مقاصد الشريعة جاءت لتحقيق هذه المصالح بأقسامها الثلاثة وهي:

١.المصالح الضرورية

وهي التي تقوم عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، ويتوقف عليها وجودهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة، وإذا فقدت هذه المصالح الضرورية اختل نظام الحياة، وفسدت مصالح الناس، وعمت فيهم الفوضى وتعرض وجودهم للخطر والدمار والضياع والانهيار.وتنحصر مصالح الناس الضرورية في خمسة أشياء، وهي: الدين والنفس والعقل والعرض أو النسب والمال (٢١) ، وقد جاءت الشريعة الغراء لحفظ هذه المصالح الأساسية، وإن مقاصد الشريعة الأساسية مرتبطة بها، وهي:

١.حفظ الدين،
٢. حفظ النفس،
٣.حفظ العقل،
٤. حفظ النسل أو العرض أو النسب،
٥. حفظ المال، وقد اتفقت الشرائع السماوية على مراعاة هذه الأصول الأساسية والمصالح الضرورية للناس. قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: «ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة» (٢٢).

٢.المصالح الحاجية

وهي من المسائل الضرورية التي يطلبها المجتمع

لغرض تسهيل حياتهم اليومية وتتميز هذه الامور بانها تخفف عنهم التكاليف، وتساعدهم على تحمل أعباء الحياة، وإذالم تتوفر هذه الضروريات فان حياتهم تبقى مستقرة ، ولا يخافون على وجودهم، ولا ينتابهم الخطر والدمار والفوضى، ولكن يلحقهم الحرج والضيق والمشقة، ولذلك تأتي الأحكام التي تحقق هذه المصالح الحاجية للناس لترفع عنهم الحرج، وتيسر لهم سبل التعامل، وتساعدهم على صيانة مصالحهم الضرورية، وتأديتها، والحفاظ عليها عن طريق «الحاجيات» (٢٣).

٣.المصالح التحسينية

وهي الأمور التي تطلبها المروءة والآداب، ويحتاج إليها الناس لتسيير شؤون الحياة على أحسن وجه وأكمل أسلوب، وأقوم منهج، وإذا فقدت هذه الأمور فلا تختل شؤون الحياة، ولا ينتاب الناس الحرج والمشقة، ولكن يحسون بالخجل، وتتقزز نفوسهم، وتستنكر عقولهم، وتأنف فطرتهم من فقدها.وهذه الأمور التحسينية ترجع إلى ما تقتضيه الأخلاق والأذواق الرفيعة، وتكمل المصالح الضرورية والمصالح الحاجية على أرفع مستوى وأحسن حال (٢٤).

المقاصد في العصر الحديث

في العصر الحديث و»في مطلع القرن الثالث عشر الهجري طبع كتاب «الموافقات»، أي: قبل قرن وربع قرن من الآن. طبع في تونس أولى طبعاته سنة ١٣٠٢ ه. فكانت هذه هي الولادة الثانية للشاطبي وكتابه وفكره، وكانت هي البداية والانطلاقة للفكر المقاصدي الحديث والمعاصر»(٢٥).و»في المشرق تلقفه الشيخ محمد عبده، وكان قد زار تونس في هذا الوقت، فصار يحث على قراءة الكتاب ونشره. وكان من أثر ذلك قيام تلميذه الشيخ عبد الله دراز بنشر كتاب «الموافقات» في مصر، وقيام تلميذه الآخر رشيد رضا بنشر كتاب «الاعتصام». ومن مصر انتشر الكتابان وشاع تداولهما في عدد من الأقطار العربية»(٢٦).

وكذلك «في المغرب كان الأثر المباشر لطباعة هذا الكتاب وصوله إلى المغرب، هو أن أحد علمائه أخذه، وبطريقته وطريقة عصره، قام بنظمه، وهو الشيخ ماء العينين محمد فاضل بن مامين. وسمى منظومته «مواقف الموافقات». ثم قام بشرح النظم في كتاب آخر سماه «المرافق على الموافق». وطبع في حياته سنة ١٣٢٤ هـ»(٢٧).

المطلب الثاني : تأصيل المقاصد

التأصيل :إعادة المسائل الحادثة إلى أصولها من الكتاب، والسنة، وعمل الصحابة، وأئمة الفقه في المذاهب الإسلامية المشهورة . ومن ذلك ما نجده في عناوين البحوث، والرسائل الجامعية من إضافة عبارة تأصيلاً، وتفريعاً (٢٨).التأصيل : جعل العلماء للشيء أصلاً مؤصلاً ثابتًا يبنى عليه(٢٩) ، وأصّل علمه باصله أصلاً : قتله علمًا من الأصل ، بمعنى أصاب أصله وحقيقته ، فيقال : أصّل الاصول ، كما يقال : بوّب الابواب ، ورتّب الرتب(٣٩) . وللتأصيل ألفاظ ذات صلة بها منها :

أثّل : أثل كل شيء أصله ، وأثّلَ يأثِل أُثولاً ، وتأثّل : تأصّل ، وأُثل ماله : أصّله ، إذ كل شيء قديم مؤصّل ، فالتأثيل التأصيل ، وتأثيل المجد : بناؤه(٣١) .

إنَّ الاسم أقوى في التأصيل من الفعل ؛ لأنَّه مستقل ويتركب من جنسه جملة مفيدة ، كقولك : زيد قائم ، فكل فعل إلاّ ويُحدّث به ولا يُحدّث عنه فيقدر اسمًا (٣٢)

فلم يكن علماء الحنفية والشافعية يعتمدون النقل المجرد ، بل شرّعوا في بناء الأصول وتأصيلها ، وتميز منهجهم في التأصيل بما يأتي :

١.الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية ، إذ جعلوهما العماد في بناء قواعدهم ؛ لأنَّ فيهما كلمات جامعة ، وقضايا كلية ، وقواعد عامة ، إذ أنَّ من القرآن الكريم يؤصل تأصيلها ويحيلها إلى متعارف أهل اللسان من معرفة حقائقها وتمييزها عمّا يشابهها (٣٣)

٢.فهم الصحابة للنصّ ، إذ هم عاصروا التنزيل والوحي ، وتلقوا الأحكام مشافهة بلا واسطة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

٣.اعتمادهم على اللغة العربية في تفسير النصوص ، والمراد منها ، إذ يعد الجانب اللغوي من أهم الجوانب التي تقوم عليها بنية قواعد الأصول ، فقد أسِّست هذه القواعد على منطق اللغة العربية وهديها ، فكانت هي الطريق الموصلة إلى استنباط الأحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية (٣٤) . فمعرفة دلالات اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة ، تتوقف على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقة والمجاز ، والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ، والمنطوق والمفهوم ، وغير ذلك مما لا يعرف في غير علم العربية.

فموضوع علم الأصول هو الشيء الذي يبحث في ذلك العلم عن أحواله العارضة لذاته ، ولما كانت مباحث الأصوليين لا تخرج عن أحوال الأدلة الموصلة إلى الأحكام الشرعية المبحوث عنها فيه وأقسامها واختلاف مراتبها وكيفية استثمار الأحكام الشرعية عنها على وجه كلي كانت هي موضوع علم أصول الفقه (٣٥).

٤.الاعتماد على العرف الشرعي ، إذ أنَّ مطمح نظر العلماء البحث عن أحوال الأدلة من حيث يثبت بها الأحكام ، ولا شكَّ أنَّ مبنى أكثر الأحكام العرف في الاستعمال ، لا مجرد الأوضاع اللغوية ، حتى أنَّها ربما تكون مهجورة ملحقة بالمجاز(٣٦) .

إنَّ الغاية من أصول الفقه معرفة الأحكام الشرعية وتطبيق القواعد الكلية على الأدلة التفصيلية ، لاستنباط الأحكام الشرعية العملية منها ، أو الموازنة ، والترجيح بين آراء الفقهاء في المسائل الاجتهادية (٣٧) .

٥.الاعتماد على المنطق ، وكان الرائد في هذا الفن الإمام الغزالي ، وقد سبقه عدد منهم الإمام الجويني ، فقد أدخلوا المنطق في هذا العلم(٣٨) . إنَّ الأصولي عندما يريد أنْ يضبط أدلته فإنَّه يبحث في المفردات والتراكيب ودلالتهما على المقاصد والأغراض ، ليجعل النص الذي يعتمد عليه الفقيه في الاستنباط منتجًا للحكم الشرعي المطلوب(٣٩) . فالأصولي ينظر الى الأدلة التفصيلية لا ليستنبط منها الأحكام الشرعية ، بل ليضم بعضها الى البعض الآخر الذي يجانسه ويماثله ، فيجمع الآيات التي ورد فيها أمر من الشارع – مثلا- يضم بعضها الى بعض ، وينظر فيها نظرة إجمالية ، فيرى أن الأمر إذا ورد مجرداً عن القرائن أفاد الوجوب وإلا فعلى حسب القرينة . ومن ثم فيقعد قاعدة يقول فيها : « إذا خلا عن القرينة أفاد الوجوب».وهكـذا في النواهي والعموم والخصوص وغيرها(٤٠)، فإذا أراد أن يستنبط حكم الصلاة أو الزكاة من كتاب الله تعالى، وكان الدليل الذي أمامه قولـه تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} (٤١) .

فالأصولي لا يستطيع أنْ يحكم بوجوب الصلاة والزكاة من هذا النص ما لم تتمهد أمامه قاعدة أصولية هي:« أنَّ الأمر للوجوب»،استمدها الأصولي من بحثه اللغوي الدقيق ، إذ أنَّ صيغة « إفْعَل» ، وهي هنا « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ظاهرة في الوجوب ، بمعنى أنَّ الأصولي استقرى اللغة فوجد العرب يستعملون هذه الصيغة في الطلب مطلقًا ، سواء كان ملزمًا ، كالوجوب ، أم غير ملزم كالندب ، كما وجدهم يستعملونها في معانٍ أخرى مجازية ، فإذا استبعد المجازي ، لتوقفه على القرينة بقي عنده الطلب بقسميه ، وإذا استنتج أنَّها في العرف الشرعي يراد منها الوجوب ، أي : الإلزام ، فإنَّ دلالتها تكون قطعية ؛ لعدم احتمال إرادة المعنى الآخر(٤٢).

المبحث الثاني:

الدكتور جاسر عودة وجهوده المقاصدية

جاسر عودة أحد علماء ومفكري مقاصد الشريعة، أستاذ كرسي الإمام الشاطبي بجامعة السلام العالمي بجنوب أفريقيا، ورئيس لمعهد المقاصد وهو مركز بحثي فكري دولي مسجل بالولايات المتحدة الأمريكية، وأستاذ زائر للقانون الإسلامي بجامعة كارلتون بكندا، وهو عضو مؤسس وعضو مجلس أمناء ورئيس لجنة

الدعوة بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو اللجنة التنفيذية للمجلس الفقهي لأمريكا الشمالية، وعضو المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وزميل مجمع الفقه الإسلامي بالهند. حصل على الدكتوراه في فلسفة التشريع الإسلامي من جامعة ويلز البريطانية، والدكتوراه في تحليل المنظومات من جامعة واترلو الكندية، وله خمسة وعشرين كتاباً بالعربية والإنجليزية ترجم بعضها إلى أكثر من عشرين لغة(٤٣) .

المطلب الاول : سيرة مقاصدية

تنوعت السيرة المقاصدية للدكتور جاسر عودة كونه قد خاض هذه التجربة في مؤلفات عديدة كلها تتجه للتوضيح الصورة المثلى للمقاصد الشرعية ، وهي صورة متقدمة من العطاء الفكري في هذا اللون من العلوم ففي كتابه مقاصد الشريعة هي الغايات الكبرى للتشريع الإسلامي، هو من أجمل الكتب المبسطة والمعرفة بموضوع المقاصد الشرعية، كتيب صغير بعنوان «مقاصد الشريعة» دليل للمبتدئ، يتناول فيه مؤلفه الدكتور جاسر عودة، التعريف بالمقاصد، بطريقة مبسطة عبر تطبيقات متنوعة وتوظيف معاصر لدور المقاصد في التجديد الإسلامي في مجالات عديدة منها: التنمية، وحقوق الإنسان، والخطاب الديني، وفتح الذرائع، وعالمية الدين، وتأسيس أرضية مشتركة للحوار بين المذاهب الإسلامية والأديان.

المقاصد الشرعية تبين الحكمة من وراء الأحكام، والمقاصد هي كذلك مجموعة من الغايات الإلهية والمفاهيم الخلقية التي يقوم عليها التشريع الإسلامي، مثل مبادئ العدل، وكرامة الإنسان، والإرادة الحرة، والمروءة والعفاف، والتيسير على الناس، والتعاون الاجتماعي. فمثل هذه الغايات والمفاهيم تشكل جسراً بين التشريع الإسلامي والمفاهيم السائدة اليوم عن حقوق الإنسان، والتنمية، والعدالة الاجتماعية، ويمكن أن تكون إجابة عن بعض الأسئلة: (٤٤)

- ما أفضل طريقة لقراءة القرآن والسنّة وإعادة تفسيرهما على ضوء الحقائق المتوافرة في العالم المعاصر؟
- ما المفهوم الإسلامي لـ«الحرية» و«العدالة»؟
- ما نقاط التوافق بين المفاهيم المعاصرة حول حقوق الإنسان والتشريع الإسلامي؟
- كيف يمكن للشريعة الإسلامية أن تساهم في «التنمية» و«الأخلاق» و«العدالة الاجتماعية»؟

فرق د جاسر عودة في كتابه مقاصد الشريعة ، دليل المبتدئين ، بين مفهومي « المقاصد»و « المصالح»إن مصطلح « المقاصد» جمع«مقصد» «يشير كما هو واضح إلى الهدف والغرض والمطلوب والغاية ، يشير إلى « الإند» باصطلاح اللغة الإنجليزية(٤٥)،أو«التيلوس»بال لغة اليونانية ، أو « الفينالية»في الفرنسية ، أو « زفيك « بالألمانية (٤٦).

أما في الشريعة الإسلامية فالمقاصد هي الهدف ، أو الأغراض ، أو المطلوب أو الغاية من الأحكام الإسلامية (٤٧)يعتبر بعض الفقهاء أن المقاصد تكافئ في معناها « المصالح». فعبد الملك الجويني(توفي عام ٤٧٨ هـ / ١١٨٥ م) ، وهو من أوائل العلماء المساهمين في نظرية المقاصد وتطويرها إلى ما هي عليه اليوم (وهو ما سنشرحه بعد قليل) ، استخدم مصطلح « المقاصد « و « المصالح العامة « على أنهما مترادفان (٤٨)ثم جاء أبو حامد الغزالي (توفي عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) فبنى على عمل الجويني تصنيف المقاصد (٤٩)فجعلها تحت ما يسمى المصالح المرسلة . ٧١٦ هـ / وجاء بعده فخر الدين الرازي (توفي عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) والآمدي (توفي عام ٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م) فاتبعا الغزالي في مصطلحاته (٥٠). ثم عرف نجم الدين الطوفي (توفي عام ١٣١٦ م) المصلحة على أنها « السبب المؤدي إلى مقصود الشارع (أي الله ورسوله) « (٥١). وأما القرافي (توفي عام ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م) فقد وضع قاعدة فقال : « قاعدة : لا يعتبر الشرع من المقاصد إلا ما تعلق به غرض صحيح ، محصل

لمصلحة ، أو دارئ لمفسدة(٥٢). يعني هذا أن أي مقصد وهي من المقاصد ، كما قلنا بمعنى المطلوب أو الغرض أو الغاية أو الهدف ، قد وجد في الشريعة الإسلامية من أجل « مصلحة البشر « ، وهذا يعطيك الأصل العقلي المنطقي لنظرية المقاصد وحدد لنا د جاسر عودة في كتابه هذا ابعاد المقاصد في الفقرة التالية ،خضعت مقاصد التشريع الإسلامي لأشكال متعددة من التصنيفات ، وذلك بحسب المنظور أو البعد التي ينظر منها العالم الفقيه . من هذه الأبعاد

١.مستويات الضرورة، وهذا هو التصنيف التقليدي

٢.مجال الأحكام التي تهدف إلى تحقيق المقاصد .

٣.نوع البشر الذين تشملهم المقاصد .

٤.مستوى شمولية المقاصد. فالتقسيم التقليدي للمقاصد فيه ثلاثة مستويات من الضرورة ، وهي : الضروريات ، والحاجيات ، والتحسينيات . ثم قسم العلماء الضروريات إلى خمس ، وهي « حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ المال ، وحفظ العقل ، وحفظ النسل (٥٣). وأضاف بعض الفقهاء « حفظ العرض « زيادة على الخمسة التي ذكرناها والتي شاعت بينهم تعتبر الضروريات الخمسة أموراً لا بد منها لحياة البشر أو موتهم . فحياة البشر تتعرض للخطر إذا تعرضت عقولهم للخطر (٥٤).

يتميز هذا الكتيب البسيط والقيم عن سابقيه، من الكتب في فقه المقاصد، بأنه استثمر ببراعة، فقه المقاصد، حلولاً لقضايا جدلية معاصرة، من ذلك مثلاً: قضية الناسخ والمنسوخ والتي تفشت بين المفسرين، بدون دليل صحيح، كالقول: إن آية السيف «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» نسخت أكثر من مئتي آية، تدعو إلى حرية المعتقد والحوار والتسامح والسلام.

وفي كتابه الاخر الموسوم «تفكيك الاستبداد، دراسة مقاصدية في فقه التحرر من التغلب» الصادر من (الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣) فقد اتخذ من المدخل المقاصدي منهجاً ناقداً لمقولات «التغلب» التي توطّنت، بشكل أو بآخر، ضمن ساحات التراث السياسي الإسلامي. واعتمد تلك الرؤية النقدية من خلال رؤية المقاصد العامة، وبدا له أن ينتقد التراث الفقهي الذي رافق مقولة التغلب وأجازها، ولعل هذا المنهج النقدي من المناهج المهمة التي يجب أن نمارسها على أوسع نطاق، ضمن مساحات التراث السياسي الإسلامي وتأليفاته المختلفة، إذا ما أردنا أن ننزع كل الاستنادات التي تبرّر لمقولاتٍ هنا أو هناك، يمكن أن تشرعن سلطان القوة، وأنظمة الطغيان والاستبداد، بل وكذلك الانقلابات العسكرية التي برزت في الأفق مرّة أخرى، بعد أن ظن بعضهم أنها توارت. ولعل ما يحدُث في النظم السياسية العربية يشير إلى هذا المعنى الذي يجعل من مساءلة التراث، خصوصا في هذا الجانب، أمراً مهماً وممهداً لتفكيك المقولات الاستبدادية التي قد يستند إليها بعض هؤلاء الطغاة في ممارستهم المعاصرة، فالاستبداد، أيا كان سنده، لا بد أن يواجه بكل وسيلةٍ ومن كل طريق، فما أصدق ما قاله عبد الرحمن الكواكبي، حينما جعل الاستبداد مصدرا لكل داءٍ يمكن أن يصيب الأمة، وكيانها الاجتماعي الحضاري(٥٥).

استدراكاً على هذا المنهج النقدي، على أهميته، من بعض الذين اتخذوا من المدخل المقاصدي أساساً وقاعدةً لتجديد التراث الإسلامي، والتراث السياسي في مقدمته، ليس هذا المدخل فقط رؤية نقدية تمثل تفكيكا لمقولات الاستبداد، بل وجب كذلك أن يتقدّم إلى ساحات التأصيل للبديل لتلك الحالة الاستبدادية على قاعدة أن من أصول تنزيل القيم الإنسانية الكلية، خصوصاً في المجال السياسي، أن يُتطرق إلى صناعة البديل. ولعل هذه النصيحة الذهبية للكواكبي في كتابه الأساس والعمدة لتحليل الظاهرة الاستبدادية «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» رأي مهم أثبته في فصله الأخير، حينما تحدّث عن التخلص من الاستبداد، فأكّد أن من أهم مداخل مواجهة

الظاهرة الاستبدادية هو ما يتعلّق بصناعة البديل؛ فلا يمكن إسقاط سلطة الاستبداد من دون تصوّر لقواعد (وأصول) نظامٍ بديلٍ قابلٍ للتأصيل والتفعيل والتشغيل. هكذا استدرك بعض هؤلاء الذين اهتموا بهذا الاجتهاد والتجديد المقاصدي، وهي مهمةٌ تترافق مع المهمة الأولى التي تقوم بالنهج النقدي في تفكيك هذه الظاهرة الاستبدادية(٥٦).

ويبرز هنا هذا الكتاب المهم الذي جاد به جاسر عودة، ليقدّم رؤية متقدّمة في هذا المقام، فبعد أن أخرج عدة كتب مهمة، منها كتابه المهم «التفكير المقاصدي: مراجعات لترتيب العقل المسلم» (دار المشرق، القاهرة، ٢٠١٧) وكذا واصل اجتهاده المقاصدي بكتابين آخرين «الاجتهاد المقاصدي: من التصور الأصولي إلى التنزيل العملي» (الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣)، وتفاعل مع أحداث الثورات العربية وحراك الشعوب ليقدم رؤية من خلال هذا المدخل المقاصدي «بين الشريعة والسياسة: أسئلة لمرحلة ما بعد الثورات» (الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١١). وكتابه المهم عن مفهوم الدولة المدنية يؤكد على أن التصور المدني للسلطة من أهم التصورات التي يجب إسنادها في الرؤية الإسلامية ليجعلها بذلك بديلاً في مواجهة الاستبداد «الدولة المدنية: نحو تجاوز الاستبداد وتحقيق مقاصد الشريعة» (الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٥). وهكذا فقد شكّل كتابه هذا نقلة نوعية يعبر فيها عن مواجهة الظاهرة الاستبدادية من خلال المدخل المقاصدي ضمن محاولته لبناء مفهوم الدولة المدنية والصياغة المدنية للسياسة والسلطة يشكل هذا الكتاب محاولة تأصيل هذا البديل وصناعته على المستوى الفكري على الأقل، لتقديم أفكار تنبع من فهم مقاصدي وسنني، لتعزيز ما تسمّى «دولة مدنية بمرجعية مقاصدية»(٥٧).

المطلب الثاني :منظومته المقاصديةأن مقاصد الشريعة عند جاسر عودة تشمل المصلحة العامة والمبادئ والقيم التي تعتمد عليها الشريعة الإسلامية من كرامة الإنسان، وحريته وحقوقه ضمن اطار العدالة ، والتكافل الاجتماعي. ،

لقد كان تطبيق مقاصد الشريعة عند جاسر عودة تم تحقّقه بمعيار دليل التنمية البشرية) (ومنصب التنمية البشرية)الذي وضعته الأمم المتحدة وأمثلتها(٥٨).

ونظرا لضيق مساحة البحث سوف نحاول ان تضع ملاحظاتنا على المنظومة المقاصدية للدكتور جاسر عودة على شكل نقاط مع ذكر المصادر والمراجع لهذه المنظومة

١.أن جاسر عودة، ، قد استطاع أن يتجاوز ثنائية «علل الأحكام والفتاوى الشرعية» و«مقاصد الدين» إلى أن وصل إلى التجديد بناء على رؤية منظوميه كلية. ولذلك يرى جاسر عودة أن تجديد الفقه الإسلامي لا يرتبط بمجرد تجديد آحاد الفتاوى استنباطا وتنزيلا فحسب، وإنما يتصل بتجديد الأساليب والمناهج في الاجتهاد والتفكير وتجديد الأصول الفلسفية التي يبنى عليها الفقه نفسه في واقعنا المعاصر (٥٩).

٢.ذهب جاسر عودة إلى أن التشريع الإسلامي بأصوله هو «منطق المنظومة» أو «المنطق المنظومي» وهو نتاج التطور في منهجيات المعرفة الإنسانية منذ العصر الحديث الذي تم تطبيقه في مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية والدينية على حد سواء (٦٠).

٣.يجسد جاسر عودة موقفه من الارهاب ومن يقوم به باسم الدين الشريعة الإسلامية فيلتبس به الحق والباطل. وبذلك خطر بباله سؤال، هل الشريعة الإسلامية أصبحت حقيرة حتى تسمح لبشر أن يقتل آخر في بلد من البلاد؟ (٦١).

٤.ان الاهتمام بالشريعة الإسلامية من قبل جاسر عودة اكده لدى أقليات مسلمة تعيش في أوروبا التي تختلف ظروفها بظروف أغلبيات مسلمة تحتاج بشدة الحاجة إلى إظهار الاجتهادات الجديدة في الفقه الإسلامي. وهذا التجديد لايمكن وقوعه دون شجاعة في تغيير مناهج

الاجتهاد من الاختزاليات إلى الشموليات، ومن الحرفيات إلى الأخلاقيات، ومن آحاديات الأبعاد إلى متعددها، ومن التفكيكيات إلى التركيبيات، ومن الإشارات والألفاظ إلى المقاصد والغايات وراء أحكام الشريعة الإسلامية (٦٢).

٥. فإن جاسر عودة يرى ضرورة تجديد النظرية في الفقه الإسلامي التقليدي بعد اشتغاله بشؤون الاجتهاد. وذلك لأن انغلاق أبواب الاجتهاد لايمكن وقوعه إلا مع عدم المناهج والمقاربات (أو بالاختصار عدم النظريات) التي تم استخامها وتطبيقها في تجديد أبواب الاجتهاد. فجاء جاسر عودة بمنهج جديد في إقامة مفهوم المقاصد الشرعية كعلم من العلوم القائمة بذاتها ضمن علم أصول الفقه وحتى يكون بديلا عنه مثلما اقترحه بعض العلماء المصلحين في القرن العشرين. وكان تجديده يتمحور في ثلاثة أمور هي أصول الشريعة مقاصدها والفلسفة والمنظومات (٦٣).

٦.حدد جاسر عودة أن كلمة المقاصد لغة هي جمع من كلمة المقصد، والمقصد كما هومعلوم عند اللغويين هو الغرض والهدف والمبدأ والنية والغاية والمآل

أما المقاصد في مجال الشريعة الإسلاميةّ فهي الغايات والأهداف من وراء الأحكام الإسلاميه (٦٤) وحدد عدد من الأصوليين أي:النظرين في الفقه الإسلامي،أنّ مقاصد الشريعة ليست بمجرد التعبير عن «مصلحة بشرية»(٦٥).

٧.وكان جاسر عودة أراد أن يعيد بناء مفهوم المقاصد الشرعية كصلة بين التشريع الإسلامي وبين المفاهيم المعاصرة كحقوق الإنسان، والتنمية والمدنية. وبما أن الأصوليين القدماء –الذين عاشوا بين القرنين الخامس والثامن الهجري من الجويني، والغزالي، والرازي، والآمدي والطوفي والقرافي– قد عرّفوا أن المقاصد تتمحور فقط في قضية «المصلحة» بمختلف مصطلحاتها. فيرى جاسر عودة أن المقاصد الشرعية عنده إذ ا تشتمل على

(١) المصلحة العامة مثل الحِكم لجواب مثل أسئلة «لماذا كان إيتاء الزكاة واحداً من أركان الإسلام؟ ما هي المنافع الجسمية والروّحية لصيام رمضان؟» و(٢)المبادئ والقيم التي تعتمد عليها الشريعة الإسلامية من العدل وكرامة الإنسان، وحرية الاختيار،والسماحة، والتيسير، والتكافل الاجتماعي (٦٦).

٨.اما البعد الثاني بذاته مبني على المحاورة بين جاسر عودة مع المفكر السوداني حسن الترابي. فتطور النظريات الإسلامية المعاصرة انتقدت مستويات الضرورة عند التقسيم التقليدي منها: نظرية المقاصد التقليدية متناولة كليات الشريعة لا مقاصد الأبواب الخاصة منها غضافة إلى تناول الأفراد دون الأسر أو المجتمع أو البشر عموما وفضلا عن استنباط هذه المقاصد من التراث الفقهي لا من النص الأصلي القرآني والحديثي(٦٧).

٩.اما مجال عموم المقصد (التعميم) من النص الأصلي الذي يمثل القيم والمبادئ العليا للإسلام. فقد اوضح جاسر عودة أن مثل هذا المجال هو ما قام به محمد طاهر بن عاشور من أن الرؤيا العامة لهذه الشريعة الإسلامية هو المحافظة على الأمة الاسلامية وجعل المساواة والحرية والسماحة والعالمية ومراعاة الفطرة وهلم جراً (٦٨).

١٠.كانت مقاصد الشريعة الجديدة عند جاسر عودة مصدرها ثلاثة عناصر هي الوحي البياني)الكتاب والسنة(، والعقل البرهاني)المطابقة مع الواقع الإنساني والاجتماعي(و الحس الطبيعي)المطابقة مع التجربة الطبيعية(.بمعنى أن تلك الثلاثة هي المصادر التي يتكامل بعضها بعضا بشكل شامل توحيدي في تأييد المقاصد الشرعية ولأيمكن الاقتصار على أحدها بشكل تجزيئي(٦٩).

١١.المنظومة هي أي شيئ له وجود يمكن أن يطلق عليه اسم ما أيا كان وليس هذا نظرا إلى الحقيقة بمنظار الخيال لأن نظرية المنظومة تؤكد على أن أي نظر إلى ما نسميه الحقيقة من

خلال أي منظومة إنما هو عملية إدراكية(٧٠). وهذه العملية الإدراكية هي التي استطعنا كبشر بموجبها أن تغير ونطور نظرياتنا العلمية الطبيعية عبر القرون دون أن يعنى هذا بالضرورة تغييرا في الحقائق الطبيعية المادية نفسها(٧١).

١٢.تتميز الفلسفة القديمة بالتحليل التجزيئي بجوانبها المختلفة والمتنوعة بحيث كان منظورا المنظومات وفلاسفتهم المعاصرون قد نقدوا هذه النظرية التجزيئية وأبدلوها بالنظرية المنظومية. وقد أورد جاسر عودة في كتابه كثيرا من النظريات في المنظومات إلا أنه لم يأخذ منها مباشرة يدا بيد لأن الغرض من عرض سمات هذه النظريات ليعلم الناس وليبقى في ذهنه علاقة متينة

١٣.بين هذه السمات في المنظومات وبين الأدلة العقائدية الإسلامية على صانع الكون ومبدعه (الله)تعالى بنظمه المنتظمة(٧٢).

الخاتمة والنتائج

يستنتج من أن النموذج المعرفي من مقاصد الشريعة عند جاسر عودة ، يتكون من

١.أن المقاصد الشرعية تشمل المصلحة العامة والمبادئ والقيم التي تعتمد عليها الشريعة الإسلامية من العدل وكرامة الإنسان، وحرية الاختيار،والسماحة والتيسير، والتكافل الاجتماعي.

٢.أن مصادر المقاصد الشرعية هي الوحي البياني (الكتاب والسنة)، والعقل البرهاني (المطابقة مع الواقع الإنساني والاجتماعي) و الحس الطبيعي (المطابقة مع التجارب الطبيعية).

٣.المنهج في تحقيق هذه المقاصد الشرعية عند جاسر عودة هو المنهج المنظومي أو المقاربة المنظومية

٤.وأما المعايير في تحقق مقاصد الشريعة عند جاسر عودة فهي نظرية المراسلات التي كانت هناك علاقة متبادلة بين ما هو في القيم المثالية أو الأفكار الفلسفية وبين ما حدث في الواقع.

الهوامش:

(١) انظر القاموس المحيط: ١ ص ٣٢٧ ومعجم مقاييس اللغة: ٥ ص ٩٥، المصباح المنير ٢ ص ٦٩١، مختار الصحاح: ص ٥٣٦، تهذيب الأسماء واللغات: ٢ ص ٩٣؛ محمد مصطفى الزحيلي ، الوجيز في أصول الفقه ، الناشر دار الخير ، ط٢ ،(دمشق - ١٤٢٧ / ٢٠٠٦)ج١ ، ص١٠١

(٢) ابن عاشور، (المتوفى: ١٩٧٣ـ) مقاصد الشريعة ، المحقق: ابن الخوجة محمد الحبيب (قطر، ١٤٢٥)ص ١٣، الأصول العامة لوحدة الدين الحق: ص ٦١.؛ الزحيلي ، الوجيز في اصول الفقه الاسلامي ،ج١ ، ص١٠٢

(٣) العز بن عبد السلام اشار الى ذلك : «اعلم أن الله سبحانه لم يشرع حكمًا من أحكامه إلا لمصلحة عاجلة أو آجلة أو عاجلة وآجلة تفضلًا منه على عباده» ثميقول: «وليس من آثار اللطف والرحمة واليسر والحكمة أن يكلف عباده المشاق بغير فائدة عاجلة ولا آجلة، لكنه دعاهم إلى ما يقربهم إليه»، شجرة المعارف والأحوال، له: ص ٤٠١؛ أبن تيمية': تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (المتوفى:٧٢٨هـ) السياسة الشرعية الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الطبعة: الأولى (المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨هـ)ص ٤٧، وقال الشاطبي: «إن الأحكام الشرعية إنما شرعت لجلب المصالح أو درء المفاسد» ، الشاطبي ، أبو اسحاق محمد اللخمي (المتوفى: ٥٧٩٠) الموافقات، المحقق: مشهور بن حسن : دار ابن عفان للنشر والطباعة ، الطبعة الأولى (القاهرة ،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)ج١، ص١٩٥

(٤) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج٢، ص٢١ ؛ الأصول العامة لوحدة الدين الحق: ص ٦١.

(٥) الريسوني احمد ،،الفكر المقاصدي قواعده وفوائده ،منشورات جريدة الزمن،١٩٩٩، ص١٣

(٦) ينظر، بيان ذلك بإسهاب وتفصيل في ذلك (البوطي، محمد سعيد رمضان ، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٧٣): ص ٤٥ وما بعدها، ٧٣ وقال القرافي: «الشرائع مبنية على المصالح» ينظر ، أبو العباس عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤ ٥) شرح تنقيح الفصول ، المحقق: طه عبد الرؤوف ، الطبعة: الأولى(بغداد، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م)، ص ٤٢٧.؛ الزحيلي ، الوجيز في أصول الفقه ، ج١ ، ص١٠٣

(٧) لحكيم الترمذي (ت، ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين ((الإمام الحافظ العارف الزاهد ، وكان ذا رحلة ومعرفة وله مصنفات وفضائل.. وله حكم ومواعظ وجلالة لولا هفوة بدت منه ..ينظر، الذهبي ،سير أعلام النبلاء» ، ج١٣ ، ص٤٣٩

(٨) جاسر عودة ،مقاصد الشريعة عند المبتدئين ، ص٣٧

(٩)كما قال الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني ، محاورة شفهية ، جدة ، تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٦. أحالها

الدكتور الريسوني على كتاب أبو الحسن الفيلسوف العامري : الإعلام بمقاصد الإسلام ، تحرير أحمد غراب (القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧) ص٤٣

(١٠) احمد الريسوني ، مدخل إلى مقاصد الشريعة، ، الناشر دار الكلمة للنشر، ط:١، (مصر، ١٤٣٤ ٥)ص: ٩.

(١١) هو الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، أبو جعفر القمي. ولد في قم،وتوفي في سنة ٣٠٦ هجرية وتوفي سنة ٣٨١هجرية وهو أحد الأربعة المشهورين بجمع الأخبار، حيث انه مؤلف كتاب من لا يحضره الفقيه أحد الكتب الأربعة عند الشيعة الاثنا عشرية، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، الامالي ، مؤسسة البعثة (قم ، ١٤١٧١ ه) ص٣

(١٢) الامام العلامة الفقيه الاصولي اللغوي, عالم خراسان , أبو بكر محمد الشافعي ، الشهير بالقفال الكبير, امام وقته بما وراء النهر ، وصاحب التصانيف .الذهبي ،: شمس الدين أبو عبد الله (المتوفى، ٧٤٨هجريه) سير أعلام النبلاء الناشر: دار الحديث،(القاهرة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ج١٢،ص٩ .

(١٣)احمد الريسوني ، مدخل إلى مقاصد الشريعة، ص: ٦٧

(١٤) المرجع نفسه ص: ٧٠

(١٥) العبيدي، حمادي، الشاطبي ومقاصد الشريعة، دار قتيبة، ط:١، (القاهرة ، ١٤١٢ ٥/١٩٩٢م) ص: ١٣٥.

(١٦) العبيدي ، الشاطبي ومقاصد الشريعة، ص١٣٥-١٣٦

(١٧) العبيدي ، الشاطبي ومقاصد الشريعة، ص: ١٣٦.

(١٨) المرجع نفسه، ص: ١٣٧.

(١٩) الريسوني ،محاضرات في مقاصد الشريعة، ، ص: ٨٨- ٨٩.

(٢٠) العز بن عبد السلام ، أبو محمد عز الدين (المتوفى: ٦٦٠هـ) قواعد الأحكام في مصالح الأنام مراجعة وتعليق : طه عبد الرؤوف ،الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية ، (مصر ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١)ج١ ص ،٢٩ – ٤٢

(٢١) انظر الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (المتوفى: ٥٠٥هـ) المستصفى ،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى،(بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)ج١ ص ٢٨٦؛ عبد الوهاب خلاف ،علم أصول الفقه، (القاهرة ،١٩٤٢): ص ١٩٩ ط ٨؛ الموافقات ج٢ ص ٤،؛ الأصول العامة: ص ٦٠، ٦١.

(٢٢) الغزالي ،المستصفى: ج١، ص ٢٨٧.

(٢٣) الغزالي ،المستصفى: ج١، ص ٢٨٩؛ وهبة بن مصطفى الزحيلي ،الوجيز في أصول الفقه ،ج١ ، ص١١٣

(٢٤) ينظر: الشاطبي ،الموافقات: ٢ ص ٦؛ الحلاف ، علم أصول الفقه،: ص ٢٠٠ ط ٨، الغزالي المستصفى، ١ ص ٢٩٠؛ وهبة بن مصطفى الزحيلي ،الوجيز في أصول الفقه ،ج١ ، ص١١٣

(٢٥) الريسوني ،محاضرات في مقاصد الشريعة، ، ص، ٩٢

(٢٦) الريسوني ،محاضرات في مقاصد الشريعة، ، ص: ٩٢

(٢٧) المرجع نفسه ، ص: ٩٢

(٢٨)الفتوحي ،تقي الدين أبو البقاء محمد (المتوفى: ٩٧٢هـ) شرح الكوكب المنير، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة الثانية(الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧)، ج١، ص٢٩٦؛القرافي شرح تنقيح الفصول ص : ١١٢،الطوفي، شرح مختصر الروضة،،ج ٣، ص١٥٦، أبي زرعة العراقي، الغيث الهامع ، ص ٦٤٦، ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ج ٢، ص٥٧٨.

(٢٩)ابن منظور لسان العرب،ج ١١،ص١٦ مادة اصل الفيومي ،.والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ص ٢٤ ، المناوي ،التعاريف ، ص٦٩ .

(٣٠) الزبيدي، تاج العروس : /٦٨٣٩ .

(٣١)ابن منظور لسان العرب، ج ١١،ص٩ ، مادة أثل .

(٣٢) الغزالي ،المنخول : ص٨٠ .

(٣٣)ابن عاشور،التحرير والتنوير ، ج ١،ص١١٣٤ .

(٣٤) ينظر:ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين،ج ٢،ص٣٤١ ،عبد الوهاب الخلاف ،خلاصة التشريع الإسلامي:ص٢٩ ، عبد المجيد الجزائري ،القواعد المستخرجة من كتاب أعلام الموقعين ،: ص٢٠٣ ؛السيد احمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند الاصوليين ص٩ ، خيري الجميلي ،الدلالة عند الآمدي، ص١٥ .

(٣٥)للآمدي الإحكام في أصول الأحكام ، : مج١ ، ١/٧-٨ ؛ مصطفى الخن ،الكافي الوافي ، ص١٧ .

(٣٦)الملا خسرو : مرآة الأصول ص٢٨٢ .

(٣٧)الجويني البرهان ،ج ١،ص٨٤ ، وشرح العضد :ج ١،ص٣٢،ا للآمدي : الإحكام في أصول الأحكام ،مج١ ، ج١،ص٨.

(٣٨) الغزالي : المستصفى ، ص١١ .

(٣٩)مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين ، ص٣٥ .

(٤٠)الجيزاني : معالم أصول الفقه ،ص٣٤ .

(٤١) سورة البقرة ، الاية ٤٣

(٤٢) ينظر : مصطفى جمال الدين، البحث النحوي عند الأصوليين ، ص٣٥-٣٦ .

(٤٣)جاسر عودة، مقاصد الشريعة: دليل للمبتدئين، بالإندونيسية على ترجمة على عبد المنعم: Jasser Auda, Maqasid al-Syariah untuk Pemula, translated to bahasa by Ali Abdelmonim, (Yogyakarta: SUKA

(Pers 2013 م) p 137-139
(٤٤)جاسر عودة ، مقاصد الشريعة ، دليل المبتدئين ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة الاولى (لندن واشنطن،١٤٣٢/٢٠١١م)ص١٤
(٤٥) محمد الطاهر بن عاشور ، ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ترجمة محمد الطاهر الميساوي (لندن ، واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي (٢٠٠٠٦) ، ص ٢ .
(٤٦)رودلف فون يرينغ ، القانون وسيلة إلى غاية (Der Zweck im Recht) ، ترجمة إيزاك هوسيك ، الطبعة الثانية (نيوجيرسي : ذا لوبوك إيكستشينج . طبعته الأصلية في عام ١٩١٣ بوسطن بوك كومباني] ، ٢٠٠١) ص ٣٥ .
(٤٧)ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحرير الطاهر الميساوي (كوالا لامبور : الفجر ، ١٩٩٩) ، ص ١٨٣
(٤٨)عبد الملك الجويني ، غياث الأمم ، تحرير عبد العظيم الديب (قطر : وزارة الشؤون الدينية ، ١٤٠٠ هـ) ص ٢٥٣ . ؛ جاسر عودة ، مقاصد الشريعة ، دليل المبتدئين ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة الاولى (لندن واشنطن،١٤٣٢/٢٠١١م)ص١٥
(٤٩)أبو حامد الغزالي ، المستصفى في علم الأصول ، تحرير محمد عبد السّلام عبد الشافي ، الطبعة الأولى (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ) المجلد الأول ، ص ١٧٢ . ؛ جاسر عودة ، مقاصد الشريعة ، دليل المبتدئين ، ص١٦
(٥٠)أبو بكر المالكي بن العربي ، المحصول في أصول الفقه ، تحرير حسين علي البدري وسعيد فوده ، الطبعة الأولى (عمان : دار البيارق ، ١٩٩٩) المجلد الخامس ، ص ٢٢٢ ، والآمدي ، علي أبو الحسن ، الإحكام في أصول الأحكام . (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤ هـ) ، ص ٢٨٦
(٥١)نجم الدين الطوفي ، التعيين في شرح الأربعين (بيروت : دار الريان ، ١٤١٩ هـ) ، ص ٢٣٩
(٥٢)شهاب الدين القرافي ، الذخيرة (بيروت : دار العرب ، ١٩٩٤) ، المجلد الخامس ، ص ٤٧٨ .
(٥٣)شهاب الدين القرافي ، الذخيرة (بيروت : دار العرب ، ١٩٩٤) ، المجلد الخامس ، ص ٤٧٨ .
(٥٤)الغزالي ، المستصفى ، المجلد الأول ، ص ١٧٢ ، وإبراهيم الغرناطي الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، تحرير : عبد الله دراز (بيروت : دار المعرفة ، بدون تاريخ) ، المجلد الثالث ، ص ٤٧ . جاسر عودة ، مقاصد الشريعة ، دليل المبتدئين ، ص١٧
(٥٥)سيف الدين عبد الفتاح متاح على الموقع https://www.alaraby.co.uk/opinion
(٥٦)سيف الدين عبد الفتاح متاح على الموقع https://www.alaraby.co.uk/opinion
(٥٧)سيف الدين عبد الفتاح متاح على الموقع https://www.alaraby.co.uk/opinion
(٥٨)محمد مأمون، الرؤية المنظومية ودورها في تجديد مقاصد الأحكام والفتاوى المعاصرة/دراسة إبستمولوجية في فلسفة التشريع الإسلامي عند جاسر عودة، مجلة Dirosatuna: Journal of Islamic Studies Vol. ١, No. ٢ 2018
(٥٩)وعلاوة على ذلك فإن محمد أمين عبد الله قد وضع الموقف الأساسي من جاسر عودة ومساهمته في فتح الرؤية الجديدة فيما يتعلق بدور الفقهاء وأصحاب القوانين في إثبات الأحكام والقوانين وألوانها وتنوع مناهجها ومراتب الفهم لنصوص الدين. ينظر، الموقع الرسمي لمحمد أمين عبد الله: http://aminabd.wordpress.com urgensi-pendekatan-antropologi-untuk-studi-agama-dan-studi-islam/
(٦٠)جاسر عودة، «مقاصد الشريعة وتجديد الفقه الإسلامي المعاصر: رؤية منظومية كلية»، منشور في مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٥١ ، مايو ٢٠١٤ ، ص. ١٠٧-١٠٩
(٦١) جاسر عودة، مقاصد الشريعة كفلسفة للتشريع الإسلامي: رؤية منظومية، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢)، ص. ١٩-٢٠
(٦٢) المرجع نفسه ، ص٢٧
(٦٣)المرجع نفسه ص ٢٥ ، راجع أيضا: ابن عاشور محمد طاهر ، مقاصد الشريعة الإسلامية، (كوالا لامبور: الفجر، ١٩٩٩) ص ٢
(٦٤)جاسر عودة، «مقاصد الشريعة وتجديد الفقه الإسلامي المعاصر: رؤية منظوميه كلية»، منشور في مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٥١ ، مايو ٢٠١٤ ، ص. ١٠٧-١٠٩
(٦٥)جاسر عودة، مقاصد الشريعة كفلسفة للتشريع الإسلامي: رؤية منظوميه، ص. ٣
(٦٦)جاسر عودة، مقاصد الشريعة كفلسفة للتشريع الإسلامي: رؤية منظوميه، ص. ٣-٥٠-٥١
(٦٧)جاسر عودة، مقاصد الشريعة كفلسفة للتشريع الإسلامي: رؤية منظوميه، ص. ٣٦-٤٠
(٦٨)جاسر مقاصد الشريعة ، ص٣٦-٤٠
(٦٩)حسن الترابي، التفسير التوحيدي،)بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٤ (، ص. ٢٥-٢
(٧٠)جمشيد جاراجيداغي، «منهج المنظومات: لغة شموليّة للتفاعل والتصميم. تجاوز الفوضى وفهم التعقيد،» في موقع systemsthinkingpress.com ، ص. ٣٨.
(٧١)جاسر ، مقاصد الشريعة ص٦٥-١١٠
(٧٢)المرجع نفسه ،ص٦٥-١١٠

المصادر والمراجع :

القران الكريم
١.الآمدي ، علي أبو الحسن ،(المتوفى ، ٦٣١ هـ)الإحكام في أصول الأحكام . دار الكتاب العربي ، (بيروت : ١٤٠٤ هـ)
٣.أبو بكر المالكي بن العربي ، (المتوفى: ٥٤٣هـ) المحصول في أصول الفقه ، تحرير حسين علي البدري وسعيد فوده ، الطبعة الأولى (عمان : دار البيارق ، ١٩٩٩)
٤.البوطي، محمد سعيد رمضان ، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٧٣):
٥.الترابي حسن ، التفسير التوحيدي،)بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٤
٦.أبن تيمية': تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: ٧٢٨هـ) السياسة الشرعية الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الطبعة: الأولى (المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨هـ)
٧.جاسر عودة ، مقاصد الشريعة ، دليل المبتدئين ، معهد الفكر الاسلامي العالمي، الطبعة الاولى (لندن واشنطن ،١٤٣٢/١٤٣٢م)
٨.جاسر عودة، «مقاصد الشريعة وتجديد الفقه الإسلامي المعاصر: رؤية منظومية كلية»، منشور في مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٥١ ، مايو ٢٠١٤ ،
٩.جاسر عودة ، مقاصد الشريعة ، دليل المبتدئين ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة الاولى (لندن واشنطن ،١٤٣٢/١٤٣٢م)
١٠.جاسر عودة، مقاصد الشريعة كفلسفة للتشريع الإسلامي: رؤية منظومية، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢)،
١١.جاسر عودة، مقاصد الشريعة: دليل للمبتدئين، بالإندونيسية على ترجمة على عبد المنعم: Jasser Auda, Maqasid al-Syariah untuk Pemula, translated to bahasa by Ali Abdelmonim, (Yogyakarta: SUKA Pers ٢٠١٣)
١٢.الجزائري عبدالمجيد جمعة، القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين للعلامة ابن قيم الجوزية ،دار ابن القيم الطبعة الاولى (الدمام، ١٤٢١هـ)
١٣.الجميلي ، خيري ، جبير ،الدلالة دراسة في المفهوم، مجلة ديالى ،العدد الخامس والعشرون ، ٢٠٠٧
١٤.الجويني عبد الملك ، إمام الحرمين (المتوفى ٤٧٨هـ) غياث الأمم في التياث الظلم ، تحرير الديب عبد العظيم (قطر : وزارة الشؤون الدينية ، ١٤٠٠ هـ)
١٥.الجويني عبد الملك ، إمام الحرمين (المتوفى ٤٧٨هـ) البرهان في أصول الفقه، تحقيق: بن عويضة صلاح الطبعة الأولى ، (بيروت – لبنان ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م)
١٧.الجيزاني ،حسَيْن بن حَسنْ محمَّد ،معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة لناشر: دار ابن الجوزي ، الطبعة الخامسة(القاهرة ، ١٤٢٧ هـ)
١٨. لحلاف ، عبد الوهاب ،علم أصول الفقه، ، مكتبة الدعوة الاسلامية ، شباب الازهر(القاهرة ،١٩٤٢):
١٩. الخن، مصطفى سعيد ،الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي ، الطبعة الاولى ، (لبنان ،بيروت، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م)
٢٠. الذهبي ،: شمس الدين (المتوفى: ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء الناشر: دار الحديث،(القاهرة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)
٢١.الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد (المتوفى: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح ،المحقق: يوسف بن الشيخ ، الطبعة: الخامسة(بيروت ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)
٢٢.الريسوني احمد ،،الفكر المقاصدي قواعده وفوائده ،(منشورات جريدة الزمن،١٩٩٩.
٢٣.الريسوني احمد ، مدخل إلى مقاصد الشريعة، ، ، الطبعة الاولى (القاهرة ، ١٤٣٤ ٥)
٢٤.رودلف فون يرينغ ، القانون وسيلة إلى غاية (Der Zweck im Recht) ، ترجمة إيزاك هوسيك ، الطبعة الثانية (نيوجيرسي : ذا لوبوك إيكستشينج . طبعته الأصلية في عام ١٩١٣ بوسطن بوك كومباني ، ٢٠٠١)
٢٥.الزبيدي ، مرتضى ،محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق (المتوفى ١٢٠٥ هـ) تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية • (الكويت ، ١٩٦٥.).
٢٦.أبو زرعة ،ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت ٨٢٦ هـ) الغيث الهامع شرح جمع الجوامع ،تحقيق : محمد تامر حجازي: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى،(بيروت،١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م):
٢٧.الزحيلي ،محمد مصطفى ، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الناشر: الطباعة والنشر والتوزيع للدار الخير- ، الطبعة: الثانية ،(دمشق - سوريا ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م)
٢٨.الزحيلي،وهبة اصول الفقه الاسلامي ،دار الفكر(دمشق، ١٩٨٦):
٢٩.السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية،(الإسكندرية، ١٩٩٦م)
٣٠.الشاطبي ،إبراهيم بن موسى بن محمد (المتوفى: ٧٩٠هـ) الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور الناشر: دار ابن عفان ،ط١ (القاهرة ،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)
٣١.الشاطبي ،إبراهيم الغرناطي (المتوفى، ٧٩٠هـ) ، الموافقات في أصول الشريعة ، تحرير : عبد الله دراز، دار المعرفة (بيروت ، بدون تاريخ)
٣٢.الصدوق أبي جعفر محمد(المتوفى، ٣٨١ هـ) ، الامالي ، مؤسسة البعثة (قم ، ١٤١٧١ هـ)
٣٣.الطوفي ،سليمان بن عبد القوي بن الكريم (المتوفى : ٧١٦هـ) شرح مختصر الروضة ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ،(بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)

٣٤.الطوفي ،نجم الدين ، (المتوفي ٧١٦ هـ) التعيين في شرح الأربعين دار الريان (بيروت ، ١٤١٩ هـ)
٣٥.ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب الناشر: دار صادر الطبعة: الثالثة ،(بيروت ١٤١٤ هـ)
٣٦.ابن عاشور،محمد الطاهر(١٩٧٣م) ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ترجمة محمد الطاهر الميساوي (لندن ، واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي (٢٠٠٦)
٣٧.ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحرير الطاهر الميساوي (كوالا لامبور : الفجر ، ١٩٩٩)
٣٨.ابن عاشور محمد الطاهر (المتوفى:١٣٩٣هـ) :التحرير والتنوير ، الناشر : دار النشر التونسية (تونس،١٩٨٤ هـ)
٣٩.ابن عاشور، محمد الطاهر (المتوفى:١٣٩٣هـ) مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (قطر، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م)
٤٠.العبيدي، حمادي، الشاطبي ومقاصد الشريعة، دار قتيبة، ط:١، (القاهرة، ١٤١٢/٥/١٩٩٢م)
٤١.العز بن عبد السلام ،: أبو محمد عز الدين (المتوفى: ٦٦٠هـ) قواعد الأحكام في مصالح الأنام راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف: مكتبة الكليات (القاهرة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١)
٤٢.العز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين عبد العزيز، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال , تحقيق إياد خالد الطباع، دار الفكر (دمشق: د.ت)
٤٣.عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) شرح مختصر المنتهى الأصولي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية،(بيروت ، لبنان، ، ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٤ م)
٤٤.الغزالي أبو حامد ،(المتوفى ٥٥٠٥) المستصفى في علم الأصول ، تحرير محمد عبد السّلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى (بيروت ، ١٤١٣ هـ)
٤٥.الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (المتوفى: ٥٠٥هـ) المنخول من تعليقات الأصول حققه وخرج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو الناشر: دار الفكر المعاصر- الطبعة: الثالثة بيروت لبنان، دار الفكر (دمشق - سورية ١٤١٩ هـ /١٩٩٨ م).
٤٦.الفتوحي، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد (المتوفى: ٩٧٢هـ) شرح الكوكب المنير ، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد الناشر: مكتبة العبيكان ،: الطبعة الثانية(الرياض، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧)
٤٧.الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الناشر: المكتبة العلمية - بيروت ،د.ت)
٤٨.الفيروز أبادى ،القاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر (المتوفى: ٨١٧هـ) القاموس المحيط ؛ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثامنة(بيروت - لبنان ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)
٤٩.القرافي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس(المتوفى: ٦٨٤هـ) شرح تنقيح الفصول ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة: الأولى، (القاهرة ،١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م)
٥٠.القرافي ،شهاب الدين ، (المتوفى ٦٨٤ هـ)الذخيرة دار العرب ،(بيروت ، ١٩٩٤)
٥١.ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد (المتوفى: ٧٥١ هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين، قدم له : أبو عبيدة مشهور ، الطبعة: الأولى(السعودية ، ١٤٢٣ هـ)
٥٢.محمد مأمون، الرؤية المنظومية ودورها في تجديد مقاصد الأحكام والفتاوى المعاصرة دراسة إبستمولوجية في فلسفة التشريع الإسلامي عند جاسر عودة، مجلة Dirosatuna: Journal of Islamic Studies Vol. ١, No. ٢)
٥٣.مصطفى جمال الدين، البحث النحوى عند الأصوليين، دار الهجرة (ايران ، قم ،١٤٠٥هـ)
٥٤.مُلا خسرو ،محمد بن فرامرز بن علي الشهير بمُلا(المتوفي، ٨٨٥ هـ) مرآة الأصول شرح مرقاة الوصول (أصول الفقه)، معارف شركت صحافية عثمانية ،١٣٢١هـ
٥٥.المناوي،: زين الدين محمد (المتوفى: ١٠٣١هـ) التوقيف على مهمات التعاريف، ط١(القاهرة ، ١٤١٠هـ)
٥٦.النووي ،أبو زكريا محيي الدين يحيى (المتوفى: ٦٧٦هـ) تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (بيروت ،، د. ت)
٥٧.المواقع الالكترونية
٥٨.جمشيد جاراجيداغي، «منهج المنظومات: لغة شموليّة للتفاعل والتصميم. تجاوز الفوضى وفهم التعقيد،» في موقع systemsthinkingpress.com
٥٩.سيف الدين عبد الفتاح متاح على الموقع https:// www.alaraby.co.uk/opinion
٦٠.الموقع الرسمي محمد أمين عبد الله: http:// aminabd.wordpress.com urgensi-pendekatan-antropologi-untuk-studi-agama-dan-studi-/islam

منظومة المقاصد عند الدكتور جاسر عودة

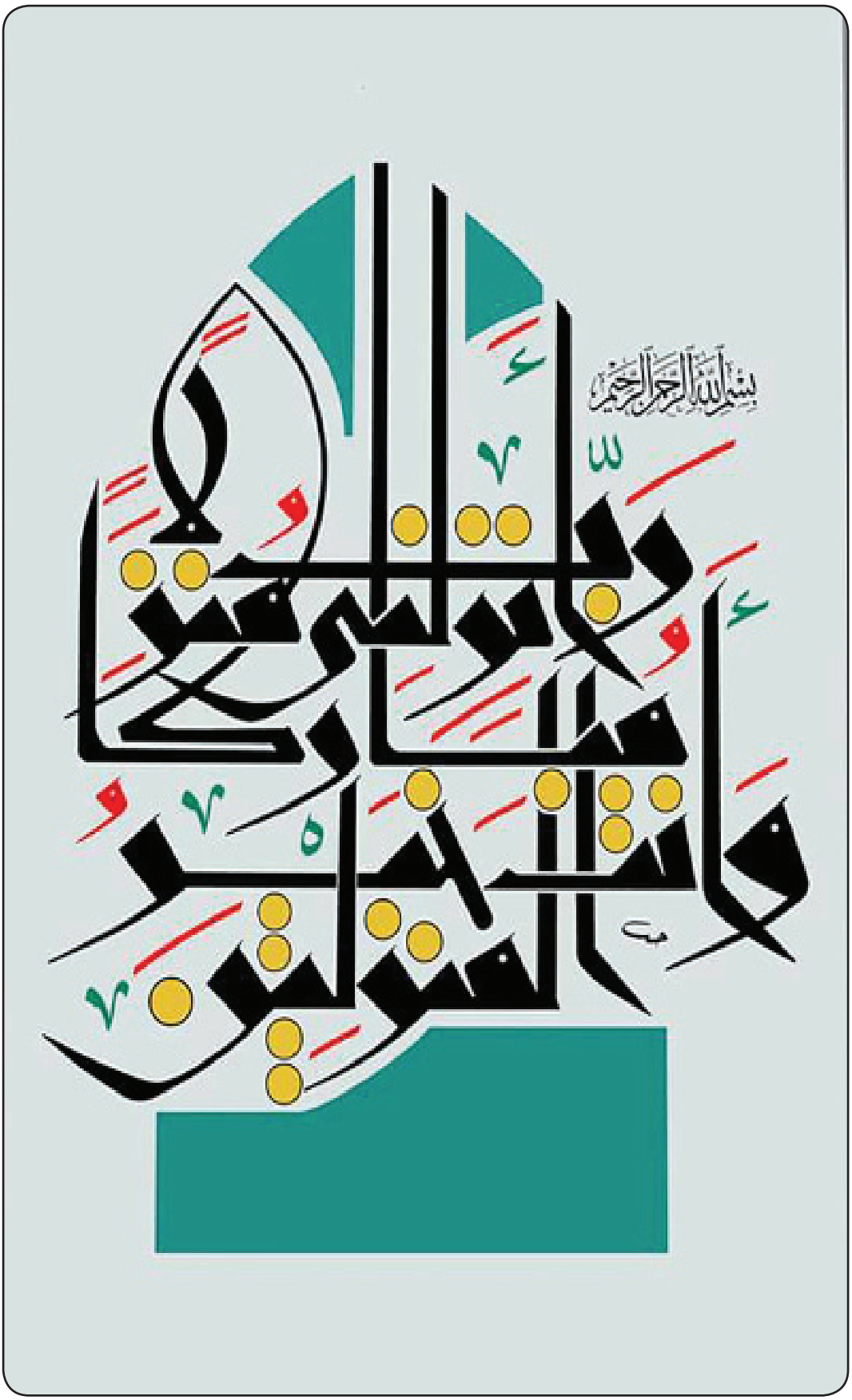

أثر الحركة الإعرابية والسبك في نصوص مختارة من القرآن الكريم

م د. براء علاء عبدالحسين
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)فرع ذي قار

الملخص :

درس النحويون قديماً وحديثاً الحركة الإعرابية ،حتى أخذت حيّزاً كبيراً من مؤلفاتهم، إلا أن دراستهم الحركة الإعرابية بقيت مرتبطة بالجملة ونحوها ، ولم تتعداها إلى النص ، ذلك المنظور الأوسع والأشمل في الدراسات اللسانية الحديثة ، فنحوُ النصِّ أو علم لغة النص ، علمٌ حديثٌ ظهر عند علماء اللغة الغربيين ، والجملة في منظور هذا العلم تُشكّل جزءاً مهماً من النص أو هي نواة النص ، والنص عبارة عن حدث لغوي أوسع من الجملة تتحقق فيه سبعة معايير(١) وضعها دي بوجراند ودريسلر لإثبات نصيّته ، وهي: السبك والحبك وهذان المعياران يتعلقان بالجملة والنص معاً(٢)، أما المعايير الخمسة الأخر فهي تتعلّق بالنص وحده ، وهي : القصدية والإعلامية ، والمقبولية ، والمقامية أو الموقفية ، والتناص(٣) ، مما يندرج تحت مفهوم التداولية التي تضم معه المرسل والمتلقي.

ABSTRACT:

The grammarians, ancient and modern, studied the syntactic movement, until it took a large part of their writings, but their study of the syntactic movement remained linked to the sentence and the like, and did not go beyond it to the text. Western language, and the sentence in the perspective of this science constitutes an important part of the text or is the nucleus of the text, and the text is a linguistic event broader than the sentence in which seven criteria are fulfilled (1) developed by de Beaugrand and Dressler to prove its textuality, namely: casting and weaving and these two criteria are related to the sentence and the text together(2)As for the other five criteria, they are related to the text alone, and they are: Intentional and informative, acceptability, position or situational, and intertextuality (3), which falls under the concept of deliberative, which includes with it the sender and the receiver.

المقدمة:

كَثُرت الدراسات العربية التي طبقت المعايير النصية السبعة على النص العربي ، لكنّها أغفلت أنّ الحركة الإعرابية يمكن أنْ تكون وسيلة ينسبكُ بها النص ويُحقّق مقاصده ، ووظائفه التداولية بين متكلمي اللغة.ولم تُعدّ الحركة مقصورةً على ربط الجملة فقط ، وإنّما تسعى إلى ربط النص وتحقيق انسجامه، وخلق نصيته، وذلك أنّها يمكن أن تكون معيار ربط مباشر يقوم بربط النصوص وإبراز نصيّتها،عبر نسيج نصيٍّ مترابطٍ، قوامه التماسك والإنسجام، ويُسهم أيضاً في التفاعل مع ضمائم التداولية أو مع ما يندرج تحتها ليُثبت أنّ هناك قصداً ما من وراء إختيار نسق إعرابي على غير من الأنساق الأخر ، ويسعى إلى تحقيق مقبولية المتلقي عبر خلق تماسك النصوص وسبكها ، إذ إنها تتفاعل مع معطيات السياقات اللغوية وغير اللغوية لجعل النص أقوى نسيجاً وأحسن سبكاً. فإذا لم يتحقق الترابط النحويّ والاتساق الدلالي للنص ، فإنّ النسيج النصي يبقى بلا قدرة على إيصال أفكار منتج النص إلى مستقبليه ، وبذلك يفقد النص أهم سمة له وهي السمة الإيصالية ، ويحكم متلقي النص بردّه وعدم مقبوليّته.

الحركة الإعرابية والسبك :

يقصد بالسبك(٤) ما ((يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية SURFACE على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق Progressive occurrence بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي SEQUENTIAL CONNECTIVE وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط))(٥) والسبك ((لا يقتصر على أمر محدد بذاته ، وإنما يتكون من مجموعة أدوات الترابط النحوي والمعجمي التي تعدّ مكوّنات فعّالة في تحقيق الجانب الاتساقي، إذ لا يمكن أن نطلق على نص أنّه متسقٌ إلاّ إذا تحقق وجود مجموعة من الروابط التي تعمل على تماسكه))(٦).

وإنّهُ من ((أشدّ المعايير إتصالاً بالنص ، لأنّ السبك هو الترابط الرصفي ، بمعنى أنّه يمثل الجانب

أثر الحركة الإعرابية والسبك في نصوص مختارة من القرآن الكريم

اللغوي للنص بما يشتمل عليه من علاقات وروابط بين أجزائه))(٧).

ويقدّم هاليدي ورقية حسن خمسة أنواع لأدوات الربط تُكوّن شبكة من العلاقات الدلالية تربط الجمل بعضها ببعض أو الفقرات أو وحدات الخطاب وتسهم في خلق النصية ، هي :

-الإحالة refrence وتتضمّن ضمائر الإحالة الشخصية ، والإشارية ، والمقارنة.

-الاستبدال Substitution ويتضمن الاستبدال الاسمي ، والفعلي والعباري.

-الحذف ellipsis ويشمل الحذف الاسمي، والفعلي ، والعباري.

-الوصل conjunction ويضم الوصل الإضافي ، والاستدراكي ، والسببي ، والزمني.

- الربط المعجمي lexical cohesion ويشمل أشكال التكرار ، والتضام(٨).

وأدوات السبك (الربط) هي :

-الإحالة : وهي أداة من أدوات التماسك النحوي ((وهي علاقات ربط تساهم في تشكيل وحدة النص وانتظام العناصر المكوّنة لعالم النص)) (٩) وهي نوعان :

١- إحالة مقامية أو خارجية : وتشمل المستوى الخارجي الذي يقوم على وجود المخاطب خارج النص ، ولا يستقيم النص بإغفاله.

٢-إحالة مقالية أو داخلية : وهي مستوى داخلي يختصُّ بالنص المدروس ويمثّلها تركيب لغوي يشير إلى جزء ما من عناصر النص التي ذُكِرت فيه صراحةً أو ضمناً وهي قسمان :

أ-إحالة سابقة : وفيها تستخدم كلمة ما بديلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص.

ب-إحالة لاحقة أو بعدية : وتكون فيها كلمة ما بديلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات اللاحقة لها في النص(١٠).

ويوضح النص الآتي أنواع الإحالات النصية المختلفة : في قوله تعالى :

{إنّا أرْسلْنا نُوحا إلى قوْمِهِ أنْ أنْذِرْ قوْمك مِنْ قبْلِ أنْ يأْتِيهُمْ عذابٌ أليمٌ (١) قال يا قوْمِ إنِّي لكُمْ نذِيرٌ مُبِينٌ (٢)) [نوح:١-٢] .

فـ((الله تعالى مرجعية خارجية إنا – ارسلنا (نا)

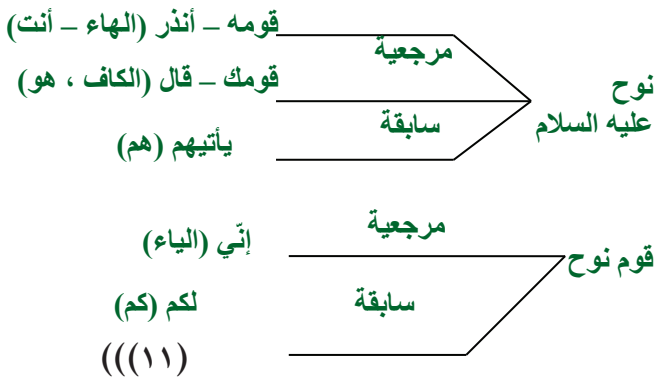

(((١١)

وتكون الحركة الإعرابية عنصراً إحالياً في الفعل المضارع ، فالمضارع المجرد المرفوع تُحيل الضمة فيه إلى زمن الحال أو الاستقبال(١٢). نحو قولنا : تُشرقُ الشمسُ ، ويُضيءُ القمر ، وكلُّ حيٍّ يموتُ إلاّ الله، ويتعيّن أحد الزمنين بقرينةٍ ما، فدخول (السين ، أو سوف) عليه ، يبقى المضارع معهما مرفوعاً ، وتُحيل الضمة فيه إلى الزمن المستقبل(١٣). نحو قوله تعالى :(سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ)[الأعلى:٦]وقوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ) [الضُّحى:٥] .

وإذا سُبق بأحد أدوات النصب : (أن ، لن ، كي ، اذن) فإنّ الحركة (الفتحة) على آخره تُحيل إلى الزمن المستقبل أيضاً(١٤). نحو : أُريدُ أن ألعبَ بالكرة ، لن يدنوَ من النار ... أما إذا دخلته (لم ، أو لما) فإنّه يجزم ، والسكون في الفعل المضارع يُحيل إلى الزمن الماضي غالباً(١٥). في نحو قوله تعالى : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الحُجُرات:١٤] ، وهذا كله اذا لم توجد قرينة تصرفها الى زمن آخر .

وتعد الحركات عناصر إحالية في اسم الفاعل واسم المفعول ، فالتنوين فيهما يُحيل إلى الزمن المستقبل في الغالب ، إلاّ إذا وُجدت قرينة لفظية أو حالية تصرفه إلى الزمن الحالي ، نحو قوله تعالى :(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة:٣٠] ، فالزمن هنا استقبالي. ونحو قولنا : زيدٌ محمودةٌ أخلاقهُ ، فإنّ التنوين في اسم المفعول يدل على الحال أو الاستقبال ، ويتعيّن ذلك بفضل قرينة مقالية أو مقامية(١٦).

اذن الحركة الإعرابية هنا من عناصر الإحالة إلى الزمن في النص.

وتكون الحركة عنصراً إشارياً (إحالياً) في النص، نحو قولهم : ظننتُ أنْ يقومَ زيدٌ، فالفتحة في (يقوم) عنصر إشاري إلى أنّ (أنْ) من نواصب المضارع ، أما قولهم: ظننتُ أنْ يقومُ زيداً فالضمة في (يقوم) عنصر إشاري يُحيل إلى أنّ (أن) مخففة من الثقيلة ، وفيها ضمير شأن مقدر ، أي : ظننتُ أنّهُ يقومُ زيد(١٧).

اذن تحقّق في هذا النص أن الحركة الإعرابية يمكن أن تكون عنصراً إشارياً (إحالياً) في النص.

-والاستبدال : ((عملية تتم داخل النص ، ويتمُّ فيها تعويض عنصر في النص بعنصر آخر ، وهو علاقة اتساق تتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات))(١٨). نحو قوله تعالى: (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءإِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) :] آل عمران:١٣] ، فقد استبدلت (فئة) بكلمة (أخرى).

والاستبدال على ثلاث أنواع :

١-استبدال اسمي:يتم فيه استخدام عناصر لغوية اسمية (آخر ، نفس ، عين) .

٢-استبدال فعلي : يتم فيه استبدال فعل بآخر منعاً للتطويل والتكرار ، نحو : قولنا : (أتَظنُّ أنّ اللجنة الخاصة بالتحكيم ستعطي المتفوّق حقه) فيقول : (أظنّهم يفعلون) في الجواب ، فقد استُغنِيَ بها عما قبلها مع الحفاظ على معناها تماماً.

٣-استبدال قولي : يتم باستخدام كلمات بعينها مثل : (ذلك ، نعم ، لا ، ...) وذلك في قوله تعالى :(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) [الكهف:٦٣]

واتبعه بقوله تعالى : (قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا) [الكهف:٦٤]

إذ تمّ استبدال الآية بكلمة (ذلك) بعدها فكانت أغنى في الربط من إعادة الكلام(١٩).

وتكون الحركة الإعرابية عنصراً استبدالياً في قولهم : آتني أُكرمك فإنّ (أُكرمْك) مجزوم جواب الأمر (آتني) ، فالسكون فيه بديلٌ عن زمن الحال ، لأنّ النص ربط بين زمن المجيء وزمن الإكرام.

أما قولهم : آتني فأُكرمَك ، فالجواب هنا قولهم (فأُكرمَك) منصوبٌ بأنْ مضمرة بعد الفاء(٢٠).

وتكون الفتحة هنا بديلاً لزمن المستقبل ، فلم يربط زمن المجيء بزمن الإكرام ، وإنما جعل زمن الإكرام مستقبلاً ، فالسكون والفتحة عنصراً استبدال عن الزمن ، فالسكون بديل عن الحال أي (الآن) ، والفتحة بديل عن المستقبل.

-الحذف من عناصر السبك النحوي ، وتعتمد اللسانيات النصية على جملة من القرائن المعنوية والمقالية ((في الكشف عن عمليات الحذف ، حيث تكون الجمل المحذوفة أساساً للربط بين أجزاء النص من خلال المحتوى الدلالي))(٢١).

ويقوم الحذف بدوره في تحقيق التماسك بثلاث وسائل(٢٢):

١-التكرير : ويعمل على استمرارية المعنى ، حيث يقع الحذف في مستويات النص ، ولكنه يُعامل معاملة المذكور في المعنى.

٢-المرجعية:وتتمثل في إحالة المحذوف على المعنى المذكور.

٣-وجود دليل أو قرينة تشير إلى العنصر المحذوف ، والحركة الإعرابية تأتي في بعض الأحيان دليلاً كاشفاً عن المحذوف في النص لتحقيق السبك النصي في الكلام ، نحو قوله تعالى :

(وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)[يوسف:١٨] . فقوله :

(صبرٌ جميلٌ) رفع على إضمار مبتدأ تقديره : فأمري صبرٌ جميلٌ ، أو فشأني صبرٌ جميلٌ ، ويجوز النصب فيه على المصدرية أو المفعولية المطلقة وهي قراءة أُبي وعيسى بن عمر والأشهب وضعّفها سيبويه(٢٣).

فالضمة في (صبرٌ جميلٌ) دليل على انّ النص فيه محذوف وهو المبتدأ ، أما الفتحة فيه فهي لا تدل على أنّ هناك محذوف في النص ، لأنّ نصب (صبراً) على المفعولية المطلقة لا دليل فيه على الحذف.

-الوصل : يعد الوصل مظهراً من مظاهر السبك النصي ، ويعرّفه هاليدي ورقية حسن أنّهُ : ((تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم))(٢٤).

ويتمثل الربط بالوصل في قوله تعالى :(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة:٣].

فقد قُرئت(ورسوله)بالرفع على الابتداء،وخبرها محذوف ، أي : ورسوله بريءٌ أيضاً من المشركين ،فحذف لدلالة الأول عليه ، وهناك من جوّز عطفها على لفظ الجلالة (الله) قبل دخول (إنّ) ، وقالوا الآذان بمعنى القول ، فكأنه لم يُغيّر معنى الكلام بدخولها ، ومنع ذلك جماعة ، لأنّ (أنّ) مفتوحة وليست مكسورة غيّرت معنى الابتداء ، فهي وما بعدها مصدر ، أما عطف (ورسوله) على المضمر المرفوع في (بريء) فقد قبّحه أكثر النحويين ، أما قراءة (ورسولَهُ) بالنصب عطفاً على لفظ الجلالة (الله) اسم إنّ فهي قراءة عبد الله بن أبي اسحق ، وعيسى بن عمر(٢٥).

فقراءة (ورسولُه) بالرفع على الابتداء تُكوّن مع الخبر المقدر بعدها كلاماً مستأنفاً أي مقطوعاً ، فلا تشترك مع لفظ الجلالة في التوكيد ، أما قراءة النصب في (ورسولَه) عطفاً على (الله) فإنّها تدخُل (ورسوله) في التوكيد ، والعنصر الفاعل في دخول (الرسول) في التوكيد أو عدمه هي الحركة الإعرابية ، ولهذا فالنصب في (ورسوله) أقوى في ربط النص وتماسكه ، لأنّ (الفتحة) فيه وصلت النص ببعضه ، فهي إذن وسيلة وصلٍ في ضمن وسائل السبك الأُخريات.وتسهم الحركة في وصل النص وربطه في قوله تعالى :

(هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) [الكهف:٤٤].ففي قوله (لله الحقُّ) قرأ أبو عمرو والكسائي (الحقُّ) بالرفع(٢٦)، ولها توجيهان : أحدهما: أنه صفة لـ(الولاية) ، ويبدو أنّ ذلك لا يجوز لأنّ التابع والمتبوع غير متطابقين في التذكير والتأنيث.

وثانيهما : أنها خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هو الحقُّ أو مبتدأ خبره قوله : (هو خيرٌ).

وقرأ أهل المدينة وحمزة (الحقِّ) بالخفض نعتاً (لله) عز وجل ذي الحق(٢٧)ويبدو أنّ قراءة الجر (الخفض) أقوى في سبك النص وذلك لشدة الارتباط بين النعت والمنعوت ، أي : أنّ الكسرة وصلت النعت بمنعوته ، أما على قراءة الرفع ، فعلى الخبرية لمبتدأ محذوف أو الابتدائية لخبر محذوف، فهي جملة جديدة تغيّر الوصل (الربط) فيها إلى الاستئناف ، ولذا فهي أضعف من سابقتها في ربط النص وسبكه فضلاً عن أنني لا أميل إلى التقدير لتسويغ ظهور الحركة الإعرابية ، أي إنّ الحركة الإعرابية الكسرة هنا. أسهمت في توصيل أجزاء النص مع بعضها ، لذا فهي الأقوى في سبك النص وتحقيق تماسكه.

وأنواع الوصل هي :

الوصل التبعي أو الإضافي،والاستدراكي ، والسببي ، والزمني ، والشرطي(٢٨).

-الربط المعجمي : ويعد مظهراً من مظاهر اتساق النص ، وعماده ((المعجم وما يقوم بين وحداته من العلاقات))(٢٩). وهو على نوعين :

١-التكرير :

٢-التضام :

١-التكرير : ((هو شكلٌ من أشكال الاتساق المعجمي يتطلّب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً))(٣٠) ، ويرى د. محمد خطابي : أنّ ((الوظيفة التي يقوم بها التكرير هي الربط أولاً (الجمع بين كلامين) ، والثانية الوظيفة التداولية المعبّر عنها هنا بالاهتمام بالخطاب ، أي لفت أسماع المتلقين إلى أنّ لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها))(٣١) ومن أمثلته قوله تعالى :(وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* [الكافرون:٣ ، ٥] .

و((يقوم التكرير على تقوية المعنى ، ويؤدي إلى تكثيف المعاني في النص ويؤكدها ، مما يقوي دور اللغة في تأدية المعنى ، وهذا يعني وضوحاً أكثر للدلالة والخلاص من عناء التأويل لإيجاد الإنسجام

في النص وإبعاد النص عن التشتت))(٣٢).

تكررت الحركة الإعرابية في بعض النصوص لزيادة شدة ربط النص وسبكه ، نحو قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة:٤١] . قُرئت (سماعون) بالرفع ، خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هم سمّاعون ، وقرئت بالنصب على الذم ، أي : أذمُّ سماعين(٣٣).

فقراءة الرفع في (سماعون) أقوى في ربط النص وسبكه ، لأن (سماعون) تكررت مرفوعة بالواو لأنها جمع مذكر سالم ، وهذا التكرار يدل على قوة حركة الرفع (الواو) في سبك النص دون غيرها من الحركات الإعرابية الأخريات ، وبهذا تبيّن دور الحركة الإعرابية في الربط بالتكرير ، لزيادة المعنى وتكثيفه.

ومن أنواع التكرير : التكرير التام ، والتكرير الجزئي ، والتكرير بالمعنى(٣٤).

٢-التضام : ((هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك))(٣٥)، فإذا استلزم ((أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصراً آخر فيسمى التضام هنا «التلازم» أو يتنافى معهُ فلا يلتقي به ويسمى هذا «التنافي»))(٣٦).و((العلاقة التي تحكم هذه الأزواج في خطابٍ ما، هي علاقة التعارض من مثل: ولد ، بنت ، جلس ، قعد ، فلفظ الولد والبنت قد يردان في نص لا يعود فيه عليها عنصر إحالي موحّد ولكنهما يُسهمان في النصية ، ومنه مابين الفعلين ذهبوا وجاءوا في قوله تعالى :(وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ)[يوسف:١٦]))(٣٧).

وتسهم الحركة الإعرابية في تحقيق أنواع التضام ، في قوله تعالى : (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) [الكهف:٨٨]. قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وعاصم (فله جزاءُ الحسنى)... وقرأ ابن أبي إسحاق (فلهُ جزاءً الحُسنى) ، وعن ابن عباس ومسروق (فله جزاءَ الحسنى) منصوباً غير منوّن(٣٨)، وهناك من قرأ (فله جزاءٌ الحسنى) مرفوعة بالتنوين(٣٩). ويقول مكي بن أبي طالب : ((من رفع جزاء جعله مبتدأ ، وله الخبر ، وتقديره : فله جزاء الخلال الحسنى ، فالحسنى في موضع خفض بإضافة الجزاء إليها ، وقيل : هي في موضع رفع على البدل من جزاء ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، والحسنى على هذا الجنة ، كأنه قال: فله الجنة. ومن نصب جزاءً ونوّنه جعل (الحسنى) مبتدأ ، و(له) الخبر ، ونصب جزاء على أنّه مصدر في موضع الحال تقديره : فله الخلال جزاءً ، أو الجنة جزاءً [أي] : مجزياً بها. وقيل (جزاءً) نصب على التمييز ، وقيل : على المصدر. ومن نصب ولم ينوّنهُ فإنّما حذف التنوين ، لالتقاء الساكنين ، والحسنى في موضع رفع وفيه بُعدٌ))(٤٠).

وتلازمت الحركة الإعرابية هنا مع تغيّر الموقع الإعرابي ، ففي قراءة (فله جزاءُ الحسنى) أثّرت الحركة في سبك النص وفي تغيّر الموقع الإعرابي لها ولمجاورتها من الكلمات ، فإذا كانت الحركة رفع بلا تنوين كانت (جزاءُ) مبتدأ و(الحسنى) مضاف إليه أو بدل من (جزاء) ، أما إذا كان الرفع تنويناً كانت (جزاءٌ) مبتدأ و(الحسنى) بدلٌ عنه ، وفي النصب – تنويناً – فإنّ (الحسنى) مبتدأ و(جزاء) حال أو تمييز أو مصدر ، وهذا يعني أنّ الحركة الإعرابية هي المميّز الوحيد في النص وهي التي تربط أجزاء النص مع بعضها وتُغيّر دلالاته ، فالحركة هنا هي الفيصل في سبك النص وربط أجزائه مع بعضها ، لأنها تلازمت مع تغيّر الموقع الإعرابي للكلمة في النص.(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً) [البيِّنة:١-٢]. إذ ((قرأ الجمهور (رسول) بالرفع بدلاً من (البيّنة) وأُبي وعبد الله بالنصب حالاً من (البيّنة)))(٤١).

يبدو أنّ قراءة الرفع على البدلية أقوى في تحقيق السبك النصي ، لأنّ البدل والمبدل منه شيءٌ واحدٌ

من شدة الارتباط ، بدليل الفعل (يتلو) ، لأنها في قراءة النصب تكون حالاً ، فكيف يوصف الحال بالفعل (يتلو) أو يقال عنه (يتلو) ، وهذا يعني أن حركة النصب تتنافى مع الفعل (يتلو) ، وهي أضعف في تحقيق السبك النصي فبقرينة (يتلو) يتبيّن أنّ حركة الرفع دلّت على أنّ الأوْلى في (رسول) أن يكون بدلاً ، ومن هنا فإنّ الحركة لها دورٌ في ربط النص وسبكه .

وتكون الحركة الإعرابية معياراً جديداً من معايير السبك في اللغة العربية ، فالحركة تسهم في سبك (ربط) النص وتوجيه معناه بصورة مباشرة ، نحو قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر:٤٩]. قرأ البصريون (كلٌّ) بالرفع على أنها مبتدأ وجملة (خلقناه) خبر له ، والضمير (الهاء) في خلقناه عائد على كل ، أما قراءة الجمهور بالنصب وفيها أنّ (كلَّ) مفعول به اشتغل الفعل بالضمير عنه ، فالأَوْلى والأقوى أن يعود الضمير (الهاء) على منصوب مثله ، ومن هنا فالنصب فيها أقوى في سبك النص ، والحركة الإعرابية يمكن أن تكون معياراً جديداً من معايير السبك النصي.

ونحو قوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [الحديد:١٠] . فقد ((قرأ ابن عامر وعبد الوارث – وكلٌّ – بالرفع ، والظاهر أنّه مبتدأ والجملة بعده خبر والعائد محذوف أي وعده))(٤٢) و((قرأ الباقون بالنصب. وحجة من رفع أنّه لمّا تقدم الاسم على الفعل رُفع بالابتداء ، وقدّر مع الفعل «ها» محذوفة اشتغل الفعل بها ، وتعدّى إليها ، التقدير : وكلٌّ وعده الله الحسنى ، أي : الجنة ... وحجة من نصبه أنّه عدّى الفعل ، وهو «وعد» إلى «كل» فنصبه بـ«وعد» كما تقول : زيداً وعدتُ خيراً ...))(٤٣).

إذن في قراءة الرفع تكون (كلاً) مبتدأ ، وهذا يعني أنّ الربط بين (كلٌّ) المبتدأ و(وعد) خبره يكون بالإسناد ، بينما قراءة النصب تجعل (كلاً) مفعولاً به مقدماً للفعل ، ودلت حركة النصب هنا على أنّ الاسم مفعولٌ به ، فهي وسيلة سبك جعلت المتقدم راجعاً على الفعل المتأخر. فالعلاقتان (الإسناد) في قراءة الرفع، و(المفعولية) في قراءة النصب علاقتان قويتان ، لكل منهما دلالتها غير أنّ قراءة (الرفع) أقوى في السبك لأنّها تجعل (كلٌّ) عائدة على مرفوعين هما : (من) في (لا يستوي منكم مَن ...) و (أولئك) في (أولئك أعظم درجةً) لهذا فحركة الرفع جعلت النص أكثر تماسكاً ، وقراءة النصب تسهم أيضاً في السبك ، ففي كلّ الأحوال تكون الحركة الإعرابية وسيلة من وسائل السبك النصي.

وفي قوله تعالى :(إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة:٤٠].

جاء في التبيان أن (كلمة الله) قُرئت بالرفع على الابتداء ، وقُرئت بالنصب ، على المفعولية أي : وجعل كلمة الله ، وهو ضعيف(٤٤).

فقراءة الرفع أقوى في سبك النص ، لأنّ الفصل – هنا – أقوى من الوصل ، فالفصل يُقوّي المعنى والوصل يُضعفه ، لأنه يجعل (كلمةُ الله) مشتركةً في العامل مع (كلمة الذين كفروا) لهذا فالرفع أقوى من النصب في ربط النص وسبكه.

وللحركة الإعرابية دورٌ في السبك في قوله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [الحج:٧٢]. فقوله تعالى :(قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)

((فيها ثلاثة أوجه : الرفع بمعنى هو النارُ أو هي النارُ ، والخفضُ على البدل ، والنصب فيه ثلاثة أوجه : يكون بمعنى أعني وعلى إضمار فعل مثل الثاني ، ويكون محمولاً على المعنى أي أُعرِّفُكم بشرٍّ من ذلكم النار))(٤٥). وفي التبيان أنّ ((قوله تعالى (النارُ) يُقرأ بالرفع. وفيه

وجهان : أحدهما هو مبتدأ ، و(وعدها) الخبر. والثاني هو خبر مبتدأ محذوف : أي هو النارُ : أي الشرُّ ، ووعدها على هذا مستأنف إذ ليس في الجملة ما يصلح أن يعمل في الحال ، ويقرأ بالنصب على تقدير أعني ، أو بوعد الذي دلّ عليه وعدها ، ويُقرأ بالجرّ على البدل من شر))(٤٦).

إذ أنبأت قراءة الرفع في النص أنّ (النار) مبتدأ ولولا الاهتمام بالحدث أنبأكم أكثر من الاهتمام بالنار نفسها لكانت هي الواردة بعد (قل) ، فالنارُ على قراءة الرفع هي النبأ الذي أراد أن يُنبِئَهُم به ، ومن هذا فالرفع أقوى في سبك النص من غيره من الحركات.

أما قراءة الخفض فلا تجوز لأنها على البدلية ويكون المعنى : قُل أفأنبِّئُكم بشرٍّ من النار ، وهذا غير جائز لأنه يغيّر المعنى.

أما النصب فهو وجهُ متعدد الدلالات ، والنص في الدراسات النصية تتحدد دلالته عند المتلقي من القرائن المقالية أو المقامية ، وقرينة الحركة الإعرابية هنا لا تحدد الدلالة ، فليست حركة (النصب) حينئذٍ وسيلة سبك ، والرفع أقوى في ربط النص وتماسكه.

وفي قوله تعالى:(يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥)[يس:١-٥] . قرأ أهل المدينة وأبو عمرو (تنزيلُ العزيز الرحيم) بالرفع، وقرأ الكوفيون وعبد الله بن عامر اليحصبي (تنزيلَ العزيز الرحيم) بالنصب ، قال أبو جعفر : قراءة الرفع على إضمار مبتدأ ، أي الذي أُنزِل إليك تنزيل العزيز الرحيم ، والنصب على المصدرية(٤٧).

في النص السابق فاصلٌ طويلٌ بين (تنزيل) و(القرآن) ، والفاصل هو جوابُ القسم ، وحركة الرفع تربط (تنزيل) و(القرآن) على تقدير (هو) ، أي : المقسمَ به ، اذن فالرفع جعل النص أكثر تماسكاً وسبكاً من النصب على المصدرية.

الخاتمة :

يتضحُ من هذا البحث أنّ الحركة الإعرابية واحدة من وسائل السبك النصي ، فليست الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والربط المعجمي هي وسائل سبك وحدها وإنّما تعدّ الحركة وسيلة منها ووسيلة ربط مباشر في النص.

الهوامش:

(١) ينظر : من الجملة إلى الخطاب قراءة في علم المناسبة : الاستاذ محمد عبد الباسط عيد ، جذور ، مج١٢ ، ج١٣ ، جمادي الأولى ١٤٣٢هـ ، ابريل ٢٠١١م : ٧٠.

(٢) ينظر : نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٠١ ، ١١٥.

(٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٨ ، ونحو النص اتجاه جديدة في الدرس النحوي : ٧٧.

(٤) للسبك تسميات أخرى منها : الربط الرصفي أو التضام. ينظر : نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٠١.

(٥) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣.

(٦) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٩٠.

(٧) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ٨٦.

(٨) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٠١.

(٩) نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية : ١٠٦.

(١٠) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٦.

(١١) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق : ٢١٨/١.

(١٢) ينظر : همع الهوامع : ١٨/١.

(١٣) ينظر : مغني اللبيب : ٣٤١/٢.

(١٤) ينظر : نحو الفعل : ٣٧-٤٠ ، والفعل والزمن : ٨٤.

(١٥) ينظر : مغني اللبيب : ٤٦٧/٣، ٤٧٧/٣.

(١٦) ينظر : الزمن النحوي في اللغة العربية : ٧٧-٩٠.

(١٧) ينظر : شرح ابن عقيل : ٤/٤.

(١٨) لسانيات النص : ١٩.

(١٩) ينظر : التوحد الإبداعي في نحو النص : د. محمد خليفة محمود ، مجلة الدراسات اللغوية ، ج١٠ ، ع١٩ ، ٢٠٠٩ : ٤١-٤٢ ، ونحو النص في أسريات أبي فراس الحمداني : ٩٣.

(٢٠) ينظر : شرح ابن عقيل : ٤/ ١١-٤، ١٢/١٨-١٩ .

(٢١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٢٥.

(٢٢) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٧٢ ، والسبك النصّي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام : ٨٦.

(٢٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ٤١٧/١ ، وتفسير البحر المحيط : ٢٩٠/٥.

(٢٤) لسانيات النص : ٢٣.

(٢٥) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ٣٥٨/١-٣٥٩ ، واعراب القرآن : ٣٥٩.

(٢٦) ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : ٢/ ٦٣ .
(٢٧) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ١/ ٤٧٤ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : ٢/ ٦٣ ، وإعراب القرآن : ٥٤٤.
(٢٨) ورد ربط الشرطي عند فانديك في كتابه (النص والسياق) : ١٠٣.
(٢٩) أصول تحليل الخطاب : ١/ ١٣٨.
(٣٠) لسانيات النص : ٢٤.
(٣١) لسانيات النص : ١٧٩.
(٣٢) أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف : ٩٢.
(٣٣) ينظر : روح المعاني : ٦/ ١٣٦.
(٣٤) ينظر : أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف : ٩٣.
(٣٥) لسانيات النص : ٢٥.
(٣٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢١٧.
(٣٧) أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف : ٩٤.
(٣٨) ينظر : إعراب القرآن : ٥٥٣.
(٣٩) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢/ ٥٤٥.
(٤٠) مشكل إعراب القرآن : ١/ ٤٧٨.
(٤١) تفسير البحر المحيط : ٨/ ٤٩٥.
(٤٢) روح المعاني : ٢٧/ ١٧٢.
(٤٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : ٢/ ٣٠٧-٣٠٨.
(٤٤) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢/ ٤٢٠.
(٤٥) إعراب القرآن : ٦٢٩.
(٤٦) التبيان في إعراب القرآن : ٢/ ٥٩٦-٥٩٧.
(٤٧) ينظر : إعراب القرآن : ٨١٤.

المصادر :

- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية (تأسيس نحو النص) ،د. محمد الشاوش ، المؤسسة العربية ،ط١ ،٢٠٠١م .
-إعراب القرآن :ابو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ) ،اعتنى به: الشيخ خالد العلي ،دار المعرفة ،بيروت – لبنان ،ط٢ ،١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .
-التبيان في اعراب القران :ابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ،تح: الاستاذ سعد عبد الكريم الفقي ،دار اليقين ،المنصورة – مصر ، ط١ ،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
-تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهيد ابو حيان الاندلسي ،(ت٧٤٥هـ) ،دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود ،والشيخ وعلي محمد معوض ،زكريا عبد المجيد النوتي ،ود.خالد عبد المجيد النوتي ,ود. احمد النجولي الجمل ،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،ط١ ،١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
-روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني :أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ،دار التراث العربي ،بيروت – لبنان.
-الزمن النحوي في اللغة العربية :د. كمال رشيد ،دار عالم الثقافة ،عمان – الاردن ،١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م .
-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) :بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي ،المصري ،الهمذاني (ت٧٦٩هـ) ،تح :الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط٢٠ ،١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م .
-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ،د. صبحي ابراهيم الفقي ،دار قباء ،القاهرة – مصر،ط١ ،١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
-علم لغة النص النظرية والتطبيق ،د. عزة شبل محمد ،مكتبة الاداب ، القاهرة – مصر .
-الفعل والزمن :د. عصام نور الدين ،المؤسسة الجامعية ،بيروت – لبنان ،ط١ ،١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
-الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها :أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ،تح :د. محيي الدين رمضان ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ـــ لبنان ،ط٣ ،١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
-لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب :د. محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي ،ط١ ،١٩٩١م .
-مشكل إعراب القرآن :أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ،تح :د. حاتم صالح الضامن ،دار البشائر ،دمشق – سوريا ،ط١ ،١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣م .
-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب :ابن هشام الانصاري ،تحقيق وشرح :د .عبد اللطيف محمد الخطيب ،التراث العربي ،الكويت ،ط١ ،١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
-نحو الفعل :د. أحمد عبد الستار الجواري ،المؤسسة العربية ،بيروت لبنان ،٢٠٠٦م .
-نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي :د. أحمد عفيفي ،مكتبة زهراء الشرق ,القاهرة – مصر ,ط١ ،٢٠٠٠م .
-نحو النص اطار نظري ودراسات تطبيقية ,د. عثمان

أبو زنيد ,عالم الكتب الحديث ،الاردن ،ط١ ،١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
-نحو النص بين الأصالة والحداثة :د. أحمد محمد عبد الراضي ،مكتبة الثقافة الدينية ,القاهرة – مصر ,ط١ ،٢٠٠٨م .
-النص والخطاب والاجراء :الاستاذ روبرت دي بوجراند ،ترجمة :د. تمام حسان ،عالم الكتب ،القاهرة – مصر ،ط٢ ،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .
-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع :جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ،تحقيق وشرح :الاستاذ عبد السلام هارون ،ود. عبد العال سالم مكرم ،مؤسسة الرسالة بيروت ,١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
-التوحد الابداعي في نحو النص قصيدة (زحلة) لأمير الشعراء نموذجاً ،د. محمد خليفة محمود ،مجلة الدراسات العربية ،ج١٠ ،ع١٩ ،٢٠٠٩م .
-من الجملة الى الخطاب قراءة في علم المناسبة :الاستاذ محمد عبد الباسط عيد ، مجلة جذور ،مج١٢ ،ج٣١ ،١٤٣٢هـ-٢٠١١م .
-أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف :السيد محمود سليمان حسين الهواوشة ،رسالة ماجستير ،جامعة مؤتة ،٢٠٠٨م .
-السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام :السيد أحمد حسين حيال ،رسالة ماجستير ،كلية الاداب ـ الجامعة المستنصرية ،١٤٣٣هـ ـ ٢٠١١م .

مرويات الصحابي عبدالله بن عباس لآيات الطلاق في مجمع البيان

م.م حنين راضي عبد
جامعة الإمام جعفر الصادق «عليه السلام»/فرع ذي قار

الملخص:

إنَّ هٰذه الدّراسة قد تناولت رِوايات الصحابي عبدُ اللّه بن عَباسَ في إيضاحِ الآيات وتفسيرها الَّتي جاءَت فيها أحكام الطَّلاقِ، ومنها موضوع هذا البحثِ، حيثُ تمّ ذِكرُ بعض النقاط الّتي تدور حول حُكم الطلاق وأمرهُ التشريعي على اِختلافِ أنواعِهِ وضُرُوبه، وسُنن قوانينهِ. وكذٰلك فتاوىٰ العُلماء وأقوالهم فيهِ.

Abstract:

The study dealt with the explanatory narratives of the companion Abdullah bin Abbas in his interpretation of the verses in which the provisions of divorce came, including the subject of this research, where I mentioned some points that revolve around the rule of divorce, its quality and types, and the wisdom of its legislation. As well as the opinions of scholars.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبيّنا محمّد خاتم المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرّ الميامين، ومن والاه وسار على نهجه، واهتدى بهداه إلى أن يبلغ الدهر منتهاه.

أما بعد...

لقد نشأ التفسير الروائي منذ الصدر الأول للإسلام وكان أول من بدأ وعمل به خاتم النبيين محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) عن طريق السنة النبوية، فقد كانت شارحه ومبينة وموضحة للقرآن لكريم لان مصدرها الوحي الإلهي، ولهذا نال الكتاب العزيز أهمية بالغة من قبل أئمة اهل البيت واصحابهم في خدمته وتفسير نصوصه ومن هؤلاء الاصحاب عبد الله بن عباس فقد كان يعد من الموثوقين الكبار من أصحاب النبي الاكرم وكانت لمروياته الأهمية في فهم الآيات القرآنية.

لذا بعد توفيق الله اخترت هذا البحث الموسوم بـ ((مرويات الصحابي عبدالله بن عباس لآيات الطلاق في مجمع البيان))) فلقد تنوعت مروياته التفسيرية في مدلولاتها ومضامينها وبناءً على ذلك فقد قسمتها بحسب مواضيعها الفقهية بما يتعلق بموضوع الطلاق واحكامه وشروطه وتشريعاته.

المبحث الأول: كتاب الطلاق

أولاً: باب الكنايات

الآية الأولى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)(١)

الرواية الأولى :عن ابن عباس ، قال : «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالسا مع حفصة ، فتشاجرا بينهما ، فقال لها : هل لك أن أجعل بيني وبينك رجلاً ؟ قالت : نعم . فأرسل إلى عمر . فلما أن دخل عليهما قال لها : تكلمي . فقالت : يا رسول الله ! تكلم ولا تقل إلا حقاً . فرفع عمر يده فوجأ وجهها ، ثم رفع يده فوجأ وجهها . فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كف . فقال عمر : يا عدوة الله ! النبي لا يقول إلا حقاً ، والذي بعثه بالحق ، لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي ! فقام النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً ، لا يقرب شيئاً من نسائه ، يتغذى ويتعشى فيها ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات (٢)

التخريج

أخرجها السيد أحمد بن طاووس(٣)، والعلامة المجلسي(ت:١١١١هـ)(٤).

غريب الرواية

ومعنى وَجْأَ وجهها أي : ضربْها(٥).

دلالة الرواية

ويكون التسريح هنا محتمل للتطليق والإرسال فإذا كانت صالحة للأمرين انتفى بأن تكون صريحة في الطلاق،وذلك يرجع إلى الأختلاف فيما خير به النبي «صلى الله عليه وآله » نسائه هل كان في الطلاق والإقامة؟ فإذا اختارت نفسها فلها الطلاق ، و إن اختارت الإقامة لم تطلق ،

أو كان في التخيير بين حياة الدنيا والآخرة ، فمن اختارت الدنيا طلقها ثم متعها وبعدها سرحها ، ومن إختارت الآخرة أقرَّها في عصمته (٦)، وذكر أن النبي «صلى الله عليه وآله » آثر الفقر لنفسه وصبر عليه ، فأمر بتخيير نسائه بين مفارقته واختيار الحياة الدنيا، وبين البقاء معه والصبر على الفقر ومرارته ؛ لئلا يكون مكرهاً لهن على الصبر في الفقر ، وإن اختيارهن للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وإختيار الدار الآخرة، فقد حرم الله سبحانه وتعالى التزويج عليهن والتبدل بهن، مكافأة لهن على حسن صنعهن(٧).

ثانياً: باب تشريع العدة

الآية الأولى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا)(٨)

الرواية الأولى : قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)أي: لزمان عدتهن ، وذلك أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه» ، عن ابن عباس(٩).

التخريج

أخرجها الطبري (ت: ٣١٠هـ) (١٠)، والشيخ الطوسي(ت:٤٦٠هـ)(١١).

دلالة الرواية:

إن وقت عدتهن لابدّ من أن تكون في وقت الطلاق ، وهو الطهر الذي لم يواقعها زوجها فيه بالإجماع،(١٢) فعندما يريد الرجل أن يطلق زوجته طلاق العدة فعليه أن ينتظر حتى تحيض وتخرج من حيضها، ثم بعدها يطلقها تطليقة من غير جماع، ويشهد شاهدين عدلين على الطلاق ، فأن أحب أن يراجعها من يومه فليراجعها ، أو بعد ذلك بأيام قبل أن تحيض ، بشرط أن يشهد على رجعتها ويواقعها، وتكون بصحبته حتى تحيض فإذا حاضت وخرجت من حيضها ثم طلقها تطليقة أخرى من دون جماع ويشهد على ذلك، ثم يراجعها أيضاً وقت ماشاء قبل أن تحيض ، ويشهد على رجعتها ويواقعها وتكون بصحبته إلى أن تحيض الحيضة الثالثة، فإذا خرجت من حيضتها ثم طلقها الثالثة بغير جماع ويشهد على ذلك، فإذا فعل ذلك فقد بانت منه هنا ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره (١٣)،وهذا الأمر يقع للمدخول بها لا غير ؛ لأن غير المدخول بها لا عدة عليها(١٤).

الرواية الثانية : وقوله تعالى:(إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) اختلف في الفاحشة فقيل : «هي البذاء على أهلها ، فيحل لهم إخراجها»، عن ابن عباس(١٥). التخريج : أخرجها الدارمي (ت : ٢٥٥هـ) (١٦)،والبيهقي (ت:٤٨٥هـ) (١٧)، والحر العاملي(ت:١١٠٤هـ) (١٨)، والبروجردي(ت:١٣٨٣هـ)(١٩).

غريب الرواية

البَذَاء بالمد : هو الفُحش في القول(٢٠)، والكلام القبيح(٢١).

دلالة الرواية:

هنا إشارة بعدم جواز إخراج المرأة من بيتها بعد طلاقها الا بعد انقضاء عدتها ، فإن جاءت بفاحشة في منزله تستحق عليها الحد أخرجها من منزلها ليقام عليها حد الله تعالى(٢٢)، وهذه الفاحشة كأن تبذوا على زوجها وتؤذيه وتؤذي أهله فحينئذ يجوز الإخراج بهذا النص، والضرر المنفي عقلاً ونقلاً(٢٣).

ثالثاً: باب الطلاق مرتان:

الآية الأولى:(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٢٤)

الرواية الأولى:«إنه بيان تفصيل طلاق السنة ، وهو أنه إذا أراد طلاقها ينبغي أن يطلقها في طهر ، لم يقربها فيه بجماع ، تطليقة واحدة ، ثم يتركها حتى تخرج من العدة ، أو حتى تحيض

وتطهر ، ثم يطلقها ثانية «، عن ابن عباس(٢٥) التخريج أخرجها الطبري(ت:٣١٠هـ) بلفظ مغاير (٢٦).غريب الرواية ومعنى طلاق السنة : «هو طلاق المرأة في طهر لم يمسها فيه طلقة واحدة عند جميع العلماء»(٢٧).

دلالة الرواية:

ومقتضى المعنى أن طلاق السنة هو أن يترك الرجل امرأته إذا أراد طلاقها ينبغي أن تطهر من حيضها وتخرج منه ، وتغتسل من قرؤها ، ثم يقول لها : في طهر من غير جماع أنت طالق ، أو أعتدي يريد بذلك الطلاق ، ثم يتركها في عدتها تمضي حتى تحيض ثلاث حيضات ، فإن بدى له أن يراجعها في حيضتها الثالثة فهو أولى بها من نفسها ووليها ، مازالت في عدتها قبل أن تطهر فإن أراد ذلك أشهد شاهدين على أنه قد راجعها ثم ملكها ، وإن هو أمهلها حتى تخرج من الأقراء الثلاثة فهي أملك منه بنفسها ، وهو كالخاطب من خطابها إن شاءت تزوجته وإن شاءت رفضته وتزوجت غيره ، فإن أراد ارتجاعها راجعها بشرط التزويج من وليها وبمهر مسمى جديد وشاهدين وتكون معه بثنتين ، فإن عزم على طلاقها مرة أخرى من بعد ما كان من التطليقة الأولى طلقها أيضاً بنفس خطوات تطليقتها الأولى، فإن راجعته وراجعها بولي وشاهدين ومهر جديد كما الأولى ، ثم هي معه على واحدة لم يبق له عليها غيرها ؛ لأنه قد طلقها تطليقين وأرتجعها له إرتجاعتين وهذه هي الثالثة(٢٨).

رابعاً: باب حكم غير المدخول بها:

الآية الأولى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا)(٢٩).

الرواية الأولى:(فَمَتِّعُوهُنَّ) قال ابن عباس : «هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً ، فإذا فرض لها صداقاً ، فلها نصفه ، ولا تستحق المتعة»(٣٠).

التخريج ذكرها ابن أبي حاتم(ت:٣٢٧هـ) (٣١)،والحر العاملي(ت:١١٠٤)(٣٢).

غريب الرواية:الصداق هو : مهر المرأة(٣٣).

دلالة الرواية:

«أما على الفرض كما إذا لم يسم لها مهر أو الإستحباب كما إذا سمَّى وأعطاها»(٣٤) والمفروضة لها النصف من المهر المفروض على تقدير عدم الدّخول بها(٣٥)، فمن تزوج بامرأة ولم يسم لها مهراً ثم طلقها قبل أن يدخل بها فليس لها عليه مهر ، وإنما لها عليه متعة ، والمتعة على الموسر بأن يدفع إلى المطلقة بحسب يسر حاله وعادة أمثاله من خمسة دنانير إلى ما فوقها ، أو بمثل القيمة من الثياب أو جارية تخدمها وأشباه ذلك ، وعلى المتوسط في حاله أن يمتع بثلاثة دنانير فما فوقها أو بمثلها من الثياب وغيرها ، وعلى المعسر أن يمتع بالدرهم الواحد أو الخاتم وما أشبه ذلك(٣٦)، ويمكن أن تحمل ذلك على العموم وتجعل المتعة راجحة غير واجبة ، فتكون مع التسمية مستحبة ، ومع عدمها واجبة (٣٧).

خامساً: باب النشوز

النشوز: هو الإرتفاع ، أو العصيان و التعالي عما أوجب الله سبحانه وتعالى، ويكون بين الزوجين كراهة كل واحد منهما لصاحبه(٣٨)، وقيل : نشوز المرأة هو تعاليها على زوجها وإساءتها لمعاملته وتركها لبيت الزوجية من غير مبرر مشروع(٣٩).

الآية الأولى :(وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (٤٠).

الرواية الأولى : عن ابن عباس :

«خشيت سودة بنت زمعة أن يطلقها رسول الله ، فقالت: لا تطلقني وأجلسني مع نسائك ، ولا تقسم لي ، وأجعل يومي لعائشة ، فنزلت الآية»(٤١)التخريج: أخرجها العلامة الترمذي بلفظ مغاير(٤٢)،والعلامة الطيالسي بلفظ مغاير(٤٣)، والطبري(ت:٣١٠هـ) بلفظ مغاير

(٤٤)، والإمام ابن أبي حاتم بلفظ مغاير(٤٥)، والبيهقي (ت:٤٨٥هـ) بلفظ مغاير(٤٦).

الرواية الثانية : وقوله تعالى : (وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ): معناه «وأحضرت أنفس النساء الشح على أنصبائهن من أنفس أزواجهن ، وأموالهن ، وأيامهن منهم «، عن ابن عباس(٤٧).

التخريج:أخرجها الطبري(ت:٣١٠هـ) بلفظ مغاير(٤٨) ، والشيخ الطوسي(ت:٤٦٠هـ) (٤٩).

غريب الرواية:

ومعنى أحضرت أنفس النساء أي:

«مالت إليه»(٥٠)،«وجعلت حاضرة له مطبوعة عليه»(٥١)،«فلا تكاد تسمح المرأة بالإعراض عنها و التقصير في حقها ولا الرجل بالإمساك لها و الإنفاق عليها مع كراهيته لها»(٥٢)،و«الشح إفراط في الحرص على الشيء، ويكون بالمال وبغيره من الأغراض. يقال: هو شحيح بمودتك أي حريص على دوامها، ولا يقال بخيل».

والبخيل: «يكون بالمال خاصة» (٥٣)

دلالة الرواية:

والمَعْنَى من ذلك «أَذن الْمَرأَة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها ، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفْسه إِذا أَحب غيرها»(٥٤)،فجعل لها حاضراً لا يغيب عنها أبداً ، ولا تنفك هي عنه أي إنها مطبوعة عليه(٥٥)، فلا تكاد المرأة تسمح بإعراض الزوج عنها ، أو التقصير في حقها ولا الزوج أيضاً بإمساكها والإنفاق عليها مع كراهته لها ، وهو بذلك تمهيد للعذر في المماكسة (٥٦) إلا أن يخافا التفات من الخطاب إلى الغيبة ، ثم منها إليه أو أن الخطاب راجع إلى الحكام ؛ لأن الأخذ والإعطاء إنما يقعان بأمر منهم(٥٧).

الآية الثانية :(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)(٥٨).

الرواية الأولى : عن ابن عباس : « فعظوهن بكتاب الله أولاً ، وذلك أن يقول : إتقي الله وإرجعي إلى طاعتي ، فإن رجعت وإلا أغلظ لها القول ، فإن رجعت وإلا ضربها ضرباً غير مبرح»(٥٩)

التخريج

ذكرها الطبري(ت:٣١٠هـ) بلفظ مغاير(٦٠)، وابن أبي حاتم(ت:٣٢٧هـ)(٦١).

دلالة الرواية:

ومعنى النشوز وكيفيته أن المرأة إذا نشزت عن فراش زوجها قال لها زوجها: اتقي الله تعالى وارجعي إلى فراشك ; فهذه هي الموعظة ، فإن أطاعته زوجته فسبيل ذلك وإلا هجرها، فإن رجعت الزوجة إلى فراشها فذلك وإلا ضربها بضرب غير مبرح، فإن أطاعته ضاجعته ، فإنَّما جعل الموعظة والسب والضرب لهن في المضجع (٦٢)،«وقد تعرضت هذا الآية للعلاج الذي ينبغي إستعماله مع الزوجة إذا بدا منها تقصير بواجبها وتمرد على زوجها مع قيامه بالمفروض عليه من حقها. وليست المراتب الثلاثة التي نصت عليها الآية، إلا لإرجاعها إلى الطريق القويم الذي كانت عليه أولاً، فإن رجعت بالموعظة ليس له أن يعالج نشوزها بالهجر أو الضرب، حتّى إذا لم تغنه عظتها سلك الطريق الثاني. هكذا حين تعود حياتهما إلى سابق عهدها من الهدوء والاستقرار»(٦٣).

الآية الثالثة :(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) (٦٤).

الرواية الأولى : قوله تعالى :(إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً) «يعني الحكمين» ، عن ابن عباس(٦٥).

التخريج:ذكرها الطبري(ت:٣١٠هـ) بلفظ مغاير(٦٦)،وابن أبي حاتم(ت:٣٢٧هـ) (٦٧) ،والبيهقي (ت:٤٨٥هـ)(٦٨).

دلالة الرواية:

هنا مخاطبة للحكام بذلك دون الزوجين ، وجعل ذلك إلى رأيهما وأطلق عليهما حكمين(٦٩) ، فما حكم به الحكمان فهو جائز، إذا كانا الحكمان

عدلين(٧٠) ، فإن قصدا الإصلاح أوقع اللّه ذلك بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين(٧١) ، فأضاف الله تعالى الإرادة إلى الحكمين ، فإن كان وكيلاً لم يضف إليهما ، وإذا ثبت أن ذلك على جهة التحكيم ، فليس لهما أن يفرقا بين الزوجين ، ولا أن يخلعا ما بينهما إلا بعد الاستئذان ، ولهما أن يجمعا بينهما من غير استئذان(٧٢).

سادساً: باب الخلع

الخلع :« لغة بالضم من خلع الرجل امرأته خلعا طلقها على عوض تبذله له ، وهو استعارة من خلع اللباس ؛ لأن كل واحد منهما لباس للآخر واذا فعلا نزعا»(٧٣).

الآية الأولى:(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٧٤).

وقوله تعالى:(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)

وقال ابن عباس : «هو أن يظهر من المرأة النشوز وسوء الخلق ، بغضاً للزوج»(٧٥)

التخريج

ذكرها الطبري(ت:٣١٠هـ) بلفظ مغاير(٧٦)، وابن أبي حاتم(ت: ٣٢٧هـ) بلفظ مغاير(٧٧).

دلالة الرواية:يمكن القول إنَّ المرأة إذا بدا منها سوء الخلق بغضاً لزوجها، وخاف من عدم إستجابتها للطلاق بإن تعصي اللّه عزوجل بإرتكاب المحرم أو إخلال بالواجب، فإذا فدت نفسها في مثل هكذا حالة جاز له ان يخلعها، ويحل له ما تبذله من الفدية له إذا لم يكن هو الذي قد حملها على طلب الطلاق منه لسوء معاملته لها(٧٨)، ولكن عدم جواز أخذ الفدية من المرأة إلا مع خوف عدم إقامة حدود الله سبحانه بأن يظهر للزوج ما يدل على البغض والنفرة والكراهة ، ومقتضى ذلك عدم جواز أخذ الفدية في الطلاق بعوض كالخلع إلا مع الكراهة (٧٩)، وحكم الخلع جائز في الشريعة الإسلامية برفع الجناح في أخذ الفدية منها عند خوف التقصير في إقامة الحقوق الزوجية، والخلع يصنف لمحظور، ومباح. فأما المحظور فيكون بأن يكره الزوج امرأته ويعضلها بغير حق لتفتدي نفسها منه، وقبلها يكون بينهما الحال عامرة والأخلاق ملتئمة ، ويتفقا على الخلع فتبذل له شيئاً على طلاقها. وأما المباح فيكون بأن تكره المرأة زوجها، لأسباب كأن تكون لخلقه أو دينه أو ما جرى مجرى ذلك مما ينتج كراهة في نفسها له ، فإذا كانت في نفسها على تلك الصفة خافت ألا يقيم حدود الله عليها في حقوقه، وهو أن تكره الإجابة له فيما هو حق عليها له فيحل لها أن تفتدي نفسها بلا خلاف.(٨٠)

سابعاً: باب التفويض

التفويضُ في النِّكاحِ: هو تزويجُ المرأةِ بلا صَداقٍ مُسمًّى.(٨١)

الاية الاولى: قوله تعالى:(لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ)(٨٢)

الرواية الأولى : قوله تعالى :(وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ)أي :

« المقتر أي الفقير الذي هو في ضيق بقدر إمكانه وطاقته . والمتعة : خادم أو كسوة أو رزق»، عن ابن عباس(٨٣). التخريج:أخرجها البيهقي (ت:٤٨٥هـ)في موضعين وبألفاظ مغايرة(٨٤).

غريب الرواية:ومعنى الاقتار هو : التضييق ، والمقتر: هو المضيق على نفسه أو على غيره وهو الفقير(٨٥)، وأما المتعة فمعناها: أعطوهن ما يستمعتن به(٨٦).

دلالة الرواية: والمراد بالفرض هنا تعيين المهر قبل الدخول بالزوجة والطلاق ، فالفقير هو الذي تضيق معيشته والواجب عليه ما يناسب حاله (٨٧)، وإستدل الإمام البخاري (ت:٢٥٦هـ) على وجوب المتعة لكل مطلقة عموماً فأمر بإمتاعها أي تعويضها عما فاتها بأعطائها شيء من

زوجها بحسب حاله فلو كان فقير ضيق الحال فعليه بالمقدار الذي يطيقه(٨٨).

ثامناً: باب الإيلاء

الآية الأولى:

(لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(٨٩).

الرواية الأولى : قوله تعالى : (فإن فاءوا) أي : رجعوا إلى أمر الله بأن يجامعوا عند القدرة عليه ، أو يراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع ، عن ابن عباس(٩٠).

الرواية الثانية : «ويجب على الفائي كفارة ، ولا عقوبة عليه «، وبه قال ابن عباس(٩١).التخريج ذكرها الطبري(ت:٣١٠هـ) في أكثر من موضع وبلفظ مغاير(٩٢)

غريب الرواية

ومعنى الفيء:« في اللغة هو الرجوع يقال فاء إلى كذا فهو يفئ فيئاً أي رجع»(٩٣)

دلالة الرواية:يمكن توضيح الإيلاء شرعاً بأنه «الحلف على ترك وطئ الزوجة الدائمة المدخول بها»(٩٤)، فأن ما يلزمه من الفيئة أو الطلاق أن يكون مدخولاً بالزوجة ؛ لأن المراد بالفيئة كما سبق معناه هو العود إلى الجماع من غير خلاف ، ولا يقال: عاد إلى الجماع، إلا لمن تقدم فعله منه ، وهذا لا يكون إلا في المدخول بها، فأن حصل الإيلاء بعد ذلك متى ما جامع حنث، وعليه كفارة يمين، وإن استمر إعتزاله لزوجته، فهي بالخيار بين أن تصبر عليه وبين المرافعة إلى الحاكم ، فإن رافعته إليه أمره الحاكم بالجماع والتكفير، فإن أبى أمهله أربعة أشهر من حين المرافعة لا من حين اليمين ليراجع نفسه ، فإن مضت هذه الفترة ، ولم يجب على ما أمر به ، فلا بد أن يلزم الفيئة أو الطلاق، فإن أبى ذلك ضيق عليه في التصرف، و المشرب ، والمطعم، حتى يفعل بأيهما يختار ، ولا تقع الفرقة بين الزوجين عند إنقضاء المدة، ولكن يقع بالطلاق(٩٥).

الخاتمة:

بينت الدراسة أهمية المرويات التفسيرية للصحابي عبد الله بن عباس في بيان المصداق الباطني للنص القرآني، إضافة الى انها اشارت الى أهمية مروياته في احكام الطلاق وبرزت أهميتها في الاستفادة منها في فهم التشريعات القرآنية للطلاق، واوضح ان هذه السليقة من الروايات كانت تُعد سليقة النبي وأهل بيته الكرام إذ كانوا يطبقون الآية من النص القرآني على ما يقبل أن يتطبق عليه من الموارد وان كان خارجاً عن موارد النزول.

الهوامش:

(١)الاحزاب:٢٨

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٨/ ١٥١

(٣)عين العبرة في غبن العترة :الشريف النقيب جمال الدين السيد احمد ال طاووس (ت: ٦٧٧ه) ، دار الشهاب – قم ، (د.ط) (د.ت). : ٤٥

(٤) بحار الأنوار، المجلسي:٢٢/ ١٧٣ ، باب جمل أحوال أزواجه (صلى الله عليه وآله) وفيه قصة زينب وزيد.

(٥) ينظر:العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحنفي :١/ ٤٩.

(٦) ينظر : فتح الباري لابن حجر : ٩/ ٣٣٤.

(٧) ينظر : جامع المقاصد: الشيخ علي بن الحسين الكركي(٩٤٠ه) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، ط١ ، ربيع الأول ١٤٠٨ه. : ١٢/ ٤٩.

(٨)الطلاق:١

(٩) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ١٠/ ٣٨.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ٢٣ / ٤٣٦.

(١١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٢٤١.

(١٢) ينظر : زبدة البيان في أحكام القرآن ، الأردبيلي : ٥٦.

(١٣) ينظر : تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي ، ٨/ ٢٤٠ ، كتاب الطلاق ، باب احكام الطلاق.

(١٤) ينظر :تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم), جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي , (ت : ٥٩٧ ه), تحقيق : طارق فتحي السيد , دار الكتب العلمية , بيروت لبنان , ط ١ , ١٤٢٥ ١:٥/ ٢٢٦.

(١٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي :١٠/ ٤٠.

(١٦) سنن الدارمي : ٦/ ٤٥٨ ، حديث رقم (٢٢٣٢) ، كتاب النكاح ، باب النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه.

(١٧) السنن الكبرى ، البيهقي :٢/ ٩٨ ، حديث رقم (١٥٨٨٣) ،كتاب العدد ، باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) وأَنَّ لَهَا الْخُرُوجَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْ تَأْتِيَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَفِي الْعُذْرِ.

(١٨) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ،الحر العاملي: ٢٢/ ٢٢١، حديث رقم (٢٨٤٣٧) ، باب جواز إخراج ذات العدة الرجعية إذا أتت بفاحشة.
(١٩) جامع أحاديث الشيعة ، البروجردي:٢٢/ ٢٠٩ ، حديث رقم (٦٢٤) ، باب ان المطلقة الرجعية تعتد في بيت زوجها وعليه نفقتها وسكناها ولا تخرج الا في ضرورة ولا تخرج الا أن تأتي بفاحشة مبينة وان أرادت زيارة خرجت في الليل ولها ان تحج واجبا بغير اذن الزوج.
(٢٠) ينظر : النهاية في غريب الاثر ، ابن الاثير١/ ٢٨١، باب الباء مع الذال ، و عون المعبود على شرح سنن ابي داوود، النعماني : ١/ ١٥٨.
(٢١) : ينظر : الوافي ، الكاشاني : ٥/ ٨٤٠ ، باب جوامع الرذائل.
(٢٢) ينظر :المقنعة ، الشيخ المفيد ، للمفيد :١/ ٣١٢.
(٢٣) ينظر : زبدة البيان في أحكام القرآن ، الأردبيلي :٦٧.
(٢٤)البقرة:٢٢٩
(٢٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٢/ ١٠٤ .
(٢٦) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ٢٣/ ٤٣٢ ، حيث ذكر : عن ابن عباس، أنه كان يرى طلاق السنة طاهرًا من غير جماع، وفي كلّ طهر، وهي العدة التي أمر الله بها»
(٢٧) القاموس الفقهي ، سعدي أبو حبيب :٢٣١.
(٢٨) ينظر: الاحكام في الحلال والحرام : ا لها د ي الي الحق يحيي بن الحسين (ت٥٢٩٨) ، تحقيق :جمعه علي بن احمد ابن ابي حريصه ، مؤسسة الإمام زيد بن على ، (د.ط)(د.ت). :١/ ٣١١ ،و تاريخ الفقه الجعفري ، الحسني:٩٦.
(٢٩)الاحزاب:٤٩
(٣٠) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي :٨/ ١٧٠.
(٣١) تفسير القرآن العظيم ،ابن أبي حاتم :١١/ ٤٧٧.
(٣٢) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، الحر العاملي:٢١/ ٣٠٨ ، حديث رقم (٢٧١٥١) ، . باب مقدار المتعة للمطلقة.
(٣٣) ينظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيومي:٩/ ٧٤.
(٣٤) الوافي ، الكاشاني: ٢٣/ ١١٤٣، باب عدد النساء وما لهن فيها وما عليهن.
(٣٥) ينظر :مسالك الأفهام ، العاملي:٤/ ٦٧.
(٣٦) ينظر : النجعه في شرح اللمعة: الشيخ محمد تقي التستري(ت: ١٤١٦) ، كتاب فروشى صدوق طهران - بازار سراي اردیبهشت ، ط١ ، ١٤٠٦.: ٩/ ٢٧.
(٣٧) ينظر :زبدة البيان في أحكام القرآن ، الأردبيلي :٥٩٧.
(٣٨) ينظر : القاموس الفقهي ، سعدي أبو حبيب :١/ ٣٥٣.
(٣٩) ينظر : معجم لغة الفقهاء ، محمد قلعجي - حامد قنيبي : ١/ ٤٨٠.
(٤٠)النساء:١٢٨
(٤١) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٣/ ٢٠٥.
(٤٢) سنن الترمذي :١١/ ٢٨٥ ، حديث رقم (٣٣١٤) حيث ذكر :عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ لاَ تُطَلِّقْنِى وَأَمْسِكْنِى وَاجْعَلْ يَوْمِى لِعَائِشَةَ فَفَعَلَ فَنَزَلَتْ (فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ). فَمَا اصْطَلَحَا عَلَيْهِ مِنْ شَىْءٍ فَهُوَ جَائِزٌ كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. باب وَمِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ.
(٤٣)مسند الطيالسي : ٧/ ٣٧٠ ، حديث رقم (٢٧٩٦) حيث ذكر : عن ابن عباس ، قال : خشيت سودة أن يطلقها ، رسول الله (صلى الله عليه آله) فقالت : يا رسول الله ، لا تطلقني ، وأمسكني ، واجعل يومي لعائشة ففعل ، فنزلت هذه الآية : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا) ، قال : فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز»
(٤٤) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري :٩/ ٢٧٨ ، حديث رقم (١٠٦٠٨) حيث ذكر : عن ابن عباس قال: خشيت سَوْدة أن يطلّقها رسول الله(صلى الله عليه وآله) فنزلت:(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا) «
(٤٥) تفسير القرآن العظيم ،ابن أبي حاتم :٤/ ٣٨٢ ، حديث رقم (٦٠٦٩)حيث ذكر : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا رَسُولُ اللَّهِ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ ، فَفَعَلَ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا)»و حديث رقم(٦٠٧٦) حيث ذكر « حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، ثنا أَبُو دَاوُدَ، ثنا سُلَيْمَانُ بْنُ مُعَاذٍ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ ، فَفَعَلَ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: (فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)، قال :فَمَا اصْطَلَحَا عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ جَائِزٌ».
(٤٦) السنن الكبرى ، للبيهقي : ٧/ ٢٩٦ ، حيث ذكر : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :خشيت سودة رضي الله عنها ان يطلقها رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقالت يا رسول الله لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت هذه الآية: (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) قال فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز» ، باب ما جاء في قول الله عز وجل: (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) .
(٤٧) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٣/ ٢٠٦.
(٤٨) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ٩/ ٢٧٩ ، حديث رقم (١٠٦٠٩) حيث ذكر : عن ابن عباس:(وأحضرت الأنفس الشح)، قال: نصيبها منه»
(٤٩) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٣/ ٣٤٥.
(٥٠) القاموس الفقهي ، سعدي أبو حبيب : ٩٢.

مرويات الصحابي عبدالله بن عباس لآيات الطلاق في مجمع البيان

(٥١)الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية , أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي , (ت : ١٠٩٤ ه), تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري , مؤسسة الرسالة , بيروت , (د.ط) , (د.ت).: ١/٦٧.

(٥٢) مجمع البحرين ، الطريحي :٣/٢٠٣ ، مادة شحح.

(٥٣)معجم الفروق اللغوية , أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بني حيى بن مهران العسكري , (ت : ٣٩٥ ه) , تحقيق : الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم , ط – ١ , ١٤١٢ ه .: ١/٢٠٣.

(٥٤) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي: لابي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١١٦١ ه)، دار الكتب العلمية – بيروت ، (د.ط) (د.ت) : ٧/٣٦١.

(٥٥) ينظر :عمدة القاري شرح البخاري : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني ، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، (د.ط) ، ١٤٢١ – ٢٠٠١م:٢٠/٤٠٢.

(٥٦) المماكسة :من مكس الشيء :اي نقص منه. ينظر:القاموس الفقهي ، سعدي أبو حبيب : ١\٣٣٨.

(٥٧) ينظر : الوافي ، الكاشاني : ٢٢/ ٨٧٩ ، باب النشوز والشقاق.

(٥٨)النساء:٣٤

(٥٩) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٣/ ٨٠.

(٦٠) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري :٨/ ٣٠٠، حديث رقم (٩٣٣٩) حيث ذكر :- عن ابن عباس: «فعظوهن»، يعني: عظوهن بكتاب الله. قال: أمره الله إذا نشزت أن يعظَها ويذكّرها الله، ويعظِّم حقّه عليها»

(٦١) تفسير القرآن العظيم ،ابن أبي حاتم : ٤/ ١٤٤ ،حديث رقم (٥٣٠٥)حيث ذكر: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: « « فَعِظُوهُنَّ « يَعْنِي: عِظُوهُنَّ بِكِتَابِ اللَّهِ». وَرُوِيَ عَنِ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ نحو ذلك».

(٦٢) ينظر : تاريخ الفقه الجعفري ، الحسني:٩١.

(٦٣)بحار الأنوار، المجلسي: ١٠٠/ ٥٥ ، باب النشوز والشقاق وذم المرأة الناشزة.

(٦٤)النساء:٣٥

(٦٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٣/ ٨١.

(٦٦) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري :٨/ ٣٣٢ ، حديث رقم (٩٤٣٢)حيث ذكر : عن ابن عباس قوله: «إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما»، وذلك الحكمان، وكذلك كل مصلح يوفقه الله للحق والصواب»

(٦٧) تفسير القرآن العظيم ،ابن أبي حاتم :٤/ ١٥١ ، حديث رقم (٥٣٢٤).

(٦٨) السنن الكبرى ، للبيهقي : ٧/ ٣٠٦ ، باب لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته .

(٦٩) ينظر : مختلف الشيعة، العلامة الحلي :٧/ ٤٠٦، كتاب الطلاق وتوابعه .

(٧٠) ينظر : بحار الأنوار، المجلسي: ١٠٠/ ٥٥ ، باب النشوز والشقاق وذم المرأة الناشزة.

(٧١) ينظر : مسالك الأفهام ، العاملي: ٣/ ٨٣ .

(٧٢) ينظر : جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق , الشيخ علي بن محمد بن محمد القمي السبزواري , (اعلام قرن السابع ه) , تحقيق : الشيخ حسين الحسيني البيرجندي , انتشارات زمنية سازان ظهور إمام (عج), قم , ط ١ , (د.ت): ٤٥٣ ، كتاب النكاح.

(٧٣) مدخل إلى علم الفقه عند المسلمين الشيعة ، علي خازم :٧٧.

(٧٤)البقرة:٢٢٩

(٧٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٢/ ١٠٤

(٧٦) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ٤/ ٥٥٧ ، حديث رقم (٤٨١٢) حيث ذكر : عن ابن عباس:(ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً)، إلا أن يكون النشوز وسوء الخلق من قبلها، فتدعوك إلى أن تفتدي منك، فلا جناح عليك فيما افتدت به».

(٧٧) تفسير القرآن العظيم ،ابن أبي حاتم : ٢/ ١٤٨ ، حديث رقم (٢٢٥٦) حيث ذكر : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) إِلا أَنْ يَكُونَ النُّشُوزُ وَسُوءُ الْخُلُقِ مِنْ قِبَلِهَا، فَتَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَفْتَدِيَ مِنْكَ، فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ».

(٧٨)ينظر: تاريخ الفقه الجعفري ، الحسني:٩٥.

(٧٩)ينظر: فقه الصادق ، الروحاني :١٠٤.

(٨٠)ينظر:المهذب : الفقيه الأقدم القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي(ت:٤٨١) ، تحقيق : إعداد : مؤسسة سيد الشهداء العلمية / إشراف : جعفر السبحاني ،الناشر:مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ،(د.ط), (د.ت). :٢/ ٢٢٨.

(٨١)ينظر: ٢٦٠. النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب: بطال بن أحمد بن سليمان بن بطال ،المحقق: مصطفى عبد الحفيظ سالم(د.ط): ١٤٠٨ – ١٩٨٨م

(٨٢)البقرة:٢٣٦

(٨٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٢/ ١٢٣

(٨٤) السنن الصغرى ، البيهقي: ٢/ ٢٦٢ ، حديث رقم (٢٦٧١) حيث ذكر : عن ابن عباس ، في قوله (لاَ جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ، أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) قال : هو الرجل يتزوج المرأة ، ولم يسم لها صداقا ، ثم طلقها من قبل أن ينكحها ، فأمر الله تعالى أن يمتعها على قدر يسره وعسره فإن كان موسرا متعها بخادم أو نحو ذلك ، إن كان معسرا فثلاثة أثواب أو نحو ذلك» ، كتاب النكاح ، باب نكاح التفويض، و: ٢/ ٢٨٩ ، حديث رقم (١٤٧٩١) حيث ذكر : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الآيَةِ قَالَ : هُوَ الرَّجُلُ يَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةَ وَلَمْ يُسَمِّ لَهَا صَدَاقًا ثُمَّ طَلَّقَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْكِحَهَا فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُمَتِّعَهَا عَلَى قَدْرِ يُسْرِهِ وَعُسْرِهِ فَإِنْ كَانَ مُوسِرًا مَتَّعَهَا بِخَادِمٍ

أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُعْسِرًا فَبِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ» ، كتاب النكاح ، باب التَّفْوِيضِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ).

(٨٥) ينظر : معجم لغة الفقهاء ، محمد قلعجي - حامد قنيبي : ٤٥٢/١.

(٨٦) ينظر : تهذيب اللغة ، الأزهري: ٢٥٣/١.

(٨٧) ينظر : زبدة البيان في أحكام القرآن ، الأردبيلي :٥٤/٤.

(٨٨) ينظر : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، العيني:٢٧٩/٣٠ ، باب المتعة للتي لم يفرض لها . البقرة:٢٢٦-٢٢٧

(٩٠) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي :٩٦/٢.

(٩١) المصدر نفسه ٩٦/٢.

(٩٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ٤٦٦/٤ ، حديث رقم (٤٥٠٩)حيث ذكر : عن ابن عباس قال: الفيء الجماع. «وبنحوه (٤٥١٠) وبنحوه(٤٥١١) وبنحوه(٤٥١٢).

(٩٣) غريب الحديث ، لابن قتيبة : ٤٦./١

(٩٤)مدخل إلى علم الفقه عند المسلمين الشيعة :الشيخ علي خازم، دار الغربة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٣ - ١٩٩٣ م: ٨٧.

(٩٥) ينظر : غنية النزوع ابن زهرة الحلبي :٣٦٠/١ .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الاحكام في الحلال والحرام: الهادي الي الحق يحيي بن الحسين (ت٥٢٩٨) ، تحقيق: جمعه علي بن احمد ابن ابي حريصه ، مؤسسة الإمام زيد بن على ، (د.ط)(د.ت).

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلّامة المجلسي، المولى محمد باقر بن محمد تقي (ت: ١١١١ هـ)، تحقيق: محمّد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء -بيروت - لبنان، ط٢ ، ١٤٠٣-١٩٨٣ م.

٤. تاريخ الفقه الجعفري ، هاشم معروف الحسني، قدم له الأستاذ محمد جواد مغنية، دار النشر للجامعيين، (د.ط)(د.ت).

٥. التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة ابي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، (ت :٤٦٠ ٥)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، طبع في مطابع: مكتب الأعلام الإسلامي، ط ١، ١٢٠٩ هـ.

٦. تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي: لابي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١١٦١ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ، (د.ط) (د.ت) :

٧. تذكرة الأريب في تفسير الغريب(غريب القرآن الكريم)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي , (ت : ٥٩٧ ٥), تحقيق : طارق فتحي السيد , دار الكتب العلمية , بيروت لبنان , ط ١ , ١٤٢٥ ٥:١/٢٢٦.

٨. تفسير القرآن العظيم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.

٩. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه، الشيخ الطوسي شيخ الطائفة ابي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية -طهران، ط٣ ،١٣٦٤.

١٠. تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت،ط١ ، ٢٠٠١م.

١١. جامع احاديث الشيعة، السيد البروجردي (ت: ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية - قم، (د.ط) ، ١٣٩٩هـ.

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ ٥ -٢٠٠٠ م.

١٣. جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق , الشيخ علي بن محمد بن محمد القمي السبزواري , (اعلام قرن السابع ٥) , تحقيق : الشيخ حسين الحسيني البيرجندي , انتشارات زمنية سازان ظهور إمام (عج), قم , ط ١ , (د.ت):

١٤.جامع المقاصد: الشيخ علي بن الحسين الكركي(٥٩٤٠) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، ط١ ، ربيع الأول ٥١٤٠٨. : ٤٩/١٢.

١٥. زبدة البيان في أحكام القرآن، العالم الرباني والفقيه الصمداني أحمد بن محمّد الشهير بالمقدس الأردبيلي، (ت: ٩٩٣ هـ)، تحقيق: محمّد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية طهران، (د.ط)، (د.ت).

١٦. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الإمام الحافظ أبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت:٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٣ -١٩٨٣ م.

١٧. سنن الدارمي، الدارمي(ت:٢٥٥هـ)، مطبعة الاعتدال - دمشق، (د.ط)، ١٣٤٩هـ.

١٨. السنن الكبرى، البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤ ٥.

١٩.السنن الصغرى البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، المحقق : عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر : جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، ط١، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م

٢٠.العباب الزاخر واللباب الفاخر،الصغاني، تحقيق:

مرويات الصحابي عبدالله بن عباس لآيات الطلاق في مجمع البيان

فير محمد حسن، المجمع العلمي-بغداد، ط١، ١٩٧٨هـ.
٢١.عمدة القاري شرح البخاري : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني ، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، (د.ط) ، ١٤٢١ – ٢٠٠١م.
٢٢.عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمّد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب (ت: ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤١٥.
٢٣.عين العبرة في غبن العترة :الشريف النقيب جمال الدين السيد احمد ال طاووس (ت: ٦٧٧ه) ، دار الشهاب – قم ، (د.ط) (د.ت). : ٤٥
٢٤.غنية النزوع ابن زهرة الحلبي، المحقق : الشيخ إبراهيم البهادري، بإشراف : سماحة العلامة جعفر السبحاني – دام ظله، الناشر : مؤسسة الامام الصادق عليه السلام- قم، ط١، محرم الحرام ١٤١٧ هـ.
٢٥.فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت:٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان، ط٢، (د.ت).
٢٦. فقه الصادق (عليه السلام)، السيد محمّد صادق الروحاني، مؤسسة دار الكتاب – قم، المطبعة العلمية، ط٣، ١٤١٢هـ.
٢٧.القاموس الفقهي، الدكتور سعدي أبو جيب(معاصر)، الناشر: دار الفكر-دمشق – سورية، ط٢، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.
٢٨.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية , أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي , (ت : ١٠٩٤ ه), تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري , مؤسسة الرسالة , بيروت , (د.ط) , (د.ت) ١/٦٧.
٢٩.مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت:١٠٨٥هـ)، الناشر: مرتضوي، چاپخانهء طراوت، ط٢، شهريور ماه ١٣٦٢ ش:
٣٠.مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت:٥٥٤٨): تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٥ ه -١٩٩٥ م.
٣١. مختلف الشيعة: ابي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (العلامة الحلي) (ت:٧٢٦)، تحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١، ١٤١٨هـ.
٣٢. المدخل إلى علم الفقه عند المسلمين الشيعة :الشيخ علي خازم، دار الغربة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٣ – ١٩٩٣ م:
٣٣. مسالك الافهام، الشهيد الثاني (ت: ٩٦٥هـ)، تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية -قم – إيران، ط١، ١٤١٦هـ.
٣٤.مسند أبي داود الطيالسي : سليمان بن داود بن الجارود(ت ٢٠٤ هـ)، تحقيق : الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الناشر : هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
٣٥.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمّد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس (ت : ٧٧٠ ه), دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, (د.ط),(د.ت):
٣٦. معجم الفروق اللغوية , أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بني حيى بن مهران العسكري , (ت : ٣٩٥ ه) , تحقيق : الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم , ط ١ ، ١٤١٢ ه.
٣٧. معجم لغة الفقهاء، محمّد رواس قلعجي -حامد صادق قنيبي(معاصر)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م.
٣٨. المقنعة، الشيخ المفيد، (ت:٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤١٠.
٣٩. المهذب: الفقيه الأقدم القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي(ت:٤٨١) ، تحقيق : إعداد : مؤسسة سيد الشهداء العلمية / إشراف : جعفر السبحاني ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ،(د.ط), (د.ت).
٤٠. النجعه في شرح اللمعة: الشيخ محمد تقي التستري(ت: ١٤١٦) ، كتاب فروشى صدوق طهران - بازار سراي اردیبهشت ، ط١ ، ١٤٠٦.
٤١. النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب: بطال بن أحمد بن سليمان بن بطال، المحقق: مصطفى عبد الحفيظ سالم(د.ط): ١٤٠٨ – ١٩٨٨م
٤٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير(ت:٥٦٠٦)، تحقيق، محمود محمّد الطناحي، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع -قم -إيران، ط٤، ١٣٦٤هـ.
٤٣. الوافي، الفيض الكاشاني، تحقيق: عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني العلامة الأصفهاني، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة – أصفهان، ط١، أول شوال المكرم ١٤٠٦ هـ ق.
٤٤. وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، تحقيق وتصحيح وتذييل: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت – لبنان، ط٥، ١٤٠٣ -١٩٨٣ م.

مرويات الصحابي عبدالله بن عباس لآيات الطلاق في مجمع البيان

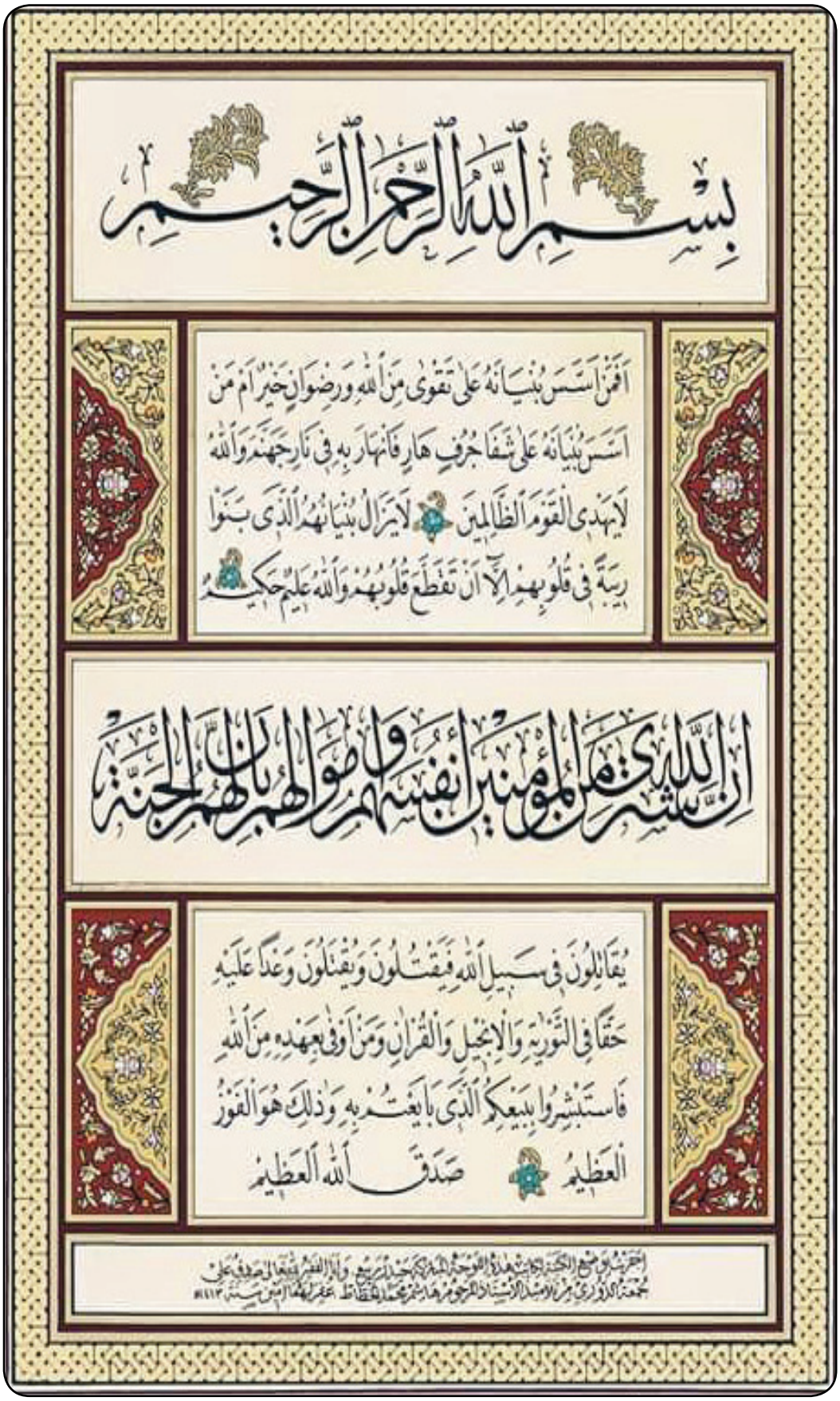

المسائل الخلافية بين الإمامية والمعتزلة
دراسة عقديّة مقارنة

م.م حسين محمد زعيج
جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) فرع ذي قار

الملخص:

الحديث عن المسائل الخلافية بين العدلية (الإمامية والمعتزلة) أنفسهم لايعني عدم وجود مشتركات بينهما بل هناك الكثير من المسائل محل إتفاق بينهما وأعرضنا عنها رعاية للجانب الفني للبحث وعدم الاستطراد المخل فها نحن نلمح إلى الفوارق بينهما، الّتي جعلهما منهجين كلاميين مختلفين لكّل ميزة وخصوصيّة وإن الهدف من البحث هو إبراز الوجه الحقيقي للطائفتين وعقائدهما بعيداً عن التعمد في جعلهما مذهب واحد أو محاولة تجهيل المكلف وحاولت أن أكون موضوعياً في ذلك وعدم التطويل بلا طائل .

ومن تلك المسائل مسألة الصفات الإمامية.

ذهبت إلى أنّ الوجود في مقام الواجب بالغ من الكمال على حدّ يعد نفس العلم والضابطة الكلية حتى في مقام الواجب بل الموصوف هناك لأجل الكمال المفرط نفس الصفة ، ولا مانع من كون العلم في درجة، قائماً بالذات، وأمّا المعتزلة فقد اضطرب كلامهم في المقام، يتلخّص عندهم في انتخاب نظرية النيابة، وهي القول بأنّ الذات نائبة مناب الصفات، و إنّ لم تكن هناك واقعية للصفات وراء الذات، فما يترقب من الذات المقرونة بالصفة، يترتب على تلك الذات النائبة مقامها، هذا هو المشهور عن المعتزلة أمّا المسائل الأخرى من قبيل إحباط الأعمال الصالحة بالأعمال الطالحة هذا ماعليه المعتزلة بخلاف الإمامية بأنّه لاتحابط بين المعاصي والطاعات، الخلود للكفارخاصة عند الإمامية بخلاف المعتزلة إذ أجمعت على أن الوعيد بالخلود عام في الكفار وجميع فساد أهل الصلاة ، الشفاعة عند الإمامية هي عبارة عن إسقاط العذاب. أمّا المعتزلة عندهم هي ترفيع الدرجة خاصة بالمؤمنين التائبين، مرتكب الكبيرة عند الإمامية مؤمن فاسق خرج عن طاعة الله ، أمّا المعتزلة عندهم منزلة بين المنزلتين لامؤمن ولاكافر ، الإمامة عند الشعية نص وعند المعتزلة عقد واختيار، حكم محارب الإمام علي (عليه السلام)،الإمامية تقول بأنّهم كفار أمّا المعتزلة أنهم فساق وليس بكفار. العصمة شرط للإمامة عند الإمامية بخلاف المعتزلة بأنه يكفي أن يكون مبرزاً في العلم مجتهداً ذا ورع شديد .

Abstract:

Talking about the contentious issues between the Adaliyah (Shiites and the Mu'tazilah) themselves does not mean that there are no common grounds between them، but rather there are many issues subject to agreement between them. From the research is to highlight the true face of the two sects and their beliefs، away from deliberately making them one sect or trying to ignore the taxpayer and I tried to be objective in that and not make it useless.

Among those issues is the issue of the Shiite attributes، which went to the fact that existence in the station of duty is far from perfect، to the extent that it is considered the same as the same knowledge and universal control even in the station of duty. Their speech was disturbed in the matter، which can be summed up in the selection of the theory of representation، which is to say that the substantive is a substantive representative of the attributes، and if there is no reality for the attributes behind the self، then what is expected from the self associated with the attribute، it follows that the representative self has its place، this is what is well known about the Mu›tazilah As for other issues، such as thwarting good deeds with bad deeds، this is what the Mu›tazila do، unlike the Shiites، that there is no discrepancy between disobedience and obedience. The Mu›tazila in their view is an elevation of rank especially for the repentant believers، the perpetrator of the major sin according to the Shiites is a sinful believer who has departed from obedience to God. As for the Mu›tazilites، they are sinners، not infidels Infallibility is a condition for the Imamate according to the Shiites، unlike the Mu›tazilites، that it is sufficient for him to be distinguished in knowledge، a diligent diligent with great piety.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم من الأولين والآخرين .

لايخفى على المتتبع في الدراسات العقدية من العامة والخاصة ، لا شك أنّ للشيعة عقائد وآراء في مجاري الأصول والفروع وربّما يشاركون غيرهم فيها وربّما يخالفونهم، ولكنّها ليست من سماتهم وأعرافهم،وإنّما هي أُصول وأحكام دعاهم الدليل إلى تبنّيها من الكتاب والسنّة والعقل ، وهكذا المعتزلة لهم عقائد وآراء يتفقون تارة ويختلفون أخرى مع الفرق الاخرى ، وإن المسائل الخلافية بين الإمامية (الإمامية) والمعتزلة بلغت حدّ لايمكن احصاؤها على نحو الموجبة الكلية ، وإن بعض المسلمين يعتقد إن الإمامية هي نسخة طبق الأصل من المعتزلة ممّا دفعني إلى إبراز بعض المسائل الخلافية التي توضح توضيحاً كبيراً الخلاف والاختلاف بينهما في المسائل العقدية من مثل الصفات الإلهية والأمر بالمعروف والنسخ وأفعال العباد والوعد والوعيد والشفاعة وغير ذلك الكثير كما سيأتي بيانه في البحث ، ولايمكن لنا أن نغض الطرف إن هناك مشتركات ومسائل كثيرة يتفق بها الإمامية مع المعتزلة ، كما هو مع بقية الفرق وهذا لايصيره مذهب واحد أو فرقة واحدة ، كما صورها البعض تعمداً أو جهلاً ، وسنسلط الضوء على جملة من المسائل العقدية المختلف فيها بموضوعية وتجرد بعيداً عن التعصب لمذهب أو رأي خاص .فكان البحث عبارة عن مبحثين : المبحث الأول نشاة الشيعة(الإمامية) والمعتزلة وحقيقتهما، وفيه مطلبان: المطلب الأول: نشأة التشيع والتعريف بهم من حيث المعنى اللغويّ والاصطلاحي،وشذرات من تاريخ وحقيقة الشيعة بصورة مجملة ، والمطلب الثاني :

كان بالتعريف عن المعتزلة وتاريخها ومؤسسيها ، والمبحث الثاني: المسائل الخلافية وفيه مطلبان: المطلب الأول الصفات الإلهية والوعد والوعيد ، والمطلب الثاني : الإمامة ومايتعلق بها ، المطلب الثالث : أفعال العباد ، المطلب الرابع : النبوة ومايتعلق بها وبعض المسائل المتفرقة ، ثم بعد ذلك النتائج والمصادر

المبحث الأول : نشأة الشيعة (الإمامية) والمعتزلة وحقيقتهما

المطلب الأول : نشأة التشيع:

أولاً : تعريف الشيعة لغةً واصطلاحاً

الشيعة لغةً : أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع، وأشياع جمع الجمع. ويقال: شايعه كما يقال والاه من الولي...(١)، هم القوم المتفقون والمتعاونون على أمر واحد في قضاياهم، يقال تشايع القوم إذا تعاونوا، وربّما يطلق مصطلح التشيع على مطلق التابع، قال سبحانه: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّه} (٢). وقال تعالى :{وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْراهيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْب سَلِيم}(٣)،فالشيعة هم الجماعة التابعة لرئيس لهم.

أمّا إصطلاحاً : فتطلق بعدة اعتبارات :

منها :

١.تطلق الشيعة على من يفضّل عليّاً(عليه السلام) على الخلفاء عامّة أو عثمان خاصة مع إعتقاده بأنّه رابع الخلفاء وإنّما يقدّمه لما ورد في حقه من فضائل متعدده أفي حقه عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، والّتي دوّنها أهل الحديث في صحاحهم ومسانيدهم، وهي تُلزم الإنسان الاعتقاد بأنّه اعلم الصحابة وافضلهم، وعلى ذلك معتزلة بغداد وقليل من أهل الحديث ،وربّما يختلط الأمر على من ليس له إلمام بالاصطلاح، فلا يفرّق بينهما، وأكثر من يستعمل هذا الاصطلاح هو الذهبي في كتابيه (ميزان الاعتدال و سير أعلام النبلاء)فيصف بعض التابعين و المحدّثين بالتشيّع ملمّحاً بذلك إلى ضعفهم ، وقد رُمي أبو عبداللّه الحاكم النيسابوري بالتشيّع كمعتزلة بغداد ، والمقصود تفضيلهم عليّاً على سائر الخلفاء لا أنّه الإمام المنصوص بالخلافة(٤).

٢. وتطلق على من أحبّ عليّاً وأولاده باعتبارهم

قربى النبى الذين فرض اللّه سبحانه وتعالى مودّتهم قال عزّوجلّ:{قُلْ لا أَسْئَلُكُم عَلَيْهِ أَجْرَاً إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُربَى}(٥)،والشيعة بهذا المعنى تعمّ كلّ المسلمين إلاّ النواصب، بدليل أنّهم يصلّون على النبي وآله في عباداتهم كصلواتهم وأدعيتهم ، ويتلون الآيات النازلة في حقّهم وفضلهم صباحاً ومساءً وهذا هو الشافعي يصفهم بقوله:

يا أهلَ بيتِ رسولَ اللّهَ حبُّكُمُ
فَرضٌ من اللّهِ في القرآن أنْزلهُ
كَفاكُمُ من عَظيم الشّأن أنّكم
من لم يُصلِّ عليكم لا صلاة لَهُ(٦).

وأمّا النواصب فهم الذين نصبوا العداء والبغضاء لعلي (عليه السلام)وأهل بيته واعتبروه فريضة دينية وأعانهم على ذلك وعاظ السلاطين والمرتزقة ، وترجع جذور هذا العداء إلى معاوية إذ سنّ السب على المنابر وتبعه أولاده ،وعشيرته إلى أواخر الدولة الأموية ، وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: (أُنظروا إلى من أُقيمت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه)(٧)، ثمّ كتب نسخة أُخرى إلى عمّاله وشدّد الأمر فيها وقال: (من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به و اهدموا داره)(٨).

٣.وتطلق أيضاً على من يشايع عليّاً وأولاده باعتبارهم هم الأئمة المنصوص عليهم من النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنّهم خلفاء الرسول و أئمّة الناس بعده، نصبهم لهذا المقام بأمر من اللّه سبحانه، وذكر أسماءهم وخصوصيّاتهم، والشيعة بهذا المعنى هو المقصود الحقيقي، وقد اشتهر بأنّ عليّاً هو الوصي حتّى صار من ألقابه ، وذكره الشعراء بهذا العنوان في قصائدهم(٩)، وهو يقول في بعض خطبه: (.... لا يقاس بآل محمّد من هذه الأُمّة أحد ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة) (١٠)،ومجمل القول: إنّ هذا اللفظ يشمل كل من قال: انّ قيادة الأُمة لعلي بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنّه يقوم مقامه في كل ما يمت إليه سوى النبوة ونزول الوحي عليه كل ذلك بنص صريح من االنبي،وعلى ذلك أساس التشيع هو القول بالوصاية والقيادة بجميع شؤونها للإمام علي (عليه السلام) فالتشيّع هو الاعتقاد بذلك إنّ التشيّع بهذا المعنى عبارة عن الاعتقاد باستمرار القيادة الإسلامية في قالب الوصاية لعلي وعترته، والامامية تدّعي أنّ هذه الفكرة غرست بيد النبي في أيّام حياته، وتبنّاها لفيف من المهاجرين في عصره، وبقوا عليها بعد حياته واقتدى بهم لفيف من التابعين لهم بإحسان وتواصل الاعتقاد به من تلك العصور إلى زماننا الحاضر، وهذا هو الّذي تدّعيه الامامية وعليه بُني صرح التشيّع ونحن في غنى عن الاتيان بنصوص أعلامهم وأكابرهم في المقام الّتي تدل على أنّ الوصاية للإمام بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)(١١).

ثانيا : شذرات من تاريخ ونشأة التشيع الكلام في شذرات مهمة حول التشيع من أين نشأ؟ ومتى تكون؟ ومن هو غارس بذرته الأولى، وواضع حجره الأول، وكيف أفرعت دوحته حتى سما واستطال، وأزهر وأثمر، واستدام واستمر حتى تدينت به جملة من أعاظم ملوك الإسلام، بل وجملة من خلفاء بني العباس: كالمأمون، والناصر لدين الله، وكبار وزراء الدولة العباسية وغيرها.

إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية، يعنيإ إن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام، جنبا إلى جنب، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وأزهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته.

والدليل على ذلك نفس أحاديثه الشريفة ، لا من طرق الإمامية ورواة الإمامية، حتى يقال: أنهم ساقطون لأنهم يقولون (بالرجعة) أو أن راويهم (يجر إلى قرصه) بل من نفس أحاديث علماء السنة وأعلامهم، ومن طرقهم الوثيقة التي لا يظن ذو مسكة فيها الكذب والوضع ، وإليك ما رواه السيوطي في كتاب (الدر المنثور في

تفسير كتاب الله بالمأثور) في تفسير قوله تعالى: { أولئك هم خير البرية } .قال: أخرج ابن عساكر: عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي (صلى الله عليه وآله) فأقبل علي عليه السلام فقال النبي:(والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة)(١٢).

وهذا الخط في مقابل خط الاجتهاد الذي كان يرى عدم لزوم التسليم في كلّ الأُمور لوصايا وتعليمات النبيّ (صلى الله عليه وآله)، إذ إن الإمامية الحقيقيون هم مَن يرون لزوم التعبّد بكلّ النصوص الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله)، والالتزام بكلّ أوامره ، ونواهيه ووصاياه في أيّ أمر كان سواء ما كان منها متعلقاً بأُمور التشريع، أو ما كان متعلقاً بتسيير الأُمور بعد رحيله(صلى الله عليه وآله) ، وقد برز رجال يمثّلون خط التعبّد بالنص لعلّهم كانوا لا يزيدون على العشرات، ثم انضم إليهم آخرون.

ومن الطبيعي أن يكون أتباع النص قد استمدوا من النبيّ(صلى الله عليه وآله) شرعيّة مواقفهم فيما يتعلق في مرحلة ما بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ولم يكن موقفهم اجتهاداً شخصيّاً أو متعلقاً بمسألة ولاءات شخصية أو قبلية ، فإنّ هذه الفئة قد وجدت إضافة للنصوص النبوية في شخصية الإمام عليّ (عليه السلام) ملامح القائد الذي تؤهله مواهبه النفسية والخلقية لتسنّم هذا المنصب الخطير الذي يتوقف عليه مستقبل الدعوة التي أسّس النبيّ(صلى الله عليه وآله) قواعدها وشاد بناءها، وصار لزاماً على من يأتي بعده أن يحافظ على هذا البناء النبوي ويصونه من رياح التغيير التي قد تعصف به نتيجة للظروف والأخطار التي أحاطت بالدعوة طيلة مسيرتها، والتي كان من أسبابها قرب عهد المسلمين بالماضي الجاهلي ، واشتداد حركة النفاق بعد الهجرة ، وجبلت بعض النفوس على الضغائن التي ولدتها الحروب الطاحنة بين المسلمين واعدائهم الذين أصبح الكثير منهم محسوبين على الدعوة الإسلامية بعد فتح مكة بالخصوص.

وهم الذين أسماهم النبيّ(صلى الله عليه وآله) بـ (الطلقاء) ، لعلم النبيّ(صلى الله عليه وآله) بأنّ معظم أُولئك قد دخلوا الإسلام كرهاً بعد أن أُسقط ما في أيديهم ولم يكن لهم بدٌّ من الاستسلام للواقع الجديد، ولكن إسلام معظم أُولئك لم يكن تسليماً، فضلاً عن الأخطار التي كانت تتهدد مستقبل الدعوة من خارج الجزيرة العربية، والمتمثلة في وجود دول ذات جبروت وقوة ومن الطبيعي أن يروقها تحوّل المسلمين إلى قوّة تهدّد أطرافها إن لم يكن يهدّد كيانها كله.

إذن فقد استمدّ خط التعبّد بالنصّ المقابل لخط الاجتهاد أمام النص شرعية موقفه من شرعية موقف النبي (صلى الله عليه وآله) تجاه الامام علي (عليه السلام)من جهة، ومن ملاحظته انطباق هذا الموقف على الواقع الخارجي لشخصية الامام علي(عليه السلام) من جهة أُخرى ، كقول النبي (صلى الله عليه وآله): (من أطاعني فقد اطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني)(١٣).

وقوله (صلى الله عليه وآله): (أنا وعلي حجة الله على عباده)(١٤).

وقوله (صلى الله عليه وآله): (أُوحي إليَّ في عليٍّ ثلاث: إنه سيد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجلين)(١٥)، وقول النبي (صلى الله عليه وآله): (علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة(١٦).

المطلب الثاني : نشأة الاعتزال وحقيقته:

أولاً : تعريف الاعتزال لغةً واصطلاحاً :

الاعتزال معناه في اللغة:

الانفصال والتنحي، واعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم، والمعتزلة هم المنفصلون(١٧)،أمّا في الاصطلاح فهي فرقة عقلانية كلامية فلسفية، تتكون من طوائف من أهل الكلام، الذين خلطوا بين العقليات والشرعيات والفلسفة في كثير من مسائل العقيدة، وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي ومناهج الاستدلال

ومنهج تقرير العقيدة وفي اصول الاعتقاد(١٨)، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية نسبة الى القول بالقدر والعدلية نسبة الى القول بالعدل، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركًا، وقالوا: لفظ القدرية يُطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى؛ احترازًا من وصمة اللقب إذ كان الذم به متفقًا عليه لقول النبي (صلى الله عليه واله) :
(الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ)(١٩).

ثانيا: النشأة وجذور الإعتزال:

الواقع إن نشأة الإعتزال كانت ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية؛ فقبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء كان هناك جدل ديني فكري بدأ بمقولات جدلية كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي، على أن هناك رواية ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية؛ فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي(٢٠)،وقيل أيضًا: إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية(٢١) قد أدت إلى تشكيكه في دينه، وابتداعه لنفي الصفات، كما أن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تُعدُّ موردًا من موارد الفكر الاعتزالي؛ إذ إنه كان يقول بالأصلح، ونفي الصفات(٢٢) الأزلية وحرية الإرادة الإنسانية (٢٣)، وقد برزت المعتزلة بعد ذلك كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الذي كان تلميذًا للحسن البصري، وذلك عندما دخل رجل على الحسن البصري فقال:يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفِّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا؟

فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء(٢٤): أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل؛ فسمي هو وأصحابه معتزلة (٢٥).ولأجل هذا سمَّاهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها(٢٦)،وكان سبب سؤال السائل ذلك للحسن البصري أنه لم يكن في زمن النبي خوض في هذه المسائل ولا في صدر الإسلام، وإنما حدث ذلك في أواخر عصر متأخِّري الصحابة وأول حدوثه في مسألة القَدَرِ وفي الاستطاعة من معبد الجُهنَيّ وغيلان الدمشقي والجَعد بن درهم، وتبرّأ منهم متأخرو الصحابة عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبو هريرة، وتواصَوا وأوصَوا أخلافهم أن لا يسلموا عليهم، ولا يصلّوا على جنائزهم، ولا يعودوا مَرضاهم، وإنما حملهم على ذلك ما صحّ عن رسول الله من ذّم القدرية(٢٧)، وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون: إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمن؛ لما فيه من معرفته بالرسل والكتب المنزلة من الله تعالى، ولمعرفته بأن ما جاء من عند الله حق، ولكنه فاسق بكبيرته، وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان والإسلام، وعلى هذا القول مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين(٢٨).

مؤسس الاعتزال وأبرز المنظرين:

مؤسس هذه الفرقة هو واصل بن عطاء البصري (٨٠- ١٣١هـ/ ٦٩٩- ٧٤٩م) الغزّال المتكلم البليغ المتشدق الذي كان يلثغ بالراء، فلبلاغته هجر الراء وتجنبها في خطابه، سمع من الحسن البصري وغيره، قال أبو الفتح الأزدي: رجل سوء كافر.
قلت(٢٩): كان من أجلاد المعتزلة، ولد سنة ثمانين

بالمدينة، ومما قيل فيه:

ويجعل البر قمحًا في تصرفـه
وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرًا في القول يعجله
فعاذ بالغيث إشفاقًا من المطـر

وله من التصانيف: كتاب أصناف المرجئة، وكتاب التوبة، وكتاب معاني القرآن، وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها، فلو شهد عندي عليٌّ وعائشة وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم(٣٠). مات سنة إحدى وثلاثين ومائة (٣١).

المبحث الثاني/المسائل الخلافية بين الإمامية والمعتزلة

توطئة :

الحديث عن المسائل الخلافية بين العدلية (الامامية والمعتزلة) انفسهم لايعني عدم وجود مشتركات بينهما بل هناك الكثير من المسائل محل اتفاق بينهما واعرضنا عنها وليس معنى اتفاقهم انهم فرقة واحدة كما تصور بعضهم وإليك بعض الأدلة على قولنا :

٢ ـ قال الذّهبي: (وجد الرفض والاعتزال في زمانه متصادقين متاخيين)(٣٢).

٣ ـ وقال المقريزي: قلّما يوجد معتزلي إلاّ وهو رافضي)(٣٣).

٤ ـ يقول الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي (١٣٣١م):(إنّ المعتزلة اليوم كفرقة أهل السنّة والجماعة، من أعظم الفرق رجالاً و أكثرها تابعاً، لأنّ شيعة العراق على الإطلاق معتزلة. وكذلك شيعة الأقطار الهندية و الفارسية و الشامية، ومثلهم الإمامية الزيديّة باليمن)(٣٤)،ورعاية للجانب الفني للبحث وعدم الاستطراد المخل ندخل في صلب الموضوع ونشير إلى الفوارق بينهما، الّتي جعلهما منهجين كلاميين مختلفين لكّل ميزة وخصوصيّة.

المطلب الأول : الصفات الإلهية والوعد والوعيد

أولاً: الصفات الإلهية

اتفقت الفرقتان على أنّ صفاته تعالى الذاتية ليست زائدة على الذات، بمعنى أنّ تكون هناك ذات، وصفة وراءها، كما في الممكنات فإنّ الإنسان له ذات وله علم وقدرة، هذا ممّا اتّفقتا عليه، ولكنّهما اختلفا في تفسير ذلك، الإمامية ذهبت إلى أنّ الوجود في مقام الواجب بالغ من الكمال على حدّ يعد (الواجب) نفس العلم والضابطة الكلية حتى في مقام الواجب بل الموصوف هناك لأجلّ الكمال المفرط نفس الصفة ، ولا مانع من كون العلم في درجة، قائماً بالذات، وفي أُخرى نفس الذات، وما هذا إلا لأنَ زيادة الوصف على الذات توجب حاجتها إلى شيء وراءها، وهو ينافي وجوب الوجود والغنى المطلق(٣٥).هذه هي نظرية الإمامية مقرونة بالدليل ، وقد اقتفوا في ذلك مارسمه الإمام علي (عليه السلام) فقال:

(وكمال الإخلاص له نفي الصفات (الزائدة) عنه،لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله (بوصف زائد على ذاته) فقد قرنه ومن قرنه فقد ثنّاه،ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله) (٣٦)، وقد ورد عن الإمام الصادق(عليه السلام) (لم يزل الله جلّ وعزّ، ربّنا والعلم ذاته، ولا معلوم، والسمع ذاته، ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر، و القدرة ذاته ولا مقدور) (٣٧)،هذا ما لدى الإمامية .وأمّا المعتزلة فقد اضطرب كلامهم في المقام، فالقول المشهور عندهم هي نظرية نيابة الذات عن الصفات، من دون أنّ تكون هناك صفة، وذلك لأنّهم رأوا أنّ الأمرفي أوصافه سبحانه يدور بين محذورين .

١ـ لو قلنا بأنّ له سبحانه صفات كالعلم، وجب الاعتراف بالتعدد و الإثنينية، لأنّ واقع الصفات هو المغايرة للموصوف .

٢ـإنّ نفي العلم والقدرة و سائر الصفات الكمالية يستلزم النقص في ذاته أولاً ويكذبه اتقان آثاره وأفعاله ثانياً.

فالمخلَص من هذين المحذورين يتلخّص عندهم في انتخاب نظرية النيابة، وهي القول بأنّ الذات نائبة مناب الصفات، و إنّ لم تكن هناك واقعية

للصفات وراء الذات، فما يترقب من الذات المقرونة بالصفة، يترتب على تلك الذات النائبة مقامها، هذا هو المشهور عن المعتزلة وإليك نصّ كلام عباد بن سليمان في ذلك المجال قال:

(هو عالم قادر، حيّ، ولا أثبت له علماً، ولاقدرةً، ولا حياةً، ولا أثبت سمعاً، ولا أثبت بصراً وأقول هو عالم لابعلم، قادر لابقدرة، حيّ لا بحياة، وسميع لا بسمع، وكذلك سائر مايسمّى من الأسماء الّتي يسمّى بها)(٣٨).

يلاحظ: إنّ نظرية النيابة المشهورة عن المعتزلة، مبنية على تخيّل كون الشيء وصفاً ملازم للزيادة دائماً، فوقعوا بين المحذورين وتخلّصوا بالنيابة، ومن المعلوم أنّ موجع النيابة إلى خلو الذات عن الكمال أولاً، وكون الذات الفاقدة للعلم، نائبة عن الذات المقرونة بها أشبه باللغز(٣٩).نعم، بعض المعتزلة كأبي هذيل العلاف ذهب إلى نفس ماذهب الإمامية إليه(٤٠).

ثانياً : الوعد والوعيد:

المشهور عن المعتزلة أنّهم لا يجوّزون العفو عن المسيء لاستلزامه الخلف، وأنّه يجب العمل بالوعد كالعمل بالوعيد، والظاهر من كلام القاضي عبد الجبار أنها نظرية البغدادين من المعتزلة قال: (اعلم أنّ البغدادية من أصحابنا أوجبت على الله أنّ يفعل بالعصاة ما يستحقونه لا محال، وقالت: لايجوز أنّ يعفو عنهم، فصار العقاب عندهم أعلى حالاً في الوجوب من الثواب، فإن الثواب عندهم لايجب إلامن حيث الجود، وليس هذا قولهم في العقاب فإنّه يجب فعله بكل حال)(٤١).

وذهبت الإماميّة إلى جواز العفو عن المسيء إذا مات بلاتوبة، واستدل الشريف المرتضى بقوله سبحانه {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِهِمُ المَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَة للنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَاب } الرعد/٦ وقال: في هذه الآية دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من أهل القبلة لإنّه سبحانه دلّنا على أنّه يغفر لهم مع كونهم ظالمين لأنّ قوله:(على ظلمهم) جملة حالية إشارة إلى الحال الّتي يكونون عليها ظالمين، ويجري ذلك مجرى قول القائل:أنا أودّ فلانا على غدره(٤٢).

المطلب الثاني : الإمامة ومايتعلق بها

أولاً: الإمامة والنص:

اتفقت الإماميّة على أنّ الإمامة بالتنصيص خلافاً للمعتزلة قالوا بالشورى وغيرها، ويتفرع على ذلك أمر آخر وهو: أنّ النبي نص على خليفة بالذات عند الإمامية، وقال الآخرون: سكت وترك الأمر شورى بين المسلمين.قال القاضي عند البحث عن طرق الإمامة (عند المعتزلة):إنها العقد والاختيار)(٤٣).

ثانياً: حكم محارب الإمام علي أمير المؤمنين:

اتفقت الإمامية على أنّ الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلاّل ملعونون بحربهم أمير المؤمنين(عليه السلام) وانّهم بذلك في النار مخلدون وأجمعت المعتزلة سوى الغزالي منهم وابن باب، والمرجئة والحشوية من أصحاب الحديث على خلاف ذلك، فزعمت المعتزلة كافّة إلاّ من سمّيناه وجماعة من المرجئة وطائفة من أصحاب الحديث، انّهم فسّاق ليسوا بكفار، وقطعت المعتزلة من بينهم على أنّهم لفسقهم في النار خالدون ، هذه جملة من الأُصول الّتي يختلف فيها المنهجان ، فإنّ الإماميّة تقتدي في أُصولها و فروعها بأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) الّذين جعلهم الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلّم عدلاً للقرآن الكريم و قال: (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)

ثالثاً : العصمة

اتفقت الإمامية على أنّ الامام يجب أنّ يكون معصوماً عن الخطأ والمعصية خلافاً للمعتزلة حيث اكتفت أنه يجب أنّ يكون مبرزاً في العلم مجتهداً ذا ورع شديد، يوثق بقوله ويؤمن منه ويعتمد عليه (٤٤).

قال المفيد: إنّ الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الاحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع، وتأديب الأنام، معصومون كعصمة الأنبياء،

وإنهم لايجوز منهم صغيرة إلا ما قدّمت ذكر جوازه على الأنبياء، وإنه لايجوز منه سهو في شيء في الدين ولاينسون شيئاً من الأحكام، و على هذا مذهب سائر الإماميّة إلا من شذّ منهم وتعلّق بظاهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنّه الفاسد في الباب، والمعتزلة بأسرها تخالف في ذلك ويجوّزون من الأئمّة وقوع الكبائر والردّه عن إسلام (٤٥).

المطلب الثالث : أفعال العباد

أولاً : التفويض

ذهبت المعتزلة للقول بالتفويض الا من خالفهم كالنجار و البصري(٤٦)إلى أنّ أفعال العباد واقعة بقدرتهم وحدها على سبيل الاستقلال بلا ايجاب (٤٧)بل باختيار .

قال القاضي :(أفعال العباد لايجوز أنّ توصف بأنها من الله تعالى ومن عنده و من قبله....) (٤٨).قال السيد الشريف:(إنّ المعتزلة استدلوا بوجوه كثيرة مرجعها إلى أمر واحد وهو أنّه لو لا استقلال العبد بالفعل على سبيل الاختيار، لبطل التكليف وبطل التأديب الّذي ورد به الشرع وارتفع المدح والذم إذليس للفعل استناد إلى العبد أصلا، ولم يبق للبعثة فائدة لأن العباد ليسوا موحدين أفعالهم، فمن أين لهم استحقاق الثواب والعقاب) (٤٩)،ثم إنّ نظريتهم في استقلال العبد في الفعل مبنية على مسألة فلسفية وهي إنّ حاجة الممكن إلى العلّة تنظر في حدوثه، لافيه وفي بقائه، وعلى ضوء ذلك قالوا باستقلال العبد في مقام الإيجاد.والمبنى والبناء كلاهما باطلان. أما الافتقار حدوثاً فقط، فهو لا يجتمع مع كون الإمكان من لوازم الماهية وهي محفوظة حدوثاً وبقاء، فكيف يجوز الغناء عن الفاعل بقاء.

قال الحكيم الشيخ محمد حسين الإصفهاني:

والافتقار لازم الإمكان
من دون حاجة إلى البرهان
لافرق مابين الحدوث والبقاء
في لازم الذات ولن يفترقا

هذا كله حول المبنى في التخلص عن الجبر استناد الفعل إلى الفاعل والخالق معاً، لكن يكون قدرة المخلوق في طول قدرة الخلق، ومنشعبة عنها، وهذا يكفي في الاستناد وصحة الأمر والنهي والتأديب والتثويب، فالجبر والتفويض باطلان، والامر بين الامرين هو الحق الصراح، وقد تواتر عن أئمة أهل البيت قولهم :لاجبر وتفويض لكن أمر بين الأمرين)(٥٠)، ثم إنّ الدافع إلى القول بالتفويض هو صيانة عدله سبحانه فزعموا أنّ الصيانه لها رهن ما ذهبت إليه الإماميّة، ثم إنهم و إنّ نزهوا العبد عن الظلم ولكن صورله شريكاً في الإيجاد، ولأجل ذلك قال الأمام الرضا(عليه السلام):(مساكين القدرية أرادوا أنّ يصفوا الله ـ عزّ وجلّ ـ بعدله، فأخرجوه من قدرته وسلطانه)(٥١).

ثانياً : خلود مرتكب الكبيرة في النار

اتّفقت الإماميّة على أنّ الوعيد بالخلود في النار متوجّه إلى الكفّار خاصّة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلات، ووافقهم على هذا القول كافة المرجئة سوى محمد بن شبيب وأصحاب الحديث قاطبة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعموا أنّ الوعيد بالخلود في النار عامّ في الكفار و جميع فساد أهل الصلاة .

ويظهر من العلاّمة الحلي أنّ الخلود ليس هو مذهب جميع المعتزلة إذ قال :أجمع المسلمون كافة على أنّ عذاب الكافر مؤبّد لاينقطع، وأمّا أصحاب الكبائر من المسلمين، فالوعيدية على أنّه كذلك. وذهبت الإماميّة وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أنّ عذاب منقطع والظاهر من القاضي عبد الجبار هو الخلود، واستدل بقوله سبحانه:(وَ مَنْ يَعْصِ اللهَ ورسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا)(النساء/١٤)فالله تعالى أخبر أنّ العصاة يعذّبون بالنار ويخلدون فيها، والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعاً فيجب حمله عليها لأنّه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينة فلمّا لم يبيّنه دلّ على ما ذكرناه(٥٢).

ثالثاً: مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر

إنّ مقترف الكبيرة عند الإمامية والأشاعرة مؤمن فاسق خرج عن طاعة الله. وهو عند الخوارج، كافر كفر ملة عند جميع فرقهم إلاّ الأباضية فهو عند كافر كفر النعمة، وأمّا المعتزلة فهو عندهم في منزلة بين المنزلتين قال القاضي: إنّ صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين لايكون اسمه اسم الكافر، ولا اسم المؤمن فلا يكون حكمه حكم الكافر ولاحكم المؤمن بل يفرد له حكم ثالث. وهذا الحكم الّذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين، قال صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان(٥٣).

وهذا أحد الأصول الخمسة الّتي عليها يدور رمى الاعتزال ومن أنكر واحداً منها فليس بمعتزلي (٥٤).

رابعاً : إحباط الأعمال الصالحة بالطالحة

الإحباط في عرف المتكلمين عبارة عن بطلان الحسنة، وعدم ترتب مايتوقع منها عليها، ويقابله التفكير وهو إسقاط السيئة بعدم جريان مقتضاها عليها فهو في المعصية نقيض الإحباط في الطاعة، والمعروف عن الإماميّة والأشاعرة هو أنّه لاتحابط بين المعاصي والطاعات والثواب والعقاب، والمعروف من المعتزلة هو التحاط(٥٥)، ثمّ إنهم اختلفوا في كيفيته فمنهم من قال :

من أنّ الإساءة الكثيرة تسقط الحسنات القليلة وتمحوها بالكلية من دون أنّ يكون لها تأثير في تقليل الإساءة وهو المحكي عن أبي علي الجبائي.

ومنهم من قال: بأنّ الإحسان القليل يسقط بالإساءة الكثيرة ولكنه يقلل في تأثير الإساءة فينقص الإحسان من الإساءة فيجري العبد بالمقدار الباقي بعد التنقيص، وهو المنسوب إلى أبي هاشم.ومنهم من قال :إنّ الإساءة المتأخرة تحبط جميع الطاعات وإنّ كانت الإساءة أقل منها، حتى قيل :إنّ الجمهور من المعتزلة ذهبوا إلى أنّ الكبيرة الواحدة، تحبط ثواب جميع العبادات(٥٦)،هذا على قول المعتزلة.

وأمّا على قول نفاة الإحباط فالمطيع والعاصي يستحق الثواب والعقاب معاً فيعاقب مدّة ثم يخرج من النار فيثاب بالجنّة.

نعم، ثبت الإحباط في موارد نادرة، كالإرتداد بعد الإسلام، والشرك المقارن للعمل، والصدّ عن سبيل الله، ومجادلة الرسول ومشاقته، وقتل الأنبياء، وقتل الآمرين بالقسط، وإساءة الأدب مع النبي، والنفاق، وغير ذلك(٥٧).

خامساً: قبول التوبة واجب على الله أو تفضّل منه؟

اتفق المسلمون على أنّ التوبة تسقط العقاب، وإنّما الخلاف في أنّه هل يجب على الله قبولها فلو عاقب بعد التوبة كان ظالماً أو هو تفضل منه سبحانه ؟فالمعتزلة على الأوّل، والأشاعره والإماميّة على الثاني(٥٨).قال الشيخ المفيد(رض):

(اتفقت الإماميّة على أنّ قول التوبة بفضل من الله عزّ وجلّ، وليس بواجب في العقول اسقاطها لما سلف من استحقاق العقاب، ولولا أنّ السمع ورد بإسقاطها لجاز في العقول بقاء التائبين على شرط الإستحقاق، و وافقهم على ذلك أصحاب الحديث، وأجمعت المعتزلة على خلافهم و زعموا أنّ التوبة مسقطة لما سلف من العقاب على الواجب)(٥٩). و لقد أحسن حيث جعل محور المسألة قبول التوبة وعدمه بما هو هو لابلحاظ آخر كما في صورة الاخبار بقبول التوبة قال سبحانه:

{ يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ التوبة} الشورى /١٠٤

إذ عندئذ يجب قبول التوبة عقلا وإلا لزم الخلف في الوعد. قال الطبرسي في تفسير قوله سبحانه {إلاّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فأُولئكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}البقرة / ١٦٠ وصفه بالرحيم عقيب التوّاب يدل على أنّ إسقاط العقاب بعد التوبة تفضل منه سبحانه ورحمة من جهته، على ما قاله أصحابنا، وأنّه غير واجب عقلاً على خلاف ماذهب إليه المعتزلة(٦٠)،ومن أراد أنّ يقف على دلائل المعتزلة في المقام فليرجع إلى كشف المراد شرح المقاصد.

المطلب الرابع:النبوة ومايتعلق بها وبعض المسائل المتفرقة

أولاً: عصمة الأنبياء قبل البعثة و بعدها

اتفقت الإمامية على أنّ جميع أنبياء الله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها، وممّا يستخف فاعله من الصغائر وأما ماكان من صغير لا يستخف فاعله فجائز و قوعة منهم قبل النبوة وعلى غير تعمد وممتنع منهم بعدها، على كل حال هذا مذهب جمهور الإمامية والمعتزلة بأسرها تخالف فيه (٦١). والمنقول عن أبي علي الجبائي التفصيل في الكبائر بين قبل البعثة وبعدها فيجوز في الأول دون الثاني، والمختار عند القاضي في الكبائر عدم الجواز مطلقاً وأمّا المنفرات فاتفقوا على عدم جواز (٦٢).

ثانيا : آباء رسول الله كلهم موحّدون

اتفقت الإماميّة على أنّ آباء رسول الله من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله عزّ وجلّ ـ موحّدون له، وخالفهم على هذا القول جميع الفرق(٦٣).

ثالثا : تفضيل الأنبياء على الملائكة

اتفقت الإماميّة على ذلك أنّ أنبياء الله عزّ وجلّ ورسله من البشر أفضل من الملائكة و وافقهم على ذلك أصحاب الحديث، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك و زعم الجمهور منهم أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء والرسول(٦٤).

رابعاً :الشفاعة:

لما ذهبت المعتزلة إلى خلود مرتكب الكبيرة في النار، وإلى لزوم العمل بالوعيد، ورأت أنّ آيات الشفاعة الفسّاق الّذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا تتنزّل منزلة الشفاعة لمن قتل ولد الغير وترصّد للآخر حتى يقتله، فكما أنّ ذلك يقبح فكذلك هاهنا (٦٥).

فالشفاعة عندهم عبارة عن ترفيع الدرجة، فخصوها بالتائبين من المؤمنين وصار أثرها عندهم ترفيع المقام لا الإنقاذ من العذاب أو الخروج منه، قال القاضي: إنّ فائدة الشفاعة رفع مرتبة الشفيع والدلالة على منزلة من المشفوع(٦٦)، وأمّا عند الإماميّة فهو عبارة عن إسقاط العذاب، قال الشيخ المفيد: اتفقت الإماميّة على أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)يشفع يوم القيامة لجماعة من مرتكبي الكبائر من أُمته، وأنّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته وأنّ أئمة آل محمد(صلى الله عليه وآله) يشفعون كذلك وينجي الله بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين، و وافقهم على شفاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) المرجئة سوى ابن شبيب وجماعة من أصحاب الحديث، وأجمعت المعتزلة على خلاف وزعمت أنّ شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للمطيعين دون العاصين وأنّه لايشفع في مستحقي العقاب من الخلق أجمعين (٦٧).

خامسا : وجوب الأمر بالمعروف عقلاًوعدمه

تفقت الأُمّة على و جوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا استثناء غير أنهم اختلفوا في وجوبه عقلاً وسمعاً، أو سمعاً فقط، فالمعتزلة على الأوّل والاماميّة على الثاني .قال الشيخ المفيد:

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان فرض على الكفاية بشرط الحاجة إليه لقيام الحجة على من لايعلم لديه إلأ بذكره أو حصول العلم بالمصلحة به أو غلبه الظن بذلك)(٦٨).ثم إنّ المحقق الطوسي ذكر دلائل المعتزلة على وجوبهما عقلاً، ثم عقب عليها بنقد وتحليل (٦٩).

سادساً : النسخ جائزٌ ممتنع عند المعتزلةاتفق

المسلمون على جواز النسخ خلافاً لليهود، واختلفوا في البداء، ذهبت الإمامية إلى إمكانه ووقوعه، خلافاً لغيرهم فقالوا بالامتناع .

ثم إنّ الّذي صار سبباً للتفريق عند القاضي هو أنّه اشترط في النسخ أُموراً أهمها: أنّ النسخ لايتعلّق بعين ما كان ثابتاً، بل يتعلّق بمثل ما كان ثابتاً أشار إليها بقوله : النسخ إزالة مثل الحكم الثابت بدلالة شرعية، بدليل آخر شرعي على وجه لولاه لثبت، ولم يزل مع تراخيه عنه.

قال: فاعتبرنا أنّ يكون إزالة مثل الحكم الثابت لأنه لو زال عين ما كان ثابتاً من قبل لم يكن نسخاً بل كان نقضاً، وهذا بخلاف البداء فإنه يتعلّق بعين ما كان ثابتاً. ومثاله أنّ يقول أحدنا لغلامه: إذا زالت الشمس و دخلت السوق فاشتر

اللحم. ثم يقول له: إذا زالت الشمس ودخلت السوق فلا تشتر اللحم، وهذا هو البدء وإنما سمي به لأنه يقتضي أنّه قد ظهر له من حال اشتراء اللحم ما كان خايفاً عليه كم قبل (٧٠).

وقال أيضاً: الّذي يدل على البداء، أنّ يأمر الله جلّ وعزّ بنفس مانهى عنه في وقت واحد على وجه واحد وهذا محال لانجيزه البتة (٧١).

غير أنّ الّذي يتوجّه على كلام القاضي أنّ ما أحاله هو أيضاً من أقسام النسج لا من أقسام البداء المصطلح فإنه على قسمين:

١ـ النسخ بعد حضور وقت العمل .

٢ـ النسخ قبل حضور وقت العمل.

والّذي أحاله هو القسم الثاني، وأمّا الوجه الّذي اعتمد عليه فموهون بأنه ربّما تترتّب المصلحة على نفس إنشاء الحكم وإنّ لم يكن العمل به مراداً جدياً كما هو الحال في أمر إبراهيم بذبح ولده، والأوامر الامتحانية كلها من هذا القبيل فإذا شوهد من الإنسان القيام بمقدّمات الواجب، ينسخ الحكم، وعلى كل تقدير فما سماه بداء، ليس هو محل النزاع بين الإماميّة وغيرهم(٧٢).

والبداء عندهم عبارة عن تغيير المصير الأعمال الصالحة أو الطاعة وهو شيءاتفق عليه المسلمون، ورد به النص في القرآن و النسنة.

هذه هي حقيقة البداء في عالم الثبوت، وله أثر في عالم الإثبات وهو أنّه ربّما يقف النبي على مقتضي المصير ولايقف على مايغيره، فيخبر به على حسب العلم بالمقتضى ولكن لا يتحقّق لأجلّ تحقّق ما يغيّره، فيقال هنا: بدا لله والمقصود بداء من الله للعباد كما هو الحال في إخبار يونس عن تعذيب القوم وغير ذلك، وقد وردت جملة «بدا لله» في صحيح البخاري (٧٣). قال الشيخ المفيد: (أقول في معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الإفقار بعد الإغناء، والأمراض بعد الإعفاء وما يذهب إليه أهل العدل خاصّة من الزيادة في الآجال والأرزاق والنقصان منها بالأعمال وأمّا إطلاق لفظ البداء، فإنّما صرت إليه لأجلّ السمع الوارد عن الوسائط بين العباد وبين الله (عزّ وجلّ)وليس بيني وبين كافة المسلمين في هذا الباب خلاف، وإنّما خالف من خالفهم في اللفظ دون ما سواه)(٧٤)، وهذا يعرب عن أنّ القوم لم يقفوا على مصطلح الإماميّة في البداء وإلاّ لأتفقوا على جوازه.

سابعاً :الرجعة: إمكانها و وقوعها

قضية الرجعة الّتي تحدثت عنها بعض الآيات القرآنية و الأحاديث المروية عن أهل بيت الرسالة ممّا تعتقد به الإمامية من بين الأمة الإسلاميّة قال الشيخ المفيد: إنّ الله يحشر قوماً من أُمّةُ محمد (صلى الله عليه وآله)بعد موتهم قبل يوم القيامة وهذا مذهب يختص به آله محمد (صلى الله عليه وآله) والقرآن شاهد به (٧٥).

وخالفت المعتزلة والأشاعرة وأهل الحديث في ذلك.

ثامناً : الجنّة والنار مخلوقتان أم لا؟

إنّ الله سبحانه وعد المتقين بالجنّة أو عد العصاة بالنار فهل هما مخلوقتان أو لا؟

والمسألة نقلية محضة فالإماميّة إلا من شذ، ذهب إلى أنّ الجنّة والنار في هذا الوقت مخلوقتان قال الشيخ المفيد: وبذلك جاءت الأخبار وعليه إجماع أهل الشرع والآثار (٧٦).

وقال التفتازاني:(جمهور المسلمين على أنّ الجنّة والنار مخلوقتان الآن خلافاً لأبي هاشم والقاضي عبدالجبار ومن يجري مجراهما من المعتزلة حيث زعموا أنهما إنما يخلقان يوم الجزاء)(٧٧).

والظاهر من السيد الرضي من الإمامية (٣٥٩ ـ ٤٠٦) أنهما غير مخلوقتين الآن حيث قال: الصحيح أنهما إنما تخلقان بعده (٧٨).

تاسعاً: تأويل النصوص اعتماداً على القواعد العقلية:

إنّ الاصول الخمسة عند المعتزل توصف بالصحة والاتقان على درجة تقدم على النصوص الشرعية الواردة في القرآن الكريم والسنّة، فقد أعطوا للعقل أكثر ممّا يستحقه، فقالوا: إنّ المراد في الشفاعة هو ترفيع الدرجة لا رفع العقاب وقس على ذلك سائر تأويلاتهم في الكتاب والسنّة .

إنّ النص الوارد في القرآن الكريم دليل قطعي

لايعادله شيء فعند ذلك تجب تخطئة العقل لاتأويل القرآن، والتعارض بين القطعيين غير معقول، وتأويل النص القطعي كرفضه، نعم لو كان النص ظني السند أو كان الدليل الشرعي ظنّي الدلالة فللتأويل مجال، هذا وللبحث صلة تطلب في مجالها.

النتائج:

وفي نهاية المطاف وصلنا إلى عدة نتائج مهمة من خلال ما تم بيانه في طيات البحث وأحببت أن أجملها بعدة نقاط وهي كالآتي :

١.نشأة الإمامية وحقيقتهم إنهم وجدوا في علي (عليه السلام) القيادة التي تؤهله لتولي منصب الإمامة والنيابة عن النبي (صلى الله عليه واله) ، وهم بهذا الاتباع إنما يتعبدون بالنص الوارد عن النبي (صلى الله عليه واله) ، في مقابل الخط الذي لايرى لزوم ذلك

٢.الاعتزال كان ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وهو نتاج التاثر بالفلسفة بجميع صورها وفروعها ، وقد برزت كفرقة على يد واصل بن عطاء في البصرة ، وكان سبب ظهورها عدة امور منها مسالة مرتكب الكبيرة وغيرها الكثير

٣.اتفقت الطائفتان(الامامية والمعتزلة)على أن الصفات ليست زائدة عن الذات،ولكنّهما اختلفتا في تفسير ذلك، الإمامية ذهبت إلى أنّ الوجود في مقام الواجب بالغ من الكمال على حدّ يعد نفس العلم والضابطة الكلية حتى في مقام الواجب بل الموصوف هناك لأجلّ الكمال المفرط نفس الصفة ، ولا مانع من كون العلم في درجة، قائماً بالذات، وفي أُخرى نفس الذات، وما هذا إلا لأنَ زيادة الوصف على الذات توجب حاجتها إلى شيء وراءها، وهو ينافي وجوب الوجود والغنى المطلق وأمّا المعتزلة فقد اضطرب كلامهم في المقام، تكون هناك صفة، وذلك لأنّهم رأوا أنّ الأمر في أوصافه سبحانه يدور بين محذورين .

١ـ لو قلنا بأنّ له سبحانه صفات كالعلم، وجب الاعتراف بالتعدد و الإثنينية، لأنّ واقع الصفات هو المغايرة للموصوف .

٢ـ إنّ نفي العلم والقدرة و سائر الصفات الكمالية يستلزم النقص في ذاته أولاً ويكذبه اتقان آثاره وأفعاله ثانياً.

فالمخلَص من هذين المحذورين يتلخّص عندهم في انتخاب نظرية النيابة، وهي القول بأنّ الذات نائبة مناب الصفات، و إنّ لم تكن هناك واقعية للصفات وراء الذات، فما يترقب من الذات المقرونة بالصفة، يترتب على تلك الذات النائبة مقامها، هذا هو المشهور عن المعتزلة

٤.إحباط الأعمال الصالحة بالأعمال الطالحة هذا ماعليه المعتزلة بخلاف الإمامية بانه لاتحابط بين المعاصي والطاعات

٥.اتفقت الإمامية على أن الخلود للكفارخاصة بخلاف المعتزلة حيث اجمعت على ان الوعيد بالخلود عام في الكفار وجميع فساد اهل الصلاة

٦.الشفاعة عند الإمامية هو عبارة عن اسقاط العذاب أما المعتزلة عندهم هي ترفيع الدرجة خاصة بالمؤمنين التائبين .

٧.مرتكب الكبيرة عند الإمامية مؤمن فاسق خرج عن طاعة الله اما المعتزلة عندهم منزلة بين المنزلتين لامؤمن ولاكافر.

٨.الإمامة عند الشعية نصّ وعند المعتزلة عقد واختيار .

٩.حكم محارب الإمام علي (عليه السلام) الإمامية تقول بأنهم كفار أما المعتزلة إنهم فساق وليسوا بكفار.

١٠.العصمة شرط للإمامة عند الإمامية بخلاف المعتزلة فيكفي أن يكون مبرزاً في العلم مجتهداً ذا ورع شديد .

الهوامش:

(١)لسان العرب ، ابن منظور ١٨٨/٨
(٢)القصص ، ١٥
(٣) الصافات ٨٣ ـ ٨٤
(٤)ينظر الملل والنحل ، ٩
(٥) الشورى ، ٢٣
(٦)الصواعق المحرقة ، ابن حجر ،٢/ ٥٠٧
(٧)حقيقة التشيّع ونشأته ، صباح البياتي ،١٠٧
(٨)الملل والنحل ، جعفر السبحاني ، ٧
(٩)خطب الإمام أبو محمّد: الحسن السبط حين قتل أميرالمؤمنين خطبته الغرّاء فقال: أنا ابن النبي وأنا ابن الوصي أخرجه الحاكم في مستدركه ١ / ١٧٢، وقد ذكر ابن أبي الحديد أشعاراً وأراجيز تضمّن توصيف الإمام بالوصاية عن الصحابة والتابعين، وينظر شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، ١ / ١٤٣ ـ ١٥٠ باب ما ورد في وصاية عليّ من الشعر
(١٠) ينظر نهج البلاغة الخطبة الثانية ،١/ ٣٠
(١١) ينظر الملل والنحل ، ١١
(١٢) ينظر اصل الشيعة واصولها ، ١٨٤-١٨٥
(١٣)المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٢١ ، الرياض النضرة: ١٦٧/٢.
(١٤)كنوز الحقائق للمناوي: ٤٣، تاريخ بغداد: ٨٨/٢، ذخائر العقبى: ٧٧.
(١٥)المستدرك: ١٣٧/٣ كنز العمال: ١٥٧/٦، الإصابة:٤ / ٣٣، أُسد الغابة: ٦٩/١، ١١٦/٣.
(١٦)تاريخ بغداد: ٣٢١/١٤، المستدرك: ١١٩/٣، ١٢٤، جامع الترمذي: ٢٩٨/٢، مجمع الزوائد: ١٣٤/٩، ٢٣٥/٧، التفسير الكبير: ٢٠٤/١، مبحث الجهر بالبسملة.
(١٧)لسان العرب ٤٤٠/١١ ، وينظر محيط المحيط ، ١١٣٩
(١٨) ينظر ،الجهمية والمعتزلة ، ناصر العقل ، ١٢٧
(١٩)الملل والنحل الشهرستاني١/٥٦.وينظر صحيح الجامع (٤٤٤٢)
(٢٠)مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ٢٠/٥
(٢١)السمنية: بعض فلاسفة الهند، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات. ينظر، ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٢٢/٥
(٢٢)مجموع الفتاوى ٢٦٤/٣.
(٢٣)ينظر، الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ٦٤
(٢٤)واصل بن عطاء الغزّال، البصري المتكلم، كبير المعتزلة، ولد سنة (٨٠هـ) ومات سنة (١٣١ هـ)، كان تلميذًا للحسن البصري فحصل خلاف بينه وبين شيخه الحسن البصري، فاعتزل مجلسه
(٢٥)الملل والنحل ١/ ٦١، ٦٢.
(٢٦)الفرق بين الفرق ، البغدادي ، ١٠٥
(٢٧)الوافي بالوفيات ، الصفدي.٢٧ /٢٤٥.
(٢٨)الفرق بين الفرق ، ١٠٨
(٢٩)أي ابن حجر
(٣٠)ينظر: البغدادي: الفرق بين الفرق ص١١٠.
(٣١)لسان الميزان ، ابن حجر ، ٣٦٩/٨
(٣٢)ميزان الاعتدال ،٢ / ٢٣٥
(٣٣)المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، ٤ / ١٦٩
(٣٤)تاريخ الجهمية والمعتزلة ،٤٢
(٣٥)ينظر الملل والنحل ، السبحاني ، ٢٠٠
(٣٦)نهج البلاغة: الرضي ، الخطبة ١
(٣٧)التوحيد ،الصدوق: ١٣٩.
(٣٨)مقالات الإسلاميين ، الأشعري ، ١ : ٣٣٥.
(٣٩)ينظر الملل والنحل ، ٢٠٠
(٤٠)ينظر، بحوث في الملل والنحل ٢:٨٤ نقلا عن شرح الأُصل الخمسة للقاضي عبدالجبار: ١٨٣، ومقالات الإسلاميين: ٢٢٥.
(٤١)شرح الاصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، ٦٤٤
(٤٢)ينظر ، الالهيات ٩١٠/١
(٤٣)شرح الأُصول الخمسة ، القاضي عبدالجبار ، ٧٥٣.
(٤٤)نفس المصدر: ٧٥٤.
(٤٥)أوائل المقالات: ٣٥
(٤٦)ينظر،حاشية شرح المواقف لعبد الحليم السيالكوتي، ٢/ ١٥٦.
(٤٧)ولعل قولهم بلا إيجاب اشارة إلى أنّ حال الصدور لايتصف بالوجوب أيضاً. والقاعدة الفلسفية «الشيء مالم يجب لم يوجد» غير مقبولة عندهم .
(٤٨)شرح الأصول الخمسة ٧٧٨، وفي ذيله ما ربّما يوهم خلاف ما هو المشهور غنهم
(٤٩)شرح المواقف ، السيد الشريف الجرجاني (ت ٨٨٦)، ٨/ ١٥٦.
(٥٠)التوحيد، الصدوق ، ٨
(٥١)نفس المصدر، ٥٤، الحديث ٩٣.

(٥٢)كشف المراد: العلامة الحلي ، ٢٦٥.
(٥٣)شرح الأُصول الخمسة: ٦٩٧
(٥٤)الانصار ، الخياط ، ١٢٦، ومروج الذهب ٣ / ٢٢٢.
(٥٥)أوائل المقالات ، المفيد : ٥٧
(٥٦)شرح المقاصد ، التفتازاني: ٢: ٢٣٢، شرح الأُصول الخمسة ، القاضي عبدالجبار، ٦٢٥.
(٥٧)الإلهيات ١: ٨٧٠ ـ ٨٧٤.
(٥٨)ينظر، شرح المقاصد ، التفتازاني، ٢/ ٢٤٢، كشف المراد، ٢٦٨، شرح الأُصول الخمسة القاضي عبدالجبار، ٧٩٨
(٥٩)أوئل المقالات ، المفيد ، ١٥.
(٦٠)مجمع البيان الطبرسي ١ / ٢٤٢.
(٦١)أوائل المقالات ، ٣٠
(٦٢)شرح الأُصول الخمسة: ٥٧٣.
(٦٣)أوائل المقالات، ١٢
(٦٤)نفس المصدر ، ١٦
(٦٥)شرح الأُصول الخمسة :٦٨٨.
(٦٦)نفس المصدر ، ٦٨٩
(٦٧)أوئل المقالات: ١٤ ـ ١٥
(٦٨)أوائل المقالات / ٩٨، وبذلك يظهر وهن ما ذكره القاضي في شرح الأُصول الخمسة من نسبة عدم الوجوب على الإطلاق إلى الإماميّة ينظر ٧٤١.
(٦٩)كشف المراد العلامة الحلّي، ٢٧١
(٧٠)شرح الأُصول الخمسة: ص ٥٨٤، ٥٨٥.
(٧١)رسائل العدل والتوحيد ١، رسالة القاضي عبد الجبار ، ٢٤١
(٧٢) ينظلر الالهيات ، ١٨٩
(٧٣)الصحيح ، البخاري ٤ / ١٧٢ باب حديث «أبرص وأعمى وأاقرع في بني إسرائيل».
(٧٤)أوائل المقالات، ٥٣
(٧٥)بحار الانوار ، المجلسي ٥٣ / ٣٦
(٧٦)أوائل المقالات ، ١٠٢
(٧٧)شرح المقاصد ، التفتازاني /٢ ٣١٨ وينظر ، شرح التجريد للقوشجي / ٥٠٧
(٧٨)حقائق التأويل ، الشريف الرضي ٥ / ٢٤٥ .

المصادروالمراجع:

القران الكريم
١.الاستيعاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م
٢.أسد الغابة في معرفة الصحابة المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م
٣.الإصابة: الإصابة في تمييز الصحابة المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ
٤.اصل الامامية واصولها الإمام المصلح الشيخ محمد الحسين آل كشاف الغطاء المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ تحقيق علاء آل جعفر مؤسسة الإمام علي (عليه السلام)
٥.الإلهيات ، السبحاني ،ط٧ ، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، ١٣٨٨هـ
٦.الانتصار، عبد الرحيم بن محمد ابن الخياط ، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مكان النشر: القاهرة : تاريخ النشر: ١٩٢٥
٧.أوائل المقالات ، المفيد أوائل المقالاتالمؤلف: الشيخ المفيد الوفاة: ٤١٣تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري ، الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م
٨.بحار الأنوار محمد باقر المجلسي ، الطبعة الثالثة ، الناشر : مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان ، ١٩٨٣م
٩.بحوث في الملل والنحل ، الشيخ السبحاني ، ط٢ ، موسسة الصادق عليه السلام
١٠. بحوث في الملل والنحل ، جعفر السبحاني ، الطبعة الاولى ،موسسة الامام الصادق (عليه السلام) ، قم المقدسة ، ايران ،١٤٢٧ هـ .
١١. تاريخ الجهمية والمعتزلة ، جمال الدين القاسمي ، الناشر: مؤسسة الرسالة سنة النشر: ١٣٩٩ – ١٩٧٩ ، ط١
١٢.تاريخ بغداد المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت

بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

١٣.التوحيد ، أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) المحقق: السيد هاشم الحسيني الطهراني ، الناشر: منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة ، الطبعة: ١ ، د.ت

١٤.الجامع الكبير - سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي ، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨م

١٥.الجهمية والمعتزلة ، ناصرعبد الكريم العقل ، الطبعة الاولى ، سنة الطبع ٢٠٠٠م ، الناشر دار الوطن ، السعودية

١٦. حقائق التأويل في متشابه التنزيل ،الشريف الرضي، محمد بن الحسين، د.ط ،مطبعة الغري، النجف الاشرف ، سنة ١٩٣٦

١٧.حقيقة التشيّع ونشأته صباح البياتي ، سلسلة الرحلة الى الثقلين (٧٧).

إعداد مركز الأبحاث العقائدية ،د.ط ، د.ت

١٨.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)

١٩. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (المتوفى: ٦٩٤هـ)، الطبعة الاولى ، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي بباب الخلق بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية عام النشر: ١٣٥٦ هـ

٢٠.رسائل العدل والتوحيد ، رسالة القاضي عبد الجبار، تحقيق محمد عمارة ، الطبعة الثانية ،الشروق ، القاهرة ، مصر ، سنة ١٩٨٨م

٢١.الرياض النضرة في مناقب العشرة ، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (المتوفى: ٦٩٤هـ) الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٤م

٢٢.شرح الاصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، تعليق احمد بن الحسين ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، الطبعة الثالثة ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر، سنة ١٩٩٦م

٢٣.شرح التجريد للقوشجي ،دراسة وتحقيق د. صابر عبدة ابا زيد ،تقديم د. عبد الفتاح فؤاد ، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، مصر ، د.ت

٢٤.شرح المقاصد ، شرح المقاصد في علم الكلام ، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: ٧٩٣ هـ) المحقق: الناشر دار المعارف النعمانية ، سنة النشر: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، مكان النشر: باكستان

٢٥.شرح النهج ابن ابي الحديد المعتزلي ، تحقيق محمد ابراهيم ، الطبعة الاولى ، الناشر دار الكتاب العربي - دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ م .

٢٦.صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢٧.صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ، الطبعة الثالثة ، الناشر: المكتب الإسلامي ، سنة النشر: ١٤٠٨ - ١٩٨٨م .

٢٨.الصواعق المحرقة ، ابن حجر

٢٩.الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م .

٣٠.فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري ، (المتوفى: ١٠٣١هـ) ، الطبعة الاولى ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، ١٣٥٦هـ

٣١.كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (٦٧٢هـ) ، شرح

العلامة الحلي (٧٢٦هـ) ، موسسة الاعلمي للمطبوعات ، يروت ، لبنان .
٣٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ) المحقق: بكري حياني - صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
٣٣.كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، الناشر : المطبعة العامرة العثمانية .
٣٤.لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ .
٣٥.لسان الميزان ، ابن حجر ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر ، المحقق: عبد الفتاح أبي غدة ، الطبعة الاولى ، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ، سنة النشر: ١٤٢٣ – ٢٠٠٢.
٣٦.مجمع البيان في تفسير القران ، ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، الطبعة الاولى ، الناشر دار العلوم ، لبنان ، ٢٠٠٥م .
٣٧.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .
٣٨.مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، الطبعة الاولى ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، سنة ١٩٩٧.
٣٩. محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، بطرس البستاني ، الناشر مكتبة لبنان
٤٠.مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ابا الحسن علي بن الحسين المسعودي ، (٣٤٦هـ) ، الطبعة الاولى ، المكتبة العصرية ، لبنان ٢٠٠٥م .
٤١.المستدرك على الصحيحين المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠م .
٤٢.مفاتيح الغيب او التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
٤٣. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) عنى بتصحيحه: هلموت ريتر الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
٤٤.الملل والنحل ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) ، المحقق: أحمد فهمي محمد ، الطبعة الثانية ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م .
٤٥.المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ
٤٦. المواقف تأليف الإمام الأجل القاضي عضد الدين عبد الرحمن أحمد الإيجي وشرحه للمحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ مع حاشيتين جليلتين عليه أحدهما لعبد الحكيم السيالكوتي والثانية للمولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ مطبعة السعادة بمصر
٤٧.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ .
٤٨.ميزان الاعتدال في نقد الرجال تأليف أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية تحقيق على محمد البجاوي المجلد الثالث دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان ، د.ت ، د. ط .
٤٩.الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر:١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

التحفظ على معاهدات حقوق الإنسان بين القبول والرفض

م. د. صقر صبوح
شيلان اسماعيل الاي
جامعة الأديان والمذاهب/ قسم القانون

الملخص:

سنتناول هذا البحث على وفق مبحثين نتكلم في المبحث الأول عن مفهوم التحفظ على المعاهدات في مجال حقوق الإنسان وعلى أساس ذلك سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين نتكلم في المطلب الأول عن تعريف المعاهدات الدولية أمّا في المطلب الثاني سنتكلم عن أنواعها، وأمّا في المطلب الثالث سنتكلم عن طبيعتها القانونية.

أمّا في المبحث الثاني سنتكلم عن الإطار العام للتحفظ على المعاهدات في مجال حقوق الإنسان وعلى أساس ذلك سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين نتكلم في المطلب الأول عن مفهوم المعاهدات الدولية وأنواعها، أمّا في المطلب الثاني سنتكلم معاهدات حقوق الإنسان،أمّا في المبحث الثاني سنتكلم عن الإطار العام للتحفظ على معاهدات حقوق الإنسان وعلى أساس ذلك سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين نتكلم في المطلب الأول عن التعريف بحقوق الإنسان أمّا في المطلب الثاني سنتكلم عن معاهدات حقوق الإنسان أمّا في المبحث الثالث سنتكلم عن التحفظ على معاهدات حقوق الإنسان.

Abstract:

We will deal with this research according to two sections. In the first section، we will talk about the concept of reservations to treaties in the field of human rights. On the basis of that، we will divide this topic into two demands. We will talk in the first requirement about the definition of international treaties. In the second، we will talk about their types، and in the third، we will talk about their nature. Legal. As for the second topic، we will talk about the general framework for reservations to treaties in the field of human rights، and on the basis of that we will divide this topic into two demands. In the second requirement we will talk about human rights treaties، while in the second section we will talk about the general framework for reservations on human rights treaties and on the basis of that we will divide this topic into two demands. We will talk about reservations to human rights treaties.

المقدمة:

لمعاهدات حقوق الإنسان أثر هام في العلاقات الدولية، فهي يُعدّ المصدر الرئيسي الأول للقانون الدولي العام، كما كانت منذ القدم وسيلة إتصال دولية وأصبحت أداة لتنظيم العلاقات الدولية في عهد مبكر، وأول معاهدة تم توقيعها في التاريخ هي معاهدة «قادش» التي أبرمت بين إمبراطوريتي الفراعنة والحيثيين، إذ تضمنت بنوداً قانونية وعسكرية، ودبلوماسية نظمت العلاقات بينهما، وبعد ذلك توالت وزداد إستعمال المعاهدات الدولية بشكل مستمر حتى كادت أن تصبح الوسيلة الوحيدة في التنظيم الدولي، ولكن كانت المعاهدات في تلك الفترة عبارة عن معاهدات تحالف أو صلح بحيث كان يحكم عملية إبرام المعاهدات الدولية قواعد العرف الدولي، الذي سعى بدوره إلى وضع قواعد منظمة للإجراءات المتعلقة بالمعاهدات والتي كانت كلها إجراءات عرفية، إذ تم تدوين جميع هذه الإجراءات عن طريق لجنة القانون الدولي المنبثقة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بوضع مشروع لقانون المعاهدات الدولية عام ١٩٦٩م، والتي سميت بـ(اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات) ودخلت هذه الاتفاقية حيز النفاذ في ٢٧ يناير ١٩٨٠م، وتُعدّ اليوم هي المرجع الأساسي والقاعدة العامة فيما يتعلق بالمعاهدات بين الدول المختلفة من حيث أطرافها وموضوعاتها ومن حيث الإجراءات المتبعة بشأنها.

أهمية البحث :

إنَّ الإتفاقيات الدولية والإقليمية المعنية بحقوق الإنسان وحرياته، التي تبرمها الحكومة قوة القانون الداخلي بعد توقيع ممثل الدولة عليها، واقرارها من السلطة التشريعية «مجلس النواب»، ونشرها في الجريدة الرسمية. وهي وثائق تتعلق بالقانون الدولي لحقوق الانسان وتعني بحماية حقوق الانسان، يحق للسلطة التشريعية الموافقة أو رفض المعاهدات أو الاتفاقات الدولية. كما يحق للدول إبداء التحفظات على هذه الاتفاقيات والمعاهدات، غالباً لتعارضها مع أحكام الشريعة الإسلامية إذ تنظم الدول للاتفاقيات الدولية والأقليمية حول حقوق الإنسان لتماشيها مع المكونات الحضارية والثقافية لهذه الدول.

مشكلة البحث:

تتمثل إشكالية البحث في أن يتعرض العديد من سكان الأرض إلى عدة انتهاكات جسمية في حقوقهم لذلك يجب تضامن الدول فيما بينهما للحد من هذه الإنتهاكات وعلى أساس ذلك سنسلط الضوء على هذا الموضوع .

منهج البحث:

إن منهج البحث المتبع هو المنهج التحليلي إذ سنحلل نصوص الإتفاقية الواردة في مجال حقوق الإنسان.

المبحث الأول:

مفهوم التحفظ على المعاهدات في مجال حقوق الإنسان

تُعدّ المعاهدات أحد الوسائل المهمة التي تنظم العلاقات ما بين الدول و غيرها من الدول لأن مصالح الدول بشكل جعل الانعزال والعدل أمراً عسيراً و متعذراً ، ممّا جعل إمتداد المعاهدات والإتفاقيات الدولية إلى المجال الداخلي أمر مهم جداً لأنه يعطى للقضاء الداخلي دور مهم وحيوي اتجاه تطبيق هذه المعاهدات وبالتالي امكانيه ان تقوم بتعديل نصوص المعاهدة والتحقق من مدى صحية الاجراءات التي رافقت سير إبرامها(١) وعلى أساس ذلك سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين نتكلم في المطلب الأول عن تعريف المعاهدات الدولية أما في المطلب الثاني سنتكلم عن أنواعها، وأما في المطلب الثالث سنتكلم عن طبيعتها القانونية.

المطلب الأول

تعريف المعاهدات الدولية

نصت المادة الثانية من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات على أنها « اتفاق دولي يعقد بشكل كتابي بين دولتين أو أكثر ويخضع للقانون الدولي سواء تم في وثيقة واحدة أو أكثر وأيا كانت التسمية التي تطلق عليها»(٢).

أو هي توافق إرادة شخصين أو أكثر من أشخاص القانون الدولي على إحداث أثر قانوني معين طبقاً لقواعد القانون الدولي»(٣).

والمعاهدة هي نوع من (الاتفاقية الرسمية) وتظهر صفتها الرسمية هذه من حيث إنها تحتاج لتصديق السلطات المختصة في الدولة الطرف فيها قبل ان تصبح ملزمة لها.ولا تعتبر اتفاقية ما من قبيل المعاهدات إلا إذا تمت بين دولتين أو شخصين من أشخاص القانون الدولي العام، وعلى هذا لا تعتبر بمثابة معاهدة الاتفاقات التي كانت الدول الاستعمارية تعقدها في القرن التاسع عشر مع بعض زعماء القبائل الأفريقية لان هؤلاء ليسوا من أشخاص القانون الدولي العام لكي يصبحوا أهلاً لعقد المعاهدات (٤).

المطلب الثاني:

أنواع المعاهدات الدولية:

أ-المعاهدات من حيث أطرافها: تصنف المعاهدات من حيث أطرافها إلى معاهدات ثنائية ومعاهدات جماعية أو متعددة الأطراف وتعقد بين عدة دول(٥).

ب- معاهدات ثنائية: وهي معاهدة يتم إبرامها بين طرفين من الدول ذات السيادة وهذين الطرفين يكونان دولتين أو منظمتين دوليتين أو دولة ومنظمة دولية واحدة، وإذا كانت المعاهدة ثنائية كانت المشكلة الناجمة عن التحفظات قليلة بحيث إن الطرف الأخر إما أن يبرم الاتفاقية مع التحفظات المضافة إليها وإما أن يرفض إبرامها وبالتالي يقضي عليها (٦).

و أن التحفظ على المعاهدات الثنائية من الأمور الجائزة سواء سمحت به المعاهدة موضوع التحفظ أم لم تسمح وانه يعتبر في جميع الأحوال بمثابة إيجاب جديد أو اقتراح بالتعديل ومن ثمة يتوقف مصيره بل ومصير المعاهدة بكاملها على موقف الطرف الأخر إن شاء قبلها بصورتها الجديدة وان شاء رفضها مع التحفظ عليها، ومن المتفق عليه في هذا المجال أن قبول التحفظ كما يتم صراحة قد يتم أيضا بطريقة ضمنية وأن السكوت عن رفض التحفظ صراحة يُعدّ بعد مضي اثنا عشر شهراً من تاريخ استشارة الدولة بالتحفظ أو التاريخ الذي أعلن لبدء نفاذ الإلزام بمثابة القبول الضمني له (٧).

معاهدات متعددة الأطراف(جماعية): المعاهدات الجماعية تشترك في أن عدد أطرافها يزيد عن دولتين، وهي قد تكون من حيث المدى الجغرافي إقليمية وقد تكون ذات اتجاه عالمي، وتنشأ المنظمات الدولية من هذا النوع من المعاهدات الذي تطبق عليه اتفاقية فيينا (المادة(٥)من اتفاقية فينا .وتعد معاهدة باريس التي وضعت نهاية لحرب القرم والمعقودة في ٣٠ مارس ١٨٥٦ كأول اتفاقية جماعية تم التفاوض عليها مباشرة وبهده الصفة، وقد وقع على الاتفاقية

الدول المتحاربة ودولت(٨).

ب- من حيث طبيعتها: وتقسم إلى معاهدات شارعة ومعاهدات عقدية.ان محايدتان هما بروسيا والنمسا.

- معاهدات شارعة: وهي التي يهدف أطرافها من خلال إبرامها إلى سن قواعد دولية جديدة تنظم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي ولما كانت القاعدة القانونية قاعدة عامة بطبيعتها فمن غير الممكن اعتبارها معاهدة شارعة في إبرامها عدد كبير من الدول. بمعنى آخر؛ المعاهدة الشارعة هي وثيقة تعلن الدول بمقتضاها عن ارتضائها بحكم معين من الأحكام القانونية فهذه المعاهدات في حقيقتها تشريع اكتسى ثوب المعاهدة لأنها لا تستمد قوتها من اتفاق المخاطبين بها، وإنما من صدورها عن مجموعة الدول الكبرى الممارسة للسلطة العليا في المجتمع الدولي نيابة عن الجماعات الدولية، ومن أمثلة المعاهدات الشارعة نجد: اتفاقية فيينا سنة ١٨١٥م، اتفاق لاهاي ١٨٩٩م، اتفاق البريد العالمي ١٨٧٤م(٩)

- معاهدات عقدية: وهي تلك التي تبرم بين أشخاص القانون الدولي في أمر خاص بهم، أي بين دولتين أو عدد محدد من الدول أو بين شخص دولي فرد أو هيئة خاصة، كما أن هذه الاتفاقيات تحكمها في مظاهرها الأحكام والقوانين الخاصة، بمعنى أخر أن أشخاص القانون الدولي لا يستطيعون إبرام هذه الاتفاقيات الخاصة ما لم تكن متفقة في جوهرها مع أحكام القانون الدولي وإلا تعرضت للمسؤولية الدولية(١٠).

ت- من حيث مدتها: تقسم إلى معاهدات محددة المدة أو مؤقتة ومعاهدات غير محددة المدة أو مستديمة.

ث- من حيث موضوعاتها: وتقسم إلى معاهدات سياسية ومعاهدات اجتماعية أو اقتصادية (١١).

المطلب الثالث:

طبيعة المعاهدات الدولية:

الطبيعة القانونية للمعاهدات الدولية من حيث آراء الفقهاء في التفرقة بين المعاهدات العقدية والمعاهدات الشارعة والاراء التي رات انها ذات طبيعة شارعة وهي بمثابة تشريعات قانونية وأخرى رأت إنها ذات طبيعة عقدية واتجه فريق إلى الانكار التفرقة بينهما ثم تقدير هذه المذاهب والآراء المختلفة .فالاتفاقيات الدولية هي وسيلة التعبير عن الإرادة الشارعة للدول بما لها من شخصية قانونية دولية كاملة لها أن تخلق قواعد قانونية دولية وكذلك تعمل على ان تخلق التزامات متبادلة وتبرز أهمية التفرقة في أن المعاهدات الشارعة تتصف بالعمومية والتجريد وتقترن بجزاء ،أمّا الإتفاقيات العقدية تخاطب الدولة وتقترن بالازام الذي يوقع البطلان في حده الاعلى أمّا بالنسبة إلى القواعد الآمرة وأثرها على الاتفاقيات الدولية وأهم ما يثور في هذا الجانب ،(١٢).

أي إن التحفظات تُعدّ إمتيازاً خاصاً للدول التي لجأت إليها فضلاً عن إنّها تخرق وحدة الإتفاقيات وقال أيضاً الاستاذ فوشي:إن إستعمال التحفظات يتعارض من الناحية القانونية مع فكرة المعاهدة.غير ان الاجتهاد الدولي الحديث إجاز التحفظ بصورة عامة إذا كان لا يتعارض مع أهداف المعاهدة بدليل إن محكمة العدل الدولية رفضت مبدئياً الفكرة القائلة بمنع الدول الموقعة أو المنضمة إلى اتفاقية متعددة الأطراف من حق إبداء أي تحفظ بشأنها إذا كانت الاتفاقية نفسها لم تحظر ذلك

(الرأي الاستشاري الذي أصدرته بتاريخ ٢٨ أيار ١٩٥١ حول صحة التحفظات المتعلقة باتفاقية ٩ كانون الاول ١٩٤٨ الخاصة بمكافحة جريمة ابادة الجنس البشري) وتتخلص وقائع هذه القضية بأن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد وافقت في قرارها المرقم ٢٦٠ في ١٩٤٨/٢/٩ على اتفاقية منع وقمع جريمة إبادة الأجناس على أن الأتفاقية تدخل دور النفاذ بعد فترة من إيداع وثيقة الإيداع أو التصديق أو الانضمام العشرين .

ونظرًا لاقتران بعض الوثائق العشرين الأولى المتضمنة التصديق أو الانضمام بتحفظات تنصب أساساً على المادة التاسعة من الاتفاقية المنصوص فيها على الاختصاص الإلزامي لمحكمة العدل الدولية بالفصل في المنازعات بتفسير الاتفاقية وتطبيقها وتنفيذها ظهرت آراء في الأمم المتحدة حول القيمة القانونية للتصديق أو الانضمام المقترن بمثل هذا النوع من التحفظ ثم حول تاريخ دخول الاتفاقية حيز التنفيذ بعض الآراء تتأسى بموقف الفقه الدولي التقليدي وتقول ببطلان التحفظات الواردة على المادة التاسعة وببطلان ما اقترنت به من تصديق أو انضمام مالم تقبلها كافة الدول الاطراف في

الاتفاقية(١٣) أمّا الاتجاه الآخر فهو يُعدّ الدولة المتحفظة طرفًا في الاتفاق في حدود تحفظها في مواجهة الدول الموافقة على تحفظها وعدم عدها طرفًا في الاتفاق في مواجهة الدول التي رفضت تحفظها ، وهذا الاتجاه تأخذ به الدول الأمريكية .وبالنظر لأهمية الموضوع من الناحية القانونية فقد انتهت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها الصادر عام ١٩٥٠ الى طلب رأي استشاري من محكمة العدل الدولية عن مدى اعتبار الدولة التي اقترن تصديقها وانضمامها للاتفاقية بتحفظ بعض أطرافها قبله بعضٌ دون بعضهم الآخر الاطراف في الاتفاقية وهذا هو السؤال الاول ، أما السؤال الثاني فكان بخصوص إذا كانت الاجابة على السؤال الاول بالإيجاب فما تأثير علاقة الدولة المتحفظة بمن قبل وبمن رفض تحفظها من أطراف الاتفاقية الاخرين فقد استندت المحكمة من المبدأ العام القائل إن الدولة في علاقاتها العامة لا يمكن أن تكون ملزمة بدون موافقتها وأن أي تحفظ لا يمكن أن يكون مؤثرًا إزاء أي دولة دون موافقتها وطالما أن الاتفاقية متعددة الاطراف نتيجة اتفاق ابرم بشكل حر فإن أحد الاطراف المتعاقدة غير مخول بإحباط أو الحاق الضرر بهدف المعاهدة أو الاسباب الموجبة لها عن طريق القرارات الفردية والاتفاقيات الخاصة وهذا المبدأ مرتبط بفكرة تكامل الاتفاقية وان هذه المبادئ لا تنطبق على اتفاقية منع جريمة ابادة الجنس البشري فحسب وإنما على جميع الاتفاقيات متعددة الاطراف(١٤). وفيما يتعلق بمعاهدة أو اتفاقية منع أبادة الجنس البشري فإنه على الرغم من عدم وجود مادة في هذه الاتفاقية تحظر التحفظات فقد استنتجت المحكمة إن الدولة التي قدمت تحفظًا عند التوقيع أو التصديق أو الانضمام وواجهت اعتراضاً من قبل طرف واحد أو أكثر من اطراف المعاهدة ولكن ليس من قبل كل الاطراف الاخرين يمكن أن تعد طرف في المعاهدة إذا كان التحفظ يتطابق مع هدف وسبب المعاهدة ، وإن كان غير ذلك لا يمكن للدولة التي أبدت تحفظها أن تكون طرف في المعاهدة لكن ما هو التحفظ الذي ينسجم أو لا ينسجم مع موضوع المعاهدة وسببها ، ذهبت الغالبية في المحكمة الى الاعتماد على الاختيار الذاتي المطبق من قبل كل طرف من اطراف المعاهدة .وقد أكدت المحكمة أن الدولة المتحفظة إذا ما كان تحفظها متفقًا مع موضوع المعاهدة والغرض منها فإنها تعد طرفًا في مواجهة الدولة التي قبلته ، أمّا الدولة التي رفضت التحفظ فأنها غير ذلك ، أي لا تكون طرفًا في المعاهدة ، وبخصوص الجواب على السؤال الثالث فإن المحكمة قد بينت أن الاعتراض ليس له أي آثار قانونية الا إذا صدر من قبل دولة قد اكتسبت بالفعل وصف الطرف في المعاهدة موضوع التحفظ ومن ثم لا يعد الاعتراض ذات قيمة قانونية إذا ما صدر من دولة لم تصدق على الاتفاقية أو لم تنضم اليها بعد ، وإن هذا الرأي وإن كان أساسه يخص اتفاقية منع ابادة الجنس البشري إلا أنه وضع قاعدة عامة مؤداها وجوب التحقق من قاعدة الاجماع والسماح للدولة المتحفظة – وبشروط خاصة تتعلق بطبيعة التحفظ نفسه- باكتساب وصف الطرف في المعاهدة موضوع التحفظ في مواجهة من قبل تحفظها من الاطراف دون غيرهم ممن رفضه (١٥).

المبحث الثاني:

الإطار العام للتحفظ على معاهدات حقوق الانسان

يشهد العالم حاليا تطوراً واضحاً وملموساً في الحماية الدولية لحقوق الإنسان فبعد أن كانت حقوق الإنسان تقع في صميم الاختصاص الداخلي لكل دولة تطور الأمر إلى أن أصبح أحد الالتزامات الدولية التي تخضع لها الدولة بشكل رسمي في إطار القانون الدولي وازداد الموضوع أهمية من خلال تقسيم حقوق الإنسان إلى فئات معينة وليس الموضوع بشكل عام فقد أصبحت هناك هيئات ومؤسسات متخصصة في حقوق المرأة وأخرى في حقوق الطفل ، إذ تُعدّ الاتفاقيات المتعلقة بحقوق الطفل بشكل عام ومنها الطفل اللاجئ الإطار القانوني الدولي الأول الذي يلزم الدول الأطراف من الناحية القانونية بدمج السلسلة الكاملة لحقوق الإنسان من الحقوق المدنية والسياسية وإضافة إلى الحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بما يتناسب معها (١٦)،وعلى أساس ذلك سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين نتكلم في المطلب الأول عن التعريف بحقوق الإنسان أمّا في المطلب الثاني سنتكلم عن معاهدات حقوق الإنسان أمّا في المبحث الثالث

سنتكلم عن التحفظ على معاهدات حقوق الانسان.

المطلب الاول:

التعريف بحقوق الانسان:

وهو مصلحة مفروضة لكل فرد، ويقوم الحق على ثلاثة أركان أساسية، ألا وهي صاحب الحق ومحل الحقّ والشخص مانح الحقّ، ومن شدة أهمية الحقوق فقد تضمنتها دساتير الدول جميعها، باعتبار الدستور وهو القانون الأسمى للدولة، ولا يُمكن لأيّ قانون آخر فيها مُخالفته، اما حقوق الإنسان فهي حقوق ثابتة لجميع البشرية، بغض النظر عن جنسيتهم أو مكان إقامتهم أو كانوا ذكورًا أم إناثًا، أو أصلهم الوطني أو العرقي أو لونهم أو دينهم أو لغتهم أو أيّ وضع آخر(١٧).

وهذه الحقوق على تنوعها وتعددها تُمنح لكافة البشر دون أدنى تمييز بينهم بمعنى أن تكون هذه الحقوق ممنوحة للجميع على قدر من المساواة، ومن الواجب معرفة أنَّ هذه الحقوق غير مُتجزئة ولا يُمكن التنازل عنها تحت أيّ ظرف، ونظرًا لأهمية حقوق الإنسان ظهر ما يُسمى بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهو عبارة عن وثيقة تاريخية تُدعم بكافة السبل حقوق الإنسان، وقد تم صياغتها من خلال العديد من الشخصيات القانونية والثقافية من جميع أنحاء العالم، كما يُحدد هذا الإعلان الحقوق الأساسية التي يجب أن يتمتع بها كُلّ، فرد مع الحرص على حمايتها له، كما أدرجت العديد من الدساتير جوانب من الديموقراطيات الحديثة، كما شكّل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بجانب العهد الدولي، الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ما يُسمّى الشرعية الدولية لحقوق الإنسان(١٨).

المطلب الثاني:معاهدات حقوق الانسان:

إنّ هناك العديد من المعاهدات التي تتعلق بحقوق الإنسان ومنها

أولاً: اتفاقية اللاجئين لعام ١٩٥١ :

- إن إتفاقيه اللاجئين لعام ١٩٥١عرفت الطفل اللاجئ بأنه هو الذي ارغمه على الهروب من بلاده مجتازاً الحدود الدولية طالباً حق اللجوء أو أي شكل آخر من الحماية الدولية إذ عدت أي طفل يتعرض للخوف من الاضطهاد من جراء أحد الأسباب الوارده في هذه الاتفاقيه يُعد لاجئاً و عدم جبر الأطفال ليحتل مركز لأجل العودة لوطنه وعدم التمييز بين الأطفال والراشدين في شتى الحقوق كما أقرت أحكام خاصة لتعليم الطفل اللاجئ وقد استمدت هذه الاتفاقية معايير لحمايه الطفل اللاجئ تتعلق طاقية الطفل لعام ١٩٨٩ ينص البروتوكولين الاضافيين الملحقين اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١ على الحماية الخاصة للأطفال باعتبارهم ضحايا النزاعات المسلحة (١٩) فيكون للطفل موضع احترام خاص وأن تكفل لهم الحماية ضد أي صورة من صور خدش الحياء لذلك يجب إغاثه الأطفال و حرية مرور المراسلات الضرورية وجمع شمل الأطفال بأسرهم عند تعرضهم للانفصال بسبب الحرب إذ ينص البروتوكولين عام ١٩٧٧ في حق الأسرة في معرفة أفرادها من الحاضر الأساسي كل من الأطراف السامية المتعاقدة و أطراف النزاع والمنظمات الإنسانية الدولية الواردة ذكرها في هذه الاتفاقيات كما يجب إجلاء الأطفال المناطق المستهدفة تحت النار و حماية الأطفال من حظر الألغام الأرضية وذلك باستبعادهم من مناطق الحظر، عمل المفوضية السامية لحماية الأطفال اللاجئين إن الشراكة بين الدول والمفوضية في العمل تتضمن حماية اللاجئين فلا بد من التعاون بين المفوضية وهذه الدول من أجل تحسين حماية دولية للاجئين على أقليمها إذ إن التعاون يحيى الرغبة في حل المشاكل التي تعيق اللاجئين والعمل الدولي يخفض من هذه المشاكل والاعضاء و يمكن تقديم قدرات للدول التي نتجت عنها ظاهرة اللجوء أو محاولة إيجاد حلول و مساعدات و معونات حتى توفر لهم ملاذ للعيش في أوطانهم و تشكيل عائق آخر دولي على الدول المضيفة،أصدرت المفوضية السامية لشؤون اللاجئين السياسة الخاصة بالأطفال اللاجئين لسنه ١٩٩٣ والتوجيهات بشان حماية ورعاية الاطفال اللاجئين لسنه ١٩٤٩ إذ توصل لجنة باجراءات تتبناها الدول لتعزيز حماية الطفل اللاجئ وليس ذلك إقامة وحسب للبحث عن حل لمشكله اللاجئين في أثناء البحث السعي لوجود حل دائم للمصالح الفضلات الطفل (٢٠).

ثانياً:اتفاقية العمل الدولية رقم (٢٩) الخاصة بالسخرة والعمل الإجباري لعام ١٩٣٠ :

تعرف الاتفاقية عمل السخرة أو العمل القسري بأنه جميع الأعمال أو الخدمات التي تفرض عنوة على أي شخص تحت التهديد بأي عقاب، والتي لا يكون هذا الشخص قد تطوع بأدائها بمحض اختياره. ولا يشمل ذلك:أي عمل أو خدمة تفرض بمقتضى قوانين الخدمة العسكرية الإلزامية لأداء عمل ذي صبغة عسكرية بحتة و أي عمل أو خدمة تشكل جزءاً من واجبات المواطنين المدنية العادية في بلد يتمتع بالحكم الذاتي الكامل،و أي عمل أو خدمة تفرض على شخص ما بناء على إدانة قضائية، شريطة أن ينفذ هذا العمل أو الخدمة في ظل إشراف وسيطرة سلطة عامة، وألا يؤجر هذا الشخص لأفراد أو شركات أو جمعيات خاصة أو يوضع تحت تصرفها و أي عمل أو خدمة يفرض في حالات الطوارئ القاهرة، أي في حالة حرب أو في حالة نكبة أو خطر نكبة مثل الحرائق أو الفيضانات أو حالات المجاعة أو الزلازل، أو الأمراض الوبائية العنيفة التي تصيب البشر أو الحيوانات، أو غزوات الحيوانات أو الحشرات أو الآفات النباتية، وعموما أية حالة من شأنها أن تعرض للخطر بقاء أو رخاء السكان كلهم أو بعضهم،الخدمات القروية العامة البسيطة التي يؤديها أعضاء المجتمع المحلي خدمة لمصلحته المباشرة، والتي يمكن تبعاً لذلك أن تُعدّ واجبات مدنية طبيعية تقع على عاتق أعضاء هذا المجتمع، شريطة أن يكون لهم أو لممثليهم المباشرين حق إبداء الرأي في صحة الحاجة إلى هذه الخدمات (٢١).

ثالثا ً: اتفاقية حظر الاتجار بالأشخاص واستغلاهم بالدعارة سنة ١٩٤٩ :

تبين الاتفاقية أن الاتجار بالأشخاص لأغراض الدعارة يتنافى مع كرامة الشخص البشري وقدره وتعرض للخطر رفاه الفرد والأسرة والجماعة وعليه تعهدت الدول الأطراف باتخاذ التدابير اللازمة لمكافحة الاتجار بالأشخاص من الجنسين لأغراض الدعارة بما في ذلك سن الأنظمة اللازمة لحماية المهاجرين إلى بلدانهم أو منها ولا سيما النساء والأطفال في أماكن الوصول والمغادرة وأثناء السفر على السواء(٢٢)، واتخاذ تدابير لتنظيم دعاية مناسبة تحذر من أخطار الاتجار بالأشخاص، واتخاذ تدابير مناسبة تكفل ممارسة رقابة في المحطات والمطارات والموانئ البحرية وخلال الطريق وفي غير ذلك من الأماكن العامة بغية منع الاتجار الدولي بالأشخاص لأغراض الدعارة، واتخاذ تدابير مناسبة لتنبيه السلطات المختصة إلي وصول أشخاص يبدو بجلاء أنهم من الفاعلين الأصليين في جريمة الاتجار هذه أو المتواطئين عليها أو من ضحاياها، وكذلك الرقابة على مكاتب الاستخدام بغية تفادي تعرض الأشخاص الباحثين عن عمل، ولا سيّما النساء والأطفال لخطر الدعارة(٢٣).

رابعاً: الإتفاقية الخاصة بالرق سنة١٩٢٦ والبروتوكول المعدل للاتفاقية الصادر عام ١٩٥٣م:

وتعرف تجارة الرقيق بأنها جميع الأفعال التي ينطوي عليها أسر شخص ما أو احتيازه أو التخلي عنه للآخر على قصد تحويله إلى رقيق، وجميع الأفعال التي ينطوي عليها احتياز رقيق ما بغية بيعه أو مبادلته وجميع أفعال التخلي، بيعاً أو مبادلة عن رقيق تم احتيازه على قصد بيعه أو مبادلته، وكذلك، عموماً، أي اتجار بالأرقاء أو نقل لهم. ويتعهد الأطراف الموقعون على الاتفاقية بمنع الاتجار بالرقيق والمعاقبة عليه، والعمل تدريجياً وبالسرعة الممكنة على القضاء كلياً على الرق بجميع صوره واتخاذ جميع التدابير المناسبة من أجل منع وقمع شحن الأرقاء وإنزالهم ونقلهم في مياههم الإقليمية وعلي جميع السفن التابعة لهم(٢٤).

خامساً: إتفاقية مكافحة جريمة إبادة الجنس البشري والجزاء عليها لعام ١٩٤٨ :

وهي اتفاقية تتعهد من خلالها الدول الموقعة على منع جرائم الابادة الجماعية والمعاقبة عليها سواء ارتكبت في أيام السلم أم الحرب. وعرفت الاتفاقية الإبادة الجماعية على إنها أي فعل يقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية سواء أكان قتل أعضاء من الجماع و إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة و إخضاع الجماعة، عمداً، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً، و فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة و نقل أطفال من الجماعة، عنوة، إلى جماعة أخرى(٢٥).

سادساً:الاجتماعيةوالثقافية:

وهي معاهدةٌ دوليةٌ لحقوق الإنسان تشمل الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية،

وقد تم اعتمادها من قِبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في السادس عشر من شهر كانون الأول عام ١٩٦٦م، ودخلت هذه الاتفاقية حيِّز التنفيذ في اليوم الثالث من شهر كانون الثاني عام ١٩٧٦م(٢٦).

المطلب الثالث:

التحفظ على معاهدات حقوق الإنسان:

يُعدّ موضوع التحفظ على المعاهدات الدولية من بين المواضيع القانونية الدولية المهمة ، لما يترتب عليه من آثار تتعلق بأطراف المعاهدة في علاقاتهم التعاقدية بعضهم ببعض الناجمة عن المعاهدة فتعفي الدولة المتحفظة نفسها – بعد قبول الدولة أو الدول الأخرى فيها- من الالتزام ببعض نصوصها أو أحكامها، وقدعرفت إتفاقية فينا لقانون المعاهدات لعام (١٩٦٩م) التحفظ بأنه ((تصريح من جانب واحد تتخذه الدولة عند التوقيع على المعاهد إليها أو قبولها مستهدفة من ورائه استبعاد أو تعديل الأثر القانوني لبعض أحكام المعاهدة في مواجهتها والتحفظ نوعان تحفظ استبعاد : ويهدف هذا النوع الى إستبعاد الأثر القانوني للنص محل التحفظ بأن لا ينطبق على الدولة التي أبدت التحفظ.

و تحفظ تفسيري : وهو يهدف إلى إعطاء النص المتحفظ عليه معنى معينًا يطبق في إطاره على الدولة المبدية للتحفظ أو أن يطبق النص وفق تفسير لا يتعارض مع القيم والمبادئ التي يقوم عليها النظام القانوني للدولة المتحفظة .

أمّا الشروط القانونية الواجب لتحقق التحفظ:

يحق لأية دولة أن تبدي تحفظها في بعض فقرات المعاهدات أو موادها وذلك لدى توقيعها أو إبرامها أو قبولها أو الإنضمام إليها ويشترط في ذلك أن لا تتضمن المعاهدة أي نص قانوني يحظر إبداء التحفظات عليها وأن يكون التحفظ الذي تبديه إحدى الدول مسموحاً به وغير وارد في عداد التحفظات التي تحظرها المعاهدة و أن لا يتعارض التحفظ مع أغراض المعاهدة المعقودة وأهدافها، فمتى ماتوفرت الشروط القانونية السابقة استطاعت الدولة أن تستخدم حقها في إبداء التحفظ على نصوص المعاهدة المبرمةأمّا إجراءات التحفظ:وقد تناولت إتفاقية فينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩ كيفية إبداء التحفظ حيث نصت المادة (٢٣) من الاتفاقية على الأجراءات الخاصة بالتحفظ والتي جاء فيها يجب أن يتم التعبير عن التحفظات والقبول الصريح لها والاعتراض عليها في شكل مكتوب أي مدون وليس شفهاً يرسل إلى الدول الاخرى التي من حقها أن تصبح طرفًا في معاهدة اذ أبدى التحفظ لدى إقرار نص المعاهدة أو توقيعها بشرط تصديقها من قبل الدولة المعنية فيترتب على هذه الأخيرة تأكيد هذا التحفظ صراحة في وثيقة تصديق هذه المعاهدة وفي هذه الحالة يعد التحفظ نافذاً اعتباراً من تاريخ التصديق(٢٧).

أثر التحفظ في المعاهدات الثنائية:

إن تكون المشكلات الناجمة عن التحفظ على المعاهدات الثنائية قليلة قياسًا بالمعاهدات المتعددة الاطراف لأن الدول في المعاهدات الثنائية أما تبرم الاتفاقية مع التحفظات المضافة إليها أو ترفضها ومن ثم تقضي على الاتفاقية بالكامل ، فالتحفظ الوارد في هذه المعاهدات يعد في تكيفه السليم بمثابة إيجاب جديد أو إقتراح بالتعديل ومن ثم يتوقف مصير الاتفاقية على موقف الطرف الآخر منه ،، فإن قبله الأخير ينتج أثره القانوني بصورته الجديدة المعدلة وإن رفضه فإنه رفض العلاقة التعاقدية بشكل كامل إذ لا نكون أمام معاهدة لا في صورتها الأصلية ولا حتى المعدلة وأن التحفظ من أي نوع يجب موافقة الطرف الآخر عليه وإذا رفض فهذا يعني فشل الاتفاقية .وهذا يؤدي بنا إلى القول أن التحفظ على المعاهدات الثنائية لايمكن وصفهُ تحفظ بالمعنى الدقيق وذلك إذا رفض التحفظ من قبل الدولة الآخرى تنتهي المعاهدة من الأساس بخلاف التحفظ على المعاهدات متعددة الأطراف فإن رفض التحفظ في المعاهدات من قبل دولة أو أكثر فإنه لا ينهي وجود المعاهدة الدولية وإنما يعدل الآثر القانوني لأحكام المعاهدة بين الدولة المتحفظة والدولة أو الدول الأخرى التي قبلته وتظل المعاهدة قائمة أمّا أثر التحفظ في المعاهدات المتعددة الأطراف:إنّ الآثار المترتبة على التحفظ في المعاهدة متعددة الأطراف تختلف عن التحفظ في المعاهدة الثنائية لأن رفض التحفظ من قبل دولة أو أكثر في هذا النوع من المعاهدات لا يترتب عليه بطلان الاتفاقية فالاتفاقية تبقى سارية في مواجهة الدول الأخرى حتى أمام

الدول التي لم ترفض التحفظ صراحةً، بخلاف الحال بالنسبة للمعاهدات الثنائيةأما بالنسبة للنوع الثالث من التحفظ وهو الذي لا يتعارض مع موضوع المعاهدة والغرض منها بحيث إن الاتفاقية لاتتضمن نص تجيزه أو تمنعة فإن التحفظ يكون جائزًا إذا لم يتعارض مع موضوع المعاهدة والغرض منها بشرط أن يقبله طرف أو أكثر(٢٨).

الخاتمة:

بعد إن أنتهينا من كتابة هذا البحث توصلنا إلى عدد من النتائج والتوصيات والتي هي :

أولاً: النتائج

١- يشهد العالم حالياً تطوراً واضحاً وملموساً في الحماية الدولية لحقوق الإنسان فبعد أن كانت حقوق الإنسان تقع في صميم الاختصاص الداخلي لكل دولة تطور الأمر إلى أن أصبح أحد الالتزامات الدولية.

٢-إن هناك العديد من الخصائص التي تتميز بها حقوق الإنسان ومنها حقوق الإنسان لها طابع الكونية والعالمية وإنها متطورة ومتجددة.

٣- تعد المعاهدات احد الوسائل المهمة التي تنظم العلاقات ما بين الدول و غيرها من الدول لأن مصالح الدول بشكل جعل الانعزال والعدل أمراً عسيراً و متعذراً.

٤- هناك العديد من المعاهدات التي تتعلق بحقوق الإنسان ومنها إتفاقية اللاجئين لعام(١٩٥١م) وإتفاقية حظر الاتجار بالأشخاص واستغلال دعارة الغير سنة(١٩٤٩م)و الاتفاقية الخاصة بالرق سنة(١٩٢٦م)والبروتوكول المعدل للاتفاقية الصادر عام(١٩٥٣م).

ثانيا:التوصيات

١- يجب اتحاد كافة الدول من اجل اقرار تضمين مواد قانونية تنص على حماية الإنسان في الواقع وليس مجرد حبر على ورق .

٢- يجب أن تكون مساواة عند تطبيق نصوص الاتفاقيات أي يجب ان تسري دون تمييز على الدول المنظمة لها.

الهوامش:

(١)د. علي صادق ابو الهيف، القانون الدولي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤، ص١٢٠.

(٢)ابراهيم العناني ، القانون الدولي العام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص٨٧

(٣)صلاح الدين عامر ، مقدمة لدراسة القانون الدولي العام ، دار المؤلف ، بيروت ، ص١٣٠

(٤)علي صادق ابو الهيف، القانون الدولي، الاسكندرية ، منشأة المعارف، ص٢٢

(٥)عبد الواحد محمد الفار، قواعد تفسير المعاهدات الدولية، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٩٨، ص٣٣

(٦)صلاح البصيصي، المعاهدة الدولية والرقابة عليها ، بحث منشور ، المجلة الاقتصادية والإدارية، ع٣، ص١٤

(٧)ابراهيم العناني، مصدر سابق، ص٩٢

(٨)صلاح البصيصي، مصدر سابق، ص١٧

(٩)عبد الواحد محمد الفار، مصدر سابق، ص٤٠

(١٠)فارس وسمي الظفيري، إبرام المعاهدات الدولية ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، ص٤٢

(١١)محمد المجدوب، مصدر سابق، ص٨٥

(١٢)د. علي صادق ابو الهيف، مصدر سابق، ص٨٠

(١٣)صلاح الدين عامر، مصدر سابق، ص١٥٠

(١٤)ابراهيم العناني ،مصدر سابق، ص٩٥.

(١٥)د. علي صادق ابو الهيف، مصدر سابق، ص١٢٨.

(١٦)د.عبد العزيز عبدالله ، الجزاءات الدولية واثارها على حقوق الانسان ، دار المؤلف ، بيروت ،٢٠٠٩،ص١٧٢.

(١٧)د. ابراهيم عبد العزيز شيحا ،مبادئ الانظمة السياسية ، دار الكتب الجامعية ، لبنان، ١٩٨٢، ص١٨.

(١٨)د. محمد عابد الجابري ، الديمقراطية وحقوق الانسان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، بدون سنة طباعه ، ص٤٣ــــ٤٥.

(١٩)سمر خليل ، حقوق الطفل في الاتفاقيات الدولية ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق ، جامعة النجاح ، ٢٠١٠، ص١٩.

(٢٠) د. محمد عابد الجابري ، مصدر سابق، ص٥٥.

(٢١)د. نبيل مصطفى ابراهيم خليل ، اليات الحماية الدولية لحقوق الانسان ، منشورات زين الحقوقية ، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢١.

(٢٢)د. نسرين محمد عبدة حسونة ، حقوق الانسان ، دار الكتب الجامعية ، بيروت ، بدون سنة طباعة ، ص١٠٥ــــ١٠٧.

(٢٣)د. رياض عزيز هادي، العالم الثالث وحقوق الإنسان، دار الشؤون الثقافية للطباعة والنشر، بغداد ٢٠٠٠،ص٧٥

(٢٤)اماني عاطف سعد احمد ، حقوق الطفل في التشريعات الوطنية والدولية ، رسالة ماجستير ،كلية الحقوق، جامعة عين الشمس، ٢٠١٢، ص١٦٣.

(١٢٥) د. رياض عزيز هادي، مصدر سابق، ص٧٨

(٢٦)صابرين السعو، اتفاقيات حقوق الانسان، مقال منشور على الانترنت، متاح على الموقعhttps://mawdoo٣.com/،تاريخ الدخول٢٠/٦/٢٠٢٢.

(٢٧)هيثم بن ابراهيم، المعاهدات الدولية، https://www.atheer.om/ تاريخ الدخول ٢٤/٦/٢٠٢٢.

(٢٨)آيات محمد، التحفظ على المعاهدات، https://www.ahewar. تاريخ الدخول ٢٥/٦/٢٠٢٢ .

المصادر

اولا:الكتب القانونية
١-د. ابراهيم العناني ، القانون الدولي العام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون سنة نشر.
٢- د. ابراهيم عبد العزيز شيحا ،مبادئ الانظمة السياسية ، دار الكتب الجامعية ، لبنان، ١٩٨٢.
٣- د. رياض عزيز هادي، العالم الثالث وحقوق الإنسان، دار الشؤون الثقافية للطباعة والنشر، بغداد ٢٠٠٠
٤- د. صلاح الدين عامر ، مقدمة لدراسة القانون الدولي العام ، دار المؤلف ، بيروت
٥- د. عبد العزيز عبدالله ، الجزاءات الدولية واثارها على حقوق الانسان ، دار المؤلف ، بيروت ،٢٠٠٩.
٦- د. عبد الواحد محمد الفار، قواعد تفسير المعاهدات الدولية، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٩٨
٧-د. علي صادق ابو الهيف، القانون الدولي، الاسكندرية ، منشأة المعارف، ٢٠١٤.
٨- د. محمد عابد الجابري ، الديمقراطية وحقوق الانسان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، بدون سنة طباعه .
٩-د. نبيل مصطفى ابراهيم خليل ، اليات الحماية الدولية لحقوق الانسان ، منشورات زين الحقوقية ، بيروت، ٢٠٠٤
١٠-د. نسرين محمد عبدة حسونة ، حقوق الانسان ، دار الكتب الجامعية ، بيروت ، بدون سنة طباعة .
ثانيا :البحوث
١- د. صلاح البصيصي، المعاهدة الدولية والرقابة عليها ، بحث منشور ، المجلة الاقتصادية والإدارية، ع٣ ، ٢٠١٤.
ثالثا :لرسائل
١- اماني عاطف سعد احمد ، حقوق الطفل في التشريعات الوطنية والدولية ، رسالة ماجستير ،كلية الحقوق، جامعة عين الشمس، ٢٠١٢.
٢- سمر خليل ، حقوق الطفل في الاتفاقيات الدولية ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق ، جامعة النجاح ، ٢٠١٠.
٣- فارس وسمي الظفيري، إبرام المعاهدات الدولية ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٤.
رابعا :المواقع الالكترونية
١- آيات محمد ، التحفظ على المعاهدات ، https:// www.ahewar. تاريخ الدخول ٢٠٢٢/٦/٢٥
٢- صابرين السعو ، اتفاقيات حقوق الانسان ، مقال منشور على الانترنت ، متاح على الموقع https:// com.mawdoo٣/ ، تاريخ الدخول٢٠٢٢/٦/٢٠.
٣- هيثم بن ابراهيم ، المعاهدات الدولية ، https:// www.atheer.om/ تاريخ الدخول ٢٠٢٢/٦/٢٤.

التفسير و التأويل في كتب علوم القرآن الحديثة

م.م سجاد علي ثامر كيطان
جامعة الإمام الصادق(غليه السلام)فرع ذي قار

الملخص:
تتناول مباحث التفسير و التأويل في كتب علوم القرآن الحديثة، كما توضح الفروق بين المصطلحين،وفي نفس الوقت تبين منهجية هذه الكتب العلوم القرآنية الحديثة في التعامل مع موضوعات التفسير والتأويل.
الكتب المعنية هي: «مباحث فى علوم القرآن» لصبحي الصالح، «علوم القرآن» للسيد محمد باقر الحكيم، «المدرسة القرآنية» للسيد محمد باقر الصدر، «علوم القرآن؛ دروس منهجية» للسيد رياض الحكيم و «محاضرات في علوم القرآن» لغانم قدوري الحمد.وتم استعمال المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الكتب المذكورة من حيث تعاملها مع المعلومات و الموضوعات المتعلقة بالتفسير و التأويل.

Abstract:
In this, we deal with the topics of interpretation and interpretation in the books of modern Quranic sciences, as well as clarifying the differences between these two terms. At the same time, the methodology of these books shows modern Quranic sciences in dealing with issues of interpretation and interpretation. The books in question are: "Mabahith fi Ulum al-Qur'an" by Subhi al-Salih, "Ulum al-Qur'an" by Sayyid Muhammad Baqir al-Hakim, "The Qur'anic School" by Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr, "Ulum al-Qur'an"; Methodological Lessons" by Sayyid Riyad Al-Hakim, and "Lectures in the Sciences of the Qur'an" by Ghanem Qaddouri Al-Hamad.The descriptive-analytical approach was used in studying the mentioned books in terms of their dealing with information and topics related to interpretation and interpretation

المقدمة:
الحمدلله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا، و حبيب قلوبنا محمد (صلى الله عليه و على آله)، و بعد: الحمدلله على نعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية.يمكن القول بأن أهمية دراسة علوم القرآن لا تكاد تخفى على الباحثين و الدارسين و كذلك العموم لأن علوم القرآن من أهم العلوم، وأعلاها، وأنفعها، إذ هو السبيل لفهم كتاب الله، ومعرفة أحكامه، وحكمه،و علوم القرآن الكريم لها جوانب عديدة و هي تساعد على فهم القرآن الكريم وتدبره، وحلّ مشكله، وفهم متشابهه، بصورة صحيحة دقيقة؛لأنه لا يمكن أن يفهم القرآن ويفسره من لا يعرف نطقه، ورسمه، وأوجه قراءته، وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ونحو ذلك، فهو الأساس، والمفتاح لفهم القرآن الكريم.
نظرًا لأهمية العلوم القرآنية وموقف العلماء الذين تعاملوا مع هذه القضية المهمة عبر التاريخ، اعتقدت في نفسي أن كتابة بحث يمكن أن تتناول هذه الكتب وتحللها يمكن أن يكون مفيدًا. و في هذه الكتب، و بسبب إهتمامي الشخصي، تناولت موضوع التفسير و التأويل وكرست دراساتي للموضوعات المتعلقة بالتفسير و التأويل في هذه الكتب. هذه الكتب هي في الواقع كتب حديثة في موضوع علوم القرآن لأنه قد كتب الكثير عن كتب العلوم القرآنية القديمة.

المحبث الأول : مفهوم التفسير والتأويل

١. **التفسير لغة**

فسر كلمة واحدة تدلّ على بيان شيء و إيضاحه. من ذلك الْفَسْرُ، يقال فَسَرْتُ الشيء و فَسَّرْتُهُ و الفَسْرُ و التَّفْسِرَةُ: نظر الطبيب إلى الماء و حكمه فيه و أيضاً فسرت الشيء من باب ضرب: بيّنته و أوضحته و التثقيل مبالغة(١).
و في كتاب تهذيب اللغة جاء بمعنى كشف ما غطّى التفسير(٢) و هو بيان و تفصيل للكتاب و التفسرة: اسم للبول الّذى ينظر فيه الأطبّاء، يستدلّون بلونه على علّة العليل، و كلّ شيء يعرف به تفسير الشيء و معناه فهو تفسرته (٣) و قال بعضهم: التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل(٢).و في الصحاح الفسر جاء بمعنى البيان. و استفسرته كذا: أى سألته أن يفسره لي. و الفسر: نظر الطبيب إلى الماء(٤).
و قال فيه الزركشي: التَّفْسِيرُ كَشْفُ الْمُغْلَقِ

مِنَ الْمُرَادِ بِلَفْظِهِ وَإِطْلَاقٌ لِلْمُحْتَبِسِ عَنِ الْفَهْمِ بِهِ وَيُقَالُ: فَسَّرْتُ الشَّيْءَ أُفَسِّرُهُ تَفْسِيرًا وَفَسَرْتُهُ أَفْسِرُهُ فَسْرًا وَالْمَزِيدُ مِنَ الْفِعْلَيْنِ أَكْثَرُ فِي الِاسْتِعْمَالِ وَبِمَصْدَرِ الثَّانِي منها سمى أبو الفتح ابن جِنِّي كُتُبَهُ الشَّارِحَةَ الْفَسْرَ وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مَقْلُوبٌ مِنْ سَفَرَ وَمَعْنَاهُ أَيْضًا الْكَشْفُ يُقَالُ: سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ سُفُورًا إِذَا أَلْقَتْ خِمَارَهَا عَنْ وَجْهِهَا وَهِيَ سَافِرَةٌ وَأَسْفَرَ الصُّبْحُ أَضَاءَ وَسَافَرَ فُلَانٌ وَإِنَّمَا بَنَوْهُ عَلَى التَّفْعِيلِ لِأَنَّهُ لِلتَّكْثِيرِ.

التفسير في الاصطلاح

علم التفسير هو توضيح الشيء وبيان معناه، وهو علم اهتم به المسلمون لفهم آيات القرآن(٥)

هذه اللفظة وردت في القرآن مرة واحدة:

لا ياتونك بمثل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيراً (الفرقان/٣٢)و سوف نستعرض بعض آراء العلماء في المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة.

المفهوم عند القدماء

أ-بدر الدين الزركشي يقول:

التفسير في الاصطلاح:

«عِلمٌ يُعرَف به فَهْم كتاب الله وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكمه، واستمداد ذلك من عِلْم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفِقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسِخ والمنسوخ»(٦).

٢. التأويل لغة:

ورد في لسان العرب مادة (ا.و.ل) «يُقال: أُلت الشيءَ، أُوَّلهُ، اذا جمعته واصلحته» وقال بعض العرب: «أول الله عليكأمرك: أي جمعه و أصلحه، وإذا دعوا عليه قالوا: لا أول الله عليك أمرك ويُقال في الدعاء: أول الله عليك؛ أي رد عليك ضالتك، وجمعها» والتّأويل:«المرجع والمصير مأخوذ من آلَ يؤول الى كذا؛أي صار إليه». وقد ذكر اللّيث إن:« التّأويل و التأوُّل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان لفظه» فكأن التّأويل:«جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظٍ واحد لا إشكال فيه». و أول الكلام تأويلاً، وتأوّله «دبّره و قدره، وفسّره، والتّأويل عبارة الرؤيا»(٧).

التأويل في الاصطلاح:

لقد أختلفت التعريفات و الشروحات لمصطلح التأويل منذ القدم، و سعى العلماء، و المفسرون أن يتكلموا حول مفهوم الاصطلاحي للتأويل، فجرت مباحث عدة حول الموضوع وأيضاً حاول النّقاد والدارسون العرب في عصرنا هذا من خلال كتاباتهم أن يضعوا هذا المصطلح في حيز مكاني معين، بغية توظيفه التّوظيف الأمثل، ليكون لهم خادماً مطيعاً يساعدهم على كسر شوكة الكثير من النّصوص الجامحة الّتي استعصى معناها على أفهامهم و لذلك فقد تعددت المفاهيم والرؤى الاصطلاحيّة الّتي سعت لتقديم تعريف دقيق لمصطلح التّاويل و سوف أصنفها تحت مجموعتين و هما القديم و الحديث(٨).

المفهوم عند القدماء:

التأويل يستعمل بمعنى توجيه المتشابه، و هو تفعيل من الأوّل بمعنى الرجوع لأنَّ المؤوّل عند ما يخرّج للمتشابه وجها معقولاً، هو آخذ بزمام اللفظ ليعطفه إلى الجهة التى يحاول التخريج إليها، و من ثمّ يستعمل فى تبرير العمل المتشابه أيضا، كما في قصّة خضر(عليه السلام) قال لصاحبه: «سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً» أى:سأطلعك على السرّ المبرر لأعمال أثارت شكوكك و دعتك إلى الاعتراض(٩).

المبحث الثاني : القول بالترادف و الافتراق بين التفسير و التأويل

يتجاوز التّمييز بين مصطلحي التاويل والتّفسير الفصل بين مفهومهما النّظري والتطبيقي لأنهما يتمازجان بطريقة أو بأخرى، و يتعدى هذا التمييز ذلك للبحث في طبيعة النّصوص المُراد تاويلها، حينها ستحدد المعالم الافتراضية الّتي يشتغل عليها كلّ مصطلح، ففي حين ظل التّفسير مقيّداً بالنّصوص الدينية المقدسة، اتّسعت دائرة اشتغال التاويل لتطرق مجالات عديدة، وأبواباً جديدة لتشمل كلّ ما هو رمزي، وإنساني عموماً.

١. القول بالترادف:

يرى بعض العلماء إن التأويل قد يأتي بمعنى التفسير، فالكلمتان معاً تدلان عندهم على إيضاح الكلام وبيان معنى اللفظ والكشف عنه. وبملاحظة التطور الدلالي للفظي التفسير والتأويل يتبين أن هذا الرأي القائل بالترادف هو

من أول الآراء ظهوراً في بيان العلاقة بين اللفظين أو لعله أولهما ظهوراً و يبدو أن القول بالترادف كان واسع الانتشار وقوي الحضور في هذه الفترة المبكرة من تاريخ عليه سمّى بعض المفسرين كتبهم؛ كابن‌جرير الطبري الذي سمى تفسيره بعنوان:«جامع البيان في تأويل آي القرآن»، وضمنوا هذا الترادف كما أن هذا الترادف شق طريقه إلى كتب المعاجم التي وثقت استعمال التفسير و التأويل بمعنى واحد، فقد جاء في القاموس المحيط إن معنى:«أول الكلام تأويلا و تأوله: دبره و قدره و فسره».وجاء في لسان العرب سئل أبوعباس أحمدبن يحيى عن التأويل فقال:«التأويل، و المعنى، التفسير:واحد(١٠)».

لعل ما يشفع للقول بترادف التفسير والتأويل هو أنهما يرجعان نوعاً إلى المعنى نفسه؛ أي إلى أصل الإظهار والكشف عن المعنى. وهذا ما رجحه ابن عاشـــور اســـتناداً إلى الشواهد من اللغة و الآثار حيث بين التفسير، و التأويل متساويان: «والتأويل متساويان؛ «لأن التأويل مصدر أوله إذا أرجعه إلى الغاية المقصودة، والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما أراده منه المتكلم به من المعاني،فساوى التفسير(١١).

٢. القول بالافتراق:

السيوطي في كتابه الاتقان عندما يريد أن يتكلم على أوجه الافتراق لهذين المصطلحين ينقل عن الراغب الاصفهاني: إنّ التَّفْسِيرُ أَعَمُّ مِنَ التَّأْوِيلِ؛ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْأَلْفَاظِ وَمُفْرَدَاتِهَا وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعَانِي وَالْجُمَلِ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالتَّفْسِيرُ يُسْتَعْمَلُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا.

و نقلا عن الْمَاتُرِيدِيُّ: التَّفْسِيرُ الْقَطْعُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ اللَّفْظِ هَذَا، وَالشَّهَادَةُ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ عَنَى بِاللَّفْظِ هَذَا، فَإِنْ قَامَ دَلِيلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فَصَحِيحٌ، وَإِلَّا فَتَفْسِيرٌ بِالرَّأْيِ، وَهُوَ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ، وَالتَّأْوِيلُ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمُحْتَمِلَاتِ بِدُونِ الْقَطْعِ وَالشَّهَادَةُ عَلَى اللَّهِ(١٢).

و ينقل عن أبي‌طَالِبِ التَّغْلِبِي: التَّفْسِيرُ بَيَانُ وَضْعِ اللَّفْظِ إِمَّا حَقِيقَةً، أَوْ مَجَازًا، كَتَفْسِيرِ الصِّرَاطِ: بِالطَّرِيقِ وَالصَّيِّبِ: بِالْمَطَرِ وَالتَّأْوِيلُ تَفْسِيرُ بَاطِنِ اللَّفْظِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الرُّجُوعُ لِعَاقِبَةِ الْأَمْرِ فَالتَّأْوِيلُ إِخْبَارٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْمُرَادِ وَالتَّفْسِيرُ إِخْبَارٌ عَنْ دَلِيلِ الْمُرَادِ، لِأَنَّ اللَّفْظَ يَكْشِفُ عَنِ الْمُرَادِ وَالْكَاشِفُ دَلِيلٌ، مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)، تَفْسِيرُهُ أَنَّهُ مِنَ الرَّصْدِ، يُقَالُ رَصَدْتُهُ رَقَبْتُهُ، وَالْمِرْصَادُ «مِفْعَالٌ» مِنْهُ وَتَأْوِيلُهُ التَّحْذِيرُ مِنَ التَّهَاوُنِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْأُهْبَةِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْعَرْضِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعُ الْأَدِلَّةِ تَقْتَضِي بَيَانَ الْمُرَادِ مِنْهُ، عَلَى خِلَافِ وَضْعِ اللَّفْظِ فِي اللغة(١٣)

و قال الذهبي بعد أن ساق الأقوال في الفرق بينهما من منظور القدماء: والذى تميل إليه النفس من هذه الأقوال: هو أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية، وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان. والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحى وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم(١٤) وأما التأويل.. فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل. والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويُتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها فى لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعانى من كل ذلك. قال الزركشى: «وكان السبب فى اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل: التمييز بين المنقول والمستنبط، ليحيل على الاعتماد فى المنقول، وعلى النظر فى المستنبط(١٥)».

و في تفسير فصله العلامة الطباطبائي، ذهب إلى أنّ التأويل ليس من مداليل الألفاظ، و إنّما هو عين خارجية، و هى الواقعية التى جاء الكلام اللفظى تعبيراً عنها قال: الحق فى تفسير التأويل أنّه الحقيقة الواقعية التى تستند إليها البيانات القرآنية، من تشريع،و موعظة،و حكمة، و أنّه موجود لجميع أى القرآن، و ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هى من الأمور العينية المتعالية من أن تحيط بها

شبكات الألفاظ. و أنّ وراء ما نقرأه و نتعقّله من القرآن، أمرُ هو من القرآن بمنزلة الروح من الجسد، و المتمثل من المثال، و ليس من سنخ الألفاظ و لا المعانى، و هو المعبّر عنه بالكتاب الحكيم، و هذا بعينه هو التأويل، و من ثمّ لا يمسّه إلّا المطهرون، قال تعالى:
(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (الواقعة/٧٧-٧٨) و قال:(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (البروج/٢١-٢٢).
و قال فِي تفسير الآية:(إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ(١٦) حَكِيمٌ)(الزخرف/٣-٤) فهذه الآيات تدلّ على أنّ القرآن النازل كان عند اللّه أمر أعلى و أحكم من أن تناله العقول أو يعرضه التقطع و التفصيل، لكنه تعالى عناية بعباده جعله كتاباً مقروءاً و ألبسه لباس العربية، لعلهم يعقلون ما لم يكن لهم سبيل إلى تعقّله و معرفته ما دام فى امّ الكتاب قال تعالى:(كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(هود/١) فالأحكام هو كونه عند اللّه لاً ثلمة فيه و لا تفصيل، و التفصيل هو جعله فصلاً فصلاً و آية آية و تنزيله على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.(١٧)

المبحث الثالث : مباحث التفسير و التأويل في كتب علوم القرآن الحديثة

١. التفسير والتأويل في كتب علوم القرآن الحديثة

و بالحديث عن كتب علوم القرآن لطالما كانت مسألتا التفسير و التاويل من المواضيع التي اهتمت بها هذه الكتب العلوم القرآنية و كانت دائماً جزءاً من تصنيفاتها و هذه مصنفات جمعت قضايا في علوم القرآن، جمعها جامع اشتراك نسبي، يمكن من خلالها استجلاء القضايا الرئيسة في الدرس القرآني لكل زمن من الأزمنة بالنظر في القضية التي تكون حاضرة في مصنفات زمن بعينه، ولخضوعها لمنهج التمثيل والقصر تعد انموذجاً دالاً على تاريخية الكتابة البحثية و قد برز هذا النوع من الكتابة في مقدمات التفاسير أيضاً.

ولكن كل زمان له مواصفاته و يحمل نصوصاً و آراء تخصه و كذلك الحال بالنسبة لكتب علوم القرآن و في الفصل الثاني سوف ندرس مفاهيم التفسير و التاويل من منظار كتب علوم القرآن الجديدة منها و هي: علو م القرآن لصبحي الصالح، علوم القرآن تاليف السيد محمد باقر الحكيم، المدرسة القرآنية تاليف السيد محمد باقر الصدر، علوم القرآن لسيد رياض الحكيم و محاضرات في علوم القرآن للاستاذ غانم قدوري الحمد

٢. التعريف بكتب العلوم القرآنية الحديثة :

١. كتاب«مباحث فى علوم القرآن»لصبحي صالح
٢.كتاب«مباحث فى علوم القرآن»لصبحي الصالح
٣. كتاب «علوم القرآن» لمحمد باقر الحكيم
٤.كتاب«المدرسة القرآنية»لسيد محمد باقر الصدر
٥.كتاب«علوم القرآن؛ دروس منهجية»للسيد رياض الحكيم

٣. مباحث التفسير في كتب علوم القرآن الحديثة

أ. «مباحث في علوم القرآن» صبحي الصالح

لم يبدأ كعادة سائر كتب علوم القرآن بالمفهوم اللغوي و الاصطلاحي للتفسير ولكن تطرق مباشرة الى اهم المفسرين من الصحابة وعدهم عشرة: «الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد اللهبن الزبير» و من الذين ورد عنهم شيء من التفسير من الصحابة، غير أولئك العشرة، عد أبوهريرة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، والسيدة عائشة(١٨).

و تطرق قليلاً إلى تاريخ التفسير و تكلم على الصحابة في التفسير كله بصورة موجزة و ذكر أصحاب ابن عباس، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم وكذلك أهل الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيدبن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس و فقط عدهم و لم يعط توضيحات اكثر عنهم وعن التابعين سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد بن حميد(١٩).

وبعد ذلك اتجه نحو مناهج التفاسير و عدهم

ضمن فئتين فكان ما يسمى «بالتفسير بالمأثور»، وهو امتداد للتفاسير السابقة المسندة إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم، وكان ما يسمى «بالتفسير بالرأي» وفيه تعددت المناهج وتضاربت الأفكار فحمد بعضه وذم بعضه(٢٠)

ب. «علوم القرآن» محمد باقر الحكيم

يعالج السيد محمد باقر الحكيم في القسم الثالث من كتابه «علوم القرآن» موضوع التفسير و المفسرون، و التفسير و التأويل، و التفسير في عصر الرسول(صلى‌الله عليه و آله) و التفسير في عصر الصحابة و التابعين و التفسير في مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)).

اختار السيد محمد باقر الحكيم البيان و الكشف من الناحية اللغوية كمعنى للتفسير و أيدّ هذا بالآية القرآنية إنّ مفردة «التفسير»أتت في القرآن الكريم بهذا المعنى، قال تعالى: (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) فتفسير الكلام - أي كلام - معناه: الكشف عن مدلوله، وبيان المعنى الذي يشير إليه اللفظ(٢١).

اتجه بأول هذا القسم بإبداء الرأي السائد لدى الأصوليين بخصوص التفسير و هو إن التفسير يصدق على الجهد الذي يبذله الشخص في سبيل اكتشاف معنى الكلام المكتنف بشيء من الغموض والخفاء، وبتعبير آخر أن من أظهر معنى اللفظ يكون قد فسره، وأما حيث يكون المعنى ظاهراً ومتبادراً بطبيعته فلا إظهار ولا تفسير و انتقد هذا الرأي بأن ذكر المعنى الظاهر قد يكون في بعض الحالات تفسيراً أيضاً، واظهاراً لأمر خفي، كما أنه - في بعض الحالات الأخرى - قد لا يكون تفسيراً لأنه يفقد عنصر الخفاء والغموض، فلا يكون إظهاراً لأمر خفي أو إزالة لغموض(٢٢).

«ج » المدرسة القرآنية» السيد محمد باقر الصدر

بدأ السيد محمد باقر الكلام عن اتجاهات المنهجية للتفاسير منها التفاسير التي تهتم بالجانب اللفظي و الادبي و البلاغي من النص القرآني و التفاسير التي تهتم بالمحتوى و المضمون و التفاسير التي تركز على الحديث و النص القرآني بالمأثور عنهم عليهم السلام أو بالمأثور عن الصحابة و التابعين و التفسير العقلي و يعتمد على العقل كأداة من عمق التفسير و فهم كتاب اللّه سبحانه و تعالى و التفاسير المتحيزة الى مذهب ما يحاول أن يطبق النص القرآني على أساسه و التفاسير الغير المتحيزة الذى يحاول أن يستنطق القرآن نفسه، ويطبق الرأي التفسير الاسلامي(٢٣). لكن من وجهة نظر السيد الشهيد محمد باقر الصدر أبرز التفاسير و المناهج هما اتجاهان:«الاتجاه التجزيئي»«الاتجاه التوحيدي أو الموضوعي »

والمنظور من التجاه التجزيئي المنهج الذي يتناول المفسر ضمن اطاره القرآن الكريم آية فآية وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف والمفسر في إطار هذا المنهج يسير مع المصحف ويفسر قطعاته تدريجاً بما يؤمن به من أدوات و وسائل للتفسير من الظهور أو المأثور من الأحاديث أو بلحاظ الآيات الاخرى التي تشترك مع تلك الآية في مصطلح أو مفهوم، بالقدر الذي يلقي ضوءاً على مدلول القطعة القرآنية التي يراد تفسيرها مع أخذ السياق الذى وقعت تلك القطعة ضمنه بعين الاعتبار من كل تلك الحالات(٢٤)

ثم تحدث عن نشأة التفسير التجزيئي منذ زمن الصحابة و التابعين، حتى انتهى إلى أوسع صورة بأواخر القرن الثالث و أوائل القرن الرابع، بما قدمه الطبري و ابن ماجه(٢٥)

ثم بين هذا الاتجاه في رأيه هذا هو التفسير التجزيئى أن المفسر لا يقطع نظره عن سائر الآيات و يستعين بها في فهم الآية المطروحة للبحث، بل انه قد يستعين بآيات أخرى في هذه الاستعانة تتم بقصد الكشف عن المدلول اللفظي الذي تحمله الآية التي يواجهها المفسر بكل الوسائل الممكنة، أي أن الهدف «هدف تجزيئى»، لأنه يقف دائماً عند حدود فهم هذا الجزء أو ذلك من النص القرآني و لا يتجاوز ذلك غالباً».

التفسير كان تفسيراً للمفردات لما استبدل من المفردات و شرح بعض المستجد من المصطلحات و تطبيق بعض المفاهيم على أسباب النزول و في هذه الحالة كان الوصول إلى الاجتهاد ما وراء المدلولات اللغوية صعباً(٢٦).

د. محاضرات في علوم القرآن» غانم قدوري.

لقد خصص الأستاذ غانم قدوري الحمد حجماً كبيراً من الفصل الرابع لدراسة تفسير القرآن الكريم و بدأ من تعريف التفسير في اللغة و المصطلح كأغلب كتاب دراسات علوم القرآن في فقرة التفسير(٢٧).

وفق وجهة نظر الأستاذ قدوري تدل كلمة «التفسير» على بيان معاني الألفاظ أو الكشف عن علل الظواهر، وغلب استخدامها مضافة إلى «القرآن» لتدل على ما كتب في بيان معاني كلمات القرآن الكريم و آياته. والمعنى اللغوي للكلمة لم يكن بعيداً عن هذا الاستخدام، فكلمة التفسير هي مصدر فسّر، من الفسر وهو البيان، يقال: فسر الشيء يفسره فسراً أبانه، فالتفسير في أصل اللغة يقصد به كشف المراد عن اللفظ المشكل(٢٨).

و بعد نقل معنى التفسير على وفق تعريف أبي حيان الأندلسي الذي أدرج (علم القراءة) ضمن علم التفسير:«التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك» ، ذكر أن عدداً من العلماء ضمنوا هذا العلم من مباحث علم التفسير، لأنه علم له مباحثه وقضاياه التي لا تندرج في موضوع الكشف عن معاني القرآن الكريم، كما أن له كتبه الخاصة به(٢٩).

وقال الشريف الجرجاني: «التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار، وفي الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة واضحة» .

و هو يوافق السيد رياض الحكيم أن طبقة العصر وثقافة أهله كانت تنعكس على مناهج المفسرين(٣٠) .

النتائج

فى ختام البحث و من خلال استعراض لكتب علوم القرآن الحديثة في ما يخص التفسير و التأويل خلصت النتائج على نحو التالي:

في مبحث المقارنة بين التفسير و التأويل هناك الاتجاه العام لدى المفسرين القدماء يميل إلى الترادف بينهما و الاتجاه العام للمتأخرين بأن التفسير مخالف للتأويل بشروط فالتأويل يصدق بالنسبة إلى كل كلام له معنى ظاهر، فيحمل على غير ذلك المعنى فيكون هذا الحمل تأويلاً، والتفسير يختلف عنه لأنه بيان مدلول اللفظ مطلقا أعم من أن يكون هذا المدلول على خلاف المعنى الظاهر أو لا و أيضاً التفسير القطع بأنه مراد و التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع و أيضاً التفسير بيان مدلول اللفظ معتمداً على دليل شرعي، والتأويل هو بيان اللفظ اعتماداً على دليل عقلي.

كلمة التأويل في القرآن الكريم لم ترد بمعنى التفسير و تأويل الآية المتشابهة هو تفسيرها و بيان مدلولها و هناك آيات فهمها صعب و لا يعلمه إلا الله و الراسخون في العلم و أمّا ما يمكن للإنسان فهمه و استنباط معناه و تفسيره هي الآيات المحكمة.

و فى مجال تخصص أهل‌البيت(عليهم‌السلام) بهذا العلم أي الأمور الغيبية المحل الاختلاف فيها أو الإخبارات الغيبية بواسطة الوحي الإلهي مما تؤكده أحاديث أهل البيت(عليهم السلام)بأن التأويل تطبيق مفاهيم القرآن على المصاديق الآتية في المستقبل أو الاعتماد على الضوابط والقواعد اللغوية أو القرائن الحالية والمقالية و ... من قوانين العلم و التوثيق و القول بعلم أهل‌البيت(عليهم‌السلام) هو علمهم بكل القرآن بالمعنى الواسع بالرجوع الى الضوابط العلمية والسنة المروية و أفعال أهل البيت (عليهم السلام) و كلامهم فلا يفترقون عن القرآن الكريم و أيضاً هناك تصنيف آخر قدمه السيد محمد باقر الصدر حول التفسير و التأويل و هو الافقي و العمودي و المعاني الأفقية لا تفاضل بينها ولكن العمودية فالمعنى الظاهر غير مراد، بل المعاني التحت اللفظية هي المرادة، ولكنن الظاهر وسيلة للوصول الى الباطن.

صبحي الصالح و غانم قدوري يعتقدتن أن لا سبيل إلى الوصول إلى تاويل الذي استأثر الله بعلمه و ما هو محجوب عن خلقه، فلا سبيل إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول(صلى‌الله عليه و آله) تأويله و ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك تأويل عربيته، وإعرابه، لا يوصل

إلى علم ذلك إلى من قبلهم و يؤكدون أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه يستدلون بدلائل عدة هي: رد مالك بن أنس على سؤال حول هذا الموضوع : (الراسخون في العلم يقولون: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وليس يعلمون تأويله) و أيضاًالروايات عن البخاري و مسلم وغيرهما، عن عائشة: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم».

و عن عبد الرزاق في تفسيره، والحاكم في مستدركه، عن ابن عباس أنه كان (ويقول الراسخون في العلم آمنا به)، وهذه القراءة، وإن كانت شاذة أنها تفسير صحيح عن ابن عباس تدل على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله و الآية تضم متّبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة و ايضا ينص علماء الوقف والابتداء على أن الوقف التام في الآية يكون عند لفظ (الله) المعظم.

و يركن الأستاذ صبحي الصالح إلى الرؤية أن الوقوف(وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) إنهم يعلمون تأويل المتشابه و عن الآيات المشكلة في القرآن يعتبرها أهم ما يدخل في الضرب من المتشابه الذي لا أحد يقدر أن يقف عليه و يرى أيضاً إن القرآن كله محكم، إن أردنا بإحكامه إتقانه وجمال نظمه بحيث لا يتطرق إليه الضعف في ألفاظه ومعانيه.

و من الناحية المنهجية نقول ان كتاب «مباحث في علوم القرآن » لصبحي الصالح و أيضاً كتاب «المدرسة القرآنية » للسيد محمد باقر الصدر لم يتطرقا بصورة مفصلة لمسائل التفسير و التأويل. كل الكتب درست أنواع مناهج التفسير و تطورها و لو بصورة مختصرة ولكن البعض منها خصصت كمية أكبر لبعض المناهج و ذكرت باقي الأنواع بصورة موجزة مثل كتاب «مباحث في علوم القرآن» و «المدرسة القرآنية».

«علوم القرآن» للسيد محمد باقر الحكيم و «علوم القرآن» للسيد رياض الحكيم تكلما عن مدرسة أهل البيت التفسيرية و مراحل تطورها و معالمها و طبقاتها و الفرق بينها و بين المدارس السنية و أيضاً التاويل عند أهل البيت(عليهم السلام).

وأيضاًالكتب محل الدراسة كلها بحثت الإسرائيليات و كيفية دخول الاسرائيليات في كتب التفسير ما عدا كتابي «العلوم القرآنية» لصبحي الصالح و غانم قدوري و السيد محمد باقر الصدر.

كتب «مباحث في علوم القرآن» و « المدرسة القرآنية» اختارا منهجين و ركزا دراستهما عليهما. ركز السيد محمد باقر الصدر في «المدرسة القرآنية » على «الاتجاه التجزيئي» «الاتجاه التوحيدي أوالموضوعي» بينما الاستاذ صبحي الصالح ركز على التفسير بالماثور و التفسير بالراي.

كتاب «علوم القرآن» للسيد محمد باقر الحكيم و كتاب «علوم القرآن» للسيد رياض الحكيم و كتاب «محاضرات في علوم القرآن» لغانم قدوري بحثوا مدى شمولية تفسير النبي(صلى الله عليه و آله) للقرآن الكريم و حدود تفسير النبى (صلى الله عليه و آله) للقرآن و درسا مكاتب أهل مكة و الكوفة و البصرةالسيد محمد باقر الحكيم درس أهمية التمييز بين تفسير اللفظ و تفسير المعنى و انتقد التفسير بالرأي بناءً على مدرسة الأئمة (عليهم السلام) و شروط المفسر و المرجعية الفكرية لأهل البيت (عليهم السلام) و قارن بين مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) و مرجعية الصحابة و بين رحلة تكوين علم التفسير ابتداءً من مرحلة السذاجة و ذكر فيها عناصر فهم القرآن و تفسير أهل البيت (عليهم السلام) و المعالم الرئيسية فيه و أهم المشكلات التي واجهت احاديث تعرض أهل البيت (عليهم السلام).

و السيد رياض الحكيم عرض التفسير بالتدبر الجامع و ناقش موضوع التفسير بالمأثور لدى الشيعة و قسم طبقات المفسرين إلى طبقات المفسرين لدى العامة و الشيعة.

و الاستاذ غانم قدوري في «محاضرات في علوم القرآن» قام بدراسة المفسر الكبير ابن عباس و منهجه و امتيازاته في التفسير بصورة شاملة و درس نماذج التفسير بالمأثور و التفاسير اللغوية و الفقهية و العقلية و الصوفية و درس أهمية علم التفسير و ثقافة المفسر و أدوات المفسر و أحسن طرق التفسير.

الهوامش:

١. إتمام الأعلام , أباظة : ١/ ١٥٣
٢. مجموع الفتاوى, ابن تيمية : ٢/ ٥٤
٣. مقدمة في أصول التفسير : ١/ ٣٩
٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ٢/ ١٦٥
٥. الطبقات الكبرى : ١/ ١٠٦
٦. تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٢٢
٧. التفسير ورجاله: ١/ ٨١
٨. تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن كثير) : ١/ ١٣٢
٩. لسان العرب : ٣/ ٢١٢
١٠. اشكاليات القراءة وآليات التأويل : ١/ ٥٩
١١. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن : ١/ ١٣٩
١٢. الفكر الاسلامي : ١٣٢
١٣. تهذيب اللغة: ١/ ١٢١
١٤. مختصر صحيح البخاري: ١/ ٩٨
١٥. صحيح البخاري : ٢/ ١٢٢
١٦. مجاز القرآن: ١/ ٩٤
١٧. نافذة لدراسات الاسلام السياسي والاقليات : ١٨٥
١٨. مقدمة في أصول التفسير : ١/ ١٢٧
١٩. الجامع الصحيح: ٢/ ٧٦
٢٠. معجم الادباء من العصر الجاهلي : ٢/ ٩٨
٢١. التعريفات : ١/ ٥٨
٢٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢/ ٢١٤
٢٣. فهم القرآن ومعانيه : ١/ ٤١
٢٤. علوم القرآن : ٢/ ١١٤
٢٥. علوم القرآن (رياض الحكيم) ١/ ١٢٢
٢٦. علم أول الفقه : ١/ ١٣٣
٢٧. طبقات المفسرين : ٢/ ٩٨
٢٨. التفسير والمفسرين : ١/ ٢٦٥
٢٩. تفسير المنار : ٣/ ٢١٩
٣٠. تتمة الاعلام, محمد خير : ١/ ٥٦

المصادر و المراجع :

أباظة، نزار؛ المالح، محمد رياض، اتمام الاعلام، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.١
٢. ابن تيمية، تقي الدين، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن‌بن محمدبن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣. ، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور، ط٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٤ م.
٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨
٦. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٩٨٤م.
٧. ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير و رجاله، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
٨. ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر و التوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٩. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ
١٠. ابوزيد، نصر حامد، اشكاليات القراءة و آليات التاويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.
١١. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.
١٢. أركون، محمد، الفكر الإسلامي: نقد و إجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط٣، ١٩٩٨م.
١٣. الأزهري، أبومنصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٤. الألباني، أبوعبد الرحمن محمد ناصرالدين ، مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢ م
١٥. البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
١٦. البصري، ابوعبيدة، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ.
١٧. بوابة الحركات الاسلامية: نافذة لدراسات الاسلام السياسي و الاقليات، ٢٠٢٠، http://www.islamist-movements.com/٢٧٨٦٤
الموقع الاكتروني لمركز الكلمة للحوار و التعاون ١٨.https://al-kalima.iq
١٩. الترمذي، محمدبن عيسى، الجامع الصحيح: سنن الترمذى، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمدفؤاد عبدالباقي و إبراهيم عطوة، -مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
٢٠. الجبورى، سلمان، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى عام ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣م
٢١. الجرجانى، علي‌بن محمد، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب, العلمية٢١بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ
٢٢. الجوهري، نصر إسماعيل‌بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٣. الحارث المحاسبي، ابوعبدلله، فهم القرآن ومعانيه، تحقيق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨ هـ.
٢٤. الحكيم، السيد محمد باقر، علوم القرآن، مؤسسة الهادي، ط٣، ١٤١٧هـ
٢٥. الحكيم، سيد رياض، علوم القرآن؛ دروس منهجية، دار الهلال
٢٦. خلاف، عبدالوهاب، علم أصول الفقه، دار القلم، القاهرة، ط٨، ١٣٦١هـ-١٩٤٢م
٢٧. الداودي، محمدبن علي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
٢٨. الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٠م
٢٩. رضا، رشيد، تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط٢، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م
٣٠. رمضان يوسف، محمد خير، تتمة الاعلام (تتمة الأعلام للزركلي)، دار ابن‌حزم، بيروت، ط٢، ١٤٢٢ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه
وبالوالدين إحسانا
إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما
وقل لهما قولا كريما ۝ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب
ارحمهما كما ربياني صغيرا ۝ صدق الله العظيم

العلامة السيد علي محمد الطباطبائي احد رواد العلم في كربلاء

م.م زينة عبد الكاظم دواي التميمي
جامعة بغداد / مكتب رئيس الجامعة / وحدة متحف الجامعة

الملخص:

يعد السيد علي الطباطبائي احد علماء الحوزة العلمية بكربلاء بين القرنين (الثاني عشر -الثالث عشر الهجريين /الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر الميلاديين) والتي استمرت مزدهرة وزاخرة برعيل من كبار العلماء المجتهدين وألأساتذة المحققين. ساهم بالنهضة العلمية التجديدية في كربلاء,كان عالم ومحقق وفقيه تاريخي فذ ملما ومحيطا بألأخبار والتاريخ واصول وفروع الفقه والحديث والتفسير ، ترك بصماته على الحركة التدريسية والعلمية في كربلاء من خلال مؤلفاته القيمة . تتلمذ على يد خاله الشيخ محمد باقر (الوحيد البهباني) وابن خاله محمد علي البهباني وايضاً السيد يوسف البحراني. تخرج على يده علماء أعلام وفقهاء عظام صاروا من أكابر المراجع في ألإسلام. له ما يقرب من عشرين مؤلفا ومصنفا الا انه إشتهر بكتابه الفقهي المتميز (رياض المسائل).

في سنة (1216هـ/ 1802م), شن الوهابيون النواصب هجومهم على مشهد سيدنا الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء المقدسة في يوم الغدير وسعى سعود بن عبد العزيزالوهابي لتصفية علماء الشيعة في كربلاء فكان من بينهم السيد علي الطباطبائي في محاولة منهم الى قتله الا ان الله نجاه منهم .

لم يتوقف اثره في كربلاء المقدسة على الناحية العلمية والدينية وتعظيمه لأهل العلم بل كان محب لمدينته كربلاء،وعنصر فعال فيها، تشير المصادر التأريخية الى انه عمل جاهدا على تحصينها من الوهابيين وكخطة دفاعية عنها عمل على أعادة اعمار سور كربلاء كما انه طلب عشيرة (البلوج), واسكنهم كربلاء لشدتهم وقوتهم.

توفى السيد علي الطباطبائي سنة (١٢٣١هـ/١٨١٥م)، ودفن في الحرم الحسيني الشريف

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ،وعلى آل بيته المنتجبين ،و اصحابه الطاهرين ،والتابعين لهم بأحسان الى يوم الدين ,وأحمدك اللهم على جزيل نعمك وفواضل كرمك والآئك وانعامك حمداً يصعد أوله ولا يقر أخره ,وبعد :

أن لأسرة آل طباطبا تاريخ طويل في تفعيل الحركة العلمية في مدينة كربلاء المقدسة , ولما كان هذا التاريخ الطويل والحافل بالمنجزات لهذه الأسرة، مما لا يدرك بالبحث والتقصي .فقد اقتصر موضوع بحثنا على تسليط الضوء على احد كبار فقهائها وعلمائها من المدرسين والمراجع البارزين في كربلاء وهو السيد علي بن محمد علي الطباطبائي .فقد أفرز العديد من الآثار والمؤلفات العلمية والفقهية والفكرية والفلسفية, والاجتماعية ,الا ان اسمه اقترن بكتابه الفقهي (رياض المسائل في تحقيق الاحكام بألدلائل) حتى عرف(بصاحب الرياض),وفيه يقول السماوي(*):

ومثلـه على الفيـاض ومـن له في خلده الـرياض
جوزي عن رياضـه بأسنى فأرخو (يجزي الرياض الحسنى) (١).

كما وقد امتدح مؤلفه هذا واشاد به العديد من العلماء منهم التبريزي فيذكر هو في غاية الجود جداً ,لم يسبق بمثله، ذكر فيه جميع ماوصل اليه من الادلة والاقوال على نهج عسر على سواه بل استحال (١).

ويمكن لنا ان نتصور اهمية هذا الكتاب وعناية العلماء والباحثين والمحققين به ,من انه كان يدرس في الحوزات العلمية ,حيث تناولته ايادي المشتغلين ببالغ الاهتمام والتقييم, فنرى الشيخ مرتضى الانصاري في احدى وصاياه لتلامذته

:ابحثوا وحققوا في كتاب (رياض المسائل) للسيد علي الطباطبائي فأنه سيعينكم كثيراً في نيل مرتبة الاجتهاد (٢).

جاءت دراستنا هذه والموسومة بـ(العلامة السيد علي الطباطبائي احد رواد العلم في كربلاء) لإيجاد دراسة متكاملة عن شخصية هذه المرجعية العلمية الفقهية التي اغنت العالم الاسلامي وافاضت عليه من العلم بما قدمه من بحوث ورسائل كانت تصب في كيفية تنظيم حياة الفرد والمجتمع وفقاً لتعاليم الدين الاسلامي .

قسمت هذه الدراسة على خمسة مباحث تناولنا في المبحث الاول اسمه والاسرة التي ينتسب اليها و مولده ونشأته.اما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه الى شيوخه واساتذته ومن تتلمذ على يدهم وروى عنهم ,ومن ثم اتبعناه بتلاميذه ومن نهلوا العلم علي يديه ونقلوا ورووا عنه ,كما خصصنا المبحث الثالث حياته العلمية ومصنفاته التي ألفها,ولم يخلو الامر من ان العلامة كان له نشاطات اخرى في مدينة كربلاء قد اوردناها بالذكر .وتطرقنا في المبحث الرابع اقوال العلماء في شخص العلامة السيد علي الطباطبائي اما المبحث الخامس والاخير فقد بحثنا فيه محاولة الوهابيين قتل العلامة السيد علي الطباطبائي ,ومن ثم وفاة العلامة الفقيه السيد علي الطباطبائي .

المـــبحث الاول :-

اولاً:- اسمه ونسبه:-

ويرجع بنسبه الى آل طباطبا وهم من انجال الامام الحسن (عليه السلام).فهو السيد علي بن السيد محمد علي بن السيد محمد بن السيد عبد الكريم بن مراد شاه اسد الله بن جلال الدين الامير بن الحسن بن مجد الدين علي بن قوام الدين محمد بن اسماعيل بن عباد بن ابي المكارم بن عباد بن ابي المجد بن احمد بن عباد بن علي بن حمزة بن طاهر بن ابي الحسين علي الملقب بشهاب بن ابي الحسن محمد بن احمد المكنى بأبي الفتوح بن محمد المكنى بأبي عبد الله بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل الديباج بن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الامام الحسن السبط بن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)(١).

كان جده ابي المعالي الكبير صهرا للسيد الصالح المازندراني (قدس سره)،خلف ثلاثة اولاد ذكور ،هم كلاً من السيد ابو طالب ،السيد علي والسيد ابي المعالي الصغير وهو اصغرهم وعدة بنات.اما السيد ابي المعالي الصغير فقد خلف السيد محمد علي فقط وهو والد العلامة موضع الدراسة وله اخت واحدة كانت زوجة المولى محمد رفيع الجيلاني والذي كان من سكنة مدينة مشهد(٢).

وبنو طباطبا اسرة وشحت اصولها بالشرف الرفيع وعزة النفس ,واينعت فروعها بالفضل والعلم والادب .واول من تخرج من هذه الاسرة العلامة ابو المعالي الصغير السيد محمد علي وهو اول من هاجرمن ايران الى العراق طلباً للعلم والمعرفة, استوطنت هذه الاسرة في كربلاء في القرن (١٢هـ/١٨م) وتمكنت من حيازة الزعامة الدينية اي بعض الادوار ونبغ منهم رهط كبير من رجال العلم والمحدثين وسجلت لهم مأثر كثيرة وكان من بينهم السيد علي الطباطبائي موضع الدراسة(١)وقد خلد ذكرهم الشعراء في ابيات شعرية جميلة ومنهم السماوي قائلاً:-

وآل ذي المعالـــي من طباطبـــــا
الحسنييـــــن السراة النجبـــا (٢).

صاهر السيد علي خاله الاستاذ محمد باقر بن محمد اكمل الاصفهاني المعروف بالوحيد البهباني الحائري ((قدس سره))(*).

من اولاده السيد مهدي الذي عرف بالزهد والسيد محمد مؤلف كتابي (مفاتيح الاصول)وكتاب(المناهل),وهو صهراً للعلامة بحر العلوم(٣).

ثانياً:- مولده ونشأته:-

ولد السيد علي الطباطبائي في اشرف الايام والذي

جاء موافقاً مع ولادة اشرف الانام سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام وهو الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة (١١١٦ هـ / ١٧٠٤م) في مدينة الكاظمية المقدسة في العراق (١).

نشأ وترعرع في كربلاء ضمن اسرة علمية حيث تتلمذ ونهل العلم من ابن خاله محمد علي بن محمد باقرالاصفهاني (الوحيد البهباني) وقد فاقه بمدة يسيرة ، ولم يخلو الأمر من ان يستنير بعلم خاله محمد باقرالاصفهاني حيث انه روى عنه(٢).

وكان في بداية امره يعمل بكتابة الاكفان وهومشغول بتأليف كتابه (رياض المسائل)، حيث درت عليه ارباح كثير بفضل الله ومننه . (٣)

المبحث الثاني:-اولاً:-
شيوخه وأساتذته:-

تجمع اغلب المصادر التأريخية على ان العلامة السيد علي الطباطبائي قد تتلمذ على يد خاله الشيخ محمد باقر الاصفهاني (الوحيد) وابن خاله محمد علي البهباني(٤). وفي ترجمة العلامة موضع الدراسة يذكر المازندراني انه :»اشتغل اولاً علي ولد الاستاذ]الوحيد البهباني [فقرنه في الدرس مع شركاء اكبر منه في السن واقدم في التحصيل بكثير،وفي ايام قلائل فاقهم طراً (*)وسبقهم كلاً،ثم بعد قليل ترقى فاشتغل عند خاله الاستاذ العلامة ،وبعد مدة قليلة اشتغل بالتصنيف والتدريس والتأليف» (١).

بينما ينفرد السيد الامين في كتابه (اعيان الشيعة) بذكر:»يروي عن السيد عبد الباقي الاصفهاني عن والده المير محمد حسين عن جده لأمه المجلسي ,ويروي أيضاً عن خاله وأستاذه محمد باقر البهباني,وعن صاحب الحدائق»(٢).

ثانياً:- تلامذته:-

تخرج على يد السيد علي الطباطبائي علماء اعلام ,وفقهاء عظام ,اصبحوا من اكابر المراجع في الاسلام نورد منهم بالذكر:-

١- ولديه الصالحان الرشدان ,الفقيهان ,الفاضلان ,السيد محمد المجاهد.سمي بالمجاهد كونه قام بمجاهدة الروس عندما قاموا بالهجوم على ايران ,حيث كان موجود في كربلاء وجاءه الخبر فتوجهه الى ايران الا انهم منيوا بخسارة جسيمة نتيجة لتعرضهم لخيانة اودت بانتصارهم ,وفي طريق عودته الى كربلاءمرض,وتوفى في سنة(١٢٤٢هـ/١٨٢٦م) وتم دفنه بين الحرمين في كربلاء,وله مصنفات منها»المناهل في الفقه»و»مفاتيح الاصول», (٣).

اما السيد مهدي المقدس فقد توفي ف نفس السنة التي توفي فيه (١)

٢- السيد محمد جواد بن محمدبن محمد بن احمد بن قاسم الحسني الحسيني العاملي المتوفي سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م) ،ولد في قرية شقراء احدى قرى لبنان في جبل عامل وترعرع فيها ،ثم سافر الى العراق حيث النجف الأشرف ومنها الى حوزة كربلاء (٢) ومن اهم مصنفاته الموسوعة الفقهية المعروفة بـ مفتاح الكرامة وشرح طهارة الوافي و شرح على الوافيه ورسالة في الشك في الشرطية والجزئية في العبادات ورسالة مبسوطه اسماها العصرة في حكم العصير العنبي والتمري ورسالة في المواسعه والمضايقة ومنظومة في الخمس ومنظومة في الرضاع ومنظومة في الزكاة وحاشية على تجارة القواعد و حواشي على الروضة (٣)

٣- الشيخ الفقيه المبرورخلف بن عسكر الكربلائي المتوفي سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٤م).ويُعد من ابرز تلاميذ السيد علي الطباطبائي حيث لازمه طوال حياته ,هو من اسرة علمية تنسب الى عشيرة زوبع حيث نبغ منها هذا الشيخ واختار كربلاء سكن له واشتغل في التدريس والتحقيق والتدقيق حتى وافته المنية بداء الطاعون (٤),واليه ينسب تشييد (مسجد الشيخ خلف) في

مدينة كربلاء المقدسة (٥).

٤- الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي المتوفي سنة (١٢٤٤ ٥ ـ/١٨٨٢م)

هو مؤسس»مذاهب الكشفية «نسبة الى الكشف والالهام ولد في الاحساء وتعلم في بلاد فارس وتنقل بينها وبين العراق وسكن البحرين ومات حاجاً في المدينة ,له كتب ورسائل كثيرة منها «جوامع الكلم «يشتمل على مئة رسالة في علوم مختلفة والفوائد «في الحكمة والكلام ومباحث الالفاظ وديوان شعرومعنى الكشف وكيفيته ومعنى الكفر والايمان ومعرفة النفس و رسالة في علم النجوم ورسالة هل القران افضل ام الكعبة وحياة انفس في حضرة القدس (١)

٥- الشيخ محمد ابراهيم بن محمد حسن الخراساني الكاخي الاصفهاني الكلباسي

من اعظم العلماء ولد سنة (١١٨٠)وهاجر الى العراق فأدرك السيد الوحيد البهباني والسيد مهدي بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء ومؤلف (الرياض) واشتغل عندهم وحضر عليهم مدة طويلة ثم رجع الى ايران وحل في قم واشتغل. فيها كان غاية في التواضع وحسن الخلق .له عدة تصانيف منها الاشار ات والإيقاضات و شوارع الهداية الى شرح الكفاية ومنهاج الهداية وارشاد المسترشدين والارشاد والنخبة في العبادات وغيرها (٢).

٦- الشيخ محمد باقر ابن السيد النقي ويرجع بنسبه الى الامام موسى الكاظم (عليه السلام)و المعروف بـ(حجة الاسلام) كما اشهر بلقب الشفتي نسبة الى قرية شفت التي سكنها وهو ابن السبع سنوات ,وهاجر الى العراق سنة ١١٩٢ لطلب العلم في سن السابعة عشر.ونال العلم على يد السيد البهباني اولاً ومن ثم السيد علي الطباطبائي ,ثم ذهب الى النجف وحضر مجالس السيد مهدي بحر العلوم والسيد جعفر كاشف الغطاء ,ثم ذهب الى الكاظمية وحضر السيد محسن الاعرجي ,وبقي في العراق ثمان سنوات ثم عاد الى قم توفي سنة (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٣),وله عدة مصنفات منها مطالع الانوار وجوابات المسائل وتحفة الابرار ومناسك الحج وغيرها من المؤلفات القيمة (١).

٧- الحاج المتبحر الحاج ملا جعفر الاسترآبادي الحائري ,المتوفي سنة(١٢٦٣هـ/١٨٤٦م)ولد في أستربـاد ,هاجر الى كربلاء وتتلمذ على يد السيد علي الطباطبائي ,وعاد الى بلاده سنة١٢٤١ ثم انتقل الى طهران وتوفي فيها ,ونقل الى النجف ودفن في الصحن الشريف وله مؤلفات عدة نورد منها بالذكر مدائن العلوم واصل الأصول و تحفة العراق وحياة الأرواح ونجم الهداية (٢).

٨- الشيخ ابوعلي,محمد بن اسماعيل بن عبد الجبار المازندراني المعروف الحائري ولد في كربلاء وكان من كبار علماء الامامية حيث انه بدأ مبكراً في استحصال العلم ونال من الابحاث العاليةعلى يد الشيخ البهباني والسيد علي الطباطبائي,توفي في النجف بعد رجوعه من الحج سنة(١٢١٦هـ/١٨٠٢),ومن مؤلفاته كتاب منتهى المقال في احوال الرجال وزهر الرياض, العذاب الواصب في الرد على كتاب نواقض الروافض (٣).

٩-الشيخ اسد الله بن اسماعيل التستري الدزفولي الكاظمي , المتوفي سنة (١٢٣٤هـ/١٨٢٠م),كان شديد الاحتياط في الفتاوي وشديد الاجتهاد في تحصيل العلم والمواظبة على التأليف والتصنيف ومن مؤلفاته كتاب مقابس الانوارونفائس الابرار في احكام النبي المختار وعترته الاطهار وكشف القناع عن وجوه حجية الاجماع و منهج التحقيق في حكمي التوسعة والتضييق ونظم زبدة الاصول ومستطرفات من الكلام والمنهاج في الاصول والوسائل في الفقه ورسالة مبلغ النظر ونتيجة الفكر(١).

١٠- المولى محمد شريف الاصولي ,المازندراني اصلاً والحائري سكناً ومدفناً ,المعروف بـ(شريف العلماء),المتوفي سنة(١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م),اصله من مازندران ,والظاهر انه ولد في مدينة كربلاء تتلمذ اولاًعلى يد السيد محمد المجاهد ابن العلامة السيد علي الطباطبائي,توفي بداء الطاعون ,ودفن في داره في كربلاء واصبح داره مزاراً للمؤمنين ,وقريباً من قبره بُنيت مدرسة علمية دينية تعرف باسم مدرسة شريف العلماء(٢)

١١- الشيخ محمد تقي بن الشيخ احمد والمعروف بملا كتاب الأحمدي البياتي النجفي ,كان مجتهداً عالماً واصولياً بارعاً, وهو من أسرة كردية كريمة مؤمنة كانت تسكن في جبل حلوان ومن ثم هاجروا الى النجف طلباً للعلم والتفقه في الدين ,توفي سنة (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) ,ألف كتاب الدلائل الباهرة والدلائل وله رسائل في ابواب الفقه كالأراضي الخراجية(٣).

المبحث الثالـــــــث:-

اولاً:- مأثره العلمية :-

كان العلامة السيد علي الطباطبائي عالماً ,فقيهاً ملماً ,محيطا بألأخبار والتاريخ واصول وفروع الفقه والحديث والتفسير, وله العديد من المؤلفات التي تنوعت في مضامينها في الاحكام والعقائد الفقهية والمعرفة العلمية نوردها بألذكر :-

١- كتاب رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل وهو ماعرف به العلامة السيد علي الطباطبائي شرحه على النافع ،حيث اقترن اسمه بأسم مؤلفه.

٢- شرح المفاتيح والذي برز منه كتاب الصلاة,وهو مجلد كبير جمع فيه جميع الاقوال .

٣- وله شرح اخر على المختصر اختصره من الاول ,جيد ,لطيف سلك في العبادات مسلك الاحتياط ليعم نفعه العامي والمبتدىء والمنتهي والفقيه والمقلد لغيره وله ,في ايام حياته وبعد مماته,وهو مطبوع ومحقق في ثلاث مجلدات.

٤- رسالةفي تثليث التسبيحات الاربع في الاخيريتين وكيفية الصلاة التي تقضى عن الموتى

٥- رسالة في تحقيق حجية مفهوم الموافقة .

٦- رسالة في الاصول الخمس.

٧- ترجمة رسالة في الاصول الخمس ,فارسية لخاله الوحيد (قدس سره)الى العربية .

٨- رسالة في الاجماع والاستصحاب

٩- رسالة في حجية الشهرة ,وفقاً للشهيد (قدس سره).

١٠- رسالة في جوازالاكتفاء بضربه واحدة في التيمم مطلقاً.

١١- رسالة في اختصاص الخطاب الشفاهي بالحاض رفي مجلس الخطاب كما هو عند الشيعة.

١٢- رسالة في تحقيق حكم الاستضهار للحائض إذا تجاور دمها عن العشرة.

١٣- رسالة في تحقيق ان منجزات المريض تحسب من الثلث أم من اصل التركة .

١٤- رسالة في اصالة براءة ذمة الزوج عن المهر ,وأن على الزوجة اثبات اشتغال ذمتة به.

١٥- رسالة في حلية النظر الى الأجنبية في الجملة وإباحة سماع صوتها كذلك.

١٦- رسالة في بيان ان الكفار مكلفون بلفروع عند الشيعة ,بل وغيرهم ,إلا أبا حنيفة.

١٧- حواشي متفرقة على(الحدائق الناظرة) للشيخ يوسف البحراني .

١٨- حواشي متفرقة على (مدارك الاحكام).

١٩- حاشية على كتاب معالم الأصول ,كتبها بخط يده على حواشي المعالم في صغره وأوائل مباحثته له ,وهي غير مدونه.

٢٠- أجزاء غير تامة في شرح مباديء الأصول للعلامة الحلي .(١)

ومن هذا يتضح لنا ان للعلامة السيد علي الطباطبائي العديد من المؤلفات والرسائل والشروحات التي كانت تنظم حياة الفرد والمجتمع وفقاً لتعاليم الدين الاسلامي.

ثانياً:- مأثره في مدينة كربلاء

لم يتوقف اثر العلامة السيد علي الطباطبائي في كربلاء المقدسة على الناحية العلمية والدينيه وحبه للعلم ،بل تعداه الى طور الانسانية فبعد ان افاض الله عليه من مننه وتوفيقه في اشتغاله بكتابة الاكفان - كما اشرنا سابقاً. فعمد الى شراء دور الكربلائيين وأيقافها على سكانها ومن بعدهم (١).وكان لهذه الشخصية العلمية الفكرية (السيد علي الطباطبائي) أضافة الى حبه للعلم والمعرفة كان محب لمدينته كربلاء،وعنصر فعال فيها،حيث تشير المصادر التأريخية الى انه عمل جاهدا على تحصينها من الوهابيين حيث قام بأعادة اعمار سور كربلاء(٢) عندما شن الوهابيين هجومهم عليها سنة (١٢١٦هـ/١٨٠٢م) (٣),كما وانه طلب عشيرة (البلوج),واسكنهم كربلاء لشدتهم وقوتهم(٤). كما انه قام ببناء قرية المخيم الحسيني التي تعد من معالم كربلاء الاثرية والاماكن المقدسة التي يتبرك فيها الزوار وتقع في الجنوبي الغربي من الحائر الحسيني و فيها مقام الامام زين العابدين(٥) .

المبحث الرابع:- أقـوال العلمـاء فيـــه :-

تبوأ العلامة السيد علي الطباطبائي مكانة مرموقة في الآوساط العلمية و الدينية ,حيث لم يقتصر اثره العلمي والفكري على مدينة كربلاء المقدسة فقط بل امتد الى بقاع عديدة في العالم الاسلامي ,فقد اشاد به كبار الفقهاء والشيوخ وتعرضو له ببالغ المديح والثناء وأطراءات عظيمة.

فنرى استاذه الوحيد البهباني (قدس سره) قال فيه عندما اجازه للرواية عنه مشيداً به :»استجازني السيد السند ,الماجد الأمجد ,الموفق المسدد,الرشيد الأرشد,المحقق المدقق,العالم الكامل ,الفاضل الباذل ,صاحب الذهن الدقيق والفهم الملي ,الطاهر المطهر,النابغة النورانية ,صاحب النسب الجليل الرفيع والحسب الجميل ,والطبع الوقاد,والذهن النقاد,ولدي الروحي ,مير سيد علي بن سيد محمد علي ,وفقه الله لمراضيه,وايده وسدده وارشده «(١). وفي سياق حديث الشيخ الجليل ابو علي المازندراني عنه في ترجمته عن العلامة السيد علي الطباطبائي يورد:»ثقة عالم عريف وفقيه فاضل غطريف,جليل القدر وحيد العصرحسن الخلق عظيم الحلم,حضرت مدة مجلس إفادته وتطفلت برهةً على تلامذته,فإن قال لم يترك مقالاً لقائل وإن صال لم يدع نصالاً لصائل»(٢). كما اشاد به الشيخ عباس القمي قائلاً:»السيد الأجل الأكمل مشكاة البركة والكرامة المتفرع من دوحة الرسالة والإمامة, سيد المحققين وسند المدققين العلامة النحرير(*),مالك مجاميع الفضل بالتقرير والتحري,نادرة الزمان خلاصة الافاضل الاعيان,النور الجلي ,والمجتهد الاصولي ,ابو المحاسن والفضائل»(٣).

وذكره المحدث النيسابوري في رجاله,مع انه كان من المعاندين له في ظاهر السياق بهذه العبارة :»شيخ في الفقه واصوله مجتهد صرف يراعي الاحتياط بما يراه عاصرناه»(١).كما اطرى عليه السيد محمد جواد العاملي صاحب «مفتاح الكرامة» عند اجازته محمد علي باقر هزار جريبي :»فأجزت له ان يروي عني ما استجزته وقرأته وسمعته من السيد الأستاذ ,رحمة الله سبحانه في البلاد والعباد الامام العلامة مشكاة البركة والكرامة صاحب الكرامات ابو الفضائل مصنف الكتاب المسمى برياض المسائل الذي

عليه المدار في هذا الاعصار النور الساطع المضيء والصراط الواضح السوي سيدنا واستاذنا الامير الكبير السيد علي أعلى الله شأنه وشأن من شأنه ومن حسن نيته»(٢). أما صاحب حجة الاسلام السيد محمد باقر الشفتي صاحب كتاب (مطالع الانوار)فقد نعته بكلمات عذبة في بعض اجازاته عند شيوخه قائلاً:»شمس الافادة والافاضة بدر السماء المجد والعز والسعادة محيي قواعد الشريعة الغراء مقنن قوانين الاجتهاد في الملة البيضاء فخر المجتهدين ملا العلماء العاملين ملجاء الفقهاء الكاملين سيدنا واستاذنا العلي العالي الامير السيد علي الطباطبائي الحائري «(٣).

ووصفه السيد محسن الامين في كتابه(أعيان الشيعة) بأنه:»المحقق المؤسس الذي ملاء الدنيا ذكره وعم العالم فضله , تخرج عليه علماء اعلام وفقهاء عظام صاروا من أكابر المراجع في الاسلام كصاحب المقابس وصاحب المطالع وصاحب مفتاح الكرامة وامثالهم من الاجلة «(٤). وبعد ان استعرضنا بعضاً من اقوال النخبة من فطاحلة العلم المتفقهين بالدين يتضح لنا ما لهذا العلامة من مكانة خاصة لدى العلماء اهلته بذلك علميته وثقافته الدينية الواضحة من كتاباته ومصنفاته التى اغنت الحركة الفكرية والعلمية بالشيء الكثير .

المبحث الخامس :-

اولاً:- محاولة قتل العلامة السيد علي الطباطبائي من قبل الوهابية

شن الوهابيون(*) هجومهم على مشهد سيدنا الحسين (عليه السلام) في كربلاء المقدسة في سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م)، بأمرة رئيسهم سعود بن عبد العزيز بن محمد سعود الوهابي النجدي (١) في يوم عيد الغدير(*),مستغلين توجه اغلب اهل البلد الى النجف الاشرف لزيارة امير المؤمنين (عليه السلام) (٢).بغية تصفية علماء الشيعة في كربلاء فكان من بينهم السيد علي الطباطبائي في محاولة منهم الى قتله . فلما وقف على قصدهم الهجوم على داره بعزيمة قتله وقتل عياله ونهب امواله ,ارسل بحسب الامكان اهلة وامواله الى مواضع مأمونه (٣).

بقي السيد علي هو وحده في الدار مع طفل رضيع, فحمل ذلك الطفل معه وارتقى الى زاوية من بيوتاتها الفوقانية معدة لخزن الحطب والوقود وامثاله, ليتخفي فيها عن عيونهم ,فلما وردوا وجعلوا يجوسون خلال حجرات الدار في طلبه وينادون في كل جهة منها بقولهم : اين مير علي ؟ ثم عمدوا الى تلك الزاوية ,فاخذ السيد علي ذلك الطفل الرضيع على صدره متوكلاً على الله تعالى في جميع اموره.ودخل تحت سلة كبيرة كانت هناك ضمن ضروريات البيت,فلما صعدوا الى تلك الزاوية, مارأوا فيها غير رزمة من الحطب موضوعة في ناحية منها, وكان قد اعمى الله ابصارهم عن مشاهدة تلك السلة وتخيلوا ان السيد علي قد اختفى بين الاحطاب والاخشاب ,فأخذوها واحداً بعد واحد ووضوعها بأيدهم فوق تلك السلة الى ان نفذت ويأس الذين كفروا من دينهم فأنقلبو خائبين وخاسرين (١). خرج السيد على الطباطبائي شاكرا لنعمة الله عليه ومنه بالنصر على الكافرين حيث اعمى بصيرتهم عنه ,وكيف سكن الطفل من الفزع والأنين ,واخمد منه التنفس والحنين,كما يخمد الجنين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين,والله خير حافظ وهو ارحم الراحمين (٢).فقد عاثو الوهابيين بالمدينة فساداً كما انهم هتكو حرمة ابن بنت رسول الله ,حيث انهم ربطوا في الصحن الحسيني الشريف دوابهم القذرة واخذوا جميع ماكان من النفائس في الحرم المنور ,بل وقلعوا ضريحه الشريف ,ووضعواهاون القهوة فوق راس الحضرة على وجه التخفيف ودقوها وطبخوها وشربوها ..ثم بعد ذلك خافوا على

انفسهم من سوء عاقبة الاطوار, ومن هجوم الرجال عليهم,فأختاروا الفرار على القرار(٣).
وتم قتل خمسين شخصاً بالقرب من الضريح وخمسمائة خارج الضريح في الصحن ,وقتلوا من غير رحمة كل من صادفوه ,واحرقوا الدور ولم يرحموا شيخاً ولاطفلاً, ولقد قدر بعضهم عدد القتلى بألف نسمة وقدر البعض الاخر اضعاف ذلك(٤).وكانت هذه الواقعة أعظم فاجعة من بعد واقعة الطف مرت على تاريخ كربلاء, فأسهب في فظاعتها المؤرخون من مسلمين وأوربيين(٥)،وانعكست في الشعر فرددها الشعراء في قصائدهم وصوروها ووصفوا فجائعها المنكرة أدق وصف فقد جاء في شعر السماوي وهو يصف مامر على كربلاء من مصائب الدهر ونوائبة بدءاً بواقعة كربلاء ويستطرد في شعره وصولا الى حادثة آل سعود النجدية الوهابية نختص بها عما ماجاء ذكره عن آل سعود :-

والحـــادث التاسـع للنجديـــة
إذ دان جـاف همـــج الجنـديـة
ثم عدا على الحسين وزحـــف
واهل، ٥ زاروا الغـــدير في النجـف
فوضـع السيـف بأشيـاخ البلـد
وبالنســا ووالـــد ومـا ولـد
وهـــد بيتـاً شـاده المهيمـن
جبـريـل فـي دخـولـه يـستـأذن
واستلـب النظـار والطـرائفـا
ومـزق الكتـــاب والصحـائفـا
وذاك في سنـة ستـة عشـر ومئتين بعـد الـف الهـجـرة (١).

ثانياً:-وفـــــاتـــــه:-

توفي العلامة السيد علي الطباطبائي في سنة(١٢٣١هـــ/١٨١٥م),وتم دفن جثمانه الطاهر في الرواق المشرقي من الحضرة الحسينية المقدسة مما يلي قبر الشهداء وهو مع خاله واستاذه البهباني في صندوق واحد(٢).
وما يحكى عن مجموعة السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي من قوله :وفاة العم المرحوم السيد علي سنة (١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م)،وما في روضات الجنات من انه توفي في حدود إحدى ومائتين بعد الألف الظاهر انه وقع فيه نقصان ثلاثين سنة اولاً لمخالفته للتاريخ المنظوم ,وثانياً لان عمره على هذا يكون اربعين سنة ,ويبعد بلوغه هذه الغاية من العلم والتأليف في هذه المدة(١) .
وكان ولده الأمجد الأرشد محمد المرحوم انذاك يقطن في مدينة اصفهان ,فعندما بلغة خبر نعي والده المبرور ,اقام مراسيم تعزيته هناك ,وجلس اياماً للعزاء يأتون الى زيارته من كل فج عميق.
ثم رجع الى موطنه الاصلي ومقامه الجليل ,بعد زمان قليل ,وبقي في خلافة ابيه وناب عنه في جميع ما يأتيه ,الى زمان انتقاله الى ايران لمجاهدة الروس ووفاته في بلدة قزوين(٢).
وبوفاة العلامة السيد علي الطباطبائي فقدت الامة لاسلامية احد اعظم علمائها الذي لطالما اغنى الفكر الاسلامي برسائله وكتبه وبوحوثة النيرة وفي هذا الصدد ذكر الامين انه جاء في تاريخ وفاته:
« بموت علي مات علم محمد»(٣).
وجاء في الفوائد الرضوية :

وصاحـب الريـــاض سيد الأجـــــل
محقـــق عن خالـــه الآقا نقـــــل
قد عـاش سبعيـن بعلـم وعمـــــل
مقبضـه مؤلـف الريـــاض حـــــل (٤).

الخـــاتمـــــة

استعرضنا في طيات هذا البحث المتواضع احد رواد المعرفة الفكرية والدينية والثقافية في كربلاء السيد علي الطباطبائي وتبين لنا مايأتي :
١-يرجع بنسبه الى آل طباطبا العائده الى الامام الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام اي انه رجل علوي النسب كما اتضح لنا انه كاظمي

المولد فقد كانت ولادته في مدينة الكاظمية المقدسة ,الا انه كربلائي النشئة حيث تربى وترعرع في مدينة كربلاء المقدسة .

٢- استقى العلم بالدرجة الاولى على يد ابن خاله محمد علي البهباني وخاله الوحيد البهباني حيث تشير المصادر التاريخية الى انه قد نشأ وترعرع في كنف خاله الوحيد البهباني ,كما هناك اشارة الى انه اخذ العلم ايضا من السيد يوسف البحراني صاحب كتاب (الحدائق الناظرة) وبذلك يكون عدد من تتلمذ على يدهم هو ثلاثة فقط هذا ما اشارت الية المصادر ولم يرد ذكر غيرهم . وفيما يخص من تتلمذ على يده والراوون عنه فقد تبين لنا اسماء للعديد من العلماء وفطاحلة عصرهم ممن كانوا لهم رئاسة الحوزات العلمية ولهم مصنفات مشهورة ولهم دروس ومؤلفات فقهية وعلمية قيمة ,فقد فقد اوردنا بالذكر منهم احدى عشر تلميذ

٣-له العديد من المؤلفات والرسائل والشروحات التي كانت تنظم حياة الفرد والمجتمع وفقاً لتعاليم الدين الاسلامي, احصيناها بعشرين مصنف كان من اهمها واكثرها قيمة علمية هو كتابه (رياض المسائل في تحقيق الاحكام بالدلائل) حتى اقترن اسمه بالسيد علي الطباطبائي فعرف بـ(صاحب الرياض),كما ان له رسائل عديدة ,وقام بترجمة احدها الى الفارسية لخاله الوحيد البهباني والمختصه في الاصول الخمس .

٤- ان اثره لم يقتصر على تراثه الادبي والعلمي بل تعداة الى الاثر الانساني,فلم يكتفي بما قدمه على الصعيد العلمي والفكري فنراه كلما سنحت له الفرصة قدم شي الى مدينته ,فعندما تحسنت احواله المادية نتيجة لاشتغاله بالكتابة على الاكفان ,اشترى دور الكربلائيين وقام بجعلها وقفاً على اهلها ومن بعدهم ,كما انه اعاد اعمار سور مدينة كربلاء الذي تم تخريبه من قبل الوهبين اثناء هجومهم على مدينة كربلاء سنة (١٢١٦هـ/١٨٠٢م),وكذلك قام ببناء قرية المخيم ٥-ظهر لنا من خلال استعراضنا لأقوال العلماء فيه ما لهذه الشخصية من اثر عظيم في نفوس الكثير من العلماء العظام ,واصحاب التراجم المعروفه . حيث ذكروه ببالغ الثناء والمديح ونعتوه بـ(العالم الكامل،صاحب النسب الجليل,والحسب الجميل,وحيد العصر ,حسن الخلق مشكاة البركة والكرامة...الخ) من الصفات الحسنة.وانهم اشادوا بعلميته فذكروصاحب الذهن الدقيق,والفهم الملي ,فأن قال لم يترك مقالاً لقائل,سيد المحققين وسند المدققين,يراعي الاحتياط بما يراه.

٦-تبين لنا ان الوهابيين بزعامة رئيسهم (سعود) عند هجومهم على مدينة كربلاء المقدسة عمدوا على تصفية زعماء الشيعة وعلمائهم غير ان السيد علي الطباطبائي احس بنيتهم فتوارى عنهم ,واعمى الله بصرهم كما اعمى بصيرتهم ,ونجى منهم ومكوا مكرهم والله خير الماكرين.

} قائمة المصادر والمراجع {

اولا:المصادر العربية :-

١- آل طعمة ,سلمان هادي:عشائر كربلاء وأسرها, (بيروت, دار الحجة البيضاء,١٤١٩هـ/١٩٩١م),ط١,ج١.

٢- تاريخ مرقد الحسين والعباس ،(بيروت ,مؤسسة الاعلمي,١٤١٧هـ/١٩٩٦م),ط١.

٣- آل طعمة ,عبد الحسين ا لكليد ا ر (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) : بغية النبلاء في تاريخ كربلاء,(بغداد,مطبعة الارشاد,١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

٤- ا لا مين , ا لسيد محسن(ت١٣٧١هـ/١٩٥٢م):اعيان الشيعة ,(حققه واخرجه :حسن الامين,(بيروت,دار التعارف للمطبوعات,١٤٠٣هـ/١٩٨٣م,ج٨.

٥- البحراني,علي بن الشيخ حسن(ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م):أنوار البدريين

في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين ,أشرف على طبعه وتصحيحه:محمد علي محمد رضا,(النجف الاشرف,مطبعة النعمان,١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).
٦- التبريزي,الحاج ملا علي العلياوي(ت ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م):بهجة الآمال في شرح زبدة المقال ,عني بتصحيحه ,الحاج السيد هداية الله المسترحمي الجوقوئي الاصبهاني ,(قم المقدسة,المطبعة العلمية ,١٣١٣هـ/١٨٩٥م).
٧- حرز الدين,محمد:معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء,علق عليه محمد حسين حزر الدين,(قم ,مطبعة الولاية,١٩٨٤م)
٨- حسين ابو علي ,الوهابية جذورها التاريخية مواقفها من المسلمين ,(قم,مركز الابحاث العقائدية,٢٠٠٠م)
٩- الخوانساري ,الميرزا محمد باقر الموسوي الاصبهاني (ت١٢٤٠هـ/١٨٢٤م): روضات الجنات في احوال العلماء والسادات,(بيروت,الدار الاسلامية,١٤١١هـ/١٩٩١م),ج٤ .
١٠- الزركلي ،خير الدين:الاعلام,(بيروت,دار العلم للملايين,١٤٢١هـ/٢٠٠٠م),ط١٥,ج٥.
١١- السماوي,محمد بن طاهر (ت١٣٧٠هـ/١٩٥٠م):مجالي اللطف بأرض الطف,شرح:علاء عبد النبي الزبيدي,راجعه وضبطه وقدم له :وحدة تحقيق مكتبةالعتبة العباسية المقدسة ,(كربلاء المقدسة ,بيروت ,مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ,١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
١٢- الشاهوردي,نور الدين:تاريخ الحركة العلمية في كربلاء,(بيروت,دار العلوم,١٤١٠هـ/١٩٩٠م),ط١.
١٣- صائب عبد الحميد,الوهابية في صورتها الحقيقية ,(بيروت ,الغدير,١٩٩٥م)
١٤- الطباطبائي,علي بن السيد محمد علي (ت١٢٣١هـ/١٨١٥م):رياض المسائل في تحقيق الاحكام بالدلائل,تح:مؤسسة آل البيت عليهم السلام,لأحياء التراث,(مشهد,مؤسسة آل البيت عليم السلام لأحياء التراث ,١٣٧٦هـ/١٩٥٦م),ط٢,ج١.
١٥- الطهراني، محمد بن محسن اغا برزك ,طبقات اعلام الشيعة , ط٢,(مشهد ,دار المرتضى,١٣٧٤ه٥), ,ج٢
١٦- العاملي ،محمد جواد (ت١٢٢٦هـ/١٨١١م): مفتاح الكرامة ,تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر الخالصي ،ط١،(قم،مؤسسة النشر الاسلامي ،١٤١٩هـ/١٩٩٨م)،ج١
١٧- علي الخاقاني (ت١٤٠٠هـ/١٩٨٠م):شعراء الغرى والنجفيات , ط٢,(قم ,مطبعة بهمن ,١٣٠٨ هـ ق)
١٨- الفتلاوي ,كاظم عبود :مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف , ط٢,(النجف,التعارف,٢٠١٠م).
١٩- ا لقمي , عبا س (ت ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م):الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذاهب الجعفرية,تح:ناصر باقر بيد هندي,(قم,مؤسسة بوستان كتاب,١٣٨٥هـ/١٩٦٥م),ج١.
٢٠- كحالة,عمر رضا:معجم المؤلفين,(بيروت ,مؤسسة الرسالة,١٤١٤هـ/١٩٩٣م),ط١,ج٢.
٢١- المازندراني ,الشيخ ابي علي محمد بن اسماعيل (ت ١٢١٦هـ/١٨٠٢م): منتهى المقال في احوال الرجال ,تح: مؤسسة آل البيت عليم السلام لأحياء التراث,(قم, مؤسسة آل البيت عليم السلام لأحياء التراث,١٤١٦هـ/١٩٦٥م),ج٥.
٢٢- ابن منظور :محمد بن مكرم ابو الفضل جمال الدين (ت٧١١هـ/١٣١١م) : لسان العرب المحيط, ,اعداد يوسف

الخياط,(بيروت ,دار لسان العرب ,د.ت)
٢٣- النجفي ،عبد الحسين احمد الأميني (ت١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م):الغدير في الكتاب والسنة والأدب ,ط١,(بيروت ,مؤسسة الاعلمي للمطبوعات,١٩٩٤م).

ثانياً:المصادر الغير عربية :-
١- لونكريك ,المستر ستيفن هيمسلي:
اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث,نقله الى العربية :جعفر الخياط ,بغداد ,مطبعة الاركان, ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م).
ثالثـــــــــاً:الانترنـــــــــت
مقال:تاريخ الحركة العلمية في كربلاء ,أسرة الشيخ خلف
holykarbala.net/books/taraka-, html.١٥/ealmiya

Abstract

Research Summary in Arabic: Mr. AK El-Tabtabiay is considered as the one of significant of religious school in Karbala, which is thriving and full of knowledge with the greatest of senior scientists of hard investigators of Masters . He contributed with the renewal Scientific Renaissance in Karbala. He was a scholar investigator, and ,an outstanding historical justist familiar with its surroundings with news, history and the ariains and branches of at Fagah jurisprudence and Hadith and interpretation. He left his mark on the international movement in Karbala through his valua He studied under his under Sheikh Muhammed Baqir (Al-wahidBahbani) and his cousin, as well as .Mr. Yousef Al-Bahrani great media scholars and jurists were graduated by him. those who became among the great references in Islam. He has nearly twenty books and works, but he is best known for his distinguished .(jurisprudence book (Riyad, al Massal AD) the ١٨٠٢ / AH ١٢١٦) In the year Nawasibwahhabis launched their attack on the Shrine of ur Master Imam! Hussein (peace be upon him) in the holy Karbala on the day of Ghadir. Saud bin Abdul-Aziz al-Wahhat Kill the shiite scholars in Karbala all, and vid Ali al-Tabtabaei in an attempt to kill him, but that God saved him impact on the holy Karbala did not depend on the Scientific aspect and the promotion of regte religion with all its powers and glorification of the people of Knowledge, but he was a lover of the city of Karbala and an active element in it, as historical sources indicate that he worked hard to fortify it from the wahhabis and as a defen plan he worked on the reconstruction of the Karbala wall as he requested a clan (AL-Baluj) and settled them in Karbala because of their strength, Sayyid Ali Al-Tabatabali AD) and ١٨١٥/AH ١٢٣١) died in the year was buried in the AL- Haram AL-Husseini AL- Sharif

Al-Thakawat Al-Biedh Magazine

GENERAL SUPERVISOR
Alla' Al-Qassam

Prof. fayiz hatu alsharae

Editor in chief

Hussain Ali Mohammed Al-Hasani

Editor Manager

Edition Commission:

Prof. eabd alrida bahiat dawud

Prof. hasan mindil aleakili

Prof. nidal hanash alsaaeidaa

Ass.Prof. Aqeel Abbas Al-Rekan

Ass.Prof. safa eabdallah burhan

ma.da.mufaq subraa alsaaeidaa

ma.da. fadil muhamad rida alsharae

ma.da. Tariq Audda Marri

ma.da. Nozad Safar Bakhsh

Prof. nur aldiyn ‹abu lihyat / aljazayir

Prof. jamal shublaa / alardin

Prof. muhamad khaqanaa / ‹iiran

Prof. Mohammed Khaqani / Iran

Prof.maha khayr bik nasir / lubnan

Linguistic Correction

Ass.Prof. Ali Abdel Wahab Abbas

Translated into English By

Lamia jabbar Salman